دكتور بهاء الأمير

بذور المشروع اليهودي في الشام



٢٠٢٠م

دكتور بهاء الأمير

بلاليص ستان ٢

بذور المشروع اليهودي في الشام



٢٠٢٠م

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر، إعداد إدارة الشؤون الفنية

الأمير، بهاء

بذور المشروع اليهودي في الشام

المؤلف: دكتور بهاء الأمير

القاهرة، بهاء الأمير، ٢٠٢٠م

٤٢٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

١- الصهيونية
٢- الشام، تاريخ
٣- المستوطنات الإسرائيلية

أ – العنوان

٩٥٦,٩٠١

تدمك ٩٨٧.٩٧٧.٩٠.٦٩٧١.٥

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٢٠/٤٩٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المتجلي بالنعم، والواهب ما شاء لمن شاء بلا سبب، ويفيض سبحانه من فضله على عباده، فيفتح لمن شاء خزائن المال، ويمنح بعضهم القوة والباس، ويمتن على آخرين بالحافظة واستيعاب العلوم، أو بفقه الأحكام وفهم الفروع، أو بالبراعة في الماديات وابتكار الآلات، واختص عز وجل الأنبياء من عباده بالوحي، ورفعهم به فوق الزمان والمكان، وكشف لهم ما هو مستور خلف الحُجُب، ثم أورث سبحانه الوحي صفوة من عباده وأتباع أنبيائه، ومكَّنهم به من اختراق غيوم الأزمنة والأمكنة وإدراك ما لا يراه عموم البشر، والصلاة والسلام على من اصطفاه عز وجل بالوحي، وأراه من آياته الكبرى، وكشف له ما هو مطوي في بطن الزمان، وجعله به سيد البشر، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

فهذا الكتاب الذي بين يديك، بذور المشروع اليهودي في الشام، هو الجزء الثاني من كتاب بلاليص ستان، وجزءه الأول هو كتاب: أول الآتين من الخلف، وهما كتاب واحد وجعلناه في جزءين لضخامة حجمه.

ولأن كتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام هو امتداد لكتاب: أول الآتين من الخلف، أو هما كتاب واحد، فلا يمكن فهم بذور المشروع اليهودي في الشام ودور أول الآتين من الخلف في وضع هذه البذور، ولا إدراك حقيقة أول الآتين من الخلف وصلته باليهود وموقعه من مشروعهم، إلا بقراءة الجزء الأول ومعرفة أصول أول الآتين من الخلف وما الذي فعله في مصر، وكيف انحرف بمسارها وحولها من قلب بلاد الإسلام إلى ذيل للإمبراطوريات الماسونية.

ولكي تظل الصلة قائمة بين الكتابين، وفي الوقت نفسه لكي يكون هذا الكتاب الذي بين يديك كتاباً مستقلاً، فقد بدأنا كتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام بباب الحملة على الشام والحرب

مع الدولة العثمانية، من كتاب: أول الآتين من الخلف، وهو الباب الذي يتصل مباشرة ببذور المشروع اليهودي في الشام، ولابد من قراءته لفهم كيف تم بذرها.

وقد أخبرناك أن هذين الكتابين، أول الآتين من الخلف، وبذور المشروع اليهودي في الشام، هما جزءان في كتاب واحد، هو كتاب بلاليص ستان، والحقيقة أن كتاب بلاليص ستان نهر هائل الحجم غزير المياه متعدد الفروع، ويدور كله حول تاريخ بلاليص ستان منذ حملة الماسوني نابليون بونابرت على مصر، وكيف تم تحويلها من خليجها السائم إلى محيطها الهائم، إلى محضن للمشروع اليهودي وتوظيفها في كل مرحلة بعد ذلك من أجل إتمامه.

ونهر بلاليص ستان الكبير تفرعت منه فروع عديدة، فهذان الكتابان: أول الآتين من الخلف، وبذور المشروع اليهود في الشام، هما جسمه الرئيسي، ومن الفروع التي تفرعت منه كتاب: ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، ومن هذه الفروع أيضاً كتاب: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، خصوصاً الباب الأخير منه، وهو باب: الأفعى الماسونية، شركة الهند الشرقية البريطانية في مياه الإسلام.

وما زال في الجسم الرئيسي لنهر بلاليص ستان الكبير أجزاء أخرى، غير أول الآتين من الخلف وبذور المشروع اليهودي في الشام، نرجو أن يمتن علينا عز وجل بالوقت والفراغ والظروف المناسبة لاستكشافها وإتمامها.

وسوف تدرك وأنت في رحلتك مع كتاب بذور المشروع اليهودي في الشام، أن المشروع اليهودي ليس مجرد مشروع سياسي، كما يتوهم الأميون في بلاليص ستان، ولا أنه ظهر مع هرتزل والحركة الصهيونية، كما يتعمدون إيهامك، بل المشروع اليهودي مشروع عقائدي شديد القدم، ويسير مع الزمان، ويلتبس بأحداث التاريخ في كل العصور وجميع الأمم، وما يظهر منه في كل عصر هو ما تسمح ظروفه وأوضاعه بظهوره.

وكل مشروع غربي لغزو الشرق أو السيطرة عليه او استعماره، منذ الحملة الصليبية، ثم الكشوف الجغرافية، فالحملات الاستعمارية، وسواء كانت راياتها دينية أو علمانية، وسواء كانت بالجيوش والسلاح أو بالمال والتجارة أو بالتعليم والإعلام، كل مشروع غربي عبر التاريخ لغزو

الشرق، كما سترى، لم يكن سوى غلاف للمشروع اليهودي، أو من وسائل اقترابه من غايته، واليهود ومن يستوطن اليهود أذهانهم ونفوسهم، هم الذين يحركونه بالأفكار وتخليق الدوافع في أذهان حكام الغرب وساسته وقادة جيوشه، ثم بسيطرتهم على شرايين الغرب المالية والاقتصادية وسريانهم في أعصابه الإعلامية والتعليمية.

والجهد الرئيسي لليهود عبر التاريخ، لم يكن العمل بأنفسهم ووضع الخطط من أجل العودة إلى الشرق واستعادة فلسطين التي يعتقدون أنها أرضهم المقدسة التي وعدهم الإله بها، بل جهدهم الرئيسي وإنجازهم الأكبر كان البحث عمن يستوطنون ذهنه ونفسه من الأشخاص والأمم، بعقيدة أن اليهود شعب الإله المقدس، لكي يتولى هو الكفاح وحشد الجيوش وشن الحملات من أجل تحقيق ما بثوه في ذهنه ونفسه وصار عقيدته، عن وعد الإله لشعبه بإعادتهم إلى البلاد التي جعلها بالتوراة ملكاً لهم.

وتاريخ الغرب منذ الحملات الصليبية، بكل دوله، وفي جميع أشكاله الدينية والعلمانية، هو الجزء الأول من المشروع اليهودي، أو الشق الغربي من دورة إفساد بني إسرائيل الثانية، وأما الجزء الثاني من المشروع والشق الشرقي من دورة الإفساد، فهو الذي يبدأ بوصول حملة الماسوني نابليون إلى مصر، وما تلاها من وصول أول الآتين من الخلف إلى السلطة في مصر، وما فعله فيها، وهو ليس إلا نابليون آخر يتخفى في ثياب شرقية.

أما أول بذرة في المشروع اليهودي في الشام، كما ستعلم تفصيلاً في الأبواب الأولى من الكتاب، فهي دخول جيش أول الآتين من الخلف إلى الشام واستيلاؤه عليها وتغيير هويتها، عبر قطعها عن بلاد الإسلام، وما فعله فيها من التنكيل بالمسلمين من أهلها، وتصعيد الأقليات، وفتحها أمام قناصل الإمبراطوريات الماسونية، وإسباغ حمايته على اليهود، وسعيه هو وابنه نحو تهويد القدس.

ثم سَلَّم أول الآتين من الخلف الشام لبريطانيا لتستكمل ما بدأه وتفعل ما لا يمكنه فعله، فكانت البذرة الثانية في المشروع اليهودي، هي إنشاء قنصلية بريطانية في القدس، لتكون مهمتها الأولى رعاية اليهود وتوطئة الشام لهم، ثم إنشاء أول أسقفية بروتستانتية في القدس، واليهود

والمتهودون في بريطانيا هم من كانوا خلف إنشائها، وأول أسقف بروتستانتي في القدس وفي الشرق كله كان حاخاماً يهودياً!

تلا ذلك تأسيس صندوق استكشاف فلسطين البريطاني، وهو الصندوق الذي قام بتهويد فلسطين جغرافياً وطبوغرافياً، ومهد لتهويدها سياسياً، من قبل أن تظهر الحركة الصهيونية، ومن قبل أن يزحف اليهود على فلسطين، عبر استكشافه لفلسطين وإجراء حفريات لاكتشاف آثارها في العصور القديمة في ضوء ما ورد عنها في التوراة وأسفار أنبياء بني إسرائيل، وإعادة رسم خريطة فلسطين بعد منح البلدات والقرى والمواقع أسماءها العبرية الكتابية بديلاً عن أسمائها العربية.

ولأن بريطانيا هي راعية المشروع اليهودي وحاضنته في القرن التاسع عشر، وقد ورثت المشروع عن إمبراطوريات الغرب السابقة لها، فقد بدأنا باب: بريطانيا في القدس بتمهيد عن العلاقة بين بريطانيا واليهود، لكي تعرف موقع اليهود وعقيدة أنهم شعب الإله المقدس، من نفوس ملوك بريطانيا وساستها ونخبها وعموم شعبها، وتفهم عمق صلة بريطانيا باليهود، وسيطرتهم على اقتصادها، ولكي تدرك دوافع بريطانيا العقائدية والحقيقية لاحتضان اليهود ومشروعهم، وتسخير الإمبراطورية من أجل إتمامه.

وسوف تعلم أن مرحلة البذور في المشروع اليهودي في الشام، قد اكتملت وخرجت إلى سطح الأرض وأثمرت، بظهور كتاب هرتزل: الدولة اليهودية وتكوين الحركة الصهيونية، وما كان له أن يظهر ولا لها أن تتكون من غير هذه البذور التي بذرها أول الآتين من الخلف وتعهدتها بريطانيا من بعده.

ولكي لا تكون في سلسلة كتب بلاليص ستان ولا في مسيرة المشروع اليهودي في الشرق فجوات، أو فترات ساقطة، فقد أفردنا باباً للمستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين، وجهود الدولة العثمانية في مواجهتها، خصوصاً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله، وأفردنا أيضاً باباً لمشروع هرتزل لإقامة مستوطنة يهودية في سيناء، وحين تصل إليه نكاد نسمعك تهمس لنفسك: ما أشبه الليلة بالبارحة!

وخلاصة الكتاب، وما نريدك أن تدركه، هو أن التاريخ ليس أحداثاً عشوائية متناثرة ولا رابط بينها، وكل منها يحدث وحده بظروف زمانه وملابسات مكانه دون إرادة ولا تدبير، كما يفهم الأميون في بلاليص ستان، بل هو أحداث متصلة في مسار واحد، وكل حدث يتولد من آثار سابقه، ويمهد بما ينتجه من آثار للاحقه، وقطع توالد الأحداث وتراكمها لا يكون إلا بتغيير المسار الذي ينتجها وتتراكم آثارها داخله.

والذي يدبر أو يتصدر حدثاً داخل مسار ما، يناله ثوابه إن كان حسناً، أو يبوء بإثمه إن كان سوءًا، أما من غير المسار وشق آخر غيره، فهو يبوء بإثم كل ما ينتجه من أحداث وما يتراكم فيه من آثار، وأي إصلاح داخل المسار الفاسد هو بالضرورة إصلاح جزئي ومنقوص، لأن الإصلاح الكامل والشامل لا يكون إلا بنسف المسار الفاسد كله، والخروج منه إلى مسار الصلاح.

وأول الآتين من الخلف بما فعله في مصر والشام هو الذي غير مسار الشرق الذي كان عليه منذ ظهر الإسلام، وانحرف به إلى المسار اليهودي الذي صار فيه كل حدث خطوة في مشروع اليهود، وكل خطوة لبنة في صرح دولتهم، ولذا فهو، وليس هرتزل، البطل الحقيقي للمشروع اليهودي.

ولله الحمد أولاً وآخراً

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٢٨ ربيع الآخر ١٤٤١هـ/٢٥ ديسمبر ٢٠١٩م

الحملة على الشام والحرب مع الدولة العثمانية

غاية خبيئة وذريعة:

والآن جاء أوان حملة أول الآتين من الخلف على سوريا والشام، وحربه مع الدولة العثمانية، أو النسخة الأولى من سيناريو مكماهون والشريف حسين.

وغزو أول الآتين من الخلف للشام، لم يكن هدفه وحده، بل أيضاً هدف الإمبراطوريات الماسونية، فرنسا وبريطانيا، لأنه في الحقيقة غاية اليهود المتوطنة في رأس الجميع، من أجل تمهيده لمشروعهم، والفرق بينهم أن كلاً منهم يسعى لتحقيق هذه الغاية بطريقته، وبالتوافق مع مصالحه.

وهي الغاية التي كان يخفيها أول الآتين من الخلف في نفسه، وصرح بها لمستشاره العسكري الفرنسي، الجنرال بوبيه، كما علمتَ، سنة ١٨٢٤م، إبان حرب المورة.

وأقدم ما سجله المؤرخون عن إضمار أول الآتين من الخلف لهذه الغاية في نفسه، الرسالة التي أرسلها مستشاره وقنصل فرنسا في مصر، الماسوني دوروفيتي، إلى وزير الخارجية الفرنسي، في ١١ سبتمبر سنة ١٨١١م، وفيها أن:

"محمد علي يعتقد بإمكانية تنفيذ مخططاته للاستيلاء على سوريا ... وهو يدعي بإمكانية البرهنة على طموح مشروعاته وخطط استقلاله، من خلال العداوة التي نشبت بينه وبين سليمان باشا، الوزير الحالي لسوريا"[١].

فأول الآتين من الخلف أخبر مستشاره الماسوني وقنصل فرنسا، أنه يريد فصل مصر عن الدولة العثمانية، وغزو سوريا، سنة ١٨١٠م، قبل حملته على الحجاز وعلى المورة، وقبل أن يبدأ

---

١) المؤرخ إدوارد دريو: محمد علي ونابليون، مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ١٨٠٧م-١٨١٤م، ص٢١٦، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

في تكوين جيشه النظامي، بل قبل أن يستقر في السلطة وينفرد بمصر، بمذبحة المماليك في القلعة، وإزاحة الأزهر ومشايخه.

وفي ٢٠ يونيو سنة ١٨١٢م، كتب الكولونيل مِسيت Misset، قنصل بريطانيا في مصر، تقريراً لوزارة الخارجية، وفيه، أن:

"الباشا أخبرني أنه ينوي غزو فلسطين Conquer Palestine، متى سمحت له الظروف بذلك"[1].

أما نحن، فنقول لك إن هذه الغاية كانت خبيئة في نفس أول الآتين من الخلف، منذ أول يوم وطأت فيه قدمه أرض مصر، وهو يزحف إلى السلطة بالدسائس وضرب جميع الأطراف في بعضها، ومن أجلها رمت حارة اليهود في اليونان وتجار ليون مصر به، وما بين استيلائه على السلطة في مصر، وبين خروج هذه الغاية من نفسه إلى سياساته وحركة جيشه، ليس سوى الزمان اللازم لاستكمال عدته من أجل تحقيقها، وانتظار توافر الظروف والملابسات المناسبة والفرصة السانحة.

وقد تهيأت له الظروف والملابسات التي كان يريدها ويسعى بدولته وسياساته وجيشه من أجل توافرها، بهزيمة الدولة العثمانية في حرب المورة وتحطم أسطولها، وأتته الفرصة التي كان ينتظرها بدخول الباب العالي في حرب مع روسيا، بالضبط كما فعل ربيب اليهود من قبله، والنسخة البدائية منه، جوزيف دافيد/علي بك الكبير.

إبان الحرب مع اليونان، وفي عقب معركة نفارين مباشرة، أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً في شهر أكتوبر سنة ١٨٢٧م بإلغاء معاهدة آق كرمان، مع روسيا، وكانت المحرض والحاضن الرئيسي لثورة اليونان الأرثوذكسية مثلها، وأتبع الفرمان في ٢٢ فبراير سنة ١٨٢٨م بإعلان إغلاق مضيقي البسفور والدردنيل أمام السفن الأوروبية، فشنت روسيا في أبريل ١٨٢٨م الحرب على الدولة العثمانية، في سلسلة حروبهما المتواصلة منذ القرن السادس عشر، وانتهت

---

1) Henry Dodwell: The Founder Of Modern Egypt,P107, Cambridge University Press, London, 1931.

الحرب بتوقيع معاهدة أدرنة في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩م، وكان أهم بنودها إعادة فتح المضايق أمام السفن الروسية، وتصديق الباب العالي على معاهدة لندن ١٨٢٧م، التي تقضي باستقلال اليونان.

وبعد أن أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية، طلب السلطان محمود الثاني من أول الآتين من الخلف أن يرسل مدداً عسكرياً، باعتبار مصر ولاية من ولايات الدولة، فتعلل بأعذار واهية، فإليك المؤرخ عبد الرحمن الرافعي يعرفك بأعذاره، وبالسبب الحقيقي من نكوصه عن معاونة الدولة التي هو والٍ على إحدى ولاياتها:

"ألح عليه السلطان في إرسال المدد، لكنه أصر على الامتناع، واعتذر ببعد المسافة بطريق البر، وعدم توافر السفن التي تنقل الجنود بطريق البحر، واعتذر أيضاً بتفشي الوباء في مصر والشام، وكل هذه أعذار ظاهرة، أما السبب الحقيقي فهو طموحه إلى الانفصال عن تركيا وتحقيق استقلال مصر"[١].

فتنبه أن المؤرخ الأمي قد ألبس خيانة أول الآتين من الخلف لباس البطولة، ويحدثك عن استغلاله لخوض الدولة التي هو تابع لها وجزء منها الحرب وتدبيره للانفصال بولايته عنها بكل فخر.

ولكي تفهم ما الذي يعنيه هذا، فهو مثل أن ينتهز أحد المحافظين أو قادة الجيوش في زمانك خوض بلاليص ستان حرباً، فيتواطأ مع دولة اليهود على عدم الاشتراك في الحرب في مقابل مساعدته على الانفصال عن بلاليص ستان، ثم بعدها بخمسين سنة يأتي المؤرخون الأميون البقر ليؤلفوا الأغاني والأناشيد في الأبطال الذين جاهدوا حتى حققوا الاستقلال لإمارة السويس وسلطنة مطروح ومملكة أسوان والنوبة، وهي نبوءة إن عَمَّرتَ ستراها يوماً ما.

---

١) المؤرخ عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ص٢١٦، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

أما عن تفسير حملة أول الآتين من الخلف على سوريا وأسبابها، فيقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:

"مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية مستقلة في مصر، تضم إليها البلاد العربية في إفريقيا وآسيا، ففي إفريقيا استقل بمصر وفتح السودان، وفي آسيا فتح معظم جزيرة العرب وبسط عليها نفوذ الحكومة المصرية، وبطموحه إلى سوريا أراد أن يؤسس الدولة المصرية الكبيرة"(١).

ومرة أخرى، إليك ما تعرف به حقيقة هذا الاستقلال، وكيف وبأي ثمن أراد أول الآتين تحقيقه.

في يوم ٣٠ مارس سنة ١٨٣٠م، كتب قنصل بريطانيا في مصر، جون باركر John Barker، تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية، يقول فيه إنه انتقل من مقره في الإسكندرية إلى القاهرة، للقاء أول الآتين من الخلف، من أجل التنسيق معه بعد معاهدة أدرنة، وخروج الدولة العثمانية منهكة من حربها مع اليونان وروسيا.

وبدأ أول الآتين من الخلف لقاءه بالقنصل باركر، بتذكيره بلقاءاته مع سلفه هنري سولت، ووعده له بمساعدة انجلترا له في الاستقلال عن الباب العالي حين تسنح الفرصة، ثم قال له:

"لقد تمزق الباب العالي، ومن المستحيل إنقاذه، ويجب على انجلترا أن ترفع قوة أخرى في آسيا لمواجهة الروس، ولن تجد حليفاً يقوم بهذه المهمة أفضل مني ومن ابني من بعدي (!) ... ثم انفجر Burst Out قائلاً: "بمساعدة الإنجليز أصدقائي يمكنني أن أفعل أي شيء With The English My Friends I Can Do Anything، وبدون صداقتهم لا يمكنني فعل شيء، وقد أدركت منذ فترة طويلة أنني لن أتمكن من تحقيق شيء من أهدافي إلا إذا سمحت لي انجلترا بذلك"(٢).

---

١) عصر محمد علي، ص٢١٩.

2) The Founder Of Modern Egypt, 105.

ومما قرأته في تقرير القنصل البريطاني عما قاله له أول الآتين من الخلف خلف الأبواب المغلقة، تدرك أن الدولة القومية المستقلة التي يؤلفون فيها الأغاني، هي في حقيقتها الدولة العميلة، التي انسلخت من الإسلام وتاريخه ودولته، وارتمت في أحضان الإمبراطوريات الماسونية وتحت أقدامها، لتفعل بها وفيها ما تشاء.

وتنبه أنَّا لا نأتيك بهذه التفاصيل لكي نعرفك بما حدث فيما مضى فقط، بل لكي يكون نموذجاً تدرك منه ما يحدث في حاضرك، ويفسر لك ما رأيته وتراه فيه من أحداث، ويكشف لك المسار الذي يصل هذا بذاك، والوجهة التي يتجه إليها.

ولا تنس وأنت تقرأ تحريض أول الآتين من الخلف لانجلترا على تمزيق الدولة العثمانية، التي هو أحد ولاتها ويحكم باسمها، وعرضه على القنصل البريطاني أن يكون عميلاً لانجلترا هو وابنه من بعده، في مقابل أن تساعده في مواجهة الباب العالي عسكرياً، والانفصال بمصر وضم الشام إليها، لا تنس أن تعود إلى كتاب: ولي الأمر المتغلب، وتراجع ما فعله الظاهر بيبرس وسلاطين المماليك العظام من بعده، حين بحثوا عن الخليفة وأحيوا الخلافة بعد أن أسقطها التتار فعلاً، لكي يجمعوا بإحيائها شمل بلاد الإسلام، ويحافظوا على دولته، ويحفظوا اتصالها بتاريخ الإسلام والدولة النبوية.

فإذا عدت وراجعت وقارنت، ستعرف الفرق بين ولي الأمر المتغلب في عالم الإسلام وبين الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود في بلاليص ستان.

وبعد أن تيقن أول الآتين من الخلف أن الفرصة سنحت له، وأن الدولة العثمانية في وضع وأحوال لا يمكنها معها مواجهته، وبعد أن حصل على رضا انجلترا ومباركتها، بدأ في إخراج الغاية الخبيئة في نفسه منذ جاء مصر إلى دولته وجيشه.

علمتَ من قبلُ أن كثيراً من الفلاحين المصريين هجروا قراهم فراراً من التجنيد، وكذلك من الضرائب التي فرضها عليهم أول الآتين من الخلف، ومن تسخيره لهم للعمل في المصانع التي أنشأها، وكانت الشام والحجاز الوجهة الرئيسية لهؤلاء الفارين، وفي سنة ١٨٣١م بلغ عدد هؤلاء في الشام نحو ستة آلاف، فأرسل أول الآتين من الخلف رسالة إلى عبد الله باشا الجزار، والي

عكا، يطلب منه إعادتهم، فرد عليه بأن هؤلاء من رعايا الدولة العثمانية، ولهم أن يقيموا في أي بلد شاءوا من بلدانها، وأجاب الصدر الأعظم في الأستانة على طلب أول الآتين من الخلف بإعادتهم إلى مصر، بأن مصر وسوريا ولايتان من ولايات الدولة، ورعايا الدولة أحرار في أن يتنقلوا داخلها، وفي الولاية التي يفضلون الإقامة بها، طالما أنها داخل أملاك الدولة.

وكانت هذه ذريعة أول الآتين من الخلف لشن حملته، فأصدر في يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٣١م أوامره بأن تتحرك حملتان لغزو الشام، الأولى برية، يقودها ابن أخته إبراهيم يكن باشا، وتتكون من ٥ آلايات مشاة، و ٤ آلايات خيالة/فرسان، وأورطة مدافع بها ٤٠ مدفع ميدان، و ٢٠ مدفع حصار، و ١٠ مدافع هاون، ووصل عدد الجنود إلى ٢٥,٠٠٠ جندي، منهم ٣٠٠٠ من الخيالة، والحملة الثانية بحرية بقيادة ابنه إبراهيم باشا ورئيس أركان حربه الكولونيل سيف، وكان الأسطول يتكون من ٢٣ سفينة حربية، منها ٧ فرقاطات، و ٧ سفن مدفعية[١].

صفحات من الخزي والعار:

وكانت خطة أول الآتين من الخلف لغزو الشام، كما يقول القائمقام عبد الرحمن زكي، في كتابه: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، هي نفسها خطة نابليون، فانطلقت الحملة البرية فاستولت على غزة، ثم وصلت يافا، والتقت فيها بالحملة البحرية، فاستسلمت حاميتها العثمانية لجيش أول الآتين من الخلف، وكانت الحامية ٢٥٠ جندياً، وتحركت الحملة إلى حيفا، وحوَّلها إبراهيم باشا إلى قاعدة حربية يتمركز فيها لشن الحملة الكبرى على عكا.

وفي ٢٦ نوفمبر ١٨٣١م بدأت حملة أول الآتين من الخلف حصار عكا من البر والبحر، وظلت محاصرة لها ثلاثة أشهر دون أن تتمكن من اقتحامها أو إجبارها على التسليم، وإبان الحصار أرسل إبراهيم باشا كتيبة إلى القدس فاحتلتها، وأرسل قوات أخرى للاستيلاء على صور وصيدا وطرابلس.

---

١) **القائمقام عبد الرحمن زكي: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٩٠-٣٩١، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.**

وأرسل السلطان العثماني مندوباً إلى أول الآتين من الخلف يطالبه بالكف عن القتال، ولكن، كما يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"كان الباشا يعلم بارتباك أحوال تركيا وعجزها عن حشد جيش يصد الحملة المصرية، فأخذ يماطل في الجواب، وتظاهر بالإخلاص للدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه أرسل إلى إبراهيم باشا يأمره بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يفتحها قبل أن يصل الجيش التركي لنجدتها"[1].

وينقل القائمقام عبد الرحمن زكي، عن سجلات المعية السنية، أن إبراهيم باشا عقد وليمة لقادة جيشه وضباطه، يوم ٨ يناير سنة ١٨٣٢م، وألقى فيهم خطبة يحرضهم فيها على السلطان العثماني ويخلع طاعته، وقال فيها:

"ما الذي استفدناه أنا وأنتم من السلطان، ألسنا في الحقيقة كلنا أولاد محمد علي الذي ربانا وعلمنا، ألم نأكل جميعاً من خيره، إن مصر لمحمد علي، حق اكتسبه بالسيف، ولا نعرف لنا ملكاً غيره"[2].

وفي آخر ذي القعدة ١٢٤٧هـ/٢٢ أبريل ١٨٣٢م:

"أصدر السلطان العثماني فرماناً يعلن عصيان محمد علي وخروجه عليه"[3].

ويقول المؤرخ البريطاني دودويل، إن الباب العالي أصدر في أوائل شهر مارس سنة ١٨٣٢م قائمة بالتعيينات والتجديدات للولاة، ليس فيها اسم محمد علي، وكان والياً على مصر وجزيرة كريت، ولا ابنه إبراهيم، وكان والياً على الحجاز، فبدت في القاهرة والإسكندرية بوادر التذمر، وبدأت الهمهات Murmur تسري بين العلماء والجنود، تعترض على سياسات أول الآتين من

---

١) عصر محمد علي، ص٢٢٤.

٢) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٧٧.

٣) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٣٩٨.

الخلف، وقتاله للسلطان، ثم ينقل دودويل عن تقرير جون باركر، قنصل بريطانيا، إلى ستراتفورد كاننج، سفير بريطانيا في الأستانة، أنه:

"في صبيحة أيام ١٤، و٢١، و٢٣، من مارس، وُجدت ثلاث جثث مقطوعة الرأس معلقة على باب زويلة، جثتان منهما لجنديان، والثالثة لأحد العلماء Ulema، وقد عُلقت على صدر كل جثة لافتة كُتب عليها: "هذا هو مصير من لا يستطيعون التحكم في ألسنتهم The Fate Which Awaits Those Who Can't Govern Their Toungues"، وفي يوم ٧ أبريل، علقت جثتان جديدتان، وعليهما هذا التحذير: "هذا هو عقاب من يستمعون لمن يعترضون على الحكومة"[١]!

وها هنا موضع لإحدى المسائل الموجهة لحفظة الأكلشيهات، هل أول الآتين من الخلف الذي خرج على الدولة الجامعة لبلاد الإسلام والحامية لها ثلاثة قرون، وقاتلها بالسلاح، وتواطأ مع الإمبراطوريات الماسونية عليها، هل هو ودولته وجيشه من الخوارج؟

فإن كان من الخوارج، وجميع الآتين من الخلف مثله، فمن خرجوا عليهم لم يفعلوا إلا ما فعلوه، وإن لم يكونوا من الخوارج فالذين فعلوا بهم ما فعلوه بغيرهم، هم في الحكم مثلهم، فهل تكسب فينا ثواباً وتجد من حفظة الأكلشيهات من يخبرنا بالجواب، إن استطاعوا أن يفهموا المسألة؟!

وفي ١٤ أبريل سنة ١٨٣٢م التقى الجيشان، جيش أول الآتين من الخلف، الذي انضم إليه الدروز والموارنة الكاثوليك، وجيش عثماني يقوده عثمان باشا والي صيدا، ومحمد باشا والي حلب، وانضم إليهم فرسان العرب والأكراد، في سهل الزرَّاعة، جنوب حمص، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش العثماني، وتراجعه إلى حماه في انتظار المدد.

وبعد معركة الزرَّاعة عاد إبراهيم باشا لإتمام حصار قلعة عكا والاستيلاء عليها، وكان أول الآتين من الخلف قد أرسل إليه مهندساً فرنسياً، ليسهم في تشديد الحصار، ويحدد أضعف نقاط

---

1) The Founder Of Modern Egypt, 110.

القلعة وكيف يمكن اختراقها، وفي يوم ٢٧ مايو ١٨٣٢م تمكنت مدافع إبراهيم باشا من إحداث ثغرتين كبيرتين في سور القلعة، وثغرة ثالثة صغيرة، وتمكنت قواته من دخول القلعة والاستيلاء عليها.

وينقل القائمقام عبد الرحمن زكي، عن تقرير إبراهيم باشا الخاص بحصار عكا والاستيلاء عليها، أن خسائر جيشه بلغت ٥١٢ قتيلاً و ١٤٢٩ جريحاً[1]، بينما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، نقلاً عن المسيو مانجان، إن الخسائر كانت جسيمة وعدد القتلى ٤٥٠٠ قتيلاً، وكانت خسائر حامية عكا ١٤٠ جندياً فقط[2].

ومن عكا اتجه ابن أول الآتين من الخلف بجيشه إلى دمشق، تصاحبه القوات المتطوعة معه من الموارنة والدروز، وعلى رأسها بشير الشهابي أمير الدروز[•]، فدخلها في يوم ١٦ يونيو ١٨٣٢م، وجعلها قاعدة حكمه في الشام.

وكان الباب العالي قد جهز جيشاً من ٦٠ ألف جندي، بقيادة حسين باشا، وكان يتمركز في قونية وولاية أضنة، وبعد استيلاء جيش أول الآتين من الخلف على عكا ودمشق، تقدم إلى

---

١) التاريخ الحربي لعصر محمد علي، ص٤٠٦.

٢) عصر محمد علي، ص٢٢٧-٢٢٨.

•) الأمير بشير الشهابي، كان يعتنق المسيحية سراً، ويتظاهر بالإسلام، وقد تبعه في ذلك الشهابيون جميعاً، في كتابه: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، يقول المؤرخ الروسي قسطنطين بازيلي، وهو أيضاً قنصل روسيا في الشام في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه لها: "كان الأمير بشير الشهابي أول أمير حاكم في لبنان يعتنق المسيحية ضمناً، وقد اقتدى به كل أقربائه في جبل لبنان تقريباً، وبقي حتى سقوطه يخفي دينه، وحتى في عهد الحكم المصري الذي امتاز بتسامح ديني سديد في سورية، كان يراعي الطقوس الظاهرية في الإسلام ويؤدي الصلاة في المساجد حين يزور الباشوات، وكان يقسم بمحمد أمام المسلمين، وكان يحرص على أن يصوم رمضان، فيرفض حتى شرب كأس من الماء في حر الصيف، وتدخين الغليون الذي لا يكاد يفارق شفتيه في الأوقات الأخرى، وكان في قصره مصلى جميل يؤدي فيه قس كاثوليكي القداس يومياً، ولكن كان ذلك بذريعة لائقة، وهي أن زوجته شركسية اعتنقت المسيحية، ويعتبر السيد لامارتين الذي زار الأمير في عام ١٨٣٢م دينه لغزاً، ويؤكد أنه لم تكن له أي قناعة داخلية، وكان درزياً مع الدروز، ومسيحياً مع المسيحيين، ومسلماً مع المسلمين". فهل فهمت الآن لماذا كان حليف أول الآتين من الخلف؟! (المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في يافا قسطنطين بازيلي: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص٩٦، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩م).

أنطاكية، وأرسل حسين باشا مقدمة جيشه بقيادة محمد باشا إلى حمص، وفي يوم ٨ يوليو ١٨٣٢م التقى الجيشان، وكان الذي يتولى ترتيب الأوضاع القتالية لجيش أول الآتين من الخلف ويقوده ميدانياً أركان حربه الكولونيل سيف، وانتهت موقعة حمص بهزيمة الجيش العثماني وخسارته لألفي جندي، وكانت خسارة الكولونيل سيف ١٠٢ قتيل من المصريين.

وبعد معركة حمص عادت مقدمة الجيش العثماني بقيادة محمد باشا إلى حلب، والتقت عندها بجيش حسين باشا، وتراجع الجيش العثماني كله ليتحصن في مضيق بيلان، شمال سوريا وجنوب الإسكندرونة، فاستولى جيش أول الآتين من الخلف على حلب وحماة، ثم تقدم إلى مضيق بيلان، وانتهت معركة بيلان، في ٣٠ يوليو ١٨٣٢م، بهزيمة الجيش العثماني، وخسارته ٢٥٠٠ جندي، فعبر جيش أول الآتين من الخلف حدود سوريا ودخل إلى الأناضول واستولى على طرسوس وأضنة.

ومن أضنه تقدم جيش أول الآتين من الخلف إلى قونيه، بقيادة ابنه إبراهيم، فالتقى الجيش العثماني الذي أرسله السلطان محمود الثاني بقيادة الصدر الأعظم محمد رشيد باشا، وانتهت معركة قونية، ٢١ ديسمبر ١٨٣٢م، بهزيمة الجيش العثماني وتشتته، فأصبح الطريق أمام جيش أول الآتين من الخلف مفتوحاً وخالياً إلى الأستانة، وليس بينه وبين مضيق البسفور سوى ستة أيام.

ومن قونية اتجه إبراهيم باشا إلى كوتاهية على بعد ٥٠ كيلومتراً من الأستانة فاحتلها، في ٢ فبراير سنة ١٨٣٣م، ثم أرسل قوة لاحتلال إقليم مغنيسيا في أزمير.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"فلا غرو كانت معركة قونية نصراً مبيناً للجيش المصري، وصفحة فخار في تاريخ مصر الحربي"[(١)].

---

١) عصر محمد علي، ص٢٤٧.

والأحداث والوقائع والمعارك التي يؤلف فيها الأميون الأغاني والأناشيد، على أنها نصر مبين للجيش المصري وصفحة فخار في تاريخ مصر، لم تكن في حقيقتها إلا صفحة خزي وعار، وهي مثل صفحة الفخار التي رأيتها من قبل، والتي قاتل فيها الجيش الذي يحمل اسم مصر بكل بسالة مع بريطانيا الماسونية، إبان الحرب العالمية الأولى، واشترك معها في إخلاء الشام من الجيش العثماني، وفي الاستيلاء على فلسطين وتسليمها للعصابات الصهيونية.

فهذه الوقائع، كانت الخطوة الأولى في تذويب الرابطة الإسلامية للشرق كله، وإحلال الرابطة القومية التوراتية البني إسرائيلية محلها، وفي تفكيكه ووضعه تحت وصاية الإمبراطوريات الماسونية، وفي تكوين بلاليص ستان التي تراها أمامك، ممزقة مهيضة، ودولها المستقلة دواجن في حظيرة الغرب، وتتأهب للانتقال منها إلى حظيرة بني إسرائيل.

وهذه الانتصارات وصفحات الفخار، التي لا ترى فيها ولا تسمع عن يهودي واحد، كانت اللبنة الأولى في المشروع اليهودي، وحجر الأساس غير المرئي لدولة بني إسرائيل.

فهاك خريطة لمعارك جيش أول الآتين من الخلف في الشام والأناضول، التي يصفها البقر في بلاليص ستان بأنها صفحات مجد وفخار، وهي حجر الأساس لدولة بني إسرائيل، ومن صفحات الخزي والعار.



معارك جيش أول الآتين من الخلف في الشام والأناضول.

وهاهنا، وبعد أن استنزف أول الآتين من الخلف الدولة العثمانية وهزها بعنف، بأرواح المصريين الذين يستعبدهم، ظهرت الإمبراطوريات الماسونية، لتفرض وصايتها على الطرفين، فأرسل الأدميرال روسان Roussin، سفير فرنسا في الأستانة، رسالة إلى إبراهيم باشا ينذره بقطع فرنسا، التي كانت تحرضه على مواجهة الباب العالي، علاقاتها مع أبيه، وبالعواقب الوخيمة إن لم ينسحب من أزمير، وأرسل رسالة أخرى مع ياوره الخاص إلى أول الآتين من الخلف، في اليوم نفسه، يعلنه فيها أن ما هو مسموح له أن يطالب به، هو عكا والقدس ونابلس وطرابلس فقط، وينذره إن لم يسحب جيشه من الأناضول بمجيء أساطيل فرنسا وانجلترا وروسيا معاً إلى مصر!

وأرسل هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston، وزير خارجية بريطانيا، التي أعطى قناصلها أول الآتين من الخلف موافقتهم على مواجهته للباب العالي، رسالة إلى قنصله في مصر، الكولونيل وليم كامبل William Campbell، يأمره أن يعمل على الوصول إلى اتفاق بين السلطان وأول الآتين من الخلف، على أن تقتصر ولاية أول الآتين من الخلف على سوريا، ولا تصل إلى بغداد، فطلب كامبل من أول الآتين من الخلف سحب جيشه من آسيا الصغرى والعودة إلى حدود سوريا، وهدده بحصار الإسكندرية إن لم يستجب.

وأرسلت روسيا أسطولها فرسا في مضيق البسفور، وأعلنت أنها على استعداد للدفاع عن تركيا(!)، وفي الوقت نفسه أرسلت الجنرال مورافيف Mouravief إلى مصر، فالتقى أول الآتين من الخلف، وأنذره بمواجهة روسيا له في البر والبحر إن لم ينسحب جيشه من الأناضول[١].

وفي كوتاهية، وبعد أربعة أيام من المفاوضات بين إبراهيم باشا ومندوب الباب العالي، رشيد باشا، وبرعاية ممثل فرنسا البارون دي فارين، تم إبرام اتفاقية كوتاهية، في ١٨ ذو القعدة ١٢٤٩هـ/٨ أبريل ١٨٣٣م، وتقضي بانسحاب جيش أول الآتين من الخلف من الأناضول، وتثبيت ولايته على مصر وكريت، وإسناد ولاية سوريا إليه، وتجديد ولاية إبراهيم باشا على الحجاز، وتخويله إدارة إقليم أضنة[٢].

وفي سنة ١٨٣٤م جمع أول الآتين من الخلف قناصل الدول الأوروبية، وأخبرهم عن عزمه إعلان استقلال مصر والشام عن الباب العالي، ولما رفضوا تراجع.

ومرة أخرى، ولا نمل من تذكيرك، أن هذه هي بلاليص ستان من خليجها السائم إلى محيطها الهائم، يتمرد فيها الوالي أو الأمير أو الملك أو الرئيس على دولة الإسلام، ويقطع علائقه بتاريخه وبلاده، وهو ينفخ صدره، ويغني هو وإعلامه للاستقلال، ويحتفلون بعيده، ويستأسدون على شعوبهم ويفترسونها، بينما هم في حقيقتهم عبيد عند الإمبراطوريات الماسونية، وسفاراتها

---

1) **The Founder Of Modern Egypt, P115-121.**

٢) عصر محمد علي، ص٢٥٦.

هي الحاكم الحقيقي لهم ولدولهم، فلا يخرجون عن طوعها، ولا يفعلون إلا ما يسمح لهم به قناصلها وسفراؤها.

وفي شهر مايو سنة ١٨٣٨م، جمع أول الآتين من الخلف القناصل مرة أخرى، وأخبرهم أنه مصمم على إعلان الاستقلال، فرفضوا أيضاً، وأبلغ اللورد جون بونسونبي John Ponsonby، سفير بريطانيا في الأستانة، السلطان محمود الثاني بنواياه، وحرضه على مواجهته، ولا تنس أن الحكومة البريطانية كانت قد أصدرت قراراً في سنة ١٨٣٤م، تسمح فيه لضباط جيشها وبحارة أسطولها، بالخدمة في جيش أول الآتين من الخلف وأسطوله، وأن قناصلها هم الذين منحوه موافقتها على الدخول في مواجهة عسكرية مع الباب العالي وطلب الاستقلال!

وفي شهر أبريل ١٨٣٩م عبر الجيش العثماني نهر الفرات، وتحصن قرب قرية نصيبين، في الأناضول، فأرسل إبراهيم باشا إلى أول الآتين من الخلف، فأرسل إليه المدد من الجنود والسلاح والذخائر.

وفي يوم ٢٤ يونيو ١٨٣٩م، التقى الجيشان في معركة نصيبين، الجيش العثماني يقوده السرعسكر حافظ باشا، وجيش أول الآتين من الخلف يقوده ابنه إبراهيم وأركان حربه الكولونيل سيف، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش العثماني، ليصبح طريق جيش أول الآتين من الخلف مفتوحاً إلى الأستانة، ولتظهر الإمبراطوريات الماسونية مرة أخرى، وتفرض وصايتها الكاملة على الدولة العثمانية وعلى أول الآتين من الخلف معاً، وهي النتيجة الحقيقية للمعركة، وما من أجله صدمتهما معاً، وليس الأغاني التي كتبها ويكتبها المؤرخون الأميون عن:

"**أعظم الوقائع التي خاض غمارها الجيش المصري من جهة أهميتها الحربية ونتائجها السياسية ... وأما من الوجهة السياسية فلأنها حفظت استقلال مصر**"[1].

فإليك المؤرخ الأمي الذي كتب هذا الكلام، هو نفسه، يخبرك بعد بضع صفحات بالنتيجة الحقيقية للمعركة، فلا تدري أهو مسطول، أم أنه كغيره من الأميين، رؤوسهم مفككة تائهة،

١) **عصر محمد علي، ص٢٨١.**

بدورانها مع الشعارات والأشخاص، وفراغها من المعيار والميزان، وعمائها عن المسار، فالمؤرخ الأمي يخبرك أنه:

"حسبك دليلاً على عظم هذه الانتصارات أنها هزت كيان التوازن الأوربي هزاً، وتداعت أركان السلطنة العثمانية، وفتحت باب المسالة الشرقية، فتجددت أطماع الدول المختلفة بشأنها ... السياسة الدولية الأوروبية قضت لليونان باستقلالها التام، أما مصر فقد حكمت عليها أن تبقى تحت السيادة التركية، وأن تتخلى عن سوريا وجزيرة العرب وأضنة وكريت، وائتمرت بها الدول وحاربتها وقصت أجنحتها، وقضت عليها بإضعاف قوتها البرية والبحرية، وهذه المقارنة تصور لك الفرق بين معاملة أوروبا لأمة غربية ومعاملتها للأمم الشرقية، وتريك المكيال الواحد يكبر ويصغر، كأن فيه روح الشيطان"[١].

فهل تذكرك عبارات المؤرخ الأمي عن الكيل بمكيالين، والتي يصف بها مواقف دول أوروبا في القرن التاسع عشر، بما يكتبه الأميون في بلاليص ستان عن الأمم المتحدة والمجتمع الدولي طوال القرن العشرين والحادي والعشرين؟

والمشكلة ليست في أوروبا، بل في هؤلاء الأميين الذين أنتجهم المسار اليهودي الماسوني لبلاليص ستان، فغاية إمبراطوريات أوروبا الماسونية واحدة ولكن أعينهم العمياء لا تراها، والمسار الذي كانت تدفع فيه هذه الإمبراطوريات مصر والشرق كله هو هو ولكنهم لا يدركونه، ومكيالها الذي تكيل به لا يتغير ولكن أذهانهم الفارغة من المعيار والميزان لا تعيه، ويتوهمون أن خلاف إمبراطورية منها مع أخرى، أو اختلافهما في الوسائل والأساليب، أو في الأولويات، يعني اختلاف غاياتها، أو أنه سيجعلها حضناً دافئاً للبلاليص ودولهم المستقلة.

ثم هل انتبهت أن المؤرخ الأمي يخبرك أن الإمبراطوريات الماسونية ائتمرت بمصر، وهو في غيبوبة تامة عن أن أول الآتين من الخلف الذي يهيم به، هو الذي فتح لهم مصر، ومكن هذه الإمبراطوريات من إنشاب أنيابها ومخالبها فيها، وقناصلها كانوا يحيطون به وهم مستشاروه،

١) عصر محمد علي، ص٢٨٥-٢٨٦.

ولا يخطو خطوة إلا بإرشادهم أو بإذنهم، وضباط هذه الإمبراطوريات، وبموافقتها، هم الذين صنعوا له جيشه ويقودونه.

فالمؤرخ الأمي يبكي على المؤامرة التي دبرتها الإمبراطوريات الماسونية لأول الآتين من الخلف، والذي لا يدركه أو يتعمد حجبه، أن أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود في اليونان هو نفسه جزء من المؤامرة، وهو رأس الحربة فيها، ولولاه ما كانت.

معاهدة لندن:

في ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٩م، قدم سفراء الدول الخمس الكبرى في الأستانة، انجلترا وفرنسا والنمسا وروسيا وبروسيا، بناءًا على اتفاق بين وزراء خارجيتها، مذكرة الى السلطان عبد المجيد، يطلبون منه أن لا يتخذ قراراً فيما يخص المسالة المصرية إلا بعد إطلاعهم عليه وموافقتهم.

وكان السلطان عبد المجيد في الثامنة عشرة من عمره، وصار السلطان بعد وفاة السلطان محمود الثاني في بداية شهر يوليو ١٨٣٩م، بعد أسبوع من معركة نصيبين، وقبل أن يعلم بنتيجتها، فأرسل السلطان عبد المجيد، في ٧ أغسطس سنة ١٨٣٩م، رسالة إلى أول الآتين من الخلف يخبره أن:

"**الأمور الآن ليست في يدي أو في يد خسرو (الصدر الأعظم)، وإنما سيقررها السفراء الأوربيون في الأستانة**"[1].

وفي الوقت نفسه التقى قنصل بريطانيا وقنصل فرنسا في مصر أول الآتين من الخلف، وطلبا منه إيقاف قواته، وعدم اتخاذ أي قرار بشأن خلافه مع الباب العالي إلا بمعرفتهما، وأنذراه إن لم يفعل بمجيء الأسطولين الفرنسي والبريطاني إلى مصر ومحاصرة الإسكندرية، وأرسل وزير خارجية بريطانيا بالمرستون إليه رسالة مع القنصل كامبل، وفيها أن:

---

١) دكتور خالد فهمي: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ص٣٨٠، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

"الباشا يجب أن يعي جيداً أنه من الناحية الجغرافية والسياسية، ومن جهة الاعتبارات العسكرية والبحرية، ليس في وضع يسمح له بمعاندة الحكومات الأوروبية، خصوصاً القوى البحرية Especially The Maritime Powers"[1].

وفي ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠م، ودون علم أول الآتين من الخلف، وقَّع وزراء خارجية انجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا وتركيا معاهدة لندن، وكان الفاعل الرئيسي فيها والذي وضع شروطها وزير خارجية بريطانيا، اللورد بالمرستون، وكانت أهم هذه الشروط:

"أولاً: أن يُخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي، ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية المعروفة بولاية عكا، بما فيها مدينة عكا ذاتها وقلعتها، بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغه هذا القرار، وأن يُشفع قبوله بإخلاء جنوده من جزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أضنة وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا.

ثانياً: إذا لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يُحرم الحكم على ولاية عكا، ويُمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية، فإذا انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان السلطان في حِل من حرمانه من ولاية مصر...

سادسا: يتكفل الحلفاء في حالة رفض محمد علي باشا لتلك الشروط أن يلجأوا إلى وسائل القوة لتنفيذها، وتتعهد انجلترا والنمسا في خلال ذلك أن تتخذ باسم الحلفاء، بناءًا على طلب السلطان، كل الوسائل لقطع المواصلات بين مصر وسورية ومنع وصول المدد من إحداهما للأخرى"[2].

وفي يوم ١٦ أغسطس ١٨٤٠م، التقى رفعت بك، مندوب الباب العالي، أول الآتين من الخلف في سراي رأس التين، وأبلغه بمعاهدة لندن وشروطها، فغضب أول الآتين من الخلف ورفضها، وهو يقسم أنه لن يتخلى عن شيء من الأرض التي ملكها بجيشه.

---

1) The Founder Of Modern Egypt, P179.

٢) عصر محمد علي، ص٢٩٠-٢٩١.

وفي اليوم التالي، ١٧ أغسطس، ذهب قناصل انجلترا وروسيا والنمسا إلى أول الآتين من الخلف، وأبلغوه بشروط المعاهدة، وأمهلوه ١٠ أيام لقبولها، وقدموا له مذكرة مكتوبة بذلك وعليها توقيعاتهم، وبعد مرور الأيام العشرة ذهبوا إليه مرة أخرى وأبلغوه الإنذار الثاني، فأجابهم غاضباً أنه سيزحف على الأستانة، فأعلنوه أنه لم يعد له حق في ولاية عكا، وأمهلوه ١٠ أيام أخرى، وإن لم يوافق فلن يكون له حكم مصر أيضاً.

وإبان الأيام العشرة ، استدعى أول الآتين من الخلف مندوب السلطان، وأبلغه أنه يريد التصالح مع الباب العالي دون تدخل الدول الأوروبية، وأنه سيتنازل عن أضنة وكريت وجزيرة العرب، على أن يكون حكم مصر وراثياً له ولأبنائه من بعده، وحكم ولاية سوريا في حياته، وهي نفسها شروط معاهدة لندن.

ولات حين مندم، فقد تراجع أول الآتين من الخلف، وبدأ في البحث عن التصالح مع الدولة العثمانية بعد أن استنزفها وأنهكها بجيشه الضال، وصار هو وهي داخل مصيدة الإمبراطوريات الماسونية وبين أنيابها.

فبعد انقضاء مهلة الأيام العشرة الثانية، ذهب قناصل الدول الأوروبية إلى أول الآتين من الخلف، وقد علموا برسالته إلى السلطان، فرفض مقابلتهم، وأبلغهم ناظر خارجيته، الماسوني الأرمني بوغوص بك، أنه أرسل رسالة للتصالح مع السلطان، فاعتبروا عدم توقيعه على شروط معاهدة لندن المكتوبة رفضاً لها، وحرروا محضراً رسمياً بذلك!

وكان السلطان عبد المجيد، عقب توليه السلطنة مباشرة، وقبل اتفاق دول أوروبا في معاهدة لندن، قد أرسل رسالة ودية لأول الآتين من الخلف، مع مندوبه عاكف أفندي، يدعوه للتصالح، وسحب جيشه من الأناضول، على أن يكون حُكم مصر وراثياً له ولأبنائه، ولكن أول الآتين من الخلف رفض عرض السلطان، وقد غره تأييد فرنسا وتحريضها له وسكون انجلترا عنه، قبل أن ينتصر جيشه في نصيبين، حتى إذا انتصر، وهز الأستانة، وفتح مياهها أمام أساطيلهم، فحقق لهم ما أرادوه، ووصل إلى نهاية دوره المرسوم له في سيناريو الإمبراطوريات الماسونية، جاء أوان أن ينقلبوا عليه ويُخرجوه منه.

وحين وصلت رسالة أول الآتين من الخلف إلى الأستانة مع رفعت بك، مال السلطان عبد المجيد لقبول عرضه والتصالح، ولكن سفراء انجلترا وروسيا والنمسا، وقد صارت مقاليد الأستانة في أيديهم، وأساطيلهم تحاصرها بزعم الدفاع عنها، رفضوا، وباتفاقهم معاً أصدر السلطان فرماناً بخلع أول الآتين من الخلف من ولاية مصر، ووصل الفرمان إلى الإسكندرية في يوم ٢٢ سبتمبر ١٨٤٠م، فغادرها قناصل دول الحلفاء في اليوم التالي، وأعلنوا الحرب على أول الآتين من الخلف باسم تركيا وحلفائها.

وقبل إعلان الحرب، كان الأسطول الإنجليزي قد وصل فعلاً إلى بيروت، بقيادة الأدميرال مونتاجو ستوبفورد Montagu Stopford، وبدأ في قصفها بالمدافع، بالاشتراك مع بعض السفن الحربية النمساوية والتركية، وفي ١٠ سبتمبر ١٨٤٠م وصلت حملة برية إنجليزية، ونزلت في ميناء جونيه شمال بيروت، تحت حماية الأسطول، ثم استولت على حيفا وصور وصيدا، وبعد أن هزمت قوات انجلترا والدول الحليفة معها قوات أول الآتين من الخلف في معركة بحر صاف، دخلت بيروت في أكتوبر سنة ١٨٤٠م، ثم استولت على طرابلس واللاذقية وأضنة، فصارت ثغور الشام كلها في يدها.

وفي بداية شهر نوفمبر ١٨٤٠م، بدأ الأسطول الإنجليزي في حصار عكا، وظل يقصف قلعتها ثلاثة أيام، إلى أن أصاب القصف مستودع الذخائر فانفجر انفجاراً هائلاً، وتهدم ثلث مباني المدينة، وقُتل في الانفجار طابور كامل من قوات أول الآتين من الخلف، فأخلى الباقون القلعة وانسحبوا من المدينة في يوم ٤ نوفمبر وسلموها للإنجليز، فاستسلمت في إثرها يافا ونابلس، وأعلن أمير الدروز بشير الشهابي الانضمام إلى الحلفاء، وكان رجل أول الآتين من الخلف ونصيره في الشام.

وبعد إتمام الاستيلاء على الثغور السورية، وقطع خطوط اتصال جيش أول الآتين من الخلف وطرق إمداده عبر البحر، أرسل الأدميرال ستوبفورد جزءًا من أسطوله إلى الإسكندرية بقيادة الكومودور[•] تشارلز نابيير Charles Napier، فأرسل رسالة إلى أول الآتين من الخلف،

•) الكومودور Commodore، رتبة عسكرية بحرية، فوق الكابتن Captain، وتحت الأدميرال Admiral، ويكون قائداً لأسطول صغير، أو جزء من الأسطول الكبير.

يعرض عليه أن يكون له حُكم مصر وراثياً، على أن ينسحب من سوريا، ولما لم يرد عليه، نزل الكومودور نابيير إلى الإسكندرية، والتقى أول الآتين من الخلف، وخاطبه خطاباً عنيفاً، وهدده إن لم يوافق على عرضه بحرق الإسكندرية، وأمهله ٢٤ ساعة.

وكانت فرنسا، كما ستعلم، قد تخلت عن أول الآتين من الخلف، بعد أن كانت تحرضه وورطته بتحريضها وتظاهرها بتأييده، وفي الوقت نفسه وصلت أنباء استيلاء الحلفاء على ثغور سوريا كلها، وسقوط عكا وهي أمنعها، فلم يجد أول الآتين من الخلف أمامه، وقد صار محاصراً محصوراً، سوى أن يوافق على عرض الكومودور نابيير، ففوض وزير خارجيته الماسوني الأرمني بوغوص بك في توقيع الاتفاق، ثم أعلن اللورد بالمرستون موافقة حكومته على الاتفاق في ٣٠ يناير ١٨٤١م، بعد أن أضاف إليه تعديلاً، وهو تخفيض عدد جيش أول الآتين من الخلف إلى ١٨,٠٠٠ جندي، ثم أرسله إلى الباب العالي وإلى روسيا والنمسا وبروسيا، فصدقت عليه.

وقبل التصديق على الاتفاقية، كان أول الآتين من الخلف قد أصدر أمراً لابنه إبراهيم باشا، في ديسمبر ١٨٤٠م، بالانسحاب من سوريا إلى مصر، فجمع قواته من مدن سوريا كلها، وحشدها بالقرب من دمشق، وكان عددها سبعين ألف مقاتل، ومعهم عشرات الآلاف من أفراد أسر الموظفين المصاحبين للجيش، وفي أثناء الانسحاب إلى مصر، وكان يقوده إبراهيم باشا والكولونيل سيف، هلك عشرات الآلاف من الجوع والعطش والأوبئة وهجمات الأعراب عليهم.

وبلغ عدد القتلى إبان الانسحاب من الجيش وحده ثلاثين ألفاً، وينقل المؤرخ عبد الرحمن الرافعي عن المؤرخ الفرنسي موريبه Maurier، أن العدد الكلي للجنود والمدنيين من الموظفين وأسرهم، قبل الانسحاب كان ٢٠٠,٠٠٠ نسمة، ولم يصل منهم إلى مصر سوى ٦٠,٠٠٠، أي أن الخسائر في الأرواح بلغت ١٤٠,٠٠٠، وهم في عمومهم من المصريين.

ويصف المؤرخ موريبه انسحاب جيش أول الآتين من الخلف ومن يتبعونه، وما اقترن به من الأهوال والضحايا، بأنه:

"من أفظع ما رُوي عن فجائع تقهقر الجيوش في التاريخ"[1].

وقد جئناك بهذه التفاصيل عما فعلته الإمبراطوريات الماسونية بأول الآتين من الخلف لسببين، أولاً: لكي ترى كيف مزقوا جيشه وهم الذين صنعوه، وبعد أن نفخوه بمنفاخ العظمة والمجد أذلوه وأهانوه، وحرَّضوه على الاصطدام بالدولة العثمانية وتركوه يتمدد على حسابها ثم قصوه وحصروه، فتدرك من ذلك أن المسافة بين هذه وتلك هي وظيفته التي من أجلها صنعوه ومجَّدوه، وهو دوره في السيناريو المرسوم في أذهانهم، فلما أتم مهمته بنجاح منقطع النظير، انتهى دوره وخلعوا عنه ملابس البطولة التي ألبسوه إياها من أجله.

ودور أول الآتين من الخلف ووظيفته في سيناريو الإمبراطوريات الماسونية، هو زلزلة الدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وبث الشقوق والصدوع فيها، وفصل مصر عنها، وتكوين هوية لها تعزلها عن الإسلام وتاريخه وبلاده، وفصل الشام عن هذه وتلك، لتكون بالأمر الواقع تحت وصاية الإمبراطوريات الماسونية، وإن ظلت اسماً تحت السيادة العثمانية، وهي كلها أجزاء في شيء واحد، هو الرابط بينها والذي يفسرها، وهو الرابط الذي لا يدركه الأميون في بلاليص ستان حتى يومك هذا، ولذا يرون ما حدث مفككاً مبعثراً، ولا يدركون الرابط بينه وبين ما تلاه من أحداث، وصولاً إلى ظهور اليهود وإنشاء إسرائيل، ثم المشاهد التي تعيشها بلاليص ستان في زمانك، ويتوهمون أن هذه الأحداث اندلعت وحدها، ولأسباب مختلفة، وأن كلاً منها يرتبط بظروف زمانه وملابسات مكانه، وأن المسار الذي سارت فيه تكَوَّن تلقائياً بتراكم الأحداث دون أن يريده أو يقصده أحد.

والرابط الواحد والحقيقي بين كل ما فعله أول الآتين من الخلف، وما فعلته الإمبراطوريات الماسونية به ومن خلاله، والذي من غيره تبدو وكأنها مسائل مختلفة ومبعثرة ولا رابط بينها، ولا بينها وبين ما تلاها، هو الجراحة اللازمة لإعادة رسم الشرق، وتهيئته عقائدياً وسياسياً وجغرافياً لاستقبال اليهود واحتضان المشروع اليهودي، وأول الآتين من الخلف كان أول من بذر بذور هذا

---

١) عصر محمد علي، ص٣٠٤.

المشروع إبان حكمه للشام، وقبل أن تخرجه الإمبراطوريات الماسونية منها، لتستكمله هي بطريقتها، وتفعل ما لا يمكنه فعله.

والسبب الثاني الذي جئناك بهذه التفاصيل من أجله، هو أن ننبهك إلى أمر آخر لا يدركه الأميون من ذوي الأدمغة المفككة، الذين يغرقون في تفاصيل الأحداث، ويذهلون بها عن الانتباه إلى الروابط بينها والمسار الذي يتكون منها والفاعل من خلفها، فالذي رأيته من نفخ الإمبراطوريات الماسونية لأول الآتين من الخلف بمنفاخ العظمة والمجد، وتركها له يُمدد جيشه ويتمدد به في زهو، والأميون يتولهون به، ثم ضربه بعد أن أدى دوره ووظيفته، وقهره وإذلاله، ما رأيته ليس سوى نموذج يتكرر وسيناريو يُعاد تمثيله في بلاليص ستان كل حين من الزمان، فما فعلته انجلترا وفرنسا بأول الآتين من الخلف، هو نفسه وبحذافيره سيناريو انجلترا وفرنسا مع الخديو إسماعيل، وبريطانيا والشريف حسين، والولايات المتحدة الماسونية وثاني الآتين من الخلف، وهو نفسه سيناريو ثالث الآتين من الخلف، وما سيفعلونه بعد أن ينتهي دوره، وهو نفسه سيناريوهات أخرى في بلاد أخرى من بلاليص ستان عن يمينك وعن يسارك.

بقي لكي تتيقن أن أول الآتين من الخلف، هو والسيناريو الذي رسمه لنفسه وما فعله بمصر وفي الشام، كان يؤدى وظيفة محددة ودوراً مرسوماً وموقوتاً داخل سيناريو رسمه الماسون، أن نذكرك أنه صعد إلى السلطة في مصر، بتدبير قناصل فرنسا ومستشاريه وأصدقائه من الماسون، ماتيو ديليسبس وبرناردينو دوروفيتي، وكون جيشه تحت رعايتهم وبضباط جيوشهم، وأن تعلم أن الذين وجَّهوا له الضربة التي قصمته وأذلوه ومزقوا جيشه، بعد أن انتهى دوره، هم أيضاً من الماسون، والأميون لا يفقهون، لأنهم لا يرون سوى أن هؤلاء إنجليز وأولئك فرنسيون.

فاللورد بالمرستون، الذي أذل أول الآتين من الخلف، ومزق جيشه، وأجبره على الانسحاب من الشام، وصاغ معاهدة لندن، وأجبره على قبولها، هو وزير خارجية بريطانيا من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، ورئيس الحكومة البريطانية من سنة ١٨٥٥م إلى وفاته سنة ١٨٦٥م، وهو المسيطر الحقيقي على سياسة بريطانيا الخارجية لأكثر من ثلاثين سنة.

فإذا اكتفيت بذلك، وكان هذا هو ما ستفسر من خلاله ما فعله بأول الآتين من الخلف، فواحسرتاه، فأنت ما زلت داخل نادي البقر في بلاليص ستان، ولن تفهم شيئاً من السيناريو الحقيقي والمشترك بين الماسون في مختلف الجبهات والبلدان ويتعاونون كلٌ من موقعه على إتمامه.

أما إذا أفقت وأردت الخروج من نادي البقر في بلاليص ستان، فينبغي أن تجعل تفسيرك لما فعله بالمرستون، بعد أن تضيف إلى معلوماتك أنه ماسوني، ومن الطبقة العليا والرفيعة من الماسون.

فاللورد بالمرستون ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، أعلى درجات الطقس الاسكتلندي، وتصفه مؤرخة الحركات السرية إديث ميللر Edith Miller، الشهيرة باسم مدام كوين بورو Lady Queen Borough، في كتابها: حكم العقائد الخفية Occult Theocracy، بأنه:

"راعي الماسونية في أوروبا Patriarch Of European Freemasonry"(1).

وفي كتابه: عبادة الشيطان في فرنسا Devil Worship In France، ينقل الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، آرثر إدوارد ويت Arthur Edward Waite، وهو أيضاً الأستاذ الأعظم لحركة الروزيكروشيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ينقل عن مؤرخ الماسونية الرسمي راجون Ragon، أنه:

"في يوم ٢٠ مايو ١٧٣٧م، تم تأسيس منظمة ماسونية منفصلة عن مذاهب الماسونية الرئيسية، واسمها تنظيم الحكمة Order Of The Palladium، وعقيدتها الرئيسية هي عبادة لوسيفر"(2).

---

1)Edith Miller, Lady Queen Borough: Occult Theocracy, P264, Published Posthumously For Private Circulation Only, Reprinted By The Christiam Book Club Of America, 1976.

2) Arthur Edward Waite: Devil Worship In France, Or The Question Of Lucifer P30, George Redway, London, 1896.

وينقل ويت عن كتاب: الشيطان في القرن التاسع عشر Le Diable Au XIXe Siècle، للماسوني دكتور بتالي Dr. Bataille، أنه في القرن التاسع عشر، ومن أجل رأب الصدع والتقريب بين الفرع الأوروبي، الفرنسي والإيطالي، من الطقس الاسكتلندي، الذي يؤمن بالإنسان فقط وينكر الوجود الإلهي ويطرد من يؤمن به من محافله، وبين الفرع الأنجلوسكسوني الأمريكي، الذي يشترط في عضويته الإقرار بموجود أعلى وإن لم يشترط له صفة ولا وصفاً، أسس الجنرال ألبرت بايك Albert Pike، القائد الأعلى للمجلس السامي للطقس الاسكتلندي في الولايات المتحدة Supreme Council، أسس طقساً جديداً، أعاد به إحياء تنظيم الحكمة، ودمج فيه بين الماسونية الاسكتلندية وعبادة لوسيفر، وقصر عضويته على الماسون في الولايات المتحدة وأوروبا، من حائزي الدرجتين الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين في الماسونية الاسكتلندية.

ولوسيفر هو اسم في التراث الغربي للشيطان الذي دل الإنسان على شجرة المعرفة في سفر التكوين، وعند بايك، كما يقول في كتابه: عقيدة الطقس الاسكتلندي القديم وآدابه Morals And Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry، هو:

"لوسيفر إله النور، وكفء أدوناي Adonay، إله الظلام، وهما في تقابل دائم وصراع خالد، ولا يجب أن يرد على الخاطر أن أحدهما أدنى من الأخر أو أقل قوة منه"[1].

ويقول ويت ومدام كوين بورو، وكلاهما ينقل عن الماسوني الفرنسي دكتور بتالي، وعن الماسوني الإيطالي دومنيكو مارجيوتا Domenico Margiotta، إنه بالاشتراك مع صديقه الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جوتزيب ماتزيني Giuseppe Mazzini، أحد أبطال الثورة والوحدة الإيطالية، وأحد مؤسسي ألمافيا:

1) Albert Pike: Morals and Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry, P859, Published By The Authority Of The Supreme Council Of The Thirty Third Degree, Charleston, 1871.

"كوَّن بايك وماتزيني أربعة محافل مركزية لنشر عقيدة لوسيفر بين ماسون الطقس الاسكتلندي من الدرجات العليا، الأول في محفل شارلستون Charleston في ولاية كارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة، وأستاذه الأعظم ألبرت بايك، وهو نفسه الأستاذ الأعظم لمحفل شارلستون، والمحفل الثاني في روما، وأستاذه الأعظم ماتزيني، والمحفل الثالث في برلين، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، الزعيم الألماني وموحد ألمانيا ومستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark، والمحفل الرابع في لندن، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وزير خارجية بريطانيا ورئيس حكومتها اللورد هنري جون تمبل بالمرستون، وفي سنة ١٨٧٠م (بعد وفاة بالمرستون) تم دمج المحافل الأربعة في طقس الحكمة الجديد Palladian Rite"[1]،[2] .

وربما تسمع أحد البقر من الأميين، الذين يحاصرونك من كل جانب، يقول ثائراً أو ساخراً: وهل كانت الحكومة البريطانية نائمة والأسرة الملكية في غيبوبة، وماسوني من الدرجة العليا وأحد عُبَّاد لوسيفر يسيطر على سياستها الخارجية، ويصعد إلى رأس حكومة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس وتسيطر أساطيلها على البحار شرقاً وغرباً؟

فقل للأمي: هدىء من ثائرتك وخفف من سخريتك، فاليهود والماسون لم يصلوا إلى أن يسيطروا على العالم ويضعوا زمامه في أيديهم، ولم يفككوا بلاليص ستان، ويغرسوا دولة بني إسرائيل في قلبها، سوى بالمغفلين من أمثالك.

فالحكومة البريطانية كلها ماسونية، ورئيس الحكومة البريطانية التي كان بالمرستون وزير خارجيتها وأصدر معاهدة لندن باسمها، هو الماسوني وليم لامب، كونت ملبورن William Lamb, Viscount Melbourne، والأسرة الملكية البريطانية أيضاً ماسونية، وقد أخبرناك من قبل أن ثمة تحالفاً بين الأسرة المالكة في بريطانيا، وبين محفل انجلترا الأعظم منذ تكوينه سنة ١٧١٧م، ويوجد تقليد سائر عبر السنين، منذ سنة ١٨١٣م، وهو أن يكون الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم من الأسرة المالكة، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم عند وضع

---

1) Occult Theocracy, P242 .
2) Devil Worship In France, P35.

معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م، هو دوق سوسيكس، الأمير أوجستس فردريك Augustus Frederick, Duke Of Sussex، أحد أبناء الملك جورج الثالث.

والملكة فكتوريا نفسها، والتي ظلت على العرش البريطاني طوال القرن التاسع عشر، من سنة ١٨٣٧م إلى سنة ١٩٠١م، هي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا Saxe Coburg And Gotha، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، وهي من فروع الأسرة الميروفنجية، وهم من اليهود الأخفياء، وقد ظل ساكس كوبرج جوتا لقب الأسرة المالكة رسمياً، إلى سنة ١٩١٤م، حين اندلعت الحرب العالمية الأولى، وأصبحت بريطانيا في حرب ضد ألمانيا، فاضطر الملك جورج الخامس مراعاة لمشاعر الإنجليز الذين يحكمهم إلى تغيير لقب الأسرة إلى وندسور الإنجليزي Windsor.

فالأسرة المالكة البريطانية هي نفسها من اليهود الأخفياء Crypto Jews، إضافة إلى أنها ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم، فهل يفسر لك ذلك تواطأها مع فرنسا على إسقاط خلافة الإسلام وتمزيق بلاد العرب، من أجل صناعة بلاليص ستان وغرس دولة بني إسرائيل في قلبها، بديلاً عن تفسيرات الأميين من أعضاء نادي البقر في بلاليص ستان، الذين يفسرون سياسات بريطانيا وفرنسا والغرب كله في كل حقبة من الزمان بما يحدث فيه من ظروف وملابسات، وبتفسيرات مختلفة لا علاقة بينها، دون أن ينتبهوا أو يفسروا لك لماذا هذه السياسات ثابتة ولا تتغير عبر السنوات والقرون، رغم تباين الزمان وتغير الظروف واختلاف الأحداث؟

فهذه هي أصول الملكة فكتوريا ونسبها، من سيرتها: Queen Victoria، التي كتبها المؤرخ الإنجليزي ليتون ستارشي Lytton Strachey:

وُلدت الملكة فكتوريا سنة ١٨١٩م، وأبوها الأمير إدوارد دوق كنت Edward, Duke Of Kent، رابع أبناء الملك جورج الثالث، ومات أبوها وجدها معاً وهي في السنة الأولى من عمرها، فربتها أمها فكتوريا ماري لويزا Victoria Mary Louisa، ابنة فرانز فريدريك Franz Frederick، دوق ساكس كوبرج، وهي دوقية في ألمانيا وداخل الإمبراطورية المقدسة، وكانت

أسرته تحكمها بالوراثة منذ الحروب الصليبية، إلى أن سقطت الإمبراطورية الألمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٩م.

وبعد وفاة عمها الملك وليم الرابع William IV، سنة ١٨٣٧م، وكان جميع أعمامها من ورثة العرش قد ماتوا قبله، أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وفي سنة ١٨٤٠م، تزوجت من ابن خالها الأمير فرانز أوجستس ألبرت ساكس كوبرج جوتا Franz Augustis Albert Of Saxe Coburg And Gotha، وأنجبت منه تسعة أبناء[١].

وأم الملكة فكتوريا، ماري لويزا، من اليهود الأخفياء، وأبوها إدوارد دوق كنت، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge، قبل أن يندمج مع محفل انجلترا الأعظم الأصيل Premier Grand Lodge، سنة ١٨١٣م، ليتكون باندماجهما محفل انجلترا الأعظم الموحد United Grand Lodge Of England [٢].

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، وقد جلست على عرش بريطانيا أربعة وستين عاماً، خلفها أكبر أبنائها، ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward Of Saxe Coburg And Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، وأول من يعتلي عرش بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا من الرجال، ولتتحول بذلك وراثة العرش البريطاني إلى الأسرة.

والأمير ألبرت ساكس كوبرج جوتا، هو الذي اعتلى عرش بريطانيا باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في انجلترا Supreme Council، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم ستة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل انجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد،

---

1) Lytton Strachey: Queen Victoria, P19, 134, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.
2) Albert Mac Key: Encyclopaedia of Freemasonry, Revised And Enlarged Edition, Vol. 2, D-L, P86, The Masonic History Company; 1929.

وبعد أن اعتلى العرش منحه محفل انجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector Of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل انجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Arthur Albert Duke Of Cannaught[1].

وبعد بريطانيا، أو قبلها، ولكي لا تتوهم أن ما فعلته بأول الآتين من الخلف، بعد أن انتهى دوره في السيناريو الماسوني، موقف تنفرد به، إليك ما فعلته به فرنسا، وهي حاميته والتي كونت له كل شيء في دولته، مع تفسيره الأمي.

يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي عن سلوك فرنسا بعد توقيع معاهدة لندن، وحتى انسحاب جيش أول الآتين من الخلف من الشام:

"واعتزم محمد علي ألا يعمل بها ولا يُقر شروطها، وكانت فرنسا تحرضه على رفضها وتعده ألا تتخلى عنه، وتمنِّيه بأنها تدافع عنه بقوة جيوشها وأساطيلها، فازداد تمسكاً بموقفه، ولو لم تعده الحكومة الفرنسية بمعاونته إذا حزب الأمر، لكان له موقف غير موقفه هذا، لأن محمد علي كان مشهوراً عنه الحكمة وبعد النظر، وهو لا يفوته أن من وراء الطاقة ومن المتعذر على مصر محاربة دول خمس مجتمعات متألبات عليها، ولكنه كان مطمئناً إلى معاونة فرنسا الحربية، فركب الشطط وارتدف العناد ... في غضون هذه الحرب تغير مسلك فرنسا حيال مصر تغيراً عظيماً، فبعد أن كان المسيو تييرس Thiers رئيس الوزارة الفرنسية يشجع محمد علي ويطوع له رفض مطالب الحلفاء ويعده بمعاضدة فرنسا له، تراجع ونكص على عقبيه ... وعمد المسيو تييرس الى سياسة التسويف، فلم يعمل ولكنه سيعمل(!!) ... وأمعن في تراجعه، فاستدعى الأسطول الفرنسي الذي كان يراقب الأحوال في مياه الشرق، وأمره بالعودة الى فرنسا، وهكذا أخفقت سياسة تييرس، وتخبط من فشل إلى فشل، وعرَّض كرامة بلاده للامتهان، وجنى على مصر بأن ورطها في رفض شروط معاهدة لندره، وسوَّل لها

1) Encyclopedia Of Freemasonry And Its Kindred Sciences, Revised and Enlarged Edition, Vol. 2, D-L, P87.

ثم تخلى عنها وتركها وحدها ازاء الدول المتألبة عليها، فأذعنت واضُطرت الى قبول شروط أسوأ مما عُرض عليها في المعاهدة، وكانت هذه السياسة الخرقاء من فرنسا سبباً في ..."[1].

والأخرق ليس فرنسا ورئيس حكومتها، بل الأميون في بلاليص ستان الذين يعتقدون ذلك، ويفسرون سلوك دول الغرب وسياساتها عبر مختلف الأزمان والحقب بتفسيرات مختلفة، لا علاقة بينها، ويعلقونها على أوضاع أو ملابسات متغيرة، رغم أن هذا الموقف واحد ولا يتغير، وهذه السياسات هي هي، وهو ما يعني وجود غاية ثابتة ملفوفة في الغايات الظاهرة، هي مصدر هذا السلوك الواحد والسياسات التي لا تتغير.

فالمؤرخ الأمي يصف سياسات فرنسا التي وضعت أول الآتين من الخلف بين أنياب انجلترا ومخالبها بالفشل وأنها خرقاء، وكأن ذلك مصادفة، أو موقف عابر في التاريخ، أو يرتبط بشخص رئيس الحكومة الفرنسية إذ ذاك، فكأنه وقد كتب كتابه سنة ١٩٣٠م، لم يسمع عن تواطؤ ديليسبس الفرنسي مع انجلترا سنة ١٨٨٢م وفتحه قناة السويس أمام قوات الجنرال ولسلي لتحتل مصر، أو كأنه لم يشهد في حياته اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٧م وتواطؤ فرنسا مع انجلترا على تمزيق الشام من أجل قطع فلسطين عما حولها وتوطئتها لليهود، وهي الخطوة الكبيرة الثانية في المشروع اليهودي، بعد الخطوة الكبيرة الأولى، التي هي ما تقرأه الآن عن أول الآتين من الخلف وما فعله بجيشه ودولته.

والمؤرخ الأمي يتهم فرنسا وحكومتها بالفشل والتخبط، لأنه يتوهم أنها لم تكن تريد ما حدث، وأن تغريرها بأول الآتين من الخلف، وتحريضه لرفض معاهدة لندن ومواجهة الحلفاء عسكرياً، ثم خذلانها له وسحب أسطولها لتخلي البحر المتوسط للأسطول الإنجليزي، يتوهم أن ذلك ينفصل عما فعلته انجلترا به وتمزيقها لجيشه وشروط معاهدة لندن، وقد كان سيفهم لو أنه افترض بدلاً من ذلك أن هذا هو ما كانت تريده فرنسا، وأن بينها وبين انجلترا غاية مشتركة، من أجلها صنعته فرنسا وغضت انجلترا الطرف عنها، ثم مزقته انجلترا وغضت فرنسا الطرف عنها.

---

١) عصر محمد علي، ص٢٩٥-٣٠٠.

وغاية انجلترا وفرنسا المشتركة، هي عصر أول الآتين من الخلف، واستنزافه، وإخراجه من الشام بعد أن فصلها عن الدولة العثمانية وأدى مهمته فيها، وحصره في مصر، لأن بقية دوره هو وأسرته في السيناريو الماسوني ينحصر فيها، وهو استكمال عزلها عن محيطها العربي الإسلامي، وبناء مؤسساتها بالعقيدة القومية التوراتية البني إسرائيلية.

وهو ما تجده فيما يخبرك به المؤرخ الأمي، وهو يشمخ ولا مؤاخذة بأنفه، عن النتيجة النهائية لحروب أول الآتين من الخلف:

" فأجدر بمصر أن تفخر بحروبها في عصر محمد علي ... فهذه الحروب هي إذن من أقوى دعائم الدولة المصرية المستقلة، ومن أعظم أركان القومية المصرية ... وحروب سوريا والأناضول كانت من أقوى المقومات المصرية، إذ لا يخفى أنها فتحت أذهان المصريين إلى أن لمصر شخصية منفصلة تمام الانفصال عن القومية التركية، وجاء قيام محمد علي في وجه تركيا، وهي وقتئذ دولة الخلافة الاسلامية، تحطيماً لفكرة اندماج مصر في السلطنة العثمانية، وعملاً بعيد المدى كان له أثر كبير في تشييد صرح القومية المصرية"[1].

والذي يشمخ المؤرخ الأمي بأنفه مفتخراً به هو في حقيقته خزي وعار، فهذه الحروب وما ترتب عليها، هي التي ربطت مصر في عجلة إمبراطوريات الغرب الماسونية، وحولتها في غلاف الاستقلال إلى نعل في أقدامها، والشخصية المنفصلة التي كونتها لها، عزلتها عن الإسلام وميزانه، فلم يعد يفرق عند حكامها ونخبها الضالة في كل المجالات أن يكون مَن في فلسطين عرباً أو يهوداً، ولا أن تكون القدس قدساً أو أورشليم، ووصل بها الضلال إلى أن تقاتل مع بريطانيا الماسونية وتشترك معها في تسليم فلسطين للعصابات الصهيونية، ثم تحتفل بعد مائة عام بذلك على أنه من صفحات المجد والفخار!

فالآن عُد إلى سيرة السان سيمونيين، وراجع رسالة زعيمهم في مصر الأب إنفانتان، إلى صديقه وأحد أتباعه أرليس دوفور، في ١٣ يناير سنة ١٨٣٦م، يخبره أنه:

---

١) عصر محمد علي، ص٣٢٠.

"... ويمكن وضع مصر تحت الوصاية الأوروبية المؤقتة بعد نزهة عسكرية، بهدف القضاء على الهيمنة التركية، والاحتلال يجب أن يكون أنجلوساكسونياً للأسباب التالية ..."[1].

فإذا عدت وراجعت، ستدرك أن فرض وصاية انجلترا على مصر والشرق كله، هدفٌ كان يريده ويخطط له اليهود والقباليون والماسون في فرنسا وليس انجلترا، وأول الآتين من الخلف في أوج قوته، بعد اتفاقية كوتاهية وقبل معاهدة لندن، ومن قبل أن تظهر انجلترا على مسرح الأحداث في الشرق بجيشها وأسطولها، ليس من أجل انجلترا، بل من أجل دفع مسار التاريخ والوصول به إلى أهدافهم.

والآن وأنت تقرأ ما فعلته الإمبراطوريات الماسونية بأول الآتين من الخلف وجيشه بذريعة حماية الباب العالي، ربما يثب إلى ذهنك سؤال، وهو: بعد استنزاف أول الآتين من الخلف للباب العالي، وبعد أن صارت أساطيلها تحاصر الأستانة، لماذا لم تنتهز هذه الإمبراطوريات ضعف الدولة العثمانية، وتُفكِّكها وتحتل بلدانها، ولماذا أخرت هذه الخطوة إلى زمن الحرب العالمية الأولى، بعد أكثر من سبعين عاماً؟

والجواب: لأن الغرض الحقيقي لهذه الإمبراطوريات وجيوشها، ليس مجرد تفكيك الدولة العثمانية، ولا أن تملأ هي الفراغ الناشيء عن تفكيكها، ولا أن تسمح لقوة غيرها في الشرق بملئه، حتى لو كانت حليفة لها، ولذا ضربت أول الآتين من الخلف وحصرته رغم أنه عرض عليها صراحة، كما رأيت، أن يشترك معها في تمزيق الدولة العثمانية، وأن يكون قوة عميلة لهذه الإمبراطوريات، ولانجلترا تحديداً، تحل محل الدولة العثمانية.

وتفسير ذلك، أن الغرض الحقيقي للإمبراطوريات الماسونية، هو تفكيك الدولة العثمانية، وإحداث فراغ في الشرق، لكي يملأه اليهود ويتمددوا فيه، واليهود إذ ذاك مازالوا في مكامنهم في كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب، وداخل رأس أول الآتين من الخلف في الشرق، ولم

---

١) المؤرخ فيليب رينيه: السان سيمونيين في مصر ١٨٣٣م-١٨٥١م، ص١١٢، ترجمة: أمل الصبان وأنور مغيث وداليا الطوخي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

يكونوا قد ظهروا بعدُ وصاروا مرئيين على مسرح الأحداث في الشرق، ولم تكن لهم قوة سياسية ولا عسكرية صريحة، تُمكنهم من ملء الفراغ الذي ينتجه تفكيك الدولة العثمانية، فلما صارت لهم هذه القوة وأخذوا أهبتهم، وصار الشرق كله مهيئاً لهم، آن أوان التفكيك وإحداث الفراغ.

والآن إليك تفسيرات الأميين، لتقارنها بتفسيرنا، وترى أيها أقدر على ربط الأحداث معاً وتفسيرها مجتمعة، دون فجوات ولا التواءات، وعلى تفسير المسار الذي تسير فيه بلاليص ستان كاملاً، منذ حملة نابليون والماسون في فرنسا، وزمان أول الآتين من الخلف، وحتى زمان ثالث الآتين من الخلف، وصفقة القرن.

يقول دكتور خالد فهمي في كتابه: كل رجال الباشا، وهو الأطروحة التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة أوكسفورد في بريطانيا:

"كان هذا التوقع لتزايد نفوذ روسيا في إسطنبول وتوسعها جنوباً في اتجاه الهند هو الذي أجج مشاعر بالمرستون المعادية لسياسات الباشا الاحتكارية، وذلك لأن نظام الاحتكار الذي أقامه الباشا هو الذي أتاح له أن يحول الفائض المجموع من الزراعة والتجارة إلى الجيش، فتمكن بذلك من بناء جيش قوي وأسطول مرهوب الجانب، استخدمه بعد ذلك في تهديد أملاك السلطان، ففي النهاية كان اهتمام بالمرستون الأعظم هو الأملاك البريطانية في آسيا، وقد نظرت كل من لندن وبومباي إلى محمد علي من حيث هو مصدر تهديد خطير لهذه الأسواق المهمة، وكان خوفه الأكبر أن تتمكن روسيا من التدخل فيها ... وكان شعار بالمرستون: الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية، المتراس الأكثر فعالية الذي وضعه للحيلولة دون العدوان الروسي المحتمل"[1].

فتنبه أن الدكتور يفسر حيلولة انجلترا دون تفكيك الدولة العثمانية، بأنها كانت تريد تقليص نفوذ روسيا فيها ومنع سيطرتها عليها، والوصول للهند، مع أن روسيا كانت الحليف الرئيسي لانجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف، والضغط عليه عسكرياً لإيقاف زحفه على الدولة

١) كل رجال الباشا، ص٣٨٤، ٣٨٥.

العثمانية، وفي معاهدة لندن التي أجبرته على الانسحاب بجيشه من الشام، ومنعت تفكك الدولة العثمانية!

وما غاب عن الدكتور ولم ينتبه إليه، وينسف تفسيره، أن روسيا القيصرية، هي نفسها، كانت أحد أطراف اتفاقية سايكس بيكو، التي مزقت الدولة العثمانية، بعد معاهدة لندن بستة وسبعين عاماً، وانجلترا ما زالت تحتل الهند.

فاتفاقية سايكس بيكو، التي تم توقيعها سراً في ١٦ مايو سنة ١٩١٦م، كانت في الأصل ثلاثية، وطرفها الثالث، مع انجلترا وفرنسا، روسيا القيصرية، وقد وقعها عنها وزير خارجيتها سيرجي سازونوف Sergey Sazonov، ثم انسحبت روسيا من الاتفاقية وكشفتها، في نوفمبر ١٩١٧م، مع اندلاع الثورة البلشفية وسقوط روسيا القيصرية، وكان الاتفاق أن يكون نصيب روسيا من أراضي الدولة العثمانية بعد تمزيقها، المنطقة التي تقع فيها الأستانة ومضيقا البسفور والدردنيل.

فروسيا القيصرية. كما ترى، كانت حليفاً لانجلترا في ضرب أول الآتين من الخلف ومنع تفكك الدولة العثمانية، ثم شريكاً لها في تمزيقها وتقسيم بلدانها، ولم يكن عند انجلترا أي مانع أن تمنحها السيطرة على عاصمة الدولة العثمانية، ومنطقة المضايق الاستراتيجية، معبر التجارة بين آسيا وأوروبا، لأن هدفها الحقيقي، وهدف جميع اليهود والماسون، في الشام ومصر.

وتنبه أيضاً أن الدكتور يفسر إذلال انجلترا لأول الآتين من الخلف، ومنعه من تفكيك الدولة العثمانية، بالحفاظ على تجارتها في الهند، رغم أن أول الآتين من الخلف كان يعي ضآلة حجمه مقارنة بانجلترا وجيوشها وأساطيلها ونفوذها في قارات العالم كلها، وصرَّح لقناصلها بذلك، بل وعرض عليهم دون مواربة أن يكون عميلاً لانجلترا، يأتمر بأمرها، ويحالفها في تجارتها.

وثمة أحد الأسئلة البريئة التي نترك لك الإجابة عليها، لو أدخل دكتور خالد فهمي في أطروحته وتفسيره، ولو كأحد العناصر، المشروع اليهودي وتوطئة الشرق له، وموقع اليهود ومشروعهم من الماسونية، وموقع الماسونية من انجلترا وساستها وسياساتها، والهوية الحقيقية للتجار وإمبراطورية بريطانيا التجارية في الهند، التي سنعرفك بها، لو مزَّق الدكتور الشرنقة،

وأدخل في تفسيره هذه العناصر، هل كانوا سيسمحون له أن يُتم رسالته ويمنحونه في أكسفورد درجة الدكتوراة، بل هل كانوا سيسمحون له أن يبدأها أصلاً؟!

والآن جاء أوان أن نعرفك بحقيقة إمبراطورية التجارة البريطانية في الهند، التي يدور حولها تفسير الأميين لسياسات الامبراطوريات الماسونية في الشرق، فهي عندهم سبب حملة الماسوني نابليون على مصر، لكي يقطع طريق انجلترا إلى الهند، وهي التي من أجلها ضربت بريطانيا أول الآتين من الخلف، وأبقت الباب العالي في معاهدة لندن، لكي تحافظ عليها وتمنع روسيا من الاقتراب منها، وهي تفسير معارضة انجلترا لمشروع حفر قناة السويس، ثم استيلائها عليها واحتلال مصر.

فإليك أولاً تفسير المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي لسياسات انجلترا في بلاد الشرق كلها:

"لم تكن المحافظة على كيان السلطنة العثمانية هي وجهة نظرها الحقيقية، بل غايتها الجوهرية هي إضعاف الدولة المصرية، لأنها ترى فيها إذا قويت مزاحماً لها في سيادتها بالبحر الأبيض المتوسط ورقيباً عليها في طريقها إلى الهند، ومن هنا كانت انجلترا تتمسك بكل عزم وقوة بوجوب رد سوريا الى تركيا ... فالسياسة الإنجليزية هي التي سعت جهدها لتقليم أظفار مصر وقص أجنحتها، وإبقائها تحت السيادة التركية، وإنقاص قوتها البرية والبحرية، كأن استعمارها للهند يقتضي استعباد جميع البلاد التي في طريقها إليها"[١].

وكما ترى، الأميون يفسرون ما شهدته بلاليص ستان من أحداث عبر تاريخها بأشياء مفككة ومبعثرة ولا رابط بينها، والبعد الوحيد الغائب عن تفسيراتهم، ويتجنبونه غفلة أو عمداً، هو المشروع اليهودي، رغم أنه الثابت الوحيد والمستديم والذي لا يتغير في هذا التاريخ، وكل ما عداه يتغير ويزول ويحل محله غيره.

فالدولة العثمانية كانت ثم تفككت، وبلاليص ستان لم تكن وكانت، ومصر كانت ملكية وصارت جمهورية، وإمبراطورية انجلترا التجارية في الهند بادت والهند استقلت، وبريطانيا نفسها

١) عصر محمد علي، ص٢٨٧.

لم تعد إمبراطورية وحلت محلها في الشرق الولايات المتحدة الماسونية، وروسيا القيصرية سقطت وصارت شيوعية، والشيء الوحيد الباقي، ومع كل تغيير أو زوال لأي عنصر آخر يتراكم ويتقدم ويتطور، هو المشروع اليهودي الذي لا تراه أعين الأميين العمياء وتخلو منه تفسيراتهم(•).

•) من هذا الموضع في الكتاب الذي بين يديك، أبحرنا في مسار جانبي، لاستكشاف مسألة التجارة في الشرق واحتلال بريطانيا للهند، وعلاقتها بالمشروع اليهودي عبر التاريخ، وهي المسألة التي يفسر بها الأميون سياسات بريطانيا في بلاد العرب، فأوصلنا هذا الإبحار إلى محيط مسألة الكشوف الجغرافية وعلاقتها هي الأخرى بالمشروع اليهودي وغايات اليهود، وقد أسفر هذا الإبحار عن كتابنا: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية.



بذور المشروع اليهودي في الشام



غاية ودوافع

إذ كنت قد وصلت في رحلتك مع الكتاب الذي بين يديك إلى هذا الموضع، وقرأت حروب أول الآتين من الخلف بعناية، وما أوردناه لك فيها من خفايا العلاقة بينه وبين الإمبراطوريات الماسونية، فسوف تكون الآن قد أدركت أن هذه الامبراطوريات تركته يستولي بجيشه على الشام سنة ١٨٣٢م، وأجبرت الدولة العثمانية على منحها له رسمياً في صلح كوتاهية، في ٨ أبريل ١٨٣٣م، لكي تفصلها به وبجيشه الذي بنته له واستعبد فيه المصريين عن الدولة العثمانية الجامعة لبلاد الإسلام، ويحمل عنها عبء القتال وخسارة الرجال والمال، ثم نزعت الإمبراطوريات الماسونية الشام منه في اتفاقية لندن، في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠م، وأجبرته بجيوشها وأساطيلها على سحب جيشه منها وإخلائها، لتفصل الشام، وهي المسرح الرئيسي للمشروع اليهودي، عن مصر، ولكي تعزل مصر عن بلاد العرب كلها، وتُقزِّم الجيش الذي بنته له، بعد أن أدى وظيفته التي أرادوها منه.

ومن جهة أول الآتين من الخلف، فقد عرَّفناك أيضاً أن حربه مع الدولة العثمانية، وحملته على الشام وانتزاعها، وعلى فلسطين تحديداً، هي حربه الحقيقية، وهي الهدف الخبيء من دولته كلها، ولكنها الحملة والحرب التي ما كان في إمكانه أن يخوضها إلا بعد أن يستولي على مصر، وينشب أنيابه ومخالبه فيها، ويزيح منها كل قوة تنازعه أو تعرقل ما يريده، الأزهر والمماليك، وبعد أن يبني دولته وجيشه الموصول بالغرب، فيكون عسيراً على الدولة العثمانية إزاحته من مصر، لتكون الخطوة التالية أن يقاتلها وينتزع منها الشام نيابة عن الإمبراطوريات الماسونية، فيفتحها لهم، ويمكنهم من وضع أقدامهم فيها وبسط نفوذهم عليها، لينتزعوها هم منه في الخطوة الثالثة، فتصير مهيئة بعزلها عن الدولة العثمانية وعن مصر معاً للخطوة الرابعة، ألا وهي إقطاعها لليهود وجلبهم إليها وبدء مشروعهم فيها.

والسؤال لماذا كانت الحملة على الشام هي حرب أول الآتين من الخلف الحقيقية، ولماذا أراد الشام، وفلسطين تحديداً، وأرادها بحُرقة، كما يقول دكتور خالد فهمي:

"تبين حوادث مختلفة اهتمام محمد علي المبكر بسوريا، على خلاف الولايات الأخرى التي فتحها، كما تبين دلائل مختلفة أن سوريا كانت، من بين كل الولايات التي غزاها، الولاية التي

رغب فيها بشدة، ووضع عينه عليها منذ بداية حكمه ... واضح إذاً أن الباشا كان يطمع في سوريا دائماً، وأن لديه أسباباً عديدة لحرصه عليها بهذه الحرقة"[١].

فإليك أولاً تفسير الأميين لهذه الرغبة الملحة لأول الآتين من الخلف في الشام وفلسطين، ولهذه الحُرقة عليها، حتى من قبل أن ينشب أنيابه ومخالبه في مصر، ومن قبل أن يبني جيشه ويخوض به أي حرب.

أول تفسيرات الأميين لرغبة أول الآتين من الخلف في الشام وفلسطين، هي أنه كان يريد من ذلك تأمين مصر، فيقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، في كتابه: عصر محمد علي:

"طموح محمد علي إلى فتح سورية كان الغرض منه أن يدافع عن مصر وعن مركزه فيها"[٢].

ويقول المؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ في جامعة لندن، هنري دودويل، في كتابه: مؤسس مصر الحديثة، مفسراً اتجاه أول الآتين من الخلف بحملاته إلى الشام بدلاً من الغرب، وقد كان يمكنه أن يمد دولته حتى تونس والجزائر دون عوائق:

"محمد علي كان يرغب بشدة في باشويات سوريا الأربع Pashaliqs Of Syria، لأن امتلاكه لها يحمي مصر من هجوم الأتراك، ويمنحه حكم أورشليم/القدس، وهي مدينة مقدسة في الإسلام، وهو ما يرفع من مكانته في العالم الإسلامي"[٣].

وما قاله الرافعي ودودويل ينقضه أن الشام كانت هدفاً خبيئاً في رأس أول الآتين من الخلف ونفسه، وهو متوافق مع السلطان العثماني ويتظاهر بطاعته ويشن الحملة على الحجاز تنفيذاً لأمره، بل وكانت هدفاً خبيئاً في نفسه من قبل أن يتمكن من السلطة في مصر وينفرد بحكمها، وقد علمتَ من قبلُ أنه صارح مستشاره الفرنسي الماسوني دوروفيتي سنة ١٨١١م، بأنه يريد غزو سوريا/الشام وضمها لمصر، وكذلك أخبر الكولونيل مِسيت، قنصل بريطانيا في مصر، سنة ١٨١٢م، بذلك، بل وأخبره أنه ينوي غزو فلسطين تحديداً.

---

١) **كل رجال الباشا، ص٧٧، ٨١.**

٢) **عصر محمد علي، ص١١٨.**

3) **The Founder of Modern Egyp,P106.**

والشيء الوحيد الصحيح في كلام دودويل، هو أن أول الآتين من الخلف أراد سوريا من أجل القدس، ليس لأنها مدينة مقدسة في الإسلام وامتلاكها يرفع مكانته في العالم الإسلامي، فلم يكن مسلماً حقيقياً، ولا كان الإسلام يعنيه في شيء، بل أراد القدس لكي يفتحها لليهود ويبذر فيها بذور المشروع اليهودي، كما سترى.

وثاني تفسيرات الأميين لحملة أول الآتين من الخلف على الشام، هو حاجته للأخشاب والموارد من أجل مشاريعه وأسطوله، وللرجال من أجل تجنيدهم في جيشه، يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي:

"وكان لمحمد علي في فتح سوريا أغراض اقتصادية، فإنه أراد استغلال مواردها من الأخشاب والفحم والنحاس، تلك الموارد التي كانت مصر مفتقرة إليها، فهي في حاجة إلى الأخشاب للوقود، ولبناء السفن الحربية والتجارية، وإلى الفحم والنحاس والحديد لترقية صنائعها، خاصة بعد إنشاء محمد علي المصانع الكبرى، وكذلك كان يرمي إذا بسط نفوذ مصر في سوريا أن يجند من سكانها في الجيش المصري، فيزداد الجيش عدداً وقوة"[1].

ويقول الدكتور خالد فهمي، في رسالته للدكتوراة التي حصل عليها من جامعة أكسفورد، ونشرها بعنوان: كل رجال الباشا:

"ولهذا الاهتمام القديم العميق بسوريا وشؤونها أسبابه، ففي المحل الأول كانت سوريا مشهورة بالحطب والخشب المتوافرين بكثرة في مناطقها الواقعة في أقصى الشمال، وكان الباشا متنبهاً تماماً لافتقار مصر للأخشاب ... وأصبحت هذه الحاجة الملحة للأخشاب ضرورية بفعل الحاجة إلى بناء أسطول مرهوب الجانب، وبدرجة أقل لتزويد الفاوريقات بإمداد موثوق به من الوقود ... ثانياً كانت سوريا عند الباشا مصدراً واعداً للمقاتلين"[2].

ومرة أخرى، ما يقوله الأميون ينقضه أن أول الآتين من الخلف كان يضمر في نفسه غزو سوريا/الشام والاستيلاء عليها من قبل أن يكون له أسطول يحتاج إلى أخشاب لبناء سفنه، ومن

---

١) عصر محمد علي، ص٢٢٠.

٢) كل رجال الباشا، ص٧٩-٨٠.

قبل بناء مصانعه التي تحتاج إلى وقود، ومن قبل تكوين جيشه من المصريين وحاجته أن يجند فيه الجنود من غيرهم.

أما ثالث تفسيرات الأميين لحملة أول الآتين من الخلف على الشام، فيدخل في باب الفكاهات والطرائف، ولا تحتاج وأنت تقرأه سوى لأن تستحضر المثل العامي الذي يقول: إذا كان المتكلم مجنوناً فيجب على المستمع أن يكون عاقلاً، فالمؤرخون الأميون المجانين يخبرونك أن أول الآتين من الخلف، اليوناني أو الألباني، الذي وُلد وترعرع على شاطئ بحر إيجه في قولة/كافالا، حارة اليهود في اليونان العثمانية، ولم يكن يعرف العربية ولا يتكلمها، شن حملته على الشام من أجل بعث القومية العربية وإقامة خلافة عربية!!

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، في تفسير حملة أول الآتين من الخلف على الشام:

"مشروع محمد علي كان يتناول إنشاء دولة عربية في مصر، تضم إليها البلاد العربية في إفريقيا وآسيا ... وقد قابل البارون بوا لكونت إبراهيم باشا بالقرب من طرسوس في الأناضول، سنة ١٨٣٢م، بعد عودته من كوتاهية، وذكر عنه: "إن إبراهيم باشا يجاهر علناً بأنه ينوي إحياء القومية العربية، وإعطاء العرب حقوقهم، وإسناد المناصب إليهم في الإدارة والجيش ... ويتصل بهذا المعنى مجاهرته بأن كل البلاد العربية يجب أن تنضوي تحت لواء أبيه"[١].

فأما أن أول الآتين من الخلف كان يريد إسناد المناصب العليا في الإدارة والجيش للعرب، فأكذوبة تكشفها لك سياسة أول الآتين من الخلف في مصر، ووضعه مقاليد كل شيء فيها في يد القادمين من خارجها من جميع الأقوام والملل والنحل ما عدا أهلها من العرب والمسلمين، كما رأيت، وكذلك سياسات ابنه إبراهيم باشا في الشام، كما سترى.

وأما إحياء القومية العربية وإقامة دولة عربية، فمسألة ستعلم حقيقتها وما خلفها وأنت تتابع المسيرة معنا.

---

١) عصر محمد علي، ص٢١٩.

وتقول الدكتورة لطيفة محمد سالم، أستاذة التاريخ الحديث في جامعة بنها، وهي من مدرسة المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي وامتداد له، في كتابها: الحكم المصري في الشام:

"رغب إبراهيم باشا في بناء دولة عربية مستقلة تكون مصر ركيزتها، ورأى ضرورة العمل على إعادة الخلافة للعنصر العربي وإحيائها مرة أخرى على يديه ... وتغلغل هذا الشعور بعد أن أصبحت مصر حامية للحجاز ومتولية شؤون الأراضي المقدسة، وعليه فمن الضروري أن ما فُقد منها عندما سُحبت منها الخلافة يعود إليها"[١].

ويستدل المؤرخون الأميون، عبد الرحمن الرافعي ولطيفة سالم، والمؤرخ البريطاني دودويل، على زعمهم أن أول الآتين من الخلف وابنه أرادوا الانتصار للعرب وإقامة دولة عربية، بما رواه المبعوث الفرنسي بوا لكونت Boislecomte، في تقريره، بعد زيارته لإبراهيم باشا بعد صلح كوتاهية، من أنه:

"سأله أحد الجنود العرب Arab Soldier: كيف يطعن في الأتراك وهو منهم(؟!)، فأجابه إبراهيم باشا: "أنا لست تركياً، فإني جئت مصر صبياً، ومنذ ذلك الحين مصرتني شمسها، وغيرت دمي Changed My Blood، وجعلته دماً عربياً"[٢]، [٣].

والذي حجبه هؤلاء المؤرخون الأميون المدلسون، أن أول الآتين من الخلف وضع مقاليد جيوشه وقيادته وصفوفه العليا في أيدي غير العرب، وآخر رتبة كان يسمح للضباط من العرب، مصريين أو غير مصريين، أن يرتقوا إليها في جيشه، هي رتبة الملازم، وهي الرتبة الأولى في رتب الضباط.

وفي المجلد الرابع من وثائق الشام في المحفوظات الملكية المصرية، التي جمعها دكتور أسد جبرائيل رستم، المؤرخ الرسمي لكرسي الكنيسة الأنطاكية، وأستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت في النصف الأول من القرن العشرين، أن إبراهيم باشا تقدم بالتماس إلى

---

١) دكتورة لطيفة محمد سالم: الحكم المصري في الشام ١٨٣١م-١٨٤١م، ص١٩، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢) عصر محمد علي، ص٢١٩-٢٢٠.

3) The Founder Of Modern Egyp,P257.

أول الآتين من الخلف في ٢٥ رجب ١٢٥٦هـ/٢١ سبتمبر ١٨٤٠م، يخبره فيه بإخلاص العرب الملتحقين بخدمة الجناب العالي، ويطلب فيه:

"**إفساح المجال لترقية بعض العرب إلى رتبة بكباشي**"[١].

ولم يورد دكتور أسد جبرائيل رستم في المحفوظات الملكية ماذا كان رد أول الآتين من الخلف على الالتماس، فهاك المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في الشام، قسطنطين بازيلي، يخبرك أن أول الآتين من الخلف رفض الالتماس، وكان رده:

"**تذكر يا بني أننا لا نبلغ حتى عشرة آلاف نفر وسط هؤلاء الملايين من العرب**"[٢]!

وما شاهده وشهد به قنصل روسيا والمؤرخ الروسي قسطنطين بازيلي، يؤكده لك المؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ هنري دودويل:

"**كان العرب بالنسبة لإبراهيم باشا جنساً وضيعاً Inferior Race، ولم يكن يسمح لهم بالترقي إلى المناصب العليا، لا في الإدارة ولا في الجيش**"[٣].

ولكي تعلم مقدار التدليس الذي يدلسه المؤرخون الأميون، من أجل إلباس أول الآتين من الخلف وابنه أردية النبل وأوسمة المجد، لأن ما فعله يوافق أهواءهم، التي كونها المسار الذي شقه لمصر ودفعها فيه، ويوافق بناءهم الذهني والنفسي، الذي صنعته الدولة التي بناها وما أنتجته من نظم سياسية وتعليمية وإعلامية، لكي تعلم مقدار تدليسهم إليك صفة جيش إبراهيم باشا في الشام، وصفة إبراهيم باشا نفسه، هذا الذي يقول لك المؤرخون الأميون المزورون إنه أراد بعث القومية العربية واسترداد خلافة النبي عليه الصلاة والسلام للعرب، ويرددون الأغاني عن أنه كان مصرياً عربياً.

---

١) دكتور أسد رستم: المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد٤، ص٤٦٠، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٣م.

٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٤٦.

3) The Founder Of Modern Egyp,P256.

قد أتيناك من قبل بوصف الجبرتي لجيش أول الآتين من الخلف، الذي يقوده ابنه إبراهيم باشا، إبان حملته على الحجاز، وعلمتُ أنه كان جيشاً من الخمورجية والزناة واللواطين، فهاك شهادة أخرى، تتيقن بها من صدق الجبرتي، ومن تدليس المؤرخين الأميين.

يقول المؤرخ الروسي، وقنصل روسيا في الشام في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وكان شاهداً على حكم أول الآتين من الخلف وابنه لها، قسطنطين بازيلي، في كتابه: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، واصفاً إبراهيم باشا وجيشه في الشام:

"كان إبراهيم باشا وشريف باشا، وعلى أثرهما أكابر الأعيان المصريين، يكنون في أعماق نفوسهم احتقاراً شديداً للقبيلة العربية كلها(!)، ويدوسهم على أوهامها داسوا في الوقت نفسه قوانين الإسلام الجذرية، كان إبراهيم باشا يعب الشمبانيا علانية في دمشق، وفي كل مدن سوريا ... نادراً ما كان يظهر في المسجد، ولم يكن في ساعات الصلاة يقوم بالوضوء الشرعي، ولم يكن يصوم رمضان، وكان المحيطون به يتباهون بتحررهم الفكري على نحو صبياني، وكان الجيش خالياً من الأئمة"(1).

فسل نفسك: هل كان المصريون والعرب خمورجية ومن مدمني الشمبانيا، لكي تؤلف أجيال من المؤرخين الأميين من طراز الرافعي ولطيفة سالم الأناشيد في أن أول الآتين من الخلف وابنه مَصَّرتهم شمس مصر، وصَيَّرت دماءهم عربية؟!

وبعد أن رأيت وصف ابن أول الآتين من الخلف وجيشه في الشام، لست في حاجة لأن نخبرك بأن الدولة والخلافة العربية، لم تكن سوى غلاف لتمرير شيء آخر في بطنها، سوف تدركه حين تعلم أن أول الآتين من الخلف ليس صاحب هذه الدعوى الحقيقي، ولا هو أول من بثها ورفع شعاراتها، بل هي دعوى بثتها وثابرت على بثها الإمبراطوريات الماسونية، منذ هبط الماسوني نابليون بحملته على مصر، ليس من أجل إقامة خلافة عربية واستعادة خلافة النبي للعرب، بل لتكون هذه الدعوى خنجراً لطعن الدولة العثمانية، وتحريض العرب على الخروج عليها والانسلاخ عنها، لكي تصبح بلاد العرب فراغاً مؤهلاً لاستقبال المشروع اليهودي وإقامة الخلافة الإسرائيلية!

---

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦٤-١٦٥.

ونابليون هو أول من رفع لواء الدولة العربية في الشرق الإسلامي، لكي تكون وسيلة لتفكيكه، وفصل بلاد العرب عن الدولة العثمانية، وتوطئتها للمشروع اليهودي، الذي كان أول خروج له من أذهان الساسة وكواليس السياسة إلى العلن على يد نابليون، وهو الهدف الحقيقي من حملته على مصر، كما علمت تفصيلاً في باب: نابليون وحملة الماسون، بل وكان نابليون يضمر في نفسه أن يتظاهر بالإسلام ويعلن اعتناقه له، وأن يرتدي لباس الشرق، إذا احتاج إلى ذلك من أجل تكوين هذه الدولة العربية.

فأما أن نابليون أتى بحملته على مصر وهو يخبئ خنجر الدولة العربية في نفسه، وهو أول من أخرجه، فينقل المؤرخ الفرنسي هنري لورنس، في كتابه: الحملة الفرنسية على مصر، عن مذكرات نابليون التي كتبها بعنوان: الحملات على مصر وسوريا Campagnes De Égypte Et De Syrie، أنه وهو يناقش علماء الأزهر ويحاول استمالتهم:

"لمس بونابرت وتر الوطنية العربية، لماذا تخضع الأمة العربية للأتراك؟ ... قال لهم نابليون: "إنني أريد إعادة ملكوت العرب، فمن الذي يمنعني من ذلك، لقد دمرت المماليك، المليشيا الأكثر جسارة في الشرق، وعندما يسود التفاهم بيننا، وعندما تدرك شعوب مصر كل الخير الذي أريد عمله من أجلها سوف تتعلق بي بإخلاص"(١).

وأما أن الهدف الحقيقي من هذه الدعوى، ليس سوى أن تكون خنجراً لطعن الدولة العثمانية، وقطع العلائق بين بلاد الإسلام، وإزاحة الإسلام نفسه من بلاد العرب وتفكيكها، فهو ما يخبرك به صريحاً المؤرخ الفرنسي هنري لورنس، الهائم بنابليون:

"الإسلام بالتحديد، من حيث كونه القوة التي تكفل التلاحم للإمبراطورية العثمانية، يظل العدو الذي تجب محاربته ... وسوف يسعى نابليون إلى وضع النزعة العربية في مواجهة الإسلام"(٢).

---

١) المؤرخ هنري لورنس وآخرون: الحملة الفرنسية في مصر، ص٣٣٤-٣٣٥، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢) الحملة الفرنسية في مصر، ص٢٤، ٣٣٤.

وهاك نابليون نفسه يخبرك في مذكراته بغرضه الحقيقي من هذه الدعوى، وأنه من أجل الوصول إلى غرضه، لا توجد عنده موانع أن يرتدي لباس الشرق وعمامة الإسلام:

"قد أحسن هنري الرابع حين قال إن باريس تستحق أن يذهب المرء إلى قداس، فهل يمكن الاعتقاد أن مُلك الشرق وإخضاع آسيا كلها لا يستحقان أن يرتدي المرء عمامة وسراويل، فالمسألة كانت تنحصر في ذلك وحده بالفعل، وقد اجتهد كبار المشايخ في إحراجنا، وذللوا صعوبات كبرى، فقد سمحوا لنا بشرب الخمر، وأعفونا من كل الشكليات الجسمية، ومن ثَم فإننا لم نكن نخسر سوى كيلوتاتنا(!) ... وفي الاجتماع العسكري الشهير عشية معركة أوسترليتز، في الأول من ديسمبر ١٨٠٥م، والذي نملك عنه شهادتين، هما شهادة سيجور، وشهادة تيلر، قال نابليون: "لو كنت استوليت على عكا، للبست العمامة، ولأمرت بأن يرتدي جيشي سراويل فضفاضة ... وأن يتبنوا في الظاهر على الأقل ديانة البلد، وكنت سأستولي عليها بمائة ألف من الدروز والأقباط والأقوام الأخرى المسلمة والمسيحية في الشام، كنت سأزحف على القسطنطينية/الأستانة، وكنت سأستولي عليها، وكنت سأغير وجه الشرق"[1].

وكما ترى، فخطة نابليون والسيناريو الذي أخبرك أنه جاء به من فرنسا وهو يخبئه في رأسه، القضاء على المماليك، وإقامة دولة منزوعة الإسلام في مصر والشام، وطعن الدولة العثمانية والسعي إلى إسقاطها بها، والتغلف في الوقت نفسه من أجل ذلك بالإسلام، هو نفسه وبحذافيره السيناريو الذي نفذه أول الآتين من الخلف وابنه، وقد جاءوا من حارة اليهود في اليونان العثمانية وهم يخبئونه في نفوسهم، وتجهزوا لتنفيذه بارتداء العمامة والملابس الشرقية وخلع كيلوتاتهم.

وما نريدك أن تنتبه إليه، لكي لا تكون مثل الأميين ذوي الأدمغة المفككة، هو أن تكوين دولة أو دول منزوعة الإسلام في بلاد العرب، ووضع القومية العربية والرابطة الوطنية في مواجهة الإسلام، وطعن الدولة العثمانية بها، وتفكيك الشرق كله، هي مسائل مترابطة، أو هي في الحقيقة أوجه متعددة من مسألة واحدة، ورابطها الذي لم يره ولم يدركه الأميون، وما زالوا إلى يومك هذا لا يرونه ولا يدركونه، هو تهيئة الشرق للمشروع اليهودي وغرس بذور الدولة اليهودية.

---

١) المؤرخ هنري لورنس: نابليون والاسلام، ص٢٢-٢٣، ترجمة: بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

فإذا انتبهت إلى ذلك يكون قد جاء أوان أن تعرف إجابتنا وتفسيرنا لرغبة أول الآتين من الخلف الملحة، وبهذه الحُرقة، في الاستيلاء على الشام وفلسطين، وهي الرغبة التي صرح بها لقناصل الإمبراطوريات الماسونية في بواكير حكمه لمصر، سنة ١٨١١م، بل ونزيدك على ذلك أنه أتى إلى مصر من حارة اليهود في اليونان العثمانية وهو يضمرها في نفسه، وكان يخبئها في رأسه وهو يصعد إلى رأس السلطة في مصر بالدسائس والمؤامرات.

وإجابتنا وتفسيرنا هو أن كل ما ذكره المؤرخون الأميون من دوافع أول الآتين من الخلف لغزو سوريا/الشام والاستيلاء عليها صحيح، ولكن ثمة غاية أخرى عميقة تختبئ خلف هذه الدوافع وتتغلف فيها، وهذه الدوافع لا تتعارض معها، بل هي أداة الوصول إليها وتحقيقها، وهذه الغاية العميقة الخبيئة في نفس أول الآتين من الخلف منذ ترك حارة اليهود اليونانية إلى مصر، هي توطئة الشام وفلسطين للمشروع اليهودي، وبذر بذوره الأولى فيها، وهو نفسه هدف الإمبراطوريات الماسونية التي بنت له جيشه وعاونته في حروبه، لكي يكون هو وجيشه أداة فصل الشام عن الدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وتحويلها إلى محضن لبذور المشروع اليهودي.

وهذا التفسير قد يثير في نفسك سؤالاً آخر: فإذا كانت غاية أول الآتين من الخلف هي نفسها غاية الإمبراطوريات الماسونية، فلماذا تواطأت عليه في معاهدة لندن، وأجبرته على الخروج من الشام وسحب جيشه الضال منها؟

والإجابة في ما عرَّفناك به من قبل، من أن أول الآتين من الخلف، مثل جميع الآتين من الخلف في بلاليص ستان، له وظيفة محددة داخل السيناريو الواسع الذي رسمته الإمبراطوريات الماسونية، فإذا تحقق الهدف من توظيفهم وانتهى دورهم، وجاء أوان خطوة جديدة، خلعوهم وانتعلوا غيرهم.

والسيناريو الذي رسمته بريطانيا وفرنسا لأول الآتين من الخلف يتوافق في جزئه الأول مع السيناريو الذي أراده ورسمه لنفسه، وهو فصل الشام عن الدولة العثمانية وتهيئتها للمشروع اليهودي ووضع بذوره الأولى، وبعد ذلك افترق السيناريوهان، فانتهى السيناريو الذي رسمه هو ويتوهمه ويعيش فيه، وانتقل سيناريو الإمبراطوريات الماسونية نقلة جديدة لا مكان له فيها، فأطاحت به من الشام، لتستكمل هي وضع أسس المشروع اليهودي بطريقتها وعلى عينها،

وانحصر دور أول الآتين من الخلف وأسرته في الجزء الثاني من سيناريو الإمبراطوريات الماسونية، في استكمال عزل مصر عن محيطها العربي الإسلامي، وبناء دولة فيها بالعقيدة القومية التوراتية البني إسرائيلية، التي تفصم روابطها بالشام وفلسطين، وببلاد العرب والإسلام كلها.

فهاك كيف حول أول الآتين من الخلف الشام وفلسطين إلى محضن للمشروع اليهودي، وبذر بذوره الأولى فيها، وما تتيقن منه أن هذه هي غايته الحقيقية من حملته على الشام التي تختبئ خلف دوافعها الظاهرة، وأنها الغاية من دولته كلها، وهي ما من أجله بنت له الإمبراطوريات الماسونية دولته وجيشه.



إزاحة الإسلام وتغيير هوية الشام

إزاحة الإسلام شرط المشروع اليهودي:

إذا لم تكن من الطراز الأمي من المؤرخين، فلا ريب أنك تدرك الآن أن إزاحة الإسلام من الشرق عموماً، ومن مصر والشام خصوصاً، هي الخطوة الأولى في المشروع اليهودي، وهي حجر أساسه وركنه الركين وأعمدته غير المرئية التي أقيم عليها، ومن غير هذه الخطوة وهذا الأساس ما كان له أن يبدأ ولا أن يسير ويكتمل.

ومن قبل أن يظهر المشروع اليهودي على سطح الأرض في الشرق، وبعد أن ظهر وصار مرئياً، وحتى يومك هذا، فكل خطوة تقترب بها بلاد العرب، أو دولة فيها، من اليهود ومشروعهم ودولتهم، لابد أن يتزامن معها الابتعاد عن الإسلام خطوة بالقدر نفسه، وابتعادها عن الإسلام هو بالضرورة اقتراب من اليهود ودولتهم وحراسها في الغرب.

أولاً: لأن قطع رابطة الإسلام تعني تفكيك الدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وتمزيقها إلى دول لا شأن لأي منها بما يحدث في الأخرى، بل وركوبها وتحويلها إلى توابع للإمبراطوريات الماسونية، وخناجر في يدها تطعن بكل منها الأخرى، لتصبح هي نفسها أدوات للتقدم في المشروع اليهودي، ومن وسائل إتمامه والوصول به إلى غايته.

وثانياً: لأن إزاحة رابطة الإسلام وشرائعه وقيمه وآثاره الاجتماعية والأخلاقية من أنسجة المجتمعات، وإزالتها من وعي الشرق وتكوينه، يقطع العلائق بين شعوبه، ويضرب بينها الحواجز والحدود الذهنية والنفسية والقانونية والاجتماعية، ويزيل منها جميعاً معايير الإسلام وموازينه، ويذيب الحواجز العقائدية والتاريخية والنفسية التي تمنع قبولها لوجود اليهود في الشرق واستيلائهم على إحدى بلاد الإسلام وإقامة دولتهم على حسابها، ثم استيلائهم قدس الإسلام وأقصاه، وإقامة الهيكل.

فإذا فهمت ذلك، وأدركت صلة إزاحة الإسلام من الشرق بالمشروع اليهودي، وأنها حجر أساسه وأعمدته، فستدرك لماذا كان قطع رابطة الإسلام بين شعوب الشرق، وصناعة دول ونخب

منزوعة الإسلام في بلاد العرب، وإزالة شرائعه وقيمه من أنسجة المجتمعات، وتذويب آثاره الأخلاقية والاجتماعية، في أغلفة التمدن والتحديث والمساواة بين أهل الديانات المختلفة وحماية الأقليات، هدف الإمبراطوريات الماسونية الحقيقي الذي هبطت من أجله على الشرق.

نعم، لأن المشروع اليهودي هو الغاية الخبيئة التي تستوطن رؤوس ساسة هذه الإمبراطوريات وقادة جيوشها، والتي من أجلها مولت بنوك اليهود فيها الحملات على الشرق، كما علمتَ.

وهي كذلك غاية أول الآتين من الخلف وأول من يصل إلى حكم مصر والشام من خريجي حواري اليهود، ولذا كان المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع سياساته وسياسات ابنه في الشام، هي تذويب الهوية الإسلامية لسوريا الكبرى أو الشام عموماً، ولفلسطين خصوصاً، وللقدس على وجه الأخص، لكي تتحول إلى محضن قابل لبذر بذور المشروع اليهودي فيها.

وأهل الشام وفلسطين، مسلمين وغير مسلمين، كانوا يعلمون أن هذه هي نوايا أول الآتين من الخلف، ويدركون أنه ليس سوى نابليون آخر في ثياب شرقية، من قبل أن يستقر جيشه في الشام ويبدأ حكم ابنه لها وسياساته فيها، ولذا كرهه المسلمون وانحازوا إلى جيش الخلافة، ولم يخضعوا له إلا جبراً، بينما استقبله غيرهم بترحاب، كيف لا وقد سبقه إليهم أنباء ما فعله في مصر بالأزهر وعلمائه وأوقافه، وكيف وضع مقاليدها في أيدي غير المسلمين، وجيشه الضال الزاحف على بلادهم في الشام بناه له الفرنسيون باستعباد المصريين، ووصل إليهم وهو يقاتل جيش الدولة العثمانية ويريد الزحف على عاصمتها، وهي الجامعة لبلاد الإسلام والحامية لها ولهم في وجه إمبراطوريات الغرب عبر ثلاثة قرون.

وفي المجلد الأول من وثائق الشام في المحفوظات الملكية المصرية، التي جمعها دكتور أسد جبرائيل رستم، أن أول الآتين من الخلف أرسل إلى ابنه السرعسكر إبراهيم باشا، أن يترك الجيش مرابطاً في الإسكندرونة في الأناضول، وأن يبني جيشاً جديداً من أبناء بر الشام، فرد عليه إبراهيم باشا برسالة في ٩ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ/٤ سبتمبر ١٨٣٢م، قبل صلح كوتاهية، وقبل أن ينفرد بحكم الشام، يقول فيها:

"أهالي صيدا لم يدخلوا في طاعة العزيز من تلقاء أنفسهم، ولم يُقْدم أهالي دمشق على الأمر نفسه إلا بعد توغل الجنود المصريين في بلدتهم وجنائنها، وكذلك أهالي حمص وحماة وحلب، فإنهم لم ينحازوا إلى مصر إلا بعد انهزام الجيش العثماني، وإذاً فالمصلحة تقتضي تأجيل هذا الأمر"[١].

ومن أجل إزاحة الإسلام من الشام وتغيير هويتها، عمد أول الآتين من الخلف وابنه، إلى تغيير تركيبتها السكانية، وتغيير التوازن المستقر عبر القرون وفي كل دول الإسلام بين أغلبية أهلها من المسلمين وبين غيرهم من الأقليات من مختلف الملل والطوائف، عبر الإفساح لليهود والنصارى وبسط الحماية عليهم، ورفع الضرائب عنهم، والسماح لهم بحيازة السلاح، وتمكينهم ووضع مقاليد الشام في أيديهم، وفتحها أمام القادمين منهم إليها من خارجها، وفي الوقت نفسه تنفير المسلمين، ونزع ما كان من سلطة في أيديهم إبان الحكم العثماني، ونزع سلاحهم، والتنكيل والإزراء بهم وإذلالهم.

فلن تعجب إذا علمتَ أنه إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام تدفق عشرات الألوف من اليهود والأروام والأرمن والأوربيين على الشام وفلسطين والقدس، بينما فر المسلمون من أهلها منها إلى الأناضول العثمانية، ومن بقي منهم استعبده أول الآتين من الخلف في الجيش الذي بناه ابنه إبراهيم باشا، واستنزف أموالهم بالفردة والضرائب، ودفعهم للعمل خدماً للأوروبيين وأعيان اليهود والنصارى، بالضبط كما فعل في مصر.

نزع سلاح المسلمين ... وحدهم:

وأول سياسات أول الآتين من الخلف وابنه لتنفير مسلمي الشام وإذلالهم، كانت نزع سلاح المسلمين في مختلف مناطق الشام ومدنها، وتجنيدهم إجبارياً، ولم ينزع من أي طائفة أخرى غير المسلمين سلاحها، ولم يجبر على التجنيد أي طائفة سواهم.

---

١) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد١، ص٩٥، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٠م.

فأما نزع السلاح، فقد كانت عشائر الشام كلها في العهد العثماني مسلحة، وكان السلاح مصدر قوتها وجزءًا من شرفها، ولم تفكر الدولة العثمانية يوماً في نزعه، لأن ولاء عشائر الشام لها كان ولاءًا تلقائياً وعن رضا، مثل كل شعوب الإسلام، وكانوا يلبون نداءها ويقاتلون معها طواعية حين يدعو داعي الجهاد.

يقول مؤرخ القدس في النصف الأول من القرن العشرين، عارف العارف في كتابه: المُفصَّل في تاريخ القدس، وهو من الكارهين للحكم العثماني ونشأ في ظلال النعرات القومية، عن موقف العرب في فلسطين والشام من الدولة العثمانية:

"كان العرب بوجه عام، والفلسطينيون بوجه خاص، مخلصين في شعورهم نحو الدولة والسلطان، وكانوا على أتم الاستعداد للحرب والكفاح دون دين الإسلام وسلطان المسلمين، وكانوا مطيعين لحكامهم ورؤسائهم، يحاربون متى شاء هؤلاء الحكام والرؤساء، ودون أن يسألوا: لماذا، وفي سبيل أية غاية، ومن أجل من؟"[١].

أما أول الآتين من الخلف وابنه، فلأنهم يضمرون في أنفسهم غير الإسلام، وبنت له الإمبراطوريات الماسونية جيشه ليهدم الدولة الجامعة لبلاده، وليفتح به بلاد الشرق لهم ولليهود الذين يستوطنون أذهانهم، فهو يعلم ويوقن أن السلاح إذا بقي في يد أهل الشام فسيكون عليه لا له.

يقول المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، وهو يفسر أسباب كراهية أهل فلسطين وعموم الشام لإبراهيم باشا وثورتهم على حكمه:

---

١) المؤرخ عارف العارف: المفصَّل في تاريخ القدس، ص٣٦٥، الناشر: فوزي يوسف، صاحب مكتبة الأندلس في القدس، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

"وجاء نزع السلاح ثالثة الأثافي، لأن معظم الأهالي كانوا يحملون السلاح ليدفعوا به سطوات البدو والرحل وعداواتهم، فانتزاع السلاح من أيديهم أمر لا تقبله نفوسهم عن طاعة واختيار"[1].

وما حجبه عبد الرحمن الرافعي، لكي لا يجرح الصورة المزورة التي يصنعها في كتابه لأول الآتين من الخلف، تخبرك به تلميذة مدرسته، المؤرخة الأمية وأستاذة التاريخ لطيفة سالم، وتخبرك به من باب الافتخار بأول الآتين من الخلف وابنه، وعلى أنه من علامات تسامحهم الديني وحكمهم العادل:

"وأحس المسيحيون بقوتهم في ظل النظام الجديد، بل وتميزهم على المسلمين في الإبقاء على سلاحهم"[2].

فأول الآتين من الخلف في الشام، الذي قرأت القصائد التي كتبها الأميون عن غزوه للشام من أجل إقامة الدولة العربية واستعادة الخلافة للعرب، كانت سياسته هو وابنه في الشام سحب السلاح من عرب الشام المسلمين، وإبقاءه في يد غيرهم من الملل والطوائف!

وكانت الشام تشمل إيالات حلب ودمشق وطرابلس وصيدا، وسنجق القدس وسنجق نابلس[•]، فهاك خريطة بمدن الشام.

---

١) عصر محمد علي، ص٢٦٣.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٢٥٧.

•) الإيالة تعني ولاية، وهي أكبر وحدات إدارية وعسكرية في التنظيم العثماني، ويحكمها حاكم برتبة بكلربك، وتعني بك البكوات، وتنقسم الإيالة إلى سناجق، والسنجق إلى أقضية، والقضاء إلى نواح، والناحية إلى بلدات وقرى.



خريطة الشام

وأرسل أول الآتين من الخلف صهره وحاكم الصعيد، محمد شريف باشا، بناءًا على طلب إبراهيم باشا، ليعاونه في حكم الشام المترامية الأطراف والمتأبية عليه، فوصلها في شهر أكتوبر ١٨٣٢م، ليصبح حاكماً للشام باسم: حكمدار عربستان، وجعل مقر حكمه للشام في دمشق، بينما ظل إبراهيم باشا سرعسكر الجيش أو قائده، والحاكم الأعلى للشام، واتخذ مقره وقاعدة حكمه في أنطاكية، وكان يتجول في مدن الشام بقواته ثم يعود إليها.

وبعد أن أصدر إبراهيم باشا أوامره لمحمد شريف باشا، بتجريد المسلمين في جميع مدن الشام من السلاح، أمر شريف باشا الأهالي بجمع أسلحتهم وتسليمها، واستأجروا شخصاً من كل حي ليكشف أماكن الأسلحة المخبأة في مقابل ٥٠٠ قرش، ومن وجد عنده سلاح لم يسلمه

يعاقب بخمسمائة جلدة، ومن لا يتحمل الجلد يرسل إلى سجن عكا، وتم تقدير السلاح بدفاتر الفردة/ضريبة الأفراد، أي على افتراض أن كل فرد يملك سلاحاً، ولذا اضطر من لا يملكون سلاحاً إلى شرائه لكي يقدموه ويسقط عنهم العقاب، وحرر شيوخ الحارات سندات على أنفسهم بأن:

"**كل من اتوجد عنده سلاح من الآن إلى ما بعد سنتين يكون قصاصه القتل**"[١].

وهكذا، وخلال ستة عشر شهراً كانت جميع الأسلحة قد نزعت من مسلمي الشام، دون غيرهم من الطوائف والأقليات.

خطفهم والتجنيد:

وأما التجنيد في جيش إبراهيم باشا في الشام، بخطف الشباب واستعبادهم، ومن المسلمين فقط، فكان صورة من التجنيد في جيش أبيه في مصر، فأصدر إبراهيم باشا أوامر لشريف باشا بجمع المجندين من جميع مدن الشام، فتم تحديد عدد معين من المجندين لأخذه من كل حي، وهو ١٠% من عدد سكانه، طبقاً لدفاتر الفردة/ضريبة الأفراد، وأرسلت أوامر بذلك إلى متسلمي البلدات والقرى ورؤساء الأحياء وأعيانها.

فإليك وصف المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في الشام إبان حكم إبراهيم باشا لها، لفصائل الجيش وهي تنزل إلى الأحياء لاصطياد الرجال والشباب:

"**وكان عليها تحين المناسبة واختيار الوسائل لتصيد العدد المطلوب من الناس في الأسواق أو المساجد أو في خلال أعمال الحقول، وفي أيام الجمعة حيث يجتمع الناس في المسجد، كانت فصائل القوات تطوق المسجد، ولا تسمح إلا للشيوخ والصغار بالخروج، وتأخذ كل الناس الصالحين للخدمة في الصف، واعتاد السكان أن يروا في كل حركة لقوات تهديداً بسَوْق دفعة جديدة إلى الجندية، فكانت القرى تقفر والأسواق تغلق ويقبع الناس في انتظار وقلق**"[٢].

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٩٥.

٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦١-١٦٢.

وهاك شهادة عيان أخرى، ينقلها المؤرخ اللبناني سليمان أبو عز الدين، في كتابه: إبراهيم باشا في سوريا، عن مراسلات المؤرخ الفرنسي فرانسوا بوجولا François Poujoulat، وقد شاهد بنفسه إحدى وقائع التجنيد في مدينة حمص:

"كان ثاني يوم وصولنا إلى حمص يوم سوق، ففتحوا أبواب المدينة مبكرين، ليمكنوا الفلاحين من الدخول وبيع حاصلاتهم، وبينما كانت مدينة حمص غاصة بالناس وحركة السوق على أشدها، وكان الباعة والمشترون قائمين بأعمالهم بسلام، أقفلت أبواب المدينة إقفالاً محكماً، وانقض فجأة على الجمهور نصف آلاي من الجنود المشاة، فساد الاضطراب الشديد مدينة حمص بأسرها كأنما هاجمها عدو لدود، فقبض الجنود على الشيوخ والشبان من مسلمين ومسيحيين، سواءٌ كانوا من التجار أو الصناع أو العمال، وقادوهم جميعاً مشدودي الوثاق، يتبعهم عدد عديد من النساء والبنات يملأ صراخهن ونواحهن الفضاء، وهن يقرعن صدورهن ويلطمن على وجوههن حزناً على أبنائهن وإخوتهن وآبائهن، الذين اقتادهم الجنود كرهاً بدون أن يترك لهم فرصة لمشاهدة مسقط رأسهم أو التزود بنظرة من ذويهم، أما المقبوض عليهم فسيقوا إلى إحدى الثكنات العسكرية، وهناك جرى فرزهم، فأخلي سبيل المسيحيين والشيوخ من المسلمين، وسيق الباقون إلى مصر يرافقهم اليأس من الرجوع إلى أوطانهم، لأنهم سيبقون جنوداً مدى الحياة"[1].

ومع تحسب أهالي القرى وإغلاقهم الأسواق والمساجد مع ظهور فصائل التجنيد، صارت هذه الفصائل تهاجم القرى وتداهم البيوت وتأسر من فيها من الشباب ليلاً، وحين فر الرجال والشباب من فصائل التجنيد إلى الجبال، خصوصاً في القدس ونابلس والخليل:

---

١) المؤرخ سليمان أبو عز الدين: إبراهيم باشا في سوريا، ص١٦٣-١٦٤، حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف، بيروت، بدون تاريخ.

"أعلن إبراهيم باشا أنه ستحفر ترعة في يافا، وينزل إليها من الجبال الثلاثة عشرة أو الخمسة عشرة ألف شخص للعمل في الترعة، حتى إذا نزلوا جميعاً طُوقوا بالجنود وأخذ منهم من يعملون للجندية"[1].

وكان أهل الشام يعدون من تم القبض عليه للتجنيد مفقوداً، لأن التجنيد كان مدى الحياة، وبلا تحديد لعدد من السنوات، ولا يُسرح منه إلا من أصيب بعاهة جسيمة، إلى أن أرسل أول الآتين من الخلف إلى ابنه إبراهيم باشا، في نهاية شهر ذي الحجة ١٢٥٠هـ/٢٧ أبريل ١٨٣٥م، أن:

"يحدد مدة الخدمة العسكرية، فيجعلها ١٥ عاماً"[2].

وفي بعض المدن والبلدات تم إدخال نظام البدل النقدي عن التجنيد، وبلغ ثمن البدل عشرة آلاف قرش، فصار الموسرون يدفعون البدلات لإعفاء أبنائهم من التجنيد، وبعضهم باع بعض أملاكه من أجل البدل.

ولأن فصائل التجنيد، كانت تُخرج أثناء فرز الشباب الذين اصطادتهم ذوي العاهات المستديمة، عمد بعض الشباب إلى إحداث عاهات بأنفسهم، وفر عشرات الألوف من مدن الشام وبلداته إلى المناطق العثمانية في الأناضول والعراق وديار بكر، وبعضهم ركب البحر إلى قبرص.

وخلال خمس سنوات، بين سنة ١٨٣٣م، وسنة ١٨٣٨م، تمكن إبراهيم باشا وجيشه من اصطياد خمسة وثلاثين ألفاً من شباب الشام وتجنيدهم، بينما يقدر المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في الشام إبان حكم إبراهيم باشا لها، قسطنطين بازيلي، عدد الرجال والشباب الذين فروا من مدن الشام وبلداته إلى المناطق العثمانية خلال الفترة نفسها، بسبب التجنيد والضرائب،

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٨٩.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد٢، ص٥١٨، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤١م.

بحوالي مائة ألف، من بين التعداد الكلي لأهل الشام البالغ تسعمائة ألف، رجالاً ونساءًا وأطفالاً[1].

ولأن تجنيد أهل الشام في جيش إبراهيم باشا كان استعباداً، وإجباراً لهم على القتال معه وهو يخالف عقائدهم وعوائدهم، ويقاتل جيش الدولة العثمانية الجامعة لبلاد الإسلام، يخبرك المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في الشام، أنه:

"كان المسلمون يحسدون المسيحيين واليهود على قسمتهم، إذ إن إعفاءهم من الخدمة تحت راية المؤمنين قد أصبح، عوضاً عن إذلالهم، ميزة عظيمة بالنسبة إليهم، وقد أُهين المسلمون المساكين، سكان المدن، في شعورهم الديني، بحيث أخذ الناس ذوو المقام النبيل يعملون قواسين وخدماً وسواساً عند القناصل الأوروبيين، وحتى عند وكلائهم وتراجمهم من أتباع السلطان، ليتجنبوا خدمة الصف استناداً إلى المعاهدات التي تضمن حماية العاملين في القنصليات"[2].

ومما أخبرك به قنصل روسيا في الشام إبان حكم إبراهيم باشا لها، قسطنطين بازيلي، والمؤرخ الفرنسي فرانسوا بوجولا، تعلم أن مداهمة القرى والبلدات وخطف الشباب واستعبادهم بالتجنيد، وإجبارهم على القتال، واستنزاف أموال أهلهم بالبدل مكان التجنيد، اختص به أول المسلمين من الخلف وابنه المسلمين فقط، دون غيرهم من الملل والطوائف، رغم أنهما كانا يموهان ما يفعلانه في الشام في غلاف أن سياستهما قائمة على التسوية بين المسلمين وغيرهم.

ومن أمثلة هذا التمويه أن إبراهيم باشا أرسل، بصفته سرعسكر/قائد الجيش، أمراً إلى متسلم اللاذقية، في ٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ/١٩ سبتمبر ١٨٣٢م، وكان نص الأمر:

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦١.

٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦١.

"والتعرض إلى الرعايا وعدم مؤاساتهم هذا مخالف لرضانا، لأن الإسلام والنصارى جميعهم رعايانا، وأمر المذهب ما له مدخل بحكم السياسة، فيلزم أن يكون كلٌ بحاله، المؤمن يجري إسلامه، والعيسوي كذلك، ولا أحد يتسلط على أحد"[١].

وفي المذكرات التي كتبها أحد كتاب الحكومة الدمشقيين المجهولين، عن فترة حكم إبراهيم باشا، أن إبراهيم باشا قال لهم:

"ومشي الرعايا جميعهم بالسوية، النصراني واليهودي والمسلم حكم واحد"[٢].

فالمساواة عند أول الآتين من الخلف وابنه، غلاف لمنح الامتيازات لغير المسلمين، وفتح طريق الوصول للسلطة أمامهم، ووضع مقاليد الشام في أيديهم، وإباحة القدس لهم، أما في الأعباء والتضييق والاستعباد بنزع السلاح والخطف والتجنيد والفردة والعمل في مصانعهم ومزارعهم، فلا مساواة، وتقع على المسلمين وحدهم، لأن أول الآتين وابنه جاءوا إلى الشام لتغيير هويتها وتنفير المسلمين منها وإذلال من بقي منهم فيها، لكي يوطئوها لليهود ومشروعهم.

وفي سنة ١٨٣٥م، أخطأ جيش إبراهيم باشا، وجند مسيحيين في بيت لحم، فهاك المؤرخة الأمية وأستاذة التاريخ لطيفة سالم، تخبرك بتوابع هذا الخطأ:

"تذمر القناصل من هذا الإجراء، وعلى الفور طلب كامبل (قنصل بريطانيا) من بوغوص (وزير خارجية أول الآتين من الخلف) إعادة المسيحيين ومعاقبة من أقدم على تجنيدهم، وكذلك فعل القنصل الفرنسي، وبيَّن ما لفرنسا من حق حماية مسيحيي البحر المتوسط، وكيف أن الكاثوليك يعيشون في كنفها، وانتهت المفاوضات واتضح أن هؤلاء المسيحيين لا يتجاوز

---

١) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد٢، ص١١٧.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٢٥٦.

عددهم ٥٩(!)، وأنهم أرسلوا إلى الإسكندرية للعمل بترسانتها نظير أجور، وأكد محمد علي للقنصل الفرنسي أنه لن يجند مسيحياً آخر"[١].

وما لم تخبرك به المؤرخة الأمية، هل تدخل حماية قناصل الإمبراطوريات الماسونية للمسيحيين، وان تقوم الدنيا ولا تقعد من أجل تجنيد تسعة وخمسين مسيحياً، حتى يعتذر أول الآتين من الخلف عن ذلك ويعد بعدم تكراره، بينما يداهم جيشه بلدات المسلمين ويختطف الآلاف من بيوتهم ومساجدهم وأسواقهم، دون أن يرمش لهم جفن أو يسأل عنهم أحد، هل يدخل ذلك في العدل والمساواة والتسامح، إلى آخر الأغاني التي ملأت بها كتابها عن حكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام.

وإليك المؤرخ اللبناني سليمان أبو عز الدين، يخبرك نقلاً عن المؤرخ نوفل بن نعمة الله بن جرجس الطرابلسي، وهو معاصر لحكم إبراهيم باشا للشام، بما كان أقسى على أهل مدن الشام وبلداته من خطف أبنائهم للتجنيد في جيش أول الآتين من الخلف وابنه:

"**والأعظم من ذلك إخراج الناس من بيوتها لأجل إسكان العساكر التي لا تفتر عن الجولان في البلاد، خاصة مدن الساحل، فلا يرثون لأنين شاكي(شاكٍ)، ولا يرحمون دمعة باكي(باكٍ)، فترى النساء والأرامل، فضلاً عن المتزوجات، من المسلمين والنصارى، دايرات في الأسواق يتوقعن مأوى يأوين إليه، وقد يتفق البعض منهن أنهن بعد مقاساة العناء يجدن محلاً، لكنهن لا يستقرن فيه برهة إلا وتأتي العساكر وتخرجهن منه أيضاً، ولا يعفى من ذلك أحد لا كبير ولا صغير، إلا من كان ذا رتبة معروفة بين خدام الميري"[٢].**

فهل يذكرك ما قاله المؤرخ نوفل الطرابلسي بشيء، ويجعلك تهمس لنفسك: لا جديد في بلاليص ستان تحت جيوش الآتين من الخلف، وما أشبه ليلة ثالثهم ببارحة أولهم؟!

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٩٠-٢٩١.

٢) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٦١-١٦٢.

استنزافهم بالضرائب:

وأما استنزاف مسلمي الشام بالضرائب، فقبل أن يحتلها أول الآتين من الخلف وابنه، لم يكن في العهد العثماني سوى الميري أو ضريبة الأراضي، والعشور أو ضريبة الغلات الزراعية، والخراج أو الجزية المفروضة على اليهود والمسيحيين، منذ فتح عمر بن الخطاب الشام، بالإضافة إلى الجمارك، والرسوم على بعض الحرف والصناعات، والغرامات التي يفرضها الباشوات.

وبعد استيلاء إبراهيم باشا على الشام، وبأوامر من أبيه، تم تعيين حنا بحري مدير عموم حسابات ولايات بر الشام، ومقره في دمشق، ومُنح لقب بك، وهو أول مسيحي في الشام ينال هذه الرتبة، وكانت مهمته الرئيسية التي ولاه من أجلها أول الآتين من الخلف إدارة مالية الشام، هي جمع الضرائب وتوفير الأموال اللازمة لنفقات الجيش وحروبه.

وحنا بحري كاثوليكي من الشام، وبعد أن بوأه إبراهيم باشا هذا المنصب الرفيع، وجعل مقاليد الشام المالية والمدنية في يده، لقبه بطريرك الروم الكاثوليك بأمير الطائفة، وفي كتاب: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، الذي وضعه مؤلف مجهول باللهجة الشامية المحلية، وهو أحد موظفي حكومة إبراهيم باشا في دمشق[•]، أنه كان يسكن في زقاق التلاج في حارة الخراب، وبعد أن وضع إبراهيم باشا إدارة مالية الشام في يده:

"**انتقل وأخذ بيت عبد الرحمن أفندي المرادي المفتي، الذي في زقاق الملك الضاهر، قريب إلى الجامع الأموي، لأنه بعد أن كان سكن مفتي الشام صار سكن نصارى، لأن الإسلام صعب ذلك عليهم كثيراً، ولكن لم يكونوا قادرين على شيء لأجل يفعلوه، ودائماً القسوس والرهبان طالعة عابرة، وبعده الخواجا حنا المذكور حرر إيراد إيالة الشام، من عريش مصر لحد أدنة، وأرسله إلى ولي نعمته محمد علي باشا، فانحظ منه محمد علي باشا، وأرسل له نيشان وظيفة**

•) في ثنايا روايته لحادثة مقتل الراهب توما الكبوشي، التي سنأتيك ببيانها لاحقاً، يقول المؤلف المجهول في مذكراته: "فيومها أمرني الوزير (محمد شريف باشا) أن أنزل معهم، حيث كنت من جملة كتابه"، فعُلم من ذلك أنه أحد موظفي الحكومة وكتابها الرسميين.

مير لواء/أمير لواء، وصار الناس يقولوا بحري بك، عوض الخواجا حنا بحري، ولما يدخل إلى الديوان ينهضوا له جميع أرباب الديوان، من المفتي لحد النقيب، وصار اسمه مدير الحسابات ومنقح الجورنال"[١].

وتم تعيين مباشر أو صراف في كل مدينة أو بلدة، مهمته معاونة حنا بحري في تنظيم ماليتها وجباية الضرائب منها، وكانوا جميعاً من غير المسلمين، فجرمانوس أخو حنا بحري مدير مالية حلب، ومباشر خزينتها الخواجة شكري، والمعلم روفائيل صراف خزينة دمشق، والخواجة حنا مباشر خزينة عِنتاب، والخواجة أنطون أيوب صراف خزينة القدس.

فإليك نموذج على ما فهمه المؤرخون الأميون من ذلك، تقول دكتورة لطيفة سالم:

"**وأُعطيت الإدارة المالية لحنا بحري ... ومع أن ذلك المنصب الذي حصل عليه له من الأهمية والصعوبية ما كان يؤهله لجلب من يمسك بزمامه من مصر، إلا أن ما سعت إليه الإدارة المصرية بإشراكها أهل البلاد في أمور الدولة، هذا من ناحية، والتسامح الديني ووأد التعصب من ناحية أخرى**"[٢].

فالمؤرخة الأمية تخبرك أن وضع أول الآتين من الخلف وابنه لمالية الشام في قبضة المسيحيين وحدهم، هو من قبيل إشراك أهل الشام في إدارة أمورها، وكأن المسلمين وهم الأغلبية ليسوا من أهلها.

فهل سمعت المؤرخة الأمية عن أي دولة في الغرب الذي يغرف منه الأميون من أمثالها مناهجهم، هل سمعت عن دولة تجعل من أدلة التسامح ووأد التعصب أن تضع مقاليدها في أيدي الأقليات فيها وتسلطهم على الأغلبية من أهلها؟

---

١) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٢، تحقيق وتقديم: المحامي أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٠م.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٧٤.

وتم تعيين مفتشين ومعاونين وصيارفة لجباية الضرائب، وطبع دفاتر لتحصيلها، ووضع في كل مدينة آلاي من الجنود للإشراف على تحصيل الضرائب، ومُنح أمير الآلاي سلطة مطلقة لفعل أي شيء من أجل إجبار الأهالي على دفع الضرائب.

وأما الضرائب نفسها، فضريبة الميري على الأراضي، تم تقديرها على كل ولاية، ثم يقوم المتسلم مع المباشر بتقسيمها على القرى فيها، ويُحصلها الجباة، وقد رفعها أول الآتين من الخلف وابنه، وبعد أن كانت ضريبة الميري التي تحصل من ولاية دمشق في العهد العثماني أحد عشر ألف كيس، ارتفعت في عهد أول الآتين من الخلف وابنه إلى عشرين ألف كيس، وفي ولاية حلب زادت الضريبة من ثمانية آلاف كيس إلى أربعين ألف كيس[•].

وزاد على ذلك أنه من أجل مضاعفة أموال الضريبة:

"كانت حكومة محمد علي في سوريا تتلاعب بأسعار العملة تلاعباً يعود بالخسارة على عموم الأهلين، فتربح خزينتها ما خسره أهل البلاد، وذلك بأنها تخفض أسعار العملة عندما تشرع في تحصيل الضرائب، فإذا انتهى جمع الضرائب عادت إلى رفع أسعارها"[١]!

وإليك طريقة جمع ضريبة الميري، كما يصفها المؤرخ نوفل بن نعمة الله بن جرجس الطرابلسي، المعاصر لحكم أول الآتين من الخلف وابنه في الشام:

"وأول عملية يلزمه إجراؤها عند وصوله، هو أن يطوف على القرايا، قرية فقرية، ومقاطعة فمقاطعة، ويتحقق من الفلاحين عن مقدار ما كان يتناوله منهم الملتزمون من غلال ونقود، وعن ميري أبقارهم وما يقدمون لهم من العوايد والرسميات والهدايا في المواسم والأعياد والأفراح، وأوهم الفلاحين أن قصد الحكومة من ذلك إبطال ما كان من تلك الأشياء ظلماً فترفعه عنهم، وتحت هذا الظن والأمل كان الفلاحون يقررون عن كل شيء، حتى عن ثمن حذوة حصان، أو عن ربطة شعر ماعز يكون قدمها أحدهم للملتزم في أحد السنين ليصلح بها

•) الكيس خمسمائة قرش.

١) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٦٢.

غربالاً أو ليعملها عقالاً لدابة من دوابه، ثم بعد أن يقيد الباشكاتب كل هذه الأشياء بثمنها، ويرسخ مقدار مجموعها بتمامه مالاً راتباً على تلك القرية، يتحصل منها كباقي الأموال الأميرية في كل سنة، وندم الفلاحون أشد الندم على تقاريرهم، إذ ما أخذه منهم الملتزم مرة في العمر مثلاً، ترتب عليهم مالاً سنوياً، ومما زاد تعاسة الفلاحين وعجل في فقدان أملاكهم، هو أن العسر كان يدفعهم إلى الاستدانة من مرابين قساة القلوب، وبيع محصولاتهم مقدماً بنصف قيمتها الحقيقية، فإذا أمحل الموسم ولم يكف ثمنه لتسديد مطلوب المرابي يمدد أجل الدين مضافاً إليه الربا الفاحش، وينتهي الأمر باضطرار الفلاح إلى بيع أملاكه لأجل تسديد ديونه"[1].

وبعد أن قرأت وصف تحصيل ضريبة الميري، وما فعلته بالمزارعين في الشام، حتى اضطرتهم إلى هجران أراضيهم وبيع أملاكهم، إليك نموذجاً على تدليس المؤرخين الأميين وعلى غرائب أدمغتهم المفككة.

فهاك وصف المؤرخة الأمية وأستاذة التاريخ لطيفة سالم للفرق بين الضرائب في العهد العثماني وفي عهد أول الآتين من الخلف وابنه:

"وتعددت الضرائب التي فرضتها الدولة العثمانية على ولاياتها، وفي الشام وُجد الميري والعشور والخراج والجمارك، ولكن مع سياسة الولاة المستبدة خضع الشام لسياسة ضريبية لها طابعها القاسي، اتسمت بالقوة والظلم والتحكم والتحيز والابتزاز والأطماع في مقابل أن يثري أولو الأمر على حساب أصحاب البلاد ... ومع بداية الحكم المصري جاءت التصريحات والوعود لتعلن رفع المعاناة عن الأهالي الذين كانوا في حالة نفسية سيئة يلتمسون النجاة على أيدٍ منقذة ... وعليه أصدر إبراهيم مرسومه إلى متسلمي الشام جميعهم، يركز فيه على النظام الضرائبي الجديد، ويوضح مساوئ حكم الولاة السابقين التي فرضت على الأهالي كثرة

---

١) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٥٨.

التوزيعات التي تحصل منهم عن مصاريف الحكام وعوايد وغيره، وارتاح الجميع لتلك القواعد الرسمية التي وُضعت، وبسطوا أياديهم بدوام تلك الدولة العادلة"[١].

فأستاذة التاريخ الأمية أوردت هي نفسها أنواع الضرائب المختلفة والزيادات التي زادتها في عهد إبراهيم باشا عن العهد العثماني، ولكن لأن هواها الأمي يوافق ما فعله أول الآتين من الخلف بمصر، ولأن وعيها تكون داخل المسار الذي شقه لها، فهي تصف ضرائب العهد العثماني بأنها قسوة وظلم وابتزاز، بينما ضرائب أول الآتين من الخلف وابنه التي زادت أضعافاً مضاعفة، ويأخذها من أهل الشام لينفقها على الجيش الذي يداهم بيوتهم ومساجدهم ويخطف أبناءهم، هي عند المؤرخة الأمية من مظاهر الدولة العادلة، والذي فرضها عليهم واستعبدهم بها هو المنقذ المخلص!!

ثم هاك قنصل النمسا في عكا وصيدا إبان حكم أول الآتين من الخلف للشام، أنطونيو كاتافاجو Antonio Catafago، يرد على أستاذة التاريخ المضللة، ويعرفك بالفرق بين الوالي العثماني وكيف كان يراعي أحوال الناس ويترك لهم الضريبة عند عجزهم عن السداد، وبين أول الآتين من الخلف وابنه الذي يجمع الضرائب بلا شفقة، ويأخذ من الناس ضريبة السنة الحالية وضريبة السنة السابقة التي أعفاهم منها الوالي العثماني!

في إحدى مراسلات القنصل كاتافاجو، التي عرَّبها ونشرها الخولي بولس قرالي، بعنوان: فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، رسالة أرسلها القنصل كاتافاجو، في ١٧ يوليو ١٨٣٢م، إلى الكافالير دي بتشوتو De Betchoto، قنصل النمسا في حلب، عن الأوضاع في عكا تحت حكم إبراهيم باشا، يخبره أنه:

"حتى أن العمال المصريين يُحصِّلون الآن بدون شفقة، ليس ميري السنة الحاضرة فحسب، بل ميري السنة الماضية، التي تركها لهم عبد الله باشا لإمحال الموسم"[١].

---

١) الحكم المصري في الشام، ص١١٠-١١١.

ومع زيادة الميري على الأراضي، فُرضت ضريبة على الأشجار، وفي المجلد الثالث من كتاب: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، الذي جمع فيه مؤرخ الكرسي الأنطاكي وأستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، أسد جبرائيل رستم، الوثائق الخاصة بحكومة سوريا الكبرى أو الشام، في عهد أول الآتين من الخلف، أن مباشر خزينة ولاية حلب الخواجة شكري، قدم في ذي الحجة ١٢٥٣هـ/مارس ١٨٣٨م، معروض حال إلى مجلس شورى حلب، بالأموال التي ترتبت في هذه السنة بحسب أوامر حكمدار بك المحترم، ومنها أن:

"الشجرة التي تكون صغيرة بحيث إذا تعلق بها السيف تميل ولا تحمل السيف، فلا يؤخذ عليها شيء، والتي تحمل السيف يؤخذ منها بارة واحدة، والتي يكون غلظها من ضم إصبع اليد الإبهام إلى إصبع السبابة ويكون طولها قامة يؤخذ منها بارتين (بارتان)، والتي أغلظ منها يؤخذ منها ثلاث بارات، والأغلظ أربع بارات إلى ست بارات، وكذلك على كل عشرة أشجار عنب بارة واحدة، وشجرة الجوز يؤخذ منها عشر بارات"[٢].

وأما الضريبة على شجرة الزيتون، فكانت قرشين وعشرين بارة، والقرش الواحد يساوي أربعين بارة، وأُرسل الجباة لعد الأشجار في كل قرية، وكانوا يجمعون الضريبة بالقوة بمجرد زرع الشجرة، ودون انتظار لإثمارها، وسواء أثمرت أو لم تثمر.

وفرضت ضريبة أخرى على إنتاج الحرير، وكانت تتراوح بين ثلاثة وثلاثين قرشاً ومائة قرش على رطل الحرير، وفي الوقت نفسه احتكر أول الآتين من الخلف وابنه إنتاج الحرير، فكان:

"يوجب على الأهالي بيع محصولات أرضهم إلى الحكومة، بالثمن الذي يقدره عمال الحكومة نفسها، وعدا ما كان في هذه الطريقة من الحيف في تقدير الثمن فإنها كانت تحول دون تزاحم التجار والسماسرة على المشتري، فتحرم الملاك والفلاح من الحصول على ثمن

---

١) المؤرخ الخوري بولس قرالي: فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، ص٢٨، مطبعة القديس بولس في حريصا، لبنان، ١٩٣٧م.

٢) دكتور أسد رستم: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ٣، ص٧٦-٧٧، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٤م.

عالٍ لمحصولاته، وتثبط عزائم المنتجين، وتحرم السماسرة من الانتفاع برسوم السمسرة، فالربح الذي كان يجب أن يحصل عليه هذان الفريقان تسرب إلى خزينة الحكومة"[١].

وضريبة العشور على الغلات الزراعية، وكانت ١٠% من ثمن المحصول، فزادت إلى ١٥%، ثم إلى ٢٠%.

وضريبة الشونة، وهي مواد تموينية وعينية تؤخذ من أهل القرى لإعاشة الجنود وعلف خيولهم، وكان على أهل قرية إضافة الجباة وإطعامهم وتحمل جميع نفقاتهم، هم وأعوانهم وما يصاحبهم من جنود، إبان نزولهم في قريتهم لجمع الضرائب.

ومما زاد الأهلين ضنكاً، كما يقول المؤرخ نوفل بن نعمة الله بن جرجس الطرابلسي:

"تسخيرهم وتسخير حيوانات النقل لأشغال الحكومة، فلا يقدر أحد من أي رتبة كانت من الأهالي في المدن، فضلاً عن القرى، أن يحمي دابته ويحافظ عليها، ولو جعل معلفها داخل داره، فإن الضابط المسمى بالتفكجي له سلطان أن يخلع الأبواب ويكسر الأقفال، ويفوت هاجماً إلى الدار ويجرها قهراً جبراً ويُركبها لأي عسكري أو ضابط أراده، ويكون صاحبها مجبوراً بأن يستأجر لها رجلاً يرسله معها لأجل عليقها، وليحضرها له عند انتهاء عملها، وإلا لا دعوى له إذا ضاعت"[٢].

وضرائب أخرى متنوعة وعلى كل شيء تقريباً، فهاك المؤرخة الأمية تخبرك بها:

"فهناك ضريبة نسبتها من ٥-١٥% من القيمة فرضت على نقل الملكية وعوائد أملاك المنازل والحوانيت والمبيعات، كما فرض على كل نول حرير ٣٠٠%، وأيضاً ضريبة حُصلت على الصناعات المحلية في شكل رسم إنتاج، وضرائب على الصابون والملح والطباق والزيت والحدائق والمنافع العامة والحيوانات من غنم وجمال وخيل وبغال، والأسماك والأغذية والفاكهة، وكذلك على الطواحين ... كما وجدت ضريبة الصليان في حلب وأنطاكية وأدنة/أضنة

---

١) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٥٦-١٥٧.

٢) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٥٩-١٦٠.

وطرسوس(*)، حتى أوقاف الحرمين الشريفين تقرر تحصيل ما يخص الحكومة من ريعها، وأيضاً ألزمت الأملاك الموقوفة بدفع الأموال الأميرية، وكان ذلك جديداً على الأهالي، وأجبر عرب منطقة بلقا على دفع ضريبة الغنم والزيت، وعندما بدت منهم المعارضة والتمرد أرسلت قوة عسكرية"[١].

وإحدى الضرائب التي استحدثها أول الآتين من الخلف وابنه في الشام، الضريبة على الخمور والخمَّارات، فأول الآتين من الخلف الذي يقول لك المؤرخون الأميون البقر إنه أرسل ابنه لغزو الشام من أجل استعادة خلافة الإسلام للعرب، غزاها بالخمَّارات، وأباح شرب الخمور علناً في المقاهي والشوارع، وأغوى المسلمين بشربها، وكانت الخمَّارات والخمور وأدوات صناعتها قبله مِلكاً لليهود والمسيحيين، وشربها محصوراً بينهم دون المسلمين، وكبرى مدن الشام ذات الأغلبية المسلمة تخلو من الخمَّارات والخمور.

يقول المؤرخ اللبناني سليمان أبو عز الدين:

"أجازت حكومة محمد علي إنشاء الخمَّارات، وحصرت فيها حق بيع الخمور للأفراد ولأصحاب المقاهي، فكان من ذلك إباحة شرب الخمور جهاراً لأي شاء، حتى المسلمين، وقد غالى بعض الجُهال بالجهر في استعمال الخمر، وفي أثناء إحدى الزينات التي أقيمت في دمشق ركب رجل مسلم جملاً، ووضع على جانبيه مسودتين من العرق، وسار في موكب عظيم متنقلين في أحياء المدينة، وكان الرجل يتناول العرق من حين إلى آخر وهو على ظهر الجمل، على مرأى من ألوف المسلمين الذين كانوا يتميزون غيظاً مما شاهدوا، فإنشاء الخمَّارات أثار في نفوس المسلمين ثائرة الغيرة الدينية، كما أنه حرم عدداً كبيراً من المسيحيين الأرباح التي كانوا يصيبونها من المتاجرة به، واستولت الحكومة على ما كان مخزوناً عندهم من العرق والنبيذ لأجل البيع، ولم تدفع لهم سوى ربع ثمنه، كما أنها استولت على الآلات

●) ضريبة الصليان هي الضريبة على البيوت والمنازل.

١) الحكم المصري في الشام، ص١١٦.

المستعملة لصنع الخمور، وعلى المواعين المعدة لحفظ الخمر في بيوت النصارى واليهود، وهكذا أوجب إنشاء الخمَّارات استياء جميع الطوائف السورية"[١].

وهاك أحد موظفي حكومة إبراهيم باشا في دمشق، يُعرِّفك بقصة إنشاء أول خمَّارة في دمشق، وأماكن توزيع الخمور:

"وبعده صدر من إبراهيم باشا أن يصير خمَّارة في الشام، فأمر الديوان أنه يصير تنبيه عند النصارى واليهود، لأجل يصير مزاد الخمَّارة، فبقي المزاد خمسة عشر يوماً، حتى انتهى حال التزام الخمَّارة بسبعماية كيس، وصار ضمانها من عيد الصليب، وضمنوها نصارى ويهود وإسلام، وأخذوا خان المصبنة الذي في قاعة الخراب وقاعة النشا وعملوها خمَّارة، ونشوف الإسلام بأسوأ حال، لأنه شيء مثل هذا عمره ما صار بالشام، وتنظر العرق والنبيذ مبسطين فيه بالقهاوي مثل قهوة علي بن منين، وقهوة باب شرقي، وقهوة باب توما، ودكان في باب الجابية، وفي سوق الخيل، وفي باب مصلى ... وجمعوا من بيوت النصارى واليهود خوابي، وأخذوا العرق والنبيذ الذي في بيوت النصارى لأجل المبيع، وأعطوهم ربع ثمن"[٢].

وهاهنا موضع لأن نعرفك بإحدى سمات الدولة التي أنشأها أول الآتين من الخلف، وورثتها دول بلاليص ستان في كل عهودها، إلى يومك هذا، ألا وهي إقامة الملاهي ودور اللهو والترفيه وتقريب أهل الأهواء من المشخصاتية والمغنواتية والجورنالجية والأدباتية، ورعايتهم وتصديرهم في المجتمعات، وإغداق الأموال والامتيازات عليهم، ليكونوا من أدوات إلهاء عموم الناس عن إزاحة الإسلام من السلطة والدولة، ووسائل لإذابة موازينه وإزالة آثاره من المجتمعات، ثم ليكونوا أدوات لتغيير وعي الأجيال الناشئة، وتربيتها على خلاف الإسلام ونقيض أخلاقه وقيمه، ليسهل قيادهم والسير بهم في أي اتجاه، وأي اتجاه يسيرون فيه ويزيلون به موازين الإسلام هو تلقائياً وبالضرورة، كما علمتَ، صعود في المشروع اليهودي، وخطوات نحو غاية اليهود.

---

١) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٦٥-١٦٦.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٦.

وفي كتابه: عصر محمد علي، أورد المؤرخ الأمي عبد الرحمن الرافعي، نموذجاً تفصيلياً من ميزانية الحكومة في مصر، في عهد أول الآتين من الخلف، بإيراداتها ومصروفاتها، فكان من بين بنود الإيرادات:

"عوائد الراقصات والموسيقيين والحواة ٢٥٠٠ جنيه"[١].

وبعد هذه الضرائب التي رأيت أول الآتين من الخلف وابنه يفرضونها على أهل الشام، نكاد نسمعك تقول لم يبق إلا فرض ضريبة على التنفس والأنفاس، وربما لن تصدق إذا أخبرناك أن الضريبة لم تكن فقط على الذين يتنفسون من الأحياء، بل وأيضاً على من قطعوا الأنفاس من الأموات!

فرض أول الآتين من الخلف على عموم أهل الشام ضريبة لا سابق لها، ولا نظير لها، هي الفردة، أو الضريبة على النفْس، التي فرضها على جميع الذكور من سن أربع عشرة سنة، فإليك وصف موظف حكومة إبراهيم باشا في دمشق، في مذكراته، لهذه الضريبة وأثرها على المسلمين:

"حضر أمر من محمد علي باشا أنه يصير فِردة في الشام وفي بر الشام على الناس، وطلب أعلى اسم خمسماية غرش (قرش)، ونازل لحد الخمسة عشر غرش، ولما سمعت المسلمين في هذا الخبر صعب عليهم أكثر من الجميع، لأنه في الزمان ما تتاخذ منهم مصرية الفِرد، فاحتاروا في أمرهم، وصاروا كالأموات من قهرهم ... ودارت الكتبة على جميع حارات البلد، وصاروا يكتبون من سن الأربعة عشر سنة وطالع، وكل حارة رتبوا لها شيخ ومُعرفين، يدوروا يكتبوا أولاد الحارة، كل واحد بمفرده، أي اسم الشخص ولقبه وما هو كارُه ... وكان ابتدا فريضة الفردة في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م"[٢].

وكانت الفِردة على كل شخص بمفرده، وتتراوح بين خمسة عشر قرشاً وخمسمائة وخمسة وسبعين قرشاً، ولكن المباشرين والجباة كانوا يُحصّلونها سنوياً من كل بلدة أو حي بعدد ذكورها

---

١) عصر محمد علي، ص٥٣٩.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٧-٦٨.

ورجالها، حسب التعداد الذي تم إجراؤه، دون اعتبار لمن مات أو تم تجنيده أو ترك بلدته وفر من الشام كلها إلى المناطق العثمانية، وفي هذه الحالة:

"كانت كل بلدة مكلفة بدفع ما يُفرض عليها ولو نقص عدد الرجال فيها، فمن كان ذا عائلة فيها ثلاثة أو أربعة شبان، يُكلف بالدفع عنهم جميعاً، ولو مات بعضهم أو كلهم، إما بسبب المرض، أو في الحرب في سبيل الحكومة، وإذا عجز عن ذلك فبلده أو المقاطعة التي ينتسب إليها توزع المبلغ المطلوب على الرجال الموجودين، وهذه التكاليف كانت تزداد سنة فسنة على الذين يقومون بدفعها، لازدياد عدد الغائبين والمفقودين موتاً أو قتلاً، أو فراراً إلى حيث لا تطالهم يد الحكام خوفاً من الحبس والضرب والتعذيب"[1].

وهذه هي طريقة عقاب الممتنعين، وإجبارهم على دفع الفِردة، في مكاتبة من أحد المباشرين إلى حنا بحري، مدير مالية الشام في حكومة إبراهيم باشا، تنقلها لك أستاذة التاريخ لطيفة سالم:

"ضربناه كرابيج مرتين، وفي كل مرة نضربه، فلما يأكل أربعين أو خمسين كرباجاً، وبما أنه عليل، يقطع النفَس، ويظن القواسة الذين ضربوه أنه مات، فنرفع عنه الضرب، وتدخل أقاربه، ووعدوا بتسديد ما عليه، فقبلنا التعهد أحسن ما يموت ولا نطيل شيء"[2].

أرأيت إلى الحنان والحكم العادل والأمان ؟!

ولكي لا تتهم أول الآتين من الخلف بالتجبر والقسوة والنهم، ينبغي أن تعلم أنه ثمة ضريبة وحيدة تم تخفيضها، وبعد أن كانت تتراوح بين خمسة عشر قرشاً وستين قرشاً في العهد العثماني، صار حدها الأدنى اثني عشر قرشاً، وحدها الأعلى ثمانية وأربعين قرشاً[3].

والضريبة الوحيدة التي تم تخفيضها، وصارت دليلاً على عدل أول الآتين من الخلف وتخفيفه عن أهل الشام وعلى حكومته المنظمة، هو وابنه، هي الجزية المفروضة على غير المسلمين!

---

١) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٥٧.

٢) الحكم المصري في الشام، ص١٢١.

٣) الحكم المصري في الشام، ص١١٤.

والآن قارن ما رأيته من طريقة جمع أول الآتين من الخلف وابنه للضرائب من المسلمين، ودفعهم لبيع أملاكهم والاستدانة لسدادها، بما تخبرك به أستاذة التاريخ الأمية، نقلاً عن محفوظات الشام، وهي تترنم بأغنية التسامح، من أنه:

"لما اشتكى يهود صفد من متسلمهم لتحصيل ما عليهم من المال للميري والخاص ببيوتهم (الحكر والسكاكر) قبل ميعاد استحقاقه، إذ طَلب في ذي الحجة، يتحرر له بأن: "يمهلهم لحين حلول الميعاد بشهر محرم"، كما تمت مساعدتهم في تحصيل حقوقهم، فمن كان لديه ديون لدى الأهالي والأديرة عادت إليهم بأمر الإدارة"(١).

تمكين غير المسلمين:

وما ننبهك إليه أولاً، ونعلم أنه لن يفوتك، أن تمكين المسيحيين في الشام، ووضع مقاليد الشام في أيديهم، وتركيبهم فوق المسلمين، ليس من أجل المساواة والعدل، كما يتوهم المؤرخون الأميون، ولا حتى من أجل المسيحيين أنفسهم، كما قال بعض من انتقدوا أول الآتين من الخلف، وإن أفاد المسيحيون من ذلك، وتواطؤوا مع أول الآتين من الخلف، ومع جميع الآتين من الخلف، بل من أجل أن يكون هذا التمكين ووضع المسيحيين في السلطة وصدارة المجتمع، في أغلفة العدل والتسامح والمساواة، ذريعة لإزاحة الاسلام من السلطة والمجتمع، وتفريغ الشام من المسلمين، والإطاحة بمن بقي منهم من سدة المجتمع إلى قاعه، وتكتيفهم وتكميمهم، حتى يمكن تغيير هوية الشام، وجعلها قابلة لبذر بذور مشروعهم فيها، وأيضاً ليكون الإفساح للنصارى غلافاً للإفساح لليهود معهم، وفتح الأبواب التي يتسربون منها إلى فلسطين والقدس.

علمتَ من قبل، أن حنا بحري الذي عينه أول الآتين من الخلف مديراً لمالية الشام كاثوليكي، وكذلك جميع المباشرين الذين تم تعيينهم معه لإدارة مالية الولايات والمدن، وأنه خولهم فِعل كل شيء واتخاذ كل وسيلة يرونها لجمع الضرائب وتوفير الأموال اللازمة لنفقات الجيش وحروبه، بما في ذلك الاعتقال والضرب والتعذيب وإجبار المسلمين على بيع أملاكهم والاقتراض بالربا، فسلطهم بذلك على مسلمي الشام، وأقعدهم فوق صدورهم.

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٤٧، ٢٥٥

وكانت العلامة التي لا يخطؤها أحد على انقلاب الميزان، سكن حنا بحري وأتباعه من النصارى في منزل مفتي الشام ومن حوله من المسلمين في دمشق، وقد اضطروا لتركها وإخلائها مع تسليط أول الآتين من الخلف وابنه للمسيحيين عليهم.

وجعل إبراهيم باشا على رأس كل مدينة أو بلدة متسلماً لإدارة شؤونها، يعينه حكمدار عربستان، محمد شريف باشا، وأقام في كل مدينة أو بلدة يصل تعدادها إلى عشرين ألف نفس ديواناً للمشورة، يتكون من عدد يتراوح بين اثني عشر وواحد وعشرين شخصاً، وتقول أستاذة التاريخ الأمية في وصف هذه المجالس:

"**ومنذ بدأ الحكم المصري في الشام أعلنت المساواة بين الأجناس والديانات، وألغيت الفوارق الموجودة، ونشر ذلك على الجميع وأذيع ونودي به في الشوارع والأزقة، وانتشرت كلمات العدل والحق والتسامح في مناخ مفعم بالفتن والكره والتعصب، فأعطت الراحة والطمأنينة ... ومُثل المسيحيون في مجالس الشورى، وسمع رأيهم، وحصلوا فيها نفس الحقوق الممنوحة للمسلمين**"[١].

والمؤرخة الأمية تكذب من أجل تجميل ما فعله أول الآتين من الخلف، لأنه يوافق هواها والدولة التي تكون وعيها داخلها وترتزق بالكتابة فيها، فلا توجد أي وثيقة أو مصدر معاصر لحكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام يقول إن سياساته أعطت الراحة والطمأنينة لمسلمي الشام، وهم غالبية أهلها، بل سلبتها منهم وأزرت بهم، وأعطتها للأقليات من غير المسلمين، واندلعت ثورات المسلمين ضد حكم أول الآتين من الخلف في جميع ولايات الشام ومدنه، فهل لا تعلم المؤرخة الأمية المضللة أن الحكم على سياسات حاكم بالرضا والقبول أو بعكسهما، يكون بميزان الأغلبية، لا بميزان الأقلية؟

وما حجبته المؤرخة الأمية، لكي لا يشوش على أغنية التسامح والعدل التي تغنيها في كتابها، أن الدواوين أو مجالس المشورة، التي نزع أول الآتين من الخلف وابنه جُل اختصاصات القضاء الشرعي وأحالوها إليها، كما ذكرت المؤرخة الأمية نفسها في موضع آخر من كتابها،

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٤٧، ٢٥٥.

هذه الدواوين لم يُمثل فيها المسيحيون كطائفة واحدة، بل صار كل مذهب من المسيحية وكأنه طائفة مستقلة، ولكل طائفة من يمثلونها، الروم الكاثوليك، واللاتين الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، والموارنة، وهم أيضاً كاثوليك، والروم الأرثوذكس، والسريان الأرثوذكس، والأقباط الأرثوذكس، والأرمن، وهم أيضاً أرثوذكس، ثم اليهود، فتحول المسلمون داخل مجالس المشورة إلى أقلية بين ممثلي الطوائف المختلفة والمتعددة، أو تساووا معهم، وهو ما يعني كما لابد تدرك، نزع الهوية المسلمة للمدن والقرى، وعلمنة إدارتها وقوانينها، وإزاحة مظاهر الإسلام وعلائمه من مجتمعات الشام، وهو المقصود الحقيقي، الذي لا يدركه المؤرخون الأميون الذين لا يفهمون من التأريخ سوى أنه جمع التفاصيل وتكديسها، ودون أن يفطنوا بأدمغتهم المفككة إلى أن ما يأتون به في موضع ينقضه ما يقولونه في موضع آخر.

يقول مؤرخ الكنيسة الأنطاكية وأستاذ التاريخ في جامعة بيروت، أسد جبرائيل رستم، في دراسته: إدارة الشام، روحها وهيكلها وأثرها، والتي نُشرت في كتاب: ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، الذي نشرته الجمعية الملكية المصرية للدراسات التاريخية، سنة ١٩٤٨م، بمناسبة مرور مائة عام على وفاة إبراهيم باشا:

"**وكانت هذه المجالس تتألف من عدد معين من أعيان المدن والقرى، وتتمثل فيها جميع الطوائف تمثيلاً نسبياً**"[١].

ويقول قنصل روسيا في الشام إبان حكم أول الآتين من الخلف لها، عن سلطة هذه المجالس وتكوينها:

"**وأنشئت في كل مدينة مجالس من أكثر المواطنين وقاراً، مسلمين ومسيحيين، تحت رئاسة المتسلم، الذي كان ملزماً بأن يعرض على اجتماعهم كل القضايا الهامة في صدد الإدارة، ولم يكن نفسه يستطيع أن يصدر حتى أتفه الأوامر في الشؤون الاقتصادية بدون علم ومساعدة**

١) دكتور أسد رستم: إدارة الشام، روحها وهيكلها وأثرها، ضمن كتاب: ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، ص١٢١، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

مجلس المدينة، وبالتدريج مُنحت هذه المجالس السلطة القضائية في القضايا المتنازع عليها، ولا سيما القضايا التجارية"[1].

وهاك برهان ما أخبرناك به، في مشهد تكوين ديوان المشورة في دمشق، يصفه لك أحد موظفي حكومة إبراهيم باشا:

"وبيومها (١٦ محرم ١٢٤٧هـ/٢٧ يونيو ١٨٣٢م)، رتب إبراهيم باشا ديوان حكم عشرين زلمة من أعيان البلد، ومن أعيان النصارى، وواحد من أعيان طائفة اليهود، وسماه ديوان المشورة، لأجل أن تنظرروا فيه دعاوى الرعية والميري، ومشي الرعايا جميعهم بالسوية، النصراني واليهودي والمسلم حكم واحد، وأهالي البلد حصلوا في غم شديد من ذلك، وازداد بغضهم للنصارى، والنصارى بانت في وجوههم أمارات الفرح"[2].

وهذا هو ديوان مشورة بيروت وأعضاؤه، يخبرك به المؤرخ اللبناني سليمان أبو عز الدين:

"وفي ١٤ رمضان ١٢٤٩هـ/ ٢٤ يناير ١٨٣٤م، أمر إبراهيم باشا يصير ديوان مشورة في بيروت، وجعل اثني عشر رجلاً من أكابر بيروت، أصحاب فطنة، والمتسلم لا يبدي بشيء إلا بما يبرز به الحكم من ديوان المشورة، بموجب كتاب منه إلى أرباب الديوان المذكور، وهم ستة إسلام، وهم: ....، وستة نصارى، وهم: ..."[3].

وبقي من مجالس المشورة التي أنشاها أول الآتين من الخلف، لتكون أداته في تغيير هوية الشام، في غلاف أن هذا ما يريده أعضاؤها ومن يمثلونهم من الطوائف، وهم في الحقيقة لا يريدون إلا بما يعلمون أنه يريده ويشير لهم به، كما هي بلاليص ستان في كل عهودها، من أول الآتين من الخلف إلى ثالثهم، بقي أن تعلم أن مضابط جميع دواوين المشورة كانت ترسل إلى شخص واحد، ليقوم بمراجعتها وتحرير جريدة ضبط المجالس، وهذا الشخص هو الرجل الذي احتل مكان مفتي الشام، يوحنا بحري بك، امير طائفة الروم الكاثوليك.

---

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٤٩-١٥٠.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٥٠.

٣) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٣٥.

يقول المؤرخ اللبناني نوفل بن نعمة الله بن جرجس الطرابلسي:

"جريدة ضبط مجالس المشورة كانت ترسل إلى الشام ليراجعها يوحنا بك بحري ... وهو بمنزلة دفتردار عموم إيالات سوريا"[١].

علمنة القضاء:

قبل أن يصل أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية إلى السلطة في مصر ويستولي على الشام، كان القضاء فيهما جزءًا من جهاز القضاء العام في الدولة العثمانية.

وفي الباب الذي خصصاه للقضاء، من كتابهما: المجتمع الإسلامي والغرب، وهو كله عن الدولة العثمانية وتنظيماتها وأجهزتها السياسية والإدارية، في الولايات التابعة لها، يقول المستشرقان هاملتون جب وهارولد بوين، إن:

"قيام واستمرار القانون الديني الإسلامي، أو الشريعة، كان أحد المبادئ التي توجه السلطنة العثمانية ... وقد تمخض حلول الهيئة العثمانية محل حكم المماليك عن نتائج مباشرة ومفيدة، فقد مُنح موظفو الشريعة والمحاكم الشرعية من جديد سلطات فعالة، يحدها القانون بطبيعة الحال، تستند إلى الدولة وسلطتها"[٢].

وكان على رأس الجهاز القضائي في الدولة العثمانية شيخ الإسلام وقاضي عسكر الأناضول وقاضي عسكر الروملي، ويلي هؤلاء الملالي أو القضاة العظام، وهم قاضي الأستانة وقضاة عواصم الولايات والمدن المقدسة، مثل أدرنة وبورصة والقاهرة ودمشق وحلب ومكة والمدينة والقدس، وكان اللقب المحلي لكل منهم أنه قاضي عسكر مدينته، وبعدهم يأتي الملالي أو القضاة، وهم درجتان، الأولى هم قضاة بغداد وديار بكر، والثانية هم القضاة في بقية الولايات، وينقسمون إلى ثلاث فئات، قضاة الديار الأوروبية، والديار الآسيوية، والديار المصرية، وكان

---

[١]) إبراهيم باشا في سوريا، ص١٣٣.

[٢]) المؤرخان هاملتون جب وهارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ص٢٣٤، ترجمة دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

قاضي عسكر الأناضول يعين قضاة الديار الآسيوية والمصرية، وقاضي عسكر الروملّلي يعين قضاة الديار الأوروبية، وكل قاض بعد تعيينه يعين نوابه، على أن يقدم شهادات بمؤهلاتهم العلمية والفقهية، لكي تقر الأستانة تعيينهم.

وكان مذهب أبي حنيفة هو مذهب الدولة الرسمي، والقضاة الذين يعينهم شيخ الإسلام وقاضي الأناضول والروملّلي في الديار المختلفة من الأحناف، ولكن:

"**حيثما كانت نسبة كبيرة من السكان المحليين تتبع أحد المذاهب الأربعة، كما هو الحال بوجه عام في مصر وسوريا، يبدو أن السلطات المحلية كانت تُخوَّل الاعتراف بأحد كبار الفقهاء من كل مذهب باعتباره قاضياً لأتباع مذهبه**"[•][١].

ويقول المؤرخ وأستاذ التاريخ دكتور عبد العزيز محمد عوض، في كتابه: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا:

"**ولما كانت الدولة العثمانية قد أخذت بنظام الشرع الإسلامي منذ نشأتها، فقد هيمن تطبيق الشرع على جميع إداراتها**"[١].

•) في حوادث سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م يروي الجبرتي واقعة شديدة الطرافة، تدلك على موقع الفقهاء والعلماء من السلطة والمجتمع، وتعرفك بقدرهم في دولة المماليك والدولة العثمانية، فبعد وفاة الشيخ الدمنهوري، عين إبراهيم بيك، شيخ البلد وحاكم مصر باسم الدولة العثمانية، الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي شيخاً للأزهر، فاجتمع فقهاء الشافعية ومشايخها، وذهبوا إلى إبراهيم بيك، يعترضون على ذلك، لأن العرف الساري أن المشيخة للشافعية، فقال لهم إبراهيم بيك متعجباً: "لأي شيء أن الحنفية لا يتقدمون في المشيخة على الشافعية، الحنفية ليسوا مسلمين؟!، ومذهب النعمان أقدم المذاهب، والأمراء حنفية، والقاضي حنفي، والوزير حنفي، والسلطان حنفي"، ورغم ذلك ثار الفقهاء والمشايخ على إبراهيم بيك وقال له الشيخ محمد الجوهري: "البلد بلد الإمام الشافعي"، وانتهت المواجهة بنزول إبراهيم بيك على إرادة أهل الحل والعقد من العلماء والمشايخ، وعين من اختاروه، وهو الشيخ العروسي الشافعي. (عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج٢، ص٧٥-٧٦). ونحسبك لا تحتاج إلى أن ننبهك إلى مقارنة أهل الحل والعقد الحقيقيين ومنزلتهم في الدولة وقوتهم فيها، وموقفها منهم، ببلاليص ستان وطبقات الموظفين وحفظة الأكلشيهات ومشايخ البلاط الذين يتمددون بين خليجها السائم ومحيطها الهائم.

١) المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ص٢٣٨.

ولأن الإسلام وشريعته كان مصدر شرعية حكم الدولة العثمانية لشعوب الإسلام، ومرجعية قوانينها وأنظمتها القضائية، كما يقول جب وبوين:

"القضاة في النظام العثماني لم يضطلعوا فقط بالقيام بالمهام القضائية، بل بدرجة من الإشراف العام على سير الإدارة، ومن هنا كان يُطلب من قضاة المدن الساحلية في مصر أن يشرفوا على أعمال إدارة الجمارك، وأن يراجعوا الجمارك في تقديمها للباشا، وفي المنازعات المتعددة بين الفئات المتضاربة كان يُطلب منهم أن يقوموا بدور الوساطة، وأحياناً ما كانوا يُخَولون عزل أحد الباشوات، وفي حالة عدم وجود حاكم معين تعييناً معترفاً به، كان بإمكانهم أن يتولوا حكومة مدينة او مقاطعة"[٢].

وفي الشام خصوصاً:

"تمتع قاضي دمشق في القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر بنفوذ كبير، فأشرف على عمل دفتردار الولاية وصادق على حساباته، وتدخل لرفع مظالم الجند، وراقب الأسعار، وأمَّن المواد الغذائية، واعتُبر مسؤولاً عن مكافحة الغلاء، إلى جانب الفصل في الدعاوى، وبصفة عامة فقد تمتع القاضي في ظل النظام العثماني بالإشراف العام على حسن سير الإدارة في الولاية ... كما مارس قاضي دمشق صلاحية تعيين نوابه في الولايات ... وراقب القاضي نوابه بواسطة مفتش اختاره كي يطوف بالمحاكم ويتجسس عليها"[٣] ... ولم تكن المحاكم الشرعية وقفاً على المسلمين فقط، بل كان المسيحيون يجرون مبايعاتهم فيها، فكان يُشترط على المسيحي أن يحضر إشعاراً "علم وخبر" من بطريركيته "بطريقخانة" بأنه من رعايا الدولة، ثم يُختم هذا الإشعار من البطريرك أو وكيله" ... "وكان لصاحب

---

١) دكتور عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤م-١٩١٤م، ص١١٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢) المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ص٢٤٢-٢٤٣.

٣) الإدارة العثمانية في ولاية سوريا، ص١١٢-١١٦.

الدعوى حق اختيار المحكمة التي تتراءى له والقاضي الذي يرتاح إليه، ووُجد حق الاستئناف أمام قضاة المدن الرئيسية"[1].

وكما كان الإسلام وشريعته مصدر شرعية دولة المماليك والدولة العثمانية، وينبوع قوانينها، ومرجعية جهازها القضائي والموجه الرئيسي له، كان الغاء شريعة الإسلام وإذابتها، بل وإخراج الاسلام نفسه، عقائده وشرائعه، من أنسجة المجتمع، وإزالة آثاره وآثارها، والإزراء بالمسلمين، وتمكين الأقليات، هو بوصلة أول الآتين من الخلف وابنه في الشام، كما كانت من قبلُ في مصر، وهو الهدف الذي كان يحكم سياساته وقوانينه وما أقامه من أجهزة إدارية وقضائية، ليكون ذلك من أدواته في تغيير هوية الشام وفصلها عن الدولة العثمانية، وإزالة نفوذ الدولة العثمانية وشرعيتها المستمدة من الحكم بالشريعة من نفوس أهل الشام، ثم ليكون تمهيداً لفتحها وفتح نفوس أهلها أمام الإمبراطوريات الماسونية ويهودها.

ولأنه يعلم أن قضاة الشرع لن يكونوا معه، وهم يرونه يهدم بسياساته الإسلام ويمحو شرائعه ويوالي أعداءه، فقد أصدر أمراً لابنه إبراهيم باشا، في ١٩ ربيع الأول ١٢٥٥هـ/١ يوليو ١٨٣٩م:

"من المعية السنية إلى إبراهيم باشا، بوجوب مراقبة قضاة الشرع في حلب والشام والقدس لتأمين شرهم"[2].

وفي دراسته عن إدارة الشام في عهد أول الآتين من الخلف وابنه، يقول دكتور أسد جبرائيل رستم، مؤرخ الكرسي الأنطاكي وأستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، التي هي في الأصل الكلية السورية الإنجيلية التي أنشاتها الإرسالية البروتستانتية الأمريكية:

"وأبقى اتفاق كوتاهية تعيين قضاة الشرع في الشام بيد السلطان، فخشي العزيز (أول الآتين من الخلف) عدول هؤلاء عنه وانحيازهم إلى جانب السلطان، وأثر ذلك في أحكامهم،

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٨٧.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد٤، ص١٠١.

فأوصى بمراقبتهم مراقبة خفية شديدة، وأمر بوجوب عرض أحكامهم على كبار رجال الإدارة قبل تنفيذها، ثم لمس عجزهم عن النظر في بعض الدعاوى الحقوقية التجارية، فسمح لمجالس المشورة أن تبت فيها حرة طلقة، ولم يتردد العزيز عن التدخل عند الحاجة في فهم الشرع الشريف وتطبيقه"[1].

فهل تنبهت أن مؤرخ الكنيسة الأنطاكية وربيب الإرسالية البروتستانتية، لأن ما فعله أول الآتين من الخلف في الشام يوافق هواه وصعد بطائفته، يخبرك أن قضاة الشرع الذين كانوا، كما أخبرك المستشرقان هاملتون جب وهارولد بوين ودكتور عبد العزيز عوض، خبراء في التجارة وأعمال الجمارك، ويراقبون الأسواق ويضبطون الأسعار، بل ويقومون بأعمال السلطة إذا خلت، هل تنبهت أن مؤرخ الكنيسة الأنطاكية يبرر لك علمنة أول الآتين من الخلف للقضاء بأن قضاة الشرع عجزوا عن النظر في بعض الدعاوى التجارية، وقد كانوا يفعلون ذلك لمئات السنين قبل أن تقذف حارة اليهود اليونانية مصر والشام بأول الآتين من الخلف؟

ثم هل تنبهت أن مؤرخ الكنيسة الأنطاكية، يخبرك في وقاحة أن أول الآتين من الخلف كان يتدخل في فهم الشرع الشريف ويبين لقضاة الشرع كيف يكون تطبيقه، وهو لا يعرف العربية ولا يتكلمها، ولا يعرف القرآن ولم يمسك كتاباً، لا في الفقه والشريعة ولا في غيرها!!

وإليك ما هو أنكى من وقاحة مؤرخ الكرسي الأنطاكي وتزويره، فهاك إحدى أغاني المؤرخة الأمية وأستاذة التاريخ، لطيفة سالم، في وصف نظام القضاء الذي أنشأه أول الآتين من الخلف، ليكون بديل القضاء الشرعي:

"**وجاء الحكم المصري صاحب أول تجربة لتحديث القضاء في المنطقة بأسرها، ليحمل معه عوامل الرقي والتقدم وإقصاء القديم بكل مساوئه، ووضع قواعد النظام القضائي الحديث ... وكان أهم ما أقدم عليه التدخل في أمور المحاكم القائمة، وذلك بعدم السماح بالنظر في القضية المدنية إلا بعد عرض مذكرتها على الحاكم الذي عليه أن يصدر الإذن للقاضي بالحكم فيها بعد دراستها وكتابة ملخص لموضوعها وعن أحكام القضاة(!!)، فمهما كانت طبيعتها**

---

١) إدارة الشام، روحها وهيكلها وأثرها، ضمن كتاب: ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، ص١١١.

تُعرض مع أوراقها على الحاكم قبل التنفيذ، وله الحق في أن يُقرها أو يعدل عنها، وبذلك أخضع القضاة للسلطة الإدارية، وأصبحوا مراقبين في أحكامهم قلقين على مراكزهم، بعد أن سُلب منهم ما كانوا يتمتعون به من امتيازات ... وبذلك يتبين نوعية العلاقة التي ربطت بين الطرفين، فبعد أن كان القاضي مسيطراً على الشؤون القضائية وغيرها، أصبح موظفاً لدى الدولة، وانحصرت اختصاصاته وحُددت"[١].

فالمؤرخة الأمية، لأن هواها هي الأخرى مع أول الآتين من الخلف، وتكَوَّن وعيها داخل الدولة العميلة للإمبراطوريات الماسونية التي وضع قواعدها، تخبرك، كما ترى، أن وضع القضاء تحت رقابة السلطة الإدارية، وأن يتحول القاضي إلى موظف يصدر أحكامه طبقاً لما يأتيه من أوامر، وألا يصدر حكماً في قضية إلا بعد أن يعرضه على المسؤولين الإداريين الموظفين من قبل السلطة ويوافقوا عليه، تخبرك المؤرخة الأمية أن هذا هو التحديث والرقي والتقدم، وأن حرية القاضي في إصدار ما يراه من أحكام طبقاً لما ما بين يديه من أدلة وشهادات، ودون أن يتأثر بأهواء السلطة، هو القديم ومساوئه!

وإليك بقية أغنية المؤرخة الأمية:

"ووفقاً للسياسة التي سعى من أجل تحقيقها بإدخال المدنية والمرونة من ناحية، وخدمة أهداف الحكومة الجديدة من ناحية أخرى، كان لابد من أن يخلق بجوار النظام القضائي التقليدي الذي تمثل في المحاكم الشرعية، سلطة قضائية أخرى، وتمثلت في ذلك الاختصاص الذي مُنح لمجالس الشورى بالمدن الشامية، والتي بدئ في تأسيسها بمجلس شورى دمشق، فوكل إلى أعضائه البرنامج القضائي ليسيروا على هديه ويطبقوه على الأهالي، "وأن تسمعوا دعاوى الناس جميعاً، فالدعوى الشرعية تحولوها إلى الشرع الشريف المطهر، والدعوى السياسية تنظروها برأيكم، حيث كل منكم يرى رأيه ويتكلم به جهرة لدى أرباب المجلس، والذي يتفق الرأي عليه أنه هو الصواب يحكم به ويقدم تقريره لمتسلمنا كي ينفذه ويمضيه"، وعلى هذا أصبح مجلس شورى دمشق بمثابة محكمة عليا ترفع إليها القضايا، ووفقاً لنوعيتها يتم

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٨٨، ٩١.

النظر فيها، وأُعطي للمجالس الحق في أن تُستأنف أمامها أحكام المحاكم الشرعية، وذلك لتتحكم السلطة التنفيذية عن هذا الطريق فيها، وعليه أصبح مجلس الشورى ينظر في جميع الدعاوى المدنية، واستحوذت القضايا التجارية بأنواعها، كالتموين والتسعيرة وتوريدات الجيش وتحديد أثمانها، واختص أيضاً بمسائل الالتزام والعقود مع الحكومة وما يتعلق بالميري، وكذلك نظر المجلس القضايا الخاصة بالأعمال الأوروبية، فسهل الأمر بعد أن كانت تُعرقل من ديوان لآخر، وأحكام مجالس شورى المدن الصغيرة، مثل كليس وعنتاب وأنطاكية، تراجع أمام مجلس شورى حلب، ومَثَّل مجلسا شورى دمشق وعكا درجة استئناف لباقي المجالس، وأحكام مجالس شورى المدن الكبرى تعرض على شريف باشا الذي له الحق في الحفظ والتعديل، وهناك حق استئناف القضايا أمام إبراهيم باشا، وخاصة قضايا حلب، إذ كانت له يد مباشرة للإشراف على المدينة، وأخيراً فهناك استئناف أمام محمد علي"[1].

ومرة أخرى، المؤرخة الأمية تخبرك في أغنيتها أن نقل اختصاصات القضاء وإصدار الأحكام وتنفيذ القانون، إلى الموظفين الذين تعينهم السلطة التنفيذية في مجالس المشورة وتصدر لهم الأوامر والتعليمات، وتسلط هؤلاء على القضاة، وتحكمهم في أحكامهم، هو المدنية والمرونة!

والمؤرخة الأمية، التي هي في غيبوبة، ولا تدرك معنى ما تقوله، وأن بعضه ينقض بعضاً، مثل كل الأميين، تخبرك أن مجالس الشورى، كانت تحيل الدعاوى الشرعية إلى المحاكم الشرعية، ثم تخبرك في الوقت نفسه أن أول الآتين من الخلف نزع من المحاكم الشرعية وأحال إلى هذه المجالس وموظفيها الذين يقوم هو بتعيينهم، قضايا السياسة، والتجارة والأموال، والالتزام والعقود، وقضايا المعاملات التي يكون الأوربيون أو غير المسلمين طرفاً فيها، كما يخبرك صريحاً المؤرخ الروسي، وقنصل روسيا في يافا، إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام، قسطنطين بازيلي:

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٩١-٩٢.

" أُمـرت السـلطات المدنيـة بـأن تتجنـب قـدر الإمكـان حـل القضـايا المتنـازع عليهـا بـين المسيحيين والمسلمين فى المحكمـة الدينية/الشرعية، وتراعى العدل إزاء المـواطنين بـلا تمييـز بين الأديان"[1].

فلا تعرف، بعد نزع هذه الاختصاصات كلها، ما الذي بقي من أنواع القضايا لكي يكون من الدعاوى الشرعية ويُحال إلى المحاكم الشرعية، ثم بعد ذلك تخبرك المؤرخة الأمية أنه إذا كان قد بقي شيء من اختصاص المحاكم الشرعية، فقد صار لمجالس الشورى وموظفيها حق استئناف ما تصدره المحاكم الشرعية بخصوصه ونقضه؟!

ثم هل لاحظت أن المؤرخة الأمية تخبرك أن الجهاز القضائي الذي أحله أول الآتين من الخلف محل المحاكم الشرعية وقضاتها، كان يتكون من موظفي مجالس شورى المدن الذين يعينهم، وهم مثل موظفي البلديات أو المحافظات في زمانك، ثم هل لاحظت أكثر أن أول الآتين من الخلف هو نفسه القاضي الأعلى ورأس جهاز القضاء، وتحته مباشرة ابنه إبراهيم باشا، وصهره شريف باشا، وجميعهم لا يفقهون شيئاً لا في الفقه والشريعة ولا في القانون وأعمال القضاء؟!

وما نريد أن ننبهك إليه حقاً في ما قالته المؤرخة الأمية، هو أنها من حيث لا تدري عرَّفتك بحقيقة الدولة التي أنشأها أول الآتين من الخلف، وبتوازناتها وملامحها التي ورثتها دول بلاليص ستان كلها، وصارت سمتها وصبغتها.

فالدولة التي أنشأها أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، وكل ما تلاها من دول بلاليص ستان إلى يومك هذا وزمان ثالث الآتين من الخلف، ليست دولة الإسلام والشريعة وأهل الحل والعقد، التي تقيد الحاكم وتنصف الناس منه ولا يمكنه أن يخرج عليها، ولا هي الدولة الغربية القانونية الدستورية التي يتقيد فيها الحاكم بالقوانين التي يناقشها الجميع علناً وترتضيها الأغلبية، وتراقبه في تنفيذها وتحاسبه إذا خرج عليها المجالس التي ينتخبها عموم الناس، فلا هي هذه، ولا هي تلك، بل هي الدولة التي يكون الحاكم فيها إله لا يقيده أي شيء، لا شريعة

---

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦٣.

وأهل حل وعقد، ولا قانون ومجالس تمثل الناس، فهو الذي يضع القوانين ويأتي بمن يفصلها على مقاساته وأهوائه، ومجالس الشورى والبرلمانات هو الذي يضع من فيها لكي يؤلفوا الأغاني في حكمته، ويصدروا ما يشير لهم إليه في غلاف أن الشعب هو الذي يريده، والجهاز القضائي ألعوبة في يده، والقضاة موظفون هو الذي يعينهم، ولا يصدرون من الأحكام ولا ينفذون من القوانين، حتى التي فصلوها بأمره، إلا ما يسمح لهم به ويتوافق مع رغباته، ثم يسخر دولته وقوانينه وكل ما فيها لاستكمال إزاحة الإسلام، والارتماء في أحضان الإمبراطوريات الماسونية، وموالاتها في المشروع اليهودي.

التبشير والمبشرون:

حين تصل إلى باب: بريطانيا في القدس، ستعلم تفصيلاً أن التبشير البريطاني البروتستانتي في القدس، لم يكن سوى غلاف لتمرير اليهود إلى القدس، وأن اليهود والمتهودين في بريطانيا كانوا خلف إنشاء أول أسقفية وكنيسة بروتستانتية في القدس والشام، وفي الشرق كله، وأن أول أسقف بروتستانتي في القدس والشرق كان حاخاماً يهودياً!

أما هنا فنأتيك بنبذة عن فتح أول الآتين من الخلف وابنه أبواب الشام للمبشرين وإرسالياتهم، وغض أنظارهم عما يفعلونه، ليكونوا من أدواتهم في تغيير هوية الشام وفصلها عن الإسلام وبلاده.

في كتابه: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، الذي كتبه بالإنجليزية، وترجمه دكتور ناصر الدين الأسد، ودكتور إحسان عباس، يقول المؤرخ اللبناني جورج أنطونيوس، عن التبشير الكاثوليكي في الشام قبل أن يستولي عليها أول الآتين من الخلف:

"يرجع وجود البعثات التبشيرية الاجنبية في بلاد الشام إلى مطلع القرن السابع عشر، ولكن مجال جهودها كان محدوداً، يقتصر على إنشاء عدد قليل من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة، ونشر كتب العبادات، وكانت هذه البعثات كلها كاثوليكية، ومعظمها فرنسية، وتنتسب إلى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين، وكان من العسير عليها بحكم التعصب الشديد الذي كان يسود ذلك العصر أن تعمل خارج نطاقها، ولذلك اضطرت إلى أن تحصر

معظم جهودها في رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات، وتعود صلتهم بالشام إلى سنة ١٦٢٥م، واستطاعوا بثباتهم ومثابرتهم أن يحافظوا على كيانهم، إلى أن عُطلت جمعيتهم في سنة ١٧٧٣م، فتشتتوا وأغلقوا أكثر مؤسساتهم، وسلموا الباقي للبعثات اللعازرية لتديرها، ولم يستأنفوا عملهم إلا في سنة ١٨٣١م، وكان من الأسباب التي أوجبت عودتهم أن البعثات التبشيرية الأمريكية وصلت بلاد الشام، وأخذت تحول أفراداً من الطوائف الكاثوليكية إلى المذهب البروتستانتي"[١].

وفي كتابه: التنصير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤م-١٩١٤م، وهو أطروحته التي حصل بها على الدكتوراة في التاريخ من جامعة عين شمس، يقول أستاذ التاريخ دكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى:

"وقفت الدولة العثمانية موقفاً شديداً إزاء الإرساليات الكاثوليكية، الهادفة لتحويل رعاياها الأرثوذكس إلى الكاثوليكية، ذلك أن الدولة كانت في قوتها، ولا تجسر تلك الإرساليات على العمل في وسط المسلمين بالصورة التي حدثت بعد ذلك، وفي سنة ١٨١٨م صدر أمر شريف همايوني لوالي حلب بوقف نشاط الرهبان الأوروبيين الذين يفعلون ذلك، ونص الفرمان على أن: "الذين يتبعون دين الإفرنج من رعايا طايفة الروم يرتدون إلى رتبتهم القديمة، وأن يحصل التنبيه المحكم بهذا الخصوص، والذين يتحركون خلافه، ما لهم يؤخذ لجانب الميري، وهم ينفوا ويتباعدوا إلى ديار أخرى"[٢].

وأما عن التبشير البروتستانتي قبل أول الآتين من الخلف، فيقول جورج انطونيوس:

"وكان أتباع الكنيسة المشيخية (البريسبتيريون) أول من وصل من الأمريكان، في سنة ١٨٢٠م، فنزلوا في بيروت وأسسوا فيها أول مركز لهم، وبقي هذا المركز أهم مراكزهم، وقد

---

١) المؤرخ جورج أنطونيوس: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ص٩٧-٩٨، ترجمة: دكتور ناصر الدين الأسد، ودكتور إحسان عباس، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٩٨٧م.

٢) دكتور عبد الرازق عبد الرازق عيسى: التنصير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤م-١٩١٤م، ص٢٦٧-٢٦٨، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٥م.

واجهتهم جميع العقبات التي اعترضت سبيل الجمعيات الكاثوليكية التي سبقتهم، وفضلاً عن ذلك واجهتهم عقبة جديدة انفردوا بها دون غيرهم، وذلك أنه لم تكن في بلاد الشام طائفة بروتستانتية، فكانت وسيلتهم الوحيدة لجمع الأتباع هي تحويل الأفراد من الطوائف الأخرى، وقد بلغت العوائق التي اعترضت طريق البعثات التبشيرية الأجنبية قبل الفتح المصري لبلاد الشام، مبلغاً إن لم يعطل جهودها تعطيلاً كاملاً، فقد حصرها في أضيق نطاق، فقد اضطر الأمريكان منذ وصولهم أن يحصروا أنفسهم في داخل بيروت، وكانت آنئذ مدينة مسورة لا يتجاوز عدد سكانها ٩٠٠٠ شخص"[1].

واستولى أول الآتين من الخلف وابنه على الشام، ليفتحوها للمبشرين، ويزيلوا العقبات من طريقهم، لكي يزعزعوا عقائد المسلمين، ويكونوا من وسائلهم في تغيير هوية الشام، وإزالة الإسلام من أنسجتها، وإزاحة العوائق والحواجز التي في نفوس أهلها من أمام ما يريده.

يقول جورج أنطونيوس:

"**فلما جاء إبراهيم، وأحدثت سياساته في الحكم كثيراً من التغييرات، فُتح المجال بذلك أمام البعثات التبشيرية الأجنبية، فتقاطر المبشرون على بيروت، ومنها انطلقوا إلى جميع أنحاء الشام، وكانت سنة ١٨٣٤م سنة تحول، ففيها عاد اليسوعيون، ووصل وافدون جدد من الأمريكان لينضموا إلى الفئة القليلة التي سبقتهم، وبدأ التنافس على النفوذ والغلبة بين الكاثوليك والبريسبتيريين، حدثت في تلك السنة، ١٨٣٤م، أربع حوادث تستحق منا عناية خاصة، كانت الأولى: إعادة الآباء اللعازريين افتتاح كليتهم الخاصة بالذكور في عين طورة (عنطورة)، والثانية: نقل مطبعة البعثة التبشيرية الأمريكية من مالطة إلى بيروت، والثالثة: قيام المبشر الأمريكي إيلي سميث وزوجته بتأسيس مدرسة للإناث في بيروت في بناء خاص بها، والرابعة: ما قام به إبراهيم باشا من تطبيق برنامج واسع للتعليم الابتدائي للذكور على نمط النظام الذي أقره أبوه في مصر ... وكان لجهود المبشرين الأمريكان أينع الثمرات بفضل ما كان يوجهها من أفكار، وما كان يدفعها من حماسة، وكان المبشرون جادين في افتتاح**

---

١) يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ص٩٨-٩٩.

المدارس في أنحاء متعددة من الشام، وكانت أولى منشآتهم في بيروت والقدس وجبل لبنان"[1].

ولكي لا تُضللك أغاني الأميين عن التسامح والمساواة، تنبه أن إبراهيم باشا فتح الشام للمبشرين وأطلقهم يفعلون ما يشاؤون، في الوقت الذي كان فيه ينكل بالعلماء والمشايخ ويضع الجواسيس على قضاة الشريعة، ويحول المساجد إلى ثكنات لعساكره واصطبلات لخيوله.

وأما برنامج التعليم الواسع الذي وضعه على غرار النظام الذي أنشأه أبوه، فعد إلى الجزء الأول من هذا الكتاب: أول الآتين من الخلف، لتعلم حقيقة هذا النظام، وأن هدفه منه، كما كتب هو نفسه إلى الأب إنفتان قائد السان سيمونيين، هو إزالة الإسلام وتغيير ديانة المصريين.

فإليك الدكتور عباد الرازق عيسى في رسالته للدكتوراة، يخبرك بما حجبه جورج أنطونيوس، وهو ما الذي كانت تفعله الإرساليات التبشيرية وتسعى إليه، وأنها كانت أحد وسائل قناصل الدول الأوروبية في ترسيخ نفوذهم في الشام، وضرب الدولة العثمانية، وعلمنة الشام بالأفكار القومية لإزاحة الإسلام، وهي الأهداف التي التقت فيها الإمبراطوريات الماسونية مع أول الآتين من الخلف وابنه، ومن أجل ذلك فتح لهم الشام وأباحها لهم:

"**استخدمت الإرساليات الأمريكية كافة الوسائل الفكرية في نشر الفكر العلماني والقومي، بغية التوصل لهدفها الأساسي، وهو القضاء على الدولة العثمانية ... الحكم المصري للشام هو الذي أفسح المجال للإرساليات التبشيرية عموماً بعد الاتجاه نحو الإدارة العلمانية، وعمل محمد علي على كسب ود الدول الأجنبية في نزاعه مع السلطان العثماني، وسعيه لبسط نفوذه على الشام، من هنا لجأ إلى منح التسهيلات لهذه الدول، وهو ما سهل لها التغلغل في كافة مناحي الحياة في بلاد الشام، وسمح لهم بفتح القنصليات داخل البلاد، وأيضاً بتوسيع**

---

١) يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ص٩٩-١٠٠، ١٠٥.

نشاطاتها التعليمية والثقافية والاقتصادية ... شجع القناصل النشاط التبشيري للإرساليات التابعة لبلادهم، كما فعل قنصل أمريكا بمحاولته بناء كنيسة على أنها منزل"[1].

ونذكرك بما نبهناك إليه عند الكلام على علمنة القضاء، وهو أن العلمانية التي بذر أول الآتين من الخلف وابنه بذورها في مصر والشام، ثم ورثتها دول بلاليص ستان، وصارت إحدى سمات في كل عصورها، ليست العلمانية الغربية، التي تكون فيها الدولة وأجهزتها على مسافة واحدة من جميع الديانات، بل العلمانية التي تحمي فيها الدولة الأقليات والطوائف غير المسلمة وتطلقهم يفعلون ما يشاؤون، بل ويصيرون مراكز قوى تنحسر عندهم سلطة الدولة، وتكون إرادتهم فوق إرادتها، وفي الوقت نفسه تقيد الدولة المسلمين وتكمم علماءهم ومشايخهم وتحصي عليهم كلماتهم، وتتسلط على مساجدهم وتضع مقاليدها في قبضة أجهزة أمنها، وإذا تعلقت مسألة بأقلية أو طائفة غير مسلمة أدارت الدولة أغنية التسامح والمساواة، وإذا تعلقت بالإسلام والمسلمين رفعت راية القوانين الحازمة وهيبة الدولة.

فإليك هذا النموذج الفج على العلمانية المزورة، والازدواجية في تطبيقها بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى، وهو النموذج الذي ما زال سارياً إلى زمانك هذا، وتراه في بلاليص ستان من حين لآخر:

"وقفت الإدارة المصرية موقفاً سلبياً تجاه من يرتد عن الدين الإسلامي، مما شجع المبشرين على العمل في هذا الجو، فبالرغم من توسلات علماء المسلمين في الشام لمعاقبة المرتدين لم تحرك الإدارة المصرية ساكناً، ولم يقف الأمر عند هذه الحالة، بل امتد لأكثر من ذلك، فعندما أرادت فتاة مسيحية أن تعتنق الإسلام وذهبت أمام القاضي وأعلنت إسلامها، تدخل القناصل لمنع ذلك بحجة أنها صغيرة، وأنها أُجبرت على الإسلام، مما أدى للتأثير على الفتاة وإنكارها الإسلام"[2].

---

١) التنصير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤م-١٩١٤م،، ص٢٦١، ٢٩٨، ٣٠٢.

٢) التنصير الأمريكي في بلاد الشام ١٨٣٤م-١٩١٤م،، ص٣٠٤-٣٠٥.

وكما ترى، أغاني حرية التعبير والاعتقاد لا تظهر إلا عند ارتداد المسلمين ودخولهم في أي ملة أخرى، أو عند هجوم أي أحد على الإسلام وعقائده وتاريخه ورموزه، فإذا حدث العكس ودخل غير المسلمين في الإسلام، أو انتقد المسلمون عقائد أي طائفة أو تعاليمها اختفت حرية التعبير والاعتقاد وظهرت القوانين!

ثم هل تذكرك قصة الفتاة التي أسلمت ثم أُجبرت على إنكار إسلامها، بقصص شبيهة في بلاليص ستان في القرن الحادي والعشرين، وبأسماء بطلاتها، مثل وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة وأخواتهن.



نحو تهويد القدس

من مدينة الإسلام إلى مدينة الديانات:

في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧م، أصدرت الجمعية العامة في منظمة الأمم المتحدة الماسونية القرار رقم: ١٨١، الذي يقضي بإنهاء انتداب بريطانيا على فلسطين، ويقسمها إلى دولتين، إحداهما عربية، ومساحتها ٤٢,٣% من أرض فلسطين، والأخرى يهودية، ومساحتها ٥٧,٧%.

أما القدس، فقد خصها القرار الذي تبنته الإمبراطوريات الماسونية، وضغطت عند التصويت على الدول الصغيرة لكي يحصل على الأغلبية المطلوبة لإقراره، ورفضته جميع الدول العربية والإسلامية، أما القدس فقد خصها القرار بوضع خاص، فهاك هو نصاً:

"يُجعل لمدينة القدس كيان منفصل(Corpus Sepratum)، خاضع لنظام دولي خاص، وتتولى الأمم المتحدة إدارتها، ويُعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية، نيابة عن الأمم المتحدة ... على السلطة الإدارية أن تتبع في أثناء قيامها بالتزاماتها الإدارية الأهداف الخاصة التالية: أ- حماية المصالح الروحية والدينية الفريدة الواقعة ضمن مدينة الديانات التوحيدية الكبيرة الثلاث المنتشرة في أنحاء العالم، المسيحية واليهودية والإسلام، وصيانتها، والعمل لهذه الغاية بحيث يسود النظام والسلام، السلام الديني خاصة، مدينة القدس"[1].

والأميون من المؤرخين والساسة وأساتذة العلوم السياسية في بلاليص ستان، ومعهم كتاب الوزارة المقرر، منذ صدور قرار التقسيم وحتى يومك هذا، يصفون الوضع الخاص بالقدس الذي نص عليه قرار التقسيم بأنه تدويل للقدس، فإذا تأملت الفقرات الخاصة بالقدس في القرار، فستلتمس لنا العذر في وصفنا لهؤلاء الأميين بأنهم بقر.

---

١) وزارة الارشاد القومى، الهيئة العامة للاستعلامات: ملفات وثائق فلسطين، الجزء الأول، ص٩٠٨-٩٠٩، ، القاهرة، ١٩٦٩م.

فالقدس لم تكن جِرماً معلقاً في الفضاء الخارجي، ولا هي جزيرة في قلب المحيطات غير مأهولة بالسكان والأمم المتحدة اكتشفتها، بل كانت ولألف سنة وبضع مئات من السنين مدينة مقدسة إسلامية، وفي حوزة المسلمين، وهم جُل أهلها، فإذا لم تكن مثل هؤلاء البقر وكان ذلك في ذهنك وأنت تقرأ قرار التقسيم، فلن تكون في حاجة إلى معاناة فكرية ولا كبير ذكاء، لتدرك أن القرار في حقيقته يحول القدس من مدينة مسلمة إلى مدينة للديانات جميعها، ويجعل الإسلام آخر الديانات صلة بها، بعد المسيحية واليهودية، وأنه يُخرجها من سلطة المسلمين إلى سلطة الإمبراطوريات الماسونية المتغلغة بالنظام الدولي، وهي من أنشاته وتهيمن عليه.

فما يسميه الأميون في بلاليص ستان تدويلاً، كان في حقيقته محواً لهوية القدس الإسلامية، وانتزاعاً لها من أيدي المسلمين، إلى أيدي وسطاء اليهود، لتكون هذه خطوة في طريق تسليمها لليهود أنفسهم وتهويدها.

وقد تسأل: وما تفسير هذه الخطوة الوسيطة، ولماذا لم تسلم الأمم المتحدة والإمبراطوريات الماسونية القدس لليهود صراحة، بل ولماذا لم يستول اليهود إبان حرب ١٩٤٨م على القدس الشرقية والمسجد الأقصى، وهو عندهم محل الهيكل، بيت اليهود المقدس، ومحور عقائدهم وحركتهم، وبوصلة كفاحهم عبر التاريخ؟

والإجابة، لأن الاستيلاء على القدس والمسجد الأقصى مسألة عسكرية، يحكمها حيازة القوة العسكرية الكافية، ليس فقط للاستيلاء عليهما، بل وأيضاً لإخضاع شعوب العرب والإسلام جميعاً، لأن هذه الخطوة العقائدية الصريحة سوف تستنفرهم من المحيط إلى المحيط،، وهو ما يخبرك به الأب الروحي لدولة اليهود ومؤسس جيش الدفاع اليهودي وأول رئيس وزراء لإسرائيل، ديفيد بن جوريون.

في يوم ٢٤ يونيو ١٩٤٨م، دار نقاش صاخب في مجلس الشعب اليهودي المؤقت/الكنيست لاحقاً، بخصوص أورشليم/القدس، وما يمكن الاستيلاء عليه منها، وكان رد بن جوريون على من انتقدوا ترحيله لمسألة القدس:

"ليس صحيحاً أن القدس قد غُبنت، إن رفاقنا لا يقدرون أن مسألة القدس في أساسها ليست مسألة ترتيبات، ولا حتى مسألة سياسية، بل في المقام الأول مسألة قدرة عسكرية ... المطلوب محيط زراعي يهودي وطريق إلى القدس تنتشر على جانبيه المستوطنات اليهودية، إننا نعاقب الآن على هذه الخطيئة، وبأيدي جيشنا، وبأيدي جيشنا فقط، إصلاح هذا الاعوجاج"[1].

وأما السؤال الذي نسمعك تهمس به: وما مناسبة هذا الكلام الآن، وما علاقة أول الآتين من الخلف به، فلكي نخبرك أن ما رأيته مِن تغييب الأمم المتحدة الماسونية لهوية القدس المسلمة، ونزعها من سلطة المسلمين، في غلاف التسامح والسلام وأنها مدينة الديانات، ليكون ذلك تجهيزاً لها وخطوة في طريق استيلاء اليهود عليها وتهويدها، قد سبقها إليه، ولا فخر، أول الآتين من الخلف وابنه.

في ١٠ رجب ١٢٤٧هـ/١٣ ديسمبر ١٨٣١م، وبعد أن شرع إبراهيم باشا في حصار عكا، وقبل أن يستولي عليها، أرسل من معسكره حامية من الخيالة في جيشه للاستيلاء على القدس، وأرسل معها بيورالدي أو منشوراً بأوامر ووجهه إلى: "**مُلا أفندي القدس الشريف/قاضي القدس، ومفتي الإسلام، ونقيب الأشراف، وخدام المسجد الأقصى، وكافة العلما والخطبا والوجوه**"، وقد نشره كاملاً دكتور أسد جبرائيل رستم في المجلد الأول من كتابه: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، فهاك نصه:

"ليس خافيكم أن القدس الشريف محتوي على معابد وأديرة ترد لأجل زيارتها جميع أملال(مِلل) العيسوية والموسوية وفرقهم من كل فج، ويقصدونها من ساير الأقطار والديار، فبحسب تواردهم كان يحصل عليهم المشقات الباهظة، لسبب الأغفار الموضوعة بالطرقات، ولأجل الوفق بين الناس صدرت أوامرنا إلى جميع المتسلمين في إيالة ألوية صيدا، وألوية القدس ونابلس وجنين، برفع هذه الأغفار من جميع الطرقات والمنازل بوجه العموم، ومن حيث أن الأديرة والكنائس الكاينة بمدينة القدس الشريف هي مقر الرهبان والقُسس، وبها

---

[1]) الأستاذ سمير جريس: القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، ص٣٦، ٣٧، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م

يتلون الإنجيل الشريف، ويُجرون طرايق اعتقادهم وطقوسهم، فينبغي حمايتهم وصيانتهم من كل التكليفات، فلذلك قد صدرت إرادتنا الآن برفع الترتيبات التي على جميع المعابد والأديرة وجميع طوايف النصارى الكاينة بالقدس الشريف، إفرنج وروم وأرمن وقبط، وكذلك العوايد المرتبة على الملة الموسوية قديماً وحديثاً، وتلك المرتبات إن كانت من فرايض وعبوديات ومعتادات عايدة إلى خزينة الولاة الوزراء العظام، أو للقضا، أو للمتسلمين، أو لأرباب الوظايف وذوي التكلم، أو للكتاب والمباشرين، فجميعها أمرنا برفعها وإبطالها ومنعها، وصدرت أوامرنا أيضاً برفع الغفر المجعول على الملة العيسوية عند دخولهم إلى القمامة (كنيسة القيامة)، والغفر الذي عند مورده الشريف الذي على نهر الأردن، وأصدرنا لكم أمرنا هذا بهذا الخصوص، لكي بوقوفكم على مضمونه حالاً تقابلوه بالإطاعة والامتثال، برفع جميع هذه العبوديات والمرتبات والمشقات عن جميع الأديرة والمعابد الكاينة بالقدس الشريف بجميع طوايف الملة العيسوية والموسوية، ورفع الغفرين المذكورين أيضاً، وبعد صدور أمرنا هذا، كل من بدا منه خلاف، أو كل من أخذ من المذكورين درهم الفرد يقع تحت الملام فينا، فبوصوله وإطلاعكم على مضمونه تعملوا بموجبه وتتحاشوا مخالفته، وإعتمدوه غاية الاعتماد، والحذر من الخلاف"[1].

فإذا نزعت الأغلفة التي غلف فيها ابن أول الآتين من الخلف منشوره، ونفذت إلى جوهره وفحواه، فستدرك أن ما فعله، هو بالضبط ما فعلته الأمم المتحدة والإمبراطوريات الماسونية بعده بقرن من الزمان، فقد غيَّر وضع القدس الذي صارت إليه منذ فتحها عمر بن الخطاب، وظلت عليه عبر جميع دول الإسلام التي مرت عليها، وحولها من مدينة الإسلام إلى مدينة عمومية لجميع الديانات، ونزع السيادة فيها من أيدي المسلمين ووزعها بين جميع الطوائف المسيحية واليهود.

وثمة علامة لم يخطئها أحد من المسلمين ولا من غيرهم، أن المقصود مما يفعله أول الآتين من الخلف وابنه، ليس رفع العوائد عن مقدسات غير المسلمين، بل الإزراء بالمسلمين ونزع

---

[1]) دكتور أسد رستم: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ١، ص٨٨-٨٩، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣١م.

سيادتهم على القدس كلها، وتغيير وضعها الذي استقرت عليه منذ دخلها الإسلام مع الفتح العمري.

وهذه العلامة هي نزع إبراهيم باشا لمفاتيح مسجد عمر، الذي صلى فيه عمر بن الخطاب حين دخل القدس، ويقع في الجهة الجنوبية من كنيسة القيامة، نزع مفاتيحه من المسلمين وتسليمها للمسيحيين.

فهاك وصف موظف حكومة إبراهيم باشا لمشهد فتح باب مسجد عمر الذي في جهة كنيسة القيامة:

"وصل إبراهيم باشا إلى القدس أول جمعة الآلام، ونزل في النبي داوود، وكان بتلك السنة زاير (زوار) كثير، وأمر إبراهيم باشا أن تفتح درفة الباب الثانية، أي درفة باب القيامة، لأن من عهد سيدنا عمر بن الخطاب لم انفتحت"[١].

وأباح إبراهيم باشا لغير المسلمين الذين تدفقوا على القدس من خارجها، ومن خارج الشام كلها، دخول مسجد عمر دون إذن القائمين عليه من المسلمين، وهنا، كما يخبرك قسطنطين بازيلي، قنصل روسيا في الشام:

"وسُمح للكثير من الرحالة الأوروبيين بزيارة مسجد عمر في القدس، الذي يعتبر قدس الإسلام الثاني بعد حرم مكة[•]، لقد نشج خدم مسجد عمر المُسنون لهذا الانتهاك الذي لم يعهد له نظير من قبل في العالم الإسلامي، وفي كل مرة عند زيارة الأجانب للمسجد كان على

---

١) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٩.

•) عبارة بازيلي توحي أنه يتكلم عن المسجد الأقصى، لا مسجد عمر، وما يؤكد ذلك أن أول الآتين من الخلف وابنه سمحا لوفود المسيحيين الغربيين.أن يدخلوا المسجد الأقصى في حراسة جنودهم، وبعض هؤلاء الغربيين فحصوا المسجد الأقصى ووصفوه تفصيلياً على أنه موضع هيكل بني إسرائيل، ومنهم الراهب الفرنسي ماري جوزيف دي جرامب، وأستاذ الدراسات الكتابية الأمريكي إدوارد روبنسون، اللذان ستلتقي بهما بعد قليل، وسوف تعرف عند الكلام عن صندوق استكشاف فلسطين البريطاني، أن مسجد عمر هو الاسم الذي كان يطلقه الرحالة الأوروبيون على قبة الصخرة ومسجدها.

السلطات المحلية أن تحيط نفسها وضيوفها بفصيلة عسكرية لدرء فورة التعصب في المشاهدين، لقد جر محمد علي وإبراهيم على نفسيهما لعنة الشعب، وأثارا في القبائل السورية المزيد من الشعور الديني المهان والإخلاص للسلطان"[١].

وبينما المسلمون في القدس يبكون على إذلالهم، ويتحسرون على إخراج القدس من الإسلام:

"غمرت أديرة القدس حماسة عارمة، حينما أذيع فور دخول الحامية المصرية المدينة الأمر الذي وجهه إبراهيم إلى المُلا (قاضي القدس) وشيخ مسجد عمر والمفتي والنائب وكل السلطات"[٢].

والذي ينبغي أن تعلمه هنا، لكي لا تضللك الأغاني التي يكتبها الأميون عن التسامح والمساواة بين الديانات، أن مقدسات جميع الملل والطوائف في القدس، وشعائرهم وحقوقهم الدينية، كانت وظلت محفوظة عبر جميع العهود، وفي كل دول الإسلام، منذ الفتح العمري، ولكنها محفوظة باسم الإسلام وفي دولته وتحت سيادته.

وما فعله أول الآتين من الخلف وابنه هو اتخاذ مقدسات الملل والطوائف وحقوقهم الدينية ذريعة لإزاحة الإسلام من القدس ونزع سيادته عليها وفصلها عن دولته، وإباحتها للمسيحيين القادمين إليها من خارجها وليسوا من أهلها، وللموسوية أو اليهود، وهم المقصود الحقيقي بهذا المنشور، وهو ما ستفطن إليه وحدك وأنت تواصل المسيرة معنا، وترى ترتيب أول الآتين من الخلف وقناصل الإمبراطوريات الماسونية كل شيء من أجلهم.

فهاك نص العهدة العُمرية التي وقعها عمر بن الخطاب مع بطريرك القدس عند فتحها، وظلت الدستور الذي يحكم علاقة دول الإسلام بالملل والطوائف في القدس في جميع العهود، إلى أن أطاح بها أول الآتين من الخلف، ونصها الأصلي مكتوب على ورق من الجلد، وما زالت محفوظة إلى يومك هذا في بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس.

---

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١٦٥.

٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١١٤.

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص)، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ... وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة"[1].

وإليك الباحث المسيحي الفلسطيني سمير جريس، يفسر لك في كتابه: القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، لماذا حقوق أهل الكتاب من غير المسلمين محفوظة بالإسلام، وحفظها إحدى مهام دولته، ومن يعتدي على هذه الحقوق خارج، ليس على الأغاني التي يرددها الأميون البقر، والتي وصلت بالقدس وفلسطين وبلاليص ستان كلها إلى المشهد الذي تراه أمامك وتغنيك مطالعته عن كل بيان، بل هو خارج على الإسلام نفسه، ويخبرك أن القدس لم تشهد في تاريخها كله حرية عبادة وحفظاً لحقوق جميع الملل والطوائف ومقدساتهم، إلا بعد أن وصل إليها الإسلام وصارت في قلب دولته:

"وتنبع قدسية المدينة بالنسبة للدين الإسلامي من كوْن هذه الديانة تعود في أصولها إلى أبي الأنبياء، إبراهيم الخليل، وأن القرآن جاء مصدقاً لما قبله من الكتب المنزلة، والنبي محمد جاء خاتم الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وعيسى، ومن هنا سر السماحة التي يتصف بها هذا الدين تجاه أتباع الديانات السماوية الأخرى، واحترامه لكل أثر من آثار الأنبياء بقدر احترامه آثاره هو، والعقيدة الإسلامية تدمج بين الديانات التوحيدية الثلاث، ولذا

---

[1]) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث، ص٦٠٩، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

أصبحت القدس مدينة إسلامية مقدسة منذ بدء الدعوة الإسلامية ... يشير تاريخ الحكم في القدس إلى أن حكامها، باستثناء العرب والمسلمين، اتخذوا مواقف عدائية من الأديان الأخرى، فعندما استولى نبوخذ نصر عليها ... وفي عهد الإمبراطور قسطنطين قامت أمه هيلانة بالحج إلى الأماكن المقدسة، وجعلت مكان الهيكل موضعاً لقمامات المدينة عقاباً لليهود، وفي سنة ٦١٤م استولى الفرس بقيادة كسرى الثاني على المدينة بمساعدة اليهود، فنزح عنها المسيحيون الذين نجوا من المذبحة، وقام الفرس بتدمير معظم المباني المسيحية المقدسة، وأخذوا الصليب المقدس، وقتلوا ٩٠ ألف مسيحي، وانتهز اليهود الفرصة وقتلوا من المسيحيين أكثر مما قتل الفرس أنفسهم، وفي سنة ٦٢٨م عاد البيزنطيون إلى المدينة، وقاموا بذبح اليهود، وحظروا عليهم دخولها، وفي سنة ٦٣٦م حرر المسلمون العرب المدينة دون أن يتم تدمير أي شيء فيها، وسمحوا لأتباع الديانتين اليهودية والمسيحية بحرية العبادة وحرية السكن في المدينة، وقد تصرف المسلمون المنتصرون باعتدال لا مثيل له في التاريخ الدموي للمدينة"[1].

وحين دخل الصليبيون القدس سنة٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ذبحوا سبعين ألفاً من أهلها من المسلمين واليهود، حتى كانت ركب خيولهم تخوض في الدماء إلى ركبها، فإليك وصف مؤرخ الحروب الصليبية، والمشرف على ديوان الرسائل في مملكة أورشليم الصليبية، وليم الصوري، ليوم دخول الصليبيين القدس:

"فر الجانب الأكبر من الناس إلى فناء المسجد لوقوعه في موضع قاص من المدينة كان محصناً أشد التحصين، وسرعان ما اقتفى تانكريد أثرهم على رأس معظم رجال الجيش الذين اقتحم بهم المسجد، وأعمل مذبحة شرسة، حمل بعدها كميات كبيرة من الذهب والفضة والجواهر، أما القادة الآخرون فقد ترامى إلى علمهم، بعد فتكهم بكل من صادفهم في شتى نواحي المدينة، أن الكثيرين قد فروا إلى أطراف المسجد، فأسرعوا وانطلقوا يتعقبونهم، ودخل المسجد حشد من الفرسان والمشاة، فذبحوا ذبح الشاة كل من لجأ إليه يبتغي الحماية، وأعملوا القتل فيهم، حتى فاض المكان كله بدماء الضحايا، وكان ذلك قضاءً عادلاً من الرب،

---

١) القدس: المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، ص١٨٢-١٨٥.

أمضاه في من دنسوا هكل السيد (الرب) بشعائرهم الخرافية، فكان لابد لهم من أن يكفروا عن خطيئتهم بالموت، وأن تطهر الأماكن المقدسة بدمهم المهراق، ولم تكن مطالعة الجثث وقد فارقتها رؤوسها ورؤية الأعضاء المبتورة المبعثرة في جميع الأرجاء هي وحدها التي أثارت الرعب في نفوس جميع من شاهدوها، بل كان هناك ما هو أبعث على الفزع، وهو منظر المنتصرين أنفسهم وقد تخضبوا بالدماء فغطتهم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، ويقال إنه قُتل في ساحة المسجد وحدها عشرة آلاف من المارقين، والقتلى الذين تناثرت جثثهم في كل شوارع المدينة وميادينها لم يكونوا أقل عدداً، وجعل بعض العسكر من أنفسهم عصابات انطلقت تسطو على البيوت، ممسكين بأصحابها ونسائهم وأطفالهم، وأخذوا كل ما عندهم، ثم راحوا يقتلون بعضهم بالسيف، ويقذفون البعض الآخر من الأمكنة العالية فتتهشم أعضاؤهم ويهلكون هلاكاً مروعاً"[1].

وما فعله الصليبيون في القرن الحادي عشر الميلادي، هو نفسه ما فعله اليهود في القرن العشرين، وفعلوه في حراسة الإمبراطوريات الماسونية وأممها المتحدة المغلفة بأغاني العلمانية والتسامح والمساواة والإنسانية، التي يقرطسون بها بلاليص ستان ونخبها الأمية البقر.

وبعد أن رأيت مشهد القدس يوم دحلها الصليبيون، إليك أستاذة الأديان البريطانية كارين أرمسترونج، تصف لك مشهدها يوم فتحها الناصر صلاح الدين باسم الإسلام واستردها من الصليبيين:

"**وبينما المسلمون يحتفلون بليلة الإسراء والمعراج، دخلت قوات صلاح الدين القدس، ولم يقتل مسيحي واحد، فقد تمكن البارونات من دفع نقود الفدية بسهولة، غير أن الفقراء لم يتمكنوا من ذلك وأصبحوا أسرى حرب، ثم تم إطلاق سراح أعداد كبيرة منهم، وكان صلاح الدين قد ذرف الدمع وهو يرى بؤس الأُسر التي تفرقت باسترقاق أفرادها، كما أصاب الأسى العادل، شقيق صلاح الدين، فطلب لنفسه ألف أسير وأعتقهم على الفور ... ولم يكن في نية صلاح الدين حظر سُكنى اليهود والمسيحيين، فقد استمر العمل بمبدأ التعايش والاندماج**

---

١) المؤرخ وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ص١٢٦-١٢٨، ترجمة وتعليق: دكتور حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

القديم، وطلب من بضعة آلاف من الأرمن السوريين المسيحيين أن يعيشوا في المدينة كذميين، كما منح صلاح الدين اليونان (الروم) الأرثوذكس الوصاية على كنيسة القبر المقدس، فلم يكن بالإمكان إلقاء لوم الحملة الصليبية الأوروبية على المسيحيين المحليين ... كما دعا صلاح الدين اليهود للعودة للقدس، والتي كانت قد حُرمت عليهم من قبل الصليبيين بشكل شبه كُلي"[1].

وحين فتح السلطان سليم الأول الشام، ودخل القدس في سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، قابله بطريرك القدس والروم الأرثوذوكس دوروثيوس الثاني Dorotheus II، وبطريرك الأرمن سركيس، بالعهدة العمرية، فأصدر فرماناً بتأكيد العهدة العمرية والحفاظ على أوامر السلاطين السابقين بشأن نصارى القدس.

وفرمان السلطان سليم الأول محفوظ في الخزينة السلطانية بمتحف طوب قابي في إسطنبول، وتوجد نسخة منه محفوظة في بطريركية الأرمن في القدس، وقد نسخها الباحث الأرمني سركيس قاراقو، وترجمها من التركية إلى العربية دكتور الصفصافي أحمد القطوري، أستاذ اللغة التركية وآدابها بجامعة عين شمس، ونشر نص الفرمان بالعربية في دراسته: العثمانيون والأماكن المقدسة في القدس الشريف، التي نُشرت في العدد الأول من مجلة: حراء الفصلية، التي تصدر في تركيا، فهاك هو:

" **بعون الله تعالى ورسوله قد جئنا إلى القدس الشريف، وفُتح بابها في يوم ٢٥ من شهر صفر الخير، وقد قَدِم الراهب المسمى سركيز، الذي هو بطريرك الطائفة الأرمنية وفي مَعِيَّتِه سائر الرهبان والرعايا والبرايا، وقد سألنا العطايا وتمنى الإنعامات، وأن تظل تحت تصرفهم ورعايتهم كما هو سابق وسائد لبطارقة طائفة الأرمن، الذين تولوا الضبط والإشراف من القديم لما هو تحت عُهْدَتهم من الكنائس والأَدْيِرَة وأماكن الزيارة، وكذا الكنائس الأخرى الواقعة في الداخل والضواحي، وكذا المعابد، ومنذ العهد العمري رضي الله عنه، وكذا معاهدة حضرة السلطان المرحوم صلاح الدين، والأوامر الشريفة المعطاة تجعل الضبط والتصرف على كنيسة**

---

[1]) أستاذة الأديان كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة وديانات ثلاث، ص٤٨٢، ٤٨٨-٤٨٩، ترجمة: دكتورة فاطمة نصر ودكتور محمد عناني، سطور، القاهرة، ١٩٩٨م.

القيامة، ومغارة بيت لحم، وبابها الواقع في الجهة الشمالية، والكنائس الكبرى، ومار يعقوب ودير الزيتون، وحبس المسيح ونابلس بما فيهما من كنائس تخص سائر الأمم، كالحبش والقبط والسريان، للبطريرك الأرمني القائم والقاطن في كنائس مار يعقوب، وقد مَنَحْتُ هذا النيشان الهمايوني مقرونا بالسعادة، وأَمرت بما هو آت يعمل بموجبه: أن تكون السيطرة والتصرف في الكنائس الكبرى المذكورة، والكنائس الواقعة في ضواحي وداخل البطريركية الأرمنية الكائنة في مار يعقوب، وكذا المعابد وسائر أماكن الزيارة والأديرة التي تتبع طوائف أخرى كالحبش والقبط والسريان، فلهم ممارسة مراسمهم الدينية فيها، وضبطها ورعايتها بأنفسهم، ولا يحق لأي مَنْ كان أن يتدخل في تنصيب أو تعيين أو عزل من يقومون بالشؤون الدينية والإشراف على الرهبان والقساوسة، والميتروبوليد، والبيسكوبوس وسائر الأمور الدينية متروكة لهم، ممثلة في البطريركية الأرمنية وما يتبعها من كنائس ومعابد وأديرة وسائر أماكن الزيارة عندهم، ولا يحق لأي فرد من غيرهم التدخل في أمورهم، ويحق لسائر الأمم أن يدخلوا إلى كنيسة القيامة والتربة الواقعة وسطها، وإلى مقبرة السيدة العذراء الأم مريم الواقعة في ضواحي القدس الشريف، وإلى المغارة التي ولد فيها السيد المسيح عليه السلام في بيت لحم، وحفظ مفتاح بابها الشمالي، والشمعدانان الموجودان في داخل كنيسة القيامة والقناديل، وكذا القناديل الموجودة في داخل المقبرة وعلى بابها، والشموع التي توقد، والبخور. والحفاظ على المراسم والعبادات التي تتم داخل كنيسة القيامة وفقاً للعنعنات والمعتقدات حتى ظهور نار الشمع المقدَّس، فيحق لجميع الأمم الدخول والدوران حولها، وزيارة الباب، ورؤية الذهب والأحجار الغالية على نافذتيها، ورؤية وزيارة المعبد الكائن بالداخل، وزيارة كل آبار الماء ومزارات مار يوحنا الكائنة في فناء كنيسة القيامة، وزيارة حبس المسيح الواقع بالقرب من مار يعقوب في الضواحي، وزيارة غرف يعقوب في الضواحي، وزيارة الغرف والمضيفات الواقعة بالقرب من مغارة بيت لحم وأضرحتها، كما يحق للبطريركية المذكورة لطائفة الأرمن الإشراف ورعاية كافة الحدائق والبساتين ومزارع الزيتون، وبالجملة جميع الكنائس والمعابد والأديرة والمزارات التابعة لهم، وكل الأملاك والأوقاف الخاصة بهم، وكل توابعهم وما يتبعهم. ولا يتم التعرض لأي شخص من الطائفة الأرمنية قادماً لزيارة الكنيسة أو بئر المياه المسمى زمزم، ولا يتعرض أي أحد لمزارعهم أو معابدهم أو مزاراتهم ولا يمنعهم عن ذلك أي أحد، ويُعمل وفقاً لهذا النيشان السلطاني من بعد اليوم على الوجهة

المشروحة، ولا يُسمح لأي شخص من ملة أخرى التدخل في شأنهم، وعلى أولادي الأماجد ووزرائي الأعاظم ومشايخي الكرام والقضاة والقادة وأمراء الإمارات وقادة السناجق وأمير الأمراء وضباط الانضباط والأمن ورجال بيت المال والقسَّام ومديري البلدية والزعماء وأرباب التيمار والمتصرفين وسائر حرس بابي وغيرهم، والخلاصة على الجميع كائناً من كان ألا يتعرض لأي فرد منهم كائناً من كان ومهما كانت الأسباب، ولا يتم التبديل أو التغيير في أي مما ذكر، وإذا ما قام أحد ما بالتدخل أو التعرض أو التبديل أو التغيير فإنه يُعَد عند الله من زمرة المجرمين والعصاة، وليعلموا أن أوامري ونيشاني الحامل لطغرائي أنا فاتح العالم ستكون مصدَّقة، وليعمل بفحوى ما جاء بها، وليكن هذا علامة شريفة معتمدة. كتب في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة"[1].

وكما ترى، السلطان سليم الأول، فاتح العالم المغوار حقاً، والدولة العثمانية، كانت تحمى نصارى القدس، وترعى مقدساتهم، وتجعل مقاليدها بيدهم، ولا تمنع أحداً من زيارتها، بل وزيادة على ذلك لم تكن الدولة العثمانية تعامل المسيحيين في أي مكان منها على أنهم أقلية، بل على أنهم طائفة مستقلة، ولبطريركها الولاية الكاملة على طائفته في جميع شؤونها الدينية والمدنية، ولكنها كانت تفعل ذلك باسم الإسلام واتباعاً لشريعته وبضوابطها، ورعاية لعهد عمر بن الخطاب وسنته، وتأسياً بسيرة دول الإسلام قبلها.

أما أول الآتين من الخلف وابنه، خريجو حارة اليهود اليونانية، وعملاء الإمبراطوريات الماسونية، فاتخذوا حقوق النصارى واليهود ذريعة لإذابة هوية القدس الإسلامية، وتنفير أهلها من المسلمين وإخراجهم منها، ولإباحتها لغير المسلمين من غير أهلها.

فالآن، ولكي لا تكون مثل الأميين الذين يرون الأشياء مفرقة ويفهمون كلاً منها بمعزل عن الآخر، ولكي تسترد وعيك الذي تغيبه الأغاني التي يغنونها عن تسامح أول الآتين من الخلف ومساواته بين الديانات وأهلها، ما نريدك أن تفعله أن ترجع إلى منشور إبراهيم باشا مرة أخرى، وتقارن الضرائب والعوائد التي رفعها عن غير المسلمين، بالضرائب على كل شيء ومن مختلف

---

[1]) دكتور الصفصافي أحمد القطوري: العثمانيون والأماكن المقدسة في القدس الشريف، مجلة حراء، ص٣١، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ٢٠٠٥م.

الأنواع التي فرضها على المسلمين، على أراضيهم ومحاصيلهم وأشجارهم، وجميع ما يملكونه، حتى وصل إلى عقال دوابهم، وعلى نفوسهم، الأحياء منهم والأموات، وقارن دموع التماسيح التي يذرفها في منشوره على غير المسلمين ونصه على رفع المشقات الباهظة عنهم، بطريقة جبايته للضرائب من المسلمين، وضربهم وتعذيبهم حتى الموت، وإجبارهم على بيع أملاكهم والاستدانة بالربا، من أجل سداد أموال الضرائب التي يفرضها عليهم.

وبعد ذلك اقرأ المنشور بعناية، وتنبه أن رفع العوائد عن كنائس المسيحيين في القدس، ليس هو المسألة الرئيسية ولا المقصود الأول في المنشور، وما تم رفع العوائد عنه كما تخبرك دكتورة لطيفة سالم:

"ثلاث كنائس بالقدس الشريف، ودير الناصرة"[1].

المسألة الرئيسية في منشور إبراهيم باشا وغايته الحقيقية، بعد نزع سيادة المسلمين على القدس كلها، وتغيير وضعها وهويتها، هي رفع الرسوم عن غير المسلمين القادمين من خارج القدس والشام إليها، وهي رسوم حراستهم، والمرور في الطرق والمعابر، واستخدام المرافق، في فلسطين كلها وعموم الشام، ولا علاقة لها بالكنائس والأديرة نفسها، وهي رسوم معتادة تفرضها دول العالم جميعاً غرباً وشرقاً على من يزورونها ويدحلون إليها من خارجها.

وكان السلطان سليمان القانوني:

"قد عهد بحراسة طريق القدس- يافا إلى آل أبي غوش، وأجاز لهم أن يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة"[2].

ومرة أخرى، ولكي لا يُضللك الأميون وأغانيهم عن التسامح والمساواة، هل سمعت أن إيطاليا ألغت الرسوم التي تفرضها في المطارات والطرق على الداخلين إليها، لأنهم ذاهبون لزيارة الفاتيكان، أو أن الفاتيكان نفسه ألغى رسوم دخوله وزيارة كنائسه ومتاحفه بحجة أنه مكان مقدس

[1]) **الحكم المصري في الشام، ص٢٤٨.**

[2]) **المفصل في تاريخ القدس، ص٢٦٦.**

ودار عبادة، وهل من يدخل بلاليص ستان في زمانك هذا يُسقطون عنه رسوم الكارتة التي يُحصِّلونها في كل طريق يمر عليه مرتين، مرة عند دخوله ومرة أخرى عند الخروج منه، لأنه جاء لزيارة مسجد أو كنيسة؟

وهاك قنصل روسيا في الشام، قسطنطين بازيلي، يخبرك بإجبار إبراهيم باشا لآل أبي غوش على ترك العوائد الرسمية التي قررها لهم السلطان سليمان القانوني وخلفاؤه، ليس فقط، بل وتسخيرهم لحراسة الطرق وحماية غير المسلمين القادمين إلى القدس دون مقابل:

"وشيوخ جبال اليهودية أنفسهم (آل أبي غوش)، الذين لم تُلجمهم إلى الآن أي سلطة، والذين كان حجاج الديار المقدسة يشكلون بالنسبة إليهم مصدراً كبيراً للدخل، اضطروا لتقديم الحماية المجانية إليهم، حتى لا يدفعوا رؤوسهم ثمناً لتعكير أمنهم وسلامتهم، وأعلن إبراهيم باشا أن اليد التي تأخذ نقوداً من الحجاج في جبال اليهودية (فلسطين) سوف تُقطع، وصار العرب يتقيدون بالمعنى الحرفي للأمر، حيث يرغمون الحجاج على رمي النقود إلى الأرض ثم يتناولونها من الأرض بعد ابتعادهم، لا مباشرة، وحينما أُبلغ إبراهيم بهذا، لم يتوان عن تفسير إرادته للعرب بمعناها المباشر، فقطع يد اثنين أو ثلاثة"[1].

وسوف تدرك أن تنفير المسلمين وإخراجهم من القدس، وإباحتها للقادمين من خارجها وخارج الشام كلها، من أجل تغيير وضعها وهويتها، هو المسألة الرئيسية والمقصود الحقيقي لأول الآتين من الخلف وابنه، حين تعلم أنه بينما فر مائة ألف من مسلمي الشام من الرجال إلى الأناضول والمناطق العثمانية، كما يخبرك قنصل روسيا في الشام:

"في السنتين الثانية والثالثة من الحكم المصري، بلغ عدد اليونانيين والأرمن الذين توجهوا من المناطق التركية إلى القدس ١٠ آلاف شخص"[2].

---

١) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١١٦.

٢) سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ص١١٧.

أما العدد الكُلي لمن دخلوا القدس من خارج الشام في هاتين السنتين، فتخبرك به أستاذة التاريخ الأمية، وهي تغني في فخر أغنية التسامح والمساواة والحكم العادل:

"وبناءًا على تلك التسهيلات وذلك الأمان، زادت أعداد الوافدين على القدس، فبلغوا عشرين ألفاً"[١].

من مدينة الديانات إلى مدينة اليهود:

منذ شرعتَ معنا في قراءة هذا الكتاب: بذور المشروع اليهودي في الشام، وأنت لم تسمع عن اليهود ومشروعهم، ويبدو وكأن ما يفعله أول الآتين من الخلف وابنه لا علاقة له بهم وبمشروعهم، ولا ترى في صدارة المشهد سوى النصارى، ويبدو وكأن إزاحة الإسلام وإزراء أول الآتين من الخلف بالمسلمين من أجلهم.

وسوف تدرك حقيقة ما كان يريده أول الآتين من الخلف وابنه، إذا فطنت إلى أن كل إجراء اتخذوه بشأن المسيحيين، وكل أمر أصدروه بحقهم، يسري تلقائياً على اليهود، فالنصارى هم الغلاف والعنوان وأدوات الترويج، واليهود هم الفحوى والمضمون والمقصود الذي يتم تمريره في هذا الغلاف، وعند جميع الآتين من الخلف.

وربما يقرب لك المسألة، ويجعلك أقدر على فهمها، أن تنظر إلى ما يحدث في بلاليص ستان في زمانك هذا وتشاهده بعينيك، وتتابعه يوماً بيوم، فبلاليص ستان من محيطها الهائم إلى خليجها السائم تتمزق، وتشتعل الحرائق في كل مكان منها، فشعوبها ثائرة على الحكومات، وحكوماتها تدهس الشعوب، وإيران الشيعية والجماعات الحليفة لها تستقوي على دولها، والولايات المتحدة الماسونية تستنزفها، وتضغط عليها بإيران لكي تدفعها للارتماء في أحضانها، والأميون في بلاليص ستان يرصدون المشهد، دون أن يدركوا صلة هذه الحرائق باليهود ودولتهم ومشروعهم، لأنهم لا يرون اليهود في مسارح الأحداث، وهم ببنائهم الذهني والنفسي الأمي كالأنعام، لا يدركون وجود الأشخاص أو الفئة من البشر في الأحداث وصلتهم بها، إلا إذا رأوهم

---

١) **الحكم المصري في الشام، ص٢٤٩.**

بأعينهم، أو سمعوهم بآذانهم، أو شموهم بأنوفهم، وكل ما يحدث في بلاليص ستان ليس سوى تمهيدها للنقلة القادمة في المشروع اليهودي، وتأهيلها عقائدياً وذهنياً، وإعادة تفصيلها جغرافياً وسياسياً، لتناسب المقاسات الجديدة لدولة اليهود في النقلة الآتية.

وكما لم يكن وضع القدس في قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة الماسونية، سوى مقدمة تنتزع بها القدس من المسلمين، وتزيل صلتها بالإسلام، وتمهدها لاستيلاء اليهود عليها، فكذلك لم يكن نزع أول الآتين من الخلف وابنه لسيادة المسلمين على القدس، وتنفيرهم منها، وتحويلها من مدينة مسلمة في قلب دولة الإسلام إلى مدينة بلا هوية والسيادة فيها موزعة بين الملل والطوائف، سوى خطوة في طريق إباحتها لليهود، لتكون الخطوة التي تليها هي تحويلها عملياً وبالأمر الواقع من مدينة الديانات إلى مدينة اليهود.

أخبرك قنصل روسيا في الشام، قسطنطين بازيلي، وأستاذة التاريخ لطيفة سالم، أن غير المسلمين الذين دخلوا القدس من خارج الشام، خلال أول سنتين من حكم أول الآتين من الخلف وابنه، بلغوا عشرين ألفاً، وما لم يخبروك به أن عشرات الألوف هؤلاء لم يدخلوا القدس في زيارات عابرة، لأيام أو أسابيع، من أجل الحج وزيارة الأماكن المقدسة، بل جُلهم استوطن القدس، وبعضهم كان يقيم فيها طوال الشتاء، ويعود إليها كل شتاء، والأهم من ذلك أن هؤلاء الأميين لم يَرِد على أذهانهم أن يسألوا، ولا أن يخبروك: من يكون هؤلاء بالضبط، وإلى أي الملل والطوائف ينتمون.

وسوف تعلم من يكون هؤلاء، ولماذا جاءوا إلى القدس، وسوف تنكشف لك الغاية الحقيقية لسياسات أول الآتين من الخلف وابنه في القدس والشام كلها، وتدرك حينها أنهم لم يكونوا سوى تِرس في آلة المشروع اليهودي، ضمن تروسها المتعددة التي تدور معاً في جبهات مختلفة من العالم، ويتمم كل منها عمل الآخر، حين تعرف الفرق بين القدس وتركيبتها السكانية والنسبة بين المسلمين والمسيحيين واليهود، قبل أن يستولي عليها أول الآتين من الخلف، وبعد استيلائه عليها.

في دراسته التي نشرها في العدد الثاني من المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، وعنوانها: طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قُبيل قيام الحركة الصهيونية، واعتمد فيها على سجلات الأوقاف والمحكمة الشرعية ودفاتر التحرير العثمانية الخاصة بالقدس، يقول الباحث إبراهيم ربايعة، إنه في العهد العثماني:

"كان السواد الأعظم من اليهود يقيمون في محلة واحدة عُرفت باسمهم، وهي محلة اليهود(•)، التي تقع غرب الحرم، بين محلة المغاربة والريشة والحيادرة، كما كان لهم وجود قليل في محلات أخرى قريبة من محلة اليهود، منها: محلة الحيادرة، ومحلة الشرف والريشة، وكان لطائفتهم متحدث باسمهم، ذكرته الوثائق بأسماء مختلفة، منها: وكيل الطائفة، أو الحاخام باشي، أو البرنس ... وأظهرت الإحصاءات العثمانية أن عدد اليهود داخل القدس في بدايات الحكم العثماني، ٩٣٢هـ/١٥٢٥م: (١٩٩) من دافعي الجزية ... كما ورد في حجة شرعية تعود إلى سنة ١٠٧٣ هـ/١٦٦٣ م أن مندوب دفتردار دمشق ادعى أمام قاضي القدس أن على اليهود القاطنين في المدينة: (٩٠) خانة"[1].

وفي الجزء الخاص بسكان القدس وضواحيها، من كتابهما: أورشليم/القدس، أحياؤها وضواحيها وقراها من ١٨٠٠م إلى ١٩٤٨م Jerusalem And Its Environs: Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948، يقول الباحثان اليهوديان روث كارك، وميشال أورِن نوردهيم Ruth Kark & Michal Oren-Nordheim، عن فترة الحكم العثماني السابقة لغزو أول الآتين من الخلف:

"في بداية القرن التاسع عشر، وتحت حكم الباشاوات العثمانيين في فلسطين، ١٧٩٩م-١٨٣٠م، كانت القدس مدينة شرق أوسطية تقليدية محصورة داخل أسوارها، وخَمسٌ من

•) المحلة هي مجموعة من البيوت في منطقة واحدة يتخللها عدد من الساحات، أو هي الحارة.

١) الباحث إبراهيم ربايعة: طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قُبيل قيام الحركة الصهيونية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجلّد ٢، العدد ٢، ص١٠٣-١٠٥، ٢٠٠٨م.

بواباتها الست كانت تغلق في الليل، من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وكان عدد سكانها تسعة آلاف، أغلبهم من المسلمين Most Oof Them Muslims"[١].

ثم أورد الباحثان اليهوديان جدولاً طويلاً يحوي إحصاءات للعدد الكلي لسكان القدس، ولعدد كل ديانة، المسلمين والمسيحيين واليهود، في سنوات عديدة، تقع بين سنة ١٨٠٦م، وسنة ١٩٤٥م، وأمام كل إحصاء مصدره الذي قام به، وكلها مصادر أوروبية، باستثناء إحصاء عثماني رسمي واحد، فهاك ما يواكب فترة حكم أول الآتين من الخلف للشام، من مصادره الأصلية.

في سنة ١٨٣٢م، في بدايات حكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام، زار الراهب الفرنسي ماري جوزيف دي جرامب Marie Joseph De Géramb القدس للحج، وفي كتابه الذي دون فيه رحلته: الحج إلى القدس وجبل سيناء Pilgrimage To Jerusalem And Mount Sinai، وصف القدس وصفاً تفصيلياً، وقام بإحصاء سكانها، فكانوا كالتالي:

الأتراك/المسلمون	اليونان/الروم	الكاثوليك	الأرمن	اليهود	العدد الكلي[٢]
١٣,٠٠٠	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٥٠٠	٤,٠٠٠	٢٠,٥٦٠

وفي سنة ١٨٣٨م، بعد ست سنوات من حكم أول الآتين من الخلف وابنه في الشام، وبإذن منهم، قام أستاذ الدراسات الكتابية الأمريكي إدوارد روبنسون Edward Robinson، برحلة بدأها من مصر عابراً سيناء إلى فلسطين، لاستكشافها ورسم خرائط جغرافية وطبوغرافية لها في ضوء التوراة وكتب الأنبياء، والتقى متسلمي مدنها، ونزل في ضيافة بعضهم، وحصل على كثير من معلوماته منهم، بوساطة وكيل القنصل الأمريكي، ودون نتائج رحلته في ثلاثة مجلدات عنوانها: دراسات كتابية في فلسطين وجبل سيناء والبلقاء العربية Biblical Researches In

1) Ruth Kark, Michal Oren-Nordheim: Jerusalem And Its Environs: Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948, P26-27,The Hebrew University Magnes Press, Jerusalem, Wayne State University Press,Detroit,August 1, 2001.

2) Marie Joseph De Géramb: Pilgrimage To Jerusalem And Mount Sinai, P242, Carey Carey And Hart, Philadelphia,1840.

Palestine, Mount Sinai And Arabia Petraea، وفي المجلد الثاني، الذي خصص جُله لوصف القدس والخليل، يقول إن:

"سكان أورشليم/القدس يقطنون في أحياء منفصلة حسب الديانة، وحي المسيحيين يمتد بطول الجزء العلوي أو الغربي من المدينة، والحي اليهودي يحتل الجزء الشمالي من صهيون، ويمتد حتى يضم إليه الجزء الأكبر من التل الواقع داخل الأسوار، والمحمديون/المسلمون يقيمون في الأجزاء الوسطى والسفلى من المدينة، وبعد تحقيق دقيقCareful Inquiry كانت المعلومات التي وصلنا إليها كالتالي: ١-المحمديون من الرجال في السجلات الحكومية عددهم (٧٥٠) فرداً، ولكنهم في الحقيقة حوالي (١,١٠٠)، والعدد الإجمالي للمحمديين يدور حول (٤,٥٠٠)، ٢-أما اليهود، فالمقيدون في الدفاتر(رعايا الدولة العثمانية الخاضعون للجزية) (٥٠٠)، ولكن طبقاً للإحصاء الدقيق الذي قام به مستر نيكولايسون الموقر Nicolayson، وهو أقدر على الحكم في هذه المسألة من أي شخص آخر، فإن العدد الإجمالي لليهود حوالي (٣,٠٠٠)، وفي السنوات السابقة كانوا (٥,٠٠٠)، ٣- وأما المسيحيون، فاليونان/الروم المقيدون في دفاتر الحكومة (٤٠٠)، ولكن عددهم الحقيقي (٤٦٠)، واللاتين (٢٦٠)، والأرمن (١٣٠)، والعدد الإجمالي للمسيحيين حوالي (٣,٥٠٠)، ومن ثَم:

المحمدانيون	المسيحيون	اليهود	عدد سكان القدس[١] القدس[١]
٤,٥٠٠	٣,٥٠٠	٣,٠٠٠	١١,٠٠٠

وفي سنة ١٨٤٤م، قام قنصل بروسيا في القدس، إرنست جوستاف شولتز Ernst Gustav Schultz، بإحصاء سكان القدس من الديانات الثلاث وبطوائفها المختلفة، ودَوَّن إحصاءه في كتابه: محاضرة عن القدس Jerusalem, Eine Vorlesung، فكان كالتالي:

---

1) Edward Robinson, Biblical Researches In Palestine, Mount Sinai And Arabia Petraea: A journal Of Travels In The year 1838, Volume 2, P85, Published By Crocker And Brewester, Boston, 1841.

"**المحمدانيون: (٥,٠٠٠)، ٢- المسيحيون: أ- اليونان/الروم Griechen: (٢,٠٠٠)، ب- الروم الكاثوليك Rom Katholiken: (٩,٠٠)، ج- الأرمن Armenier: (٣٥٠)، د- الأقباط Kopten: (١٠٠)، هـ- السوريون Syrer: (٢٠)، و- الحبشة Abyssinier: (٢٠)، ٣- اليهود: أ- الأتراك السفارديم (اليهود من رعايا الدولة العثمانية) Türkische Sephardim: (٦,٠٠٠)، ب- الأشكناز من البولنديين والروس والألمان Aschkenaxim: (١١٠٠)، القراؤون Karaiten: (٢٠)، وعلى ذلك:**

المسلمون	المسيحيون	اليهود	إجمالي السكان[١]
٥,٠٠٠	٣,٣٩٠	٧,١٢٠	١٥,٥١٠

وفي سنة ١٨٤٦م، وإبان رحلته إلى القدس، قام الرحالة السويسري تيتوس توبلر Titus Tobler، بإحصاء سكان القدس، فكانوا كالتالي:

المسلمون	المسيحيون	اليهود	إجمالي السكان[٢]
٦,١٠٠	٣,٥٥٨	٧,٥١٥	١٧,١٧٣

وفي سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م، قامت الدولة العثمانية بإحصاء لرعايا الدولة في القدس من الديانات المختلفة، فكانوا هكذا:

المسلمون	المسيحيون	اليهود	إجمالي السكان[٣]
١٢,٢٨٦	٧,٤٨٨	٥,٥٨٠	٢٥,٣٥٤

وأول ما يجب أن تنتبه إليه في هذه الإحصاءات، أن عدد المسيحيين في القدس، لم يشهد في عهد أول الآتين من الخلف سوى تغيرات طفيفة، فعددهم في إحصاء الراهب الفرنسي فرديناند

---

1) Ernst Gustav Schultz: Jerusalem, Eine Vorlesung, P32-33,Bel Simon Schropp & Co., Co., Berlin, 1845.
2) Jerusalem And Its Environs: Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948, P28.
3) Jerusalem And Its Environs: Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948, P28.

دي جرامب، سنة ١٨٣٢م، كان (٣,٥٦٠)، وفي سنة ١٨٤٤م كانوا في إحصاء قنصل بروسيا إرنست جوستاف شولتز (٣,٣٩٠)، أي أن عددهم ظل طوال حكم أول الآتين من الخلف للشام وبعدها، كما كان قبلها.

وهو ما تتيقن منه مما أخبرناك به سابقاً، وهو أن المعركة الحقيقية على القدس وهويتها تنحصر بين المسلمين واليهود، وأن إجراءات أول الآتين من الخلف بشأن المسيحيين والأقليات، لم تكن سوى غلاف لتمرير اليهود فيه، وما فعله كان في حقيقته تهويداً للقدس، وترتيبات لانقلاب ديموجرافي في النسبة بين المسلمين واليهود، عبر تنفير المسلمين ودفعهم للخروج من القدس، وفتحها في الوقت نفسه أمام اليهود، وتهيئتها ليتقاطروا عليها، لتتحول من مدينة الإسلام إلى مدينة اليهود.

فإذا رجعت إلى الإحصاءات وتأملتها، فستجد أن المسلمين هجروا القدس في الفترة التي وقعت فيها تحت حكم أول الآتين من الخلف وابنه، بينما زحف عليها اليهود حتى فاقوا المسلمين، إذ في إحصاء الراهب فرديناند دي جرامب، سنة ١٨٣٢م، كان عدد المسلمين في القدس (١٣,٠٠٠)، وعدد اليهود (٤,٠٠٠)، أي أن المسلمين في القدس كانوا أكثر من ثلاثة أمثال اليهود.

ومع تنكيل أول الآتين من الخلف بالمسلمين في القدس وإذلاله لهم، ورفعه المسيحيين واليهود فوقهم، هبط عددهم في إحصاء البروفسور الأمريكي إدوارد روبنسون، سنة ١٨٣٨م، إلى (٤,٥٠٠)، وإلى (٥,٠٠٠) في إحصاء القنصل شولتز سنة ١٨٤٤م، أي أن ثُلثي مسلمي القدس هجروها إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه لها، بينما زاد عدد اليهود، حتى صاروا أكثر من المسلمين، فأصبحوا في إحصاء شولتز (٧,١٢٠).

وبعد انتهاء عهد أول الآتين من الخلف بدأ المسلمون في العودة إلى القدس، فارتفع عددهم في إحصاء الرحالة السويسري تيتوس توبلر، سنة ١٨٤٦م، إلى (٦,١٠٠)، وإلى (١٢,٢٨٦) في الإحصاء العثماني، سنة ١٨٥١م، أي نفس عددهم تقريباً قبل أن يستولي أول الآتين من الخلف وابنه على الشام.

ولكن أول الآتين من الخلف كان قد وضع القدس على المنحدر اليهودي ودفعها إليه، ولم يعد ثَمة رجوع، فالمسلمون عادوا إلى القدس، ولكن اليهود لم يتركوها، وأول الآتين من الخلف قبل أن يُخلي الشام كان قد فتحها أمام قناصل الإمبراطوريات الماسونية، ولم يكن لهم وجود فيها من قبلُ، والقدس سلمها لقنصلية بريطانيا التي أُسست سنة ١٨٣٩م، بتحريض وتمويل من يهود لندن، كما ستعلم.

وفي إحصاء الرحالة السويسري تيتوس توبلر، سنة ١٨٤٦م، كان عدد اليهود (٧,٥١٥)، وفي التعداد العثماني سنة ١٨٥١م كانوا (٥,٥٨٠)، وهذا الانخفاض في أعداد اليهود في التعداد العثماني ظاهري وغير حقيقي، لأنه كان خاصاً باليهود من رعايا الدولة العثمانية، ولم يدخل فيه اليهود الذين أتوا إلى القدس واستوطنوها من خارج الدولة، الذين ذكر القنصل شولتز أصنافهم في إحصائه.

وخلاصة ما تخبرك به هذه التعدادت المختلفة، أن أول الآتين من الخلف غيَّر هوية القدس، وأحدث فيها انقلاباً ديموجرافياً وخللاً في النسبة بين المسلمين واليهود، وفاق اليهود المسلمين، وبعد انتهاء عهده عاد المسلمون إلى القدس، ولكن ظل الخلل الديموجرافي قائماً، لأن اليهود ظلوا أكثر من نصف عدد المسلمين في القدس، رغم الفرق الشاسع بين تعداد هؤلاء وأولئك في فلسطين والشام والدولة العثمانية، وفي العالم كله.

وستدرك الخلل الجسيم الذي أحدثه أول الآتين من الخلف وابنه في التوازن السكاني بين المسلمين واليهود في القدس، حين تعلم كم كان يبلغ تعداد هؤلاء وأولئك في فلسطين، وفي الشام كلها.

في كتابه: القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس وعلاقتها باليهود في فلسطين The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews Of Palestine, 1838–1914، أورد المؤرخ اليهودي البريطاني ألبرت مونتفيوري هيامسون Albert Montefiore Hyamson، الإحصاء الذي قام به أول قنصل لبريطانيا في القدس، وليم يونج

William Young، لتعداد اليهود في فلسطين، سنة ١٨٣٩م، بناءًا على تعليمات وزير الخارجية الماسوني بالمرستون، فكان كالتالي[1]:

القدس	نابلس	الخليل	طبرية	صفد	عكا	حيفا	صيدا	صور	يافا	مجموعة قرى	إجمالي اليهود
٥٥٠٠	١٥٠	٧٥٠	٦٠٠	١٥٠٠	٢٠٠	١٥٠	٢٥٠	١٣٠	٦٠	٤٠٠	٩,٦٩٠

وفي دراسته: التطور الديموجرافي لفلسطين بين سنة ١٨٥٠م وسنة ١٨٨٢م The Demographic Development Of Palestine, 1850-1882، والتي نشرها في عدد نوفمبر سنة ١٩٨٥م، من المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط International Journal of Middle East Studies، التي تصدرها جامعة كمبردج، يقول ألكساندر شولش Alexander Scholch، أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة إرلنجن Erlangen، في ألمانيا، وله عدة دراسات عن فلسطين وتاريخها إبان القرن التاسع عشر، يقول شولش إنه لا يوجد تعداد عثماني رسمي بخصوص فلسطين كلها يقع في الفترة التي تغطيها دراسته، سوى سالنامة ولاية سوريا(•) Salname Vilayet Suriye، أو تعداد النفوس، الذي أُجري سنة ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، وشمل ثلاث عشرة مدينة بأريافها وضواحيها، في متصرفية القدس، وسنجق نابلس، وسنجق عكا، وكان لسكان المدن والقرى، ولم يدخل فيه قاطنو البوادي.

وقد أورد شولش في دراسته نتائج التعداد العثماني كاملة، وهو يقوم على تعداد النفوس من الديانات المختلفة في المدن والقرى الكبيرة، وعلى تعداد الخانات أو البيوت في النواحي والأرياف الصغيرة، وأيضاً حسب الديانات، وقام شولش بإعادة ضبط هذا الإحصاء العثماني، ليكون كله حسب النفوس، بافتراض أن كل خانة أو بيت في التعداد العثماني يحوي في المتوسط ستة أفراد، فكانت نتائجه كالتالي:

---

1) Albert Montefiore Hyamson: The British Consulate In Jerusalem In Relation To The The Jews of Palestine, 1838–1914, P5, The Jewish Historical Society Of England, Published For The Society By: Edward Goldston Ltd., London, 1939.

•) سالنامة: كلمة مركبة من مقطعين، سال، ومعناها: سنة، ونامة، ومعناها: كتاب، وترجمته الحرفية: الحوليات، أو الكتاب السنوي.

المسلمون	المسيحيون	اليهود	إجمالي سكان فلسطين من غير البدو[١]
٣٢٥,٢٧٢	٤١,٩٥٢	١٤,٧٣٠	٣٨١,٩٥٤
%٨٥	%١١	%٤	%١٠٠

أما تعداد الشام كلها، فهو الذي جاء ضمن التعداد الشامل للنفوس في جميع ولايات السلطنة العثمانية، ومن مختلف الديانات، ذكوراً وإناثاً، والذي أمر به السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله، وبدأ في سنة ١٢٩٣هـ/١٨٨٢م، واستغرق عشر سنوات، وقد نشره كاملاً بجداوله التفصيلية المؤرخ وأستاذ التاريخ التركي في جامعة ويسكونسن الأمريكية Wisconsin، دكتور كمال كربات Kemal Karpat، في كتابه ودراسته الأكاديمية: الخصائص الديموجرافية والاجتماعية لسكان الدولة العثمانية من ١٨٣٠م إلى ١٩١٤م Ottoman Population, Demographic And Social Characteristics:1830-1914، وقد استخرجنا لك منه ما يخص الشام، فهاك تعداد كل سنجق/لواء في الشام بقضاءاته ومدنه، وهي في أصل التعداد مفصلة، كل قضاء أو مدينة بأريافها وحدها، وقد جمعنا أيضاً أعداد الذكور والإناث معاً للتيسير عليك[٢].

أولاً: سنجق بيروت، ويشمل بيروت وصيدا وصور ومرجعيون:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
٩١,٠٥٢	١٧,٤٧٢	٨٦	٢٥,٣٧٢	١,٧٧١	١,٤٦٢	٢٨٠	١٣٧,٤٩٥

ثانياً: سنجق عكا، ويشمل عكا وصفد والناصرة وطبريا:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
٥٨,٨٤٠	٦,٤٩٧	لا يوجد	٦,٧٨٩	١,٦١٨	٤٣٣	١,٧٠٥	٧٥,٨٨٢

1) Alexander Scholch: The Demographic Development Of Palestine, 1850-1882, International Journal Of Middle East Studies, Vol. 17, No.4, P485-505, Cambridge University Press, November, 1985.

2) Kemal Karpat: Ottoman Population, Demographic And Social Characteristics:1830-1914, P128-145, University Of Wisconsin Press, 1985.

ثالثاً: سنجق اللاذقية، ويشمل سبيلي Cebele، والمرقاب/المركاب Merkap، وساكيون Sakyun:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
١١٠,٥١٨	٥,٣٧٨	لا يوجد	١,٥٧٥	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	١١٧,٤٧١

رابعاً: سنجق طرابلس، ويشمل طرابلس وعكار وصافيتا وحصن الأكراد:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
٨٨,١٠٨	٢٤,٦١٢	لا يوجد	٩,٠١٥	٦٣	٤١	١٣	١٢١,٨٥٢

خامساً: سنجق البلقاء، ويشمل البلقاء وبني صعب وجنين:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
١١٣,٥١٦	١,٠١٧	لا يوجد	٣٥	٨٩	٢٧٣	٣٨٤	١١٥,٣١٤

سادساً: سنجق دمشق أو الشام، ويشمل مركز الشام ودوما وحاصبيا وراشيا وبعلبك والنبك:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
٢٤١,٤١٩	١٦,٢٩٦	١٩٩	١٩,٤١٩	٦,٢٧٧	٤٥٥	٩٦	٢٨٤,١٣٤

سابعاً: سنجق حماة، ويشمل حماة وحمص والحميدية والسليمية:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الإجمالي
٩٧,٥١٢	١٣,٠٨٠	لا يوجد	٥,٧٢١	لا يوجد	٢٤٧	٤	١١٦,٦١٤

ثامناً: متصرفية القدس الخاصة، وتشمل القدس ويافا وغزة والخليل:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الغجر	أجانب	الإجمالي
١٩٩,٦١٣	١٦,٧٢٠	٩٣٩	٤٢٢	٨,١١٠	٦٥٤	٦,٨٤٩	٨٤	١,٣٩٧	٢٣٤,٧٧٠

وما عليك الآن سوى أن تجمع معنا هذه الإحصاءات معاً، فتكون قد وصلت بذلك إلى التعداد الشامل للشام كلها، فهاك هو:

المسلمون	اليونان/الروم	الأرمن	الكاثوليك	اليهود	البروتستانت	اللاتين	الغجر والأجانب	الإجمالي
١,٠٠٠,٥٧٨	١٠١,٠٧٢	١٢٢٤	٦٨,٣٤٨	١٧,٩٢٨	٣,٥٦٥	٩,٣٣١	١,٤٨١	١,٢٠٣,٥٢٧
%٨٣,١	%٨,٤	%٠,١	%٥,٧	%١,٥	%٠,٣	%٠,٨	%٠,١	%١٠٠

وأما النسبة بين المسلمين واليهود في الدولة العثمانية كلها، فتعرفه من التعداد العام في السلطنة العثمانية، الذي بدأ سنة ١٨٤٤م، وتم فيه تعداد النفوس في ولايات الدولة المختلفة في آسيا وإفريقيا وأوروبا، مرة حسب أعراقهم وأصولهم الإثنية، ومرة حسب دياناتهم، وقد أورده كاملاً دكتور كمال كربات في كتابه، فهاك نتيجته النهائية حسب الديانات[1].

المسلمون	اليونان الأرثوذكس	الكاثوليك	اليهود	طوائف أخرى	سكان السلطنة
٢١,٠٠٠,٠٠٠	١٣,٠٠٠,٠٠٠	٩٠٠,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٣٥,٣٥٠,٠٠٠
%٥٩,٤	%٣٦,٨	%٢,٥	%٠,٤	%٠,٨	%١٠٠

وفي التعداد العام الذي بدأ سنة ١٨٨٢م، كانت النسب هكذا[2]:

المسلمون	٢١,٥٠٧,٣٠٤	%٧٩,٤
اليونان/الروم	٢,٥٠٥,٧٨٢	%٩,٢

1) Ottoman Population, Demographic And Social Characteristics:1830-1914, P116.
2) Ottoman Population, Demographic And Social Characteristics:1830-1914, P155.

الأرمن	٩٩٤,٠٦٥	%٣,٦
البلغار	٨١٩,١٣٨	%٣,٠١
الكاثوليك	١٣٩,٧٦٥	%٠,٥
اليهود	١٨٤,٣٩٧	%٣,٦
البروتستانت	٣٦,١٣٠	%٠,١
اللاتين	١٨,٢٣٢	%٠,٠٦
السريان	١٠,٦١٨	%٠,٠٤
آخرون	٩٣٩,٢٥٢	%٣,٥
إجمالي سكان السلطنة	٢٧,٢٠٨,٦٨٣	%١٠٠

فإذا جمعت إحصاءات فلسطين والشام والدولة العثمانية مع إحصاءات القدس، سوف تكتشف أن نصف اليهود في الشام كلها كانوا يتركزون في عهد أول الآتين من الخلف وابنه في القدس وحدها، بينما هجرها المسلمون، ومن ثَم زاد عدد اليهود فيها عن المسلمين، وبعد عهده عاد المسلمون وظل اليهود كما هم، فصاروا نصف عدد المسلمين في القدس، رغم أن اليهود لا يشكلون في تعداد الدولة العثمانية سوى ٠,٤%، وفي الشام ١,٥%، وفي فلسطين ٤%، بينما المسلمون ٨٣% من تعداد الشام، و٨٥% من تعداد فلسطين.

والآن جاء أوان أن نخرجك من هذه الإحصاءات والأرقام التي أسرفنا فيها عمداً، لكي نطهر رأسك من الأغاني المحشوة بالأكاذيب التي يؤلفها المؤرخون الأميون في أول الآتين من الخلف وابنه، وأن نعود بك إليه، بعد أن رأيت نتائج ما فعله، لكي نُعرفك ببقية سياساته في القدس التي غيرت هويتها وأفضت إلى هذا الخلل الجسيم في التوازن بين المسلمين واليهود.

وقد علمتَ الجزء الأول من هذه السياسات، ألا وهو إذلال المسلمين، في غلاف مساواة أهل الديانات الأخرى بهم، من أجل تنفيرهم ودفعهم لهجر القدس، والجزء الثاني من سياسات أول الآتين من الخلف وابنه لتغيير هوية القدس وتهويدها، هو ترتيباتهم الصريحة لليهود.

علمتَ من قبل أن إبراهيم باشا أصدر بيورالدي أو منشوراً من معسكره قرب عكا، وأرسله مع الحامية التي أرسلها للاستيلاء على القدس، ووجهه إلى قاضي القدس ومفتيها وشيوخها، ونص فيه على أنه:

"قد صدرت إرادتنا الآن برفع الترتيبات التي على جميع المعابد والأديرة وجميع طوايف النصارى الكاينة بالقدس الشريف، إفرنج وروم وأرمن وقبط، وكذلك العوايد المرتبة على الملة الموسوية قديماً وحديثاً"[1].

فأزال ابن أول الآتين من الخلف العوائد التي على معابد اليهود في القدس، كما أزال في المنشور نفسه الأغفار أو الرسوم المفروضة في الطرق والمعابر على القادمين من خارج القدس والشام لزيارة المقدسات، وكما تدرك الآن، اليهود كانوا هم المقصود الحقيقي بهذه الأوامر، الذين تدفقوا على القدس فعلاً، بينما المسيحيون بطوائفهم المختلفة لم يكونوا سوى غلاف لتمرير اليهود فيه، ولم يختلف عددهم في القدس في عهد أول الآتين من الخلف عن عددهم قبله.

وبينما كان كل ما ناله المسيحيون/الغلاف من امتيازات فعلية في منشور إبراهيم باشا، هو رفع العوائد والضرائب عن كنائسهم الموجودة في القدس منذ مئات السنين، شرع اليهود الذين تقاطروا على القدس واستوطنوها في ترميم معابد اليهود وتجديدها وإنشاء معابد جديدة، بإذن من إبراهيم باشا، وأحياناً بغير إذنه.

وهو ما تخبرك به صريحاً أستاذة الأديان كارين أرمسترونج، مع أسماء ثلاثة من هذه المعابد:

"في عام ١٨٣٤م، أصدر محمد علي أمراً يسمح للسفارديم بإعادة بناء معبد بن زكاي المهدم، وكان يهود الأشكناز الأوربيون قد تزايدوا في السنوات الأخيرة تزايداً كبيراً إثر قدوم فيض من المهاجرين الجدد من بولندا، وفي عام ١٨٣٦م حصل اليهود الأشكناز على تصريح لبناء معبد جديد ويشيفاه (مدرسة دينية)، وخرجت الطائفة كلها للعمل في البناء، فكان هناك الحاخامات والطلبة وحتى المسنين الذين ساعدوا في حفر الأساسات وإخلاء الموقع من أكوام

---

١) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ١، ص٨٨.

القمامة، وفي عام ١٨٣٧م تم ترسيم الجناح الأول من معبد هورفا الجديد، غير أن المبنى صار سبباً في الخلاف، فقد كان الحاخام بارداكي من مدينة منسك[*] معارضاً للمعبد الجديد، لأنه اعتقد أن الموقع لابد وأن يستغل للإسكان، حيث كان هناك حوالي خمسمائة مهاجر يهودي جديد دون مأوى، وعلى سبيل الاعتراض قام هو وأتباعه بإنشاء معبد سكوت شالوم"[١].

أما إجمالي عدد المعابد الجديدة التي أنشأها اليهود في القدس إبان حكم أول الآتين من الخلف وابنه للشام، فتعرفه من وثيقة رسمية أوردها مؤرخ الكنيسة الأنطاكية وأستاذ التاريخ في جامعة بيروت أسد جبرائيل رستم، في المجلد الرابع من وثائق الشام في المحفوظات الملكية المصرية، وهي رسالة أرسلها حكمدار عربستان/الشام، محمد شريف باشا، إلى إبراهيم باشا، بتاريخ ١٨ من ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ/٢٢ فبراير ١٨٤٠م، ونصها:

"لقد تلقيت إرادتكم الكريمة المؤرخة في ١٣ شوال سنة ٥٥، التي تفضلتم وأشرتم فيها إلى أن الأوراق الخاصة بمعابد اليهود التسعة التي أنشئت من جديد بالقدس، التي رفعتها إلى مقامكم الكريم في ٣ رمضان سنة ٥٥ قد أرسلت إلى ديوان المعاونة، وأن الجناب العالي اطلع عليها، وأمر بأن يُستعلم عن المدة التي أنشئت هذه المعابد في خلالها، وأن يُذكر تاريخ الأمر الصادر بالموافقة على ترميم إحداها ... وقد أرسلت هذه الأوراق جميعها من طي عريضتي هذه، وعلى كل حال الأمر والإرادة لمن له الأمر"[٢].

وهذه هي قصة إنشاء أحد هذه المعابد، تعرفها من التحقيق الذي قام به مجلس القدس، بناءً على أوامر محمد شريف باشا:

•) مدينة منسك Minsk، كانت في القرن التاسع عشر تابعة لروسيا القيصرية، وهي الآن عاصمة روسيا البيضاء Belarus.

١) القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ص٥٦٤.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٤، ص٢٩٧.

"لقد استُقدم الذمي وسئل في الموضوع، فأجاب: لقد كان هناك معبدان أحدهما كبير والآخر صغير تقام فيهما الطقوس الدينية، ولما صدر الأمر بتاريخ سنة ٥٢ بترميم المكان الخرب الذي يقيم فيه الخواجة يوسف، شُرع في ترميمه واتُخذ بعد ذلك معبداً، ولم يُمانع في ذلك، وهذا المكان الذي جُعل معبداً ولم يُوضع فيه سوى التوراة، حيث عُلقت فوقه القناديل والستائر، وأخذ اليهود يفعلون في منازلهم مثل ذلك، أما إقامة الطقوس الدينية فهي تتم في المعبد الكبير"[١].

وقد تقول إن اليهود استغلوا تسامح أول الآتين من الخلف وابنه، وبنوا المعابد دون علمهم، كما يبدو من رسالة محمد شريف باشا لإبراهيم باشا، ومن قصة إنشاء المعبد.

ونقول لك: أولاً: لا توجد وثيقة تقول إن السرعسكر إبراهيم باشا وحكمدار الشام أمروا بهدم ما بناه اليهود، أو منعوا بناءها ابتداءًا، واليهودي الذي استقدمه مجلس القدس لسؤاله، قال في عرضه للموضوع إن بيت الخواجة يوسف: "**اتُخذ بعد ذلك معبداً، ولم يُمانع في ذلك**".

وهو ما تخبرك به في فخر أستاذة التاريخ الأمية، في ثنايا احدى أغنياتها عن تسامح أول الآتين من الخلف وحكمه العادل، أن اليهود كانوا يبنون معابدهم بغير إذن، لعدم حاجتهم اليه، وعلمهم بعدم الاعتراض على ما يفعلون:

"ويبدأ تحقيق رغبات اليهود يسلك طريقه، ويتزعم حاخامهم في القدس المطالب الخاصة بعبادتهم ... ويلاحظ أنه قبل الطلب يُهنأ بالفتح والنصر، ووصل الأمر إلى أن اليهود أصبحوا يرممون معابدهم بدون الحصول على الإذن"[٢].

فلن تعجب وأنت تقرأ ما يخبرك به المؤرخ المصري حبيب جاماتي، في كتابه: إبراهيم في الميدان، الذي أصدرته دار الهلال سنة ١٩٣٤م، في عهد الملك فؤاد، حفيد إبراهيم باشا، من أنه:

---

١) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٤، ص٢٩٧.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٢٥٧-٢٥٨.

"في يونيه، حزيران، سنة ١٨٣٢م، عقد اليهود في مدينة القدس مجلساً، تصدره الحاخام كوهين المارديني، وألقى على الحاضرين بعد أن اكتمل عقدهم هذا السؤال: كُلفت بأن أحمل إلى قائد المصريين شكاوى أبناء إسرائيل، فهل بينكم من لديه شكوى يرفعها إليه؟، فأجابوا جميعاً في صوت واحد: لا ... فنضرع إلى الله أن يحفظ إبراهيم من الأذى، وأن ينصر جيوشه على أعدائه، ويذلل في طريقه الصعاب، ويصونه من كيد الكائدين، فنهض الجميع، ورفعوا إلى السماء أكف الضراعة قائلين بصوت واحد: آمين، آمين"[1]!

وثانياً: قارن إغماض أول الآتين من الخلف وابنه عيونهم عن اليهود ومعابدهم بيقظتهم وانتباههم وعيونهم التي لا تغفل عن المسلمين، وما فعلوه بمساجدهم التي استباحوها وأباحوها للأوروبيين، بل واستولوا على بعضها وحولوها إلى ثكنات لجنودهم، كما يخبرك موظف حكومة إبراهيم باشا في الشام في مذكراته:

"صار في البلد عساكر كثيرة، لأن الحرب كان خلص والعساكر فِضْيت، صاروا يرسلونها للشام، وأخذ جملة بيوت منظومة، نزلوا أغوات العسكر (الضباط) فيها، وأخذوا جملة جوامع ومدارس نزلوا بهم عساكر، مثل الجامع الذي في سوق الخياطين ... والجامع الذي بالدرويشية، وجامع المعلق، وجوامع غيره، حتى المسلمين كادت تفقع مراريهم"[2].

وما فعله أول الآتين من الخلف وابنه بالمساجد، لم يفعلوا مثله بكنيسة ولا معبد يهودي في الشام كلها، وهو ما تتيقن منه أن ما يكتبه المؤرخون الأميون عن تسامح أول الآتين من الخلف ومساواته بين الديانات وحكمه العادل، ليس سوى أغانٍ محشوة بالأكاذيب.

وثالثاً: تنبه إلى أن طريقة بناء اليهود لمعابدهم في القدس في عهد أول الآتين من الخلف، التي رأيتها في تحقيق مجلس القدس، بتحويل البيوت إلى معابد خلسة، ودون إذن من الدولة ولا تراخيص، هي نفسها وبحذافيرها طريقة بناء المسيحيين للكنائس في بلاليص ستان، واستيلائهم على آلاف الأفدنة وضمها لزمام الأديرة، دون علم الدولة، ثم عجزها عن فعل شيء بعد أن

---

١) الأستاذ حبيب جاماتي: إبراهيم في الميدان، ص٣٨-٣٩، إدارة الهلال بمصر، القاهرة، ١٩٣٤م.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٥-٦٦.

تعلم، بينما تُكمم المساجد، وتَرصد أجهزة الأمن كل صغيرة فيها وكبيرة، وهي التي تديرها فعلاً، وما يتم بناؤه أو توسعته من مساجد دون تراخيص تُرفع أمامه راية القانون وهيبة الدولة، ويهدم دون تسامح ولا تهاون.

وما نريدك أن تنتبه إليه وتدركه حقاً، ليس الوقائع المتفرقة عن بناء اليهود في عهد أول الآتين من الخلف للمعابد، وبناء المسيحيين في بلاليص ستان للكنائس، وتجاوز هؤلاء وأولئك للدولة، وعجزها عن فعل شيء تجاههم، بل المعادلة التي أرساها أول الآتين من الخلف، وصنع من خلالها دولته، وما زالت سارية وتحكم الدولة في بلاليص ستان إلى يومك هذا.

وهي المعادلة التي طرفها الأول موالاة رأس الدولة، والدولة كلها، لإمبراطوريات الغرب الماسونية، والسير في ركابها، وتقريبهم لبلاليص ستان من اليهود، وتحويلها خطوة خطوة إلى محضن لمشروعهم، عبر إزاحة الإسلام وإذابة آثاره في الدولة والمجتمع، وتكتيف المسلمين، في مقابل معاونة هذه الإمبراطوريات لهم، ووقوفها خلفهم، وإمدادها لهم بالسلاح الذي يمكنهم من الاستيلاء على السلطة والاحتفاظ بها وتكتيف المجتمعات المسلمة، ليكون طرف المعادلة الثاني غض الطرف عن الأقليات، وتصعيدها في الدولة والمجتمع، وإدراك الأقليات نفسها أنها تحولت في هذه المعادلة إلى قوة توازي الدولة وتضغط عليها وتعجز عن مواجهتها، لحاجة الدولة إليهم من أجل استرضاء الغرب، ووضعهم في الواجهة، وليواجهوا بهم عموم المسلمين.

المعادلة التي أرساها أول الآتين من الخلف، وما زالت تحكم بلاليص ستان إلى اليوم، وكان من إفرازاتها تضخم نفوذ الأقليات ونشوزها على الدولة، هي انتقال مصدر شرعية الحُكم والسلطة والدولة من الداخل، أي رضا عموم المجتمعات المسلمة، إلى الخارج، أي رضا إمبراطوريات الغرب التي يمتطيها اليهود وتسعى في مشروعهم.

وبعد أن تيقنت أن الشق الأول من بيورالدي إبراهيم باشا، الخاص برفع الرسوم والترتيبات عن أماكن العبادة في القدس، كان المقصود الحقيقي والفعلي به معابد اليهود، إليك ما خص به إبراهيم باشا اليهود وحدهم صراحة، وتتيقن منه أن اليهود أيضاً كانوا هم المقصود الحقيقي

بالشق الثاني، الخاص برفع الرسوم والضرائب عن القادمين إلى القدس من خارجها وخارج الشام كلها، وأنه لم يكن سوى إزالة للحواجز التي تعرقل زحفهم على القدس.

نقلاً عن وثائق مَحافظ الشام في عهد أول الآتين من الخلف، تخبرك أستاذة التاريخ الأمية أنه:

"كثر عدد الوافدين اليهود من أوروبا، وحينما نزلوا حيفا أُرسلت التوصيات لمتسلمها بشأنهم، فيقول كاتب الديوان إلى إبراهيم: "إكراماً لهم وترحيباً بهم، لكونهم ضيوفاً أرسلناهم (إلى القدس) معززين مكرمين"، وتتابعت الأوامر وأُرسلت التصريحات إلى محافظي الطرقات على طول الطريق للقدس بأن: "يعاملوا اليهود بالحماية والصيانة والراحة، ولا أحد يقارشهم بأدنى شيء من أنواع التكاليف، وتُشهلوا أمر سيرهم ولا يحصل لهم تعطيل"، واستمر الاهتمام بأمر اليهود لدرجة أنه عندما حُصِّل من الزائرين عوايد غفر طُلب مقدار ما دفع ليرد إليهم، وشُدد على عدم التكرار: "من الآن فصاعداً لا يُتعرض لزوارهم، ولا يؤخذ منهم ولا نصف فضة واحد غفر"[١].

وحين نشب نزاع في طبريا بين المسلمين واليهود الأشكناز، وهم الأوربيون القادمون من خارج الشام والدولة العثمانية، وبَّخ ابن أول الآتين من الخلف متسلمها، ضمن أمر أصدره إليه، بأن:

"الإرادة السنية راغبة براحة ساير بني آدم، وعدم حصول تعد على أحد من الرعايا ... ومن الآن فصاعداً تعتنوا في راحة اليهود الأشكنازية من سائر الوجوه، وإذا بلغ المسامع الشريفة أن حصل عليهم أدنى تعد من أحد فيحصل الانتقام البليغ من المعتدي"[٢]!

وإليك هذه الوثيقة التي أوردها مؤرخ الكنيسة الأنطاكية والأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت، أسد جبرائيل رستم، في المحفوظات الملكية الخاصة بوثائق الشام، وتعرف منها أن

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٥٧.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٢٥٩.

اليهود القادمين من مناطق الدولة العثمانية على أنهم حجاج، طارحوا أول الآتين من الخلف وابنه الغرام وبادلوه الهديا بأمثالها، بتجسسهم على الدولة العثمانية ونقل أخبارها إليهم:

"من كاتب الديون إلى إبراهيم باشا، ينقل إلى الباشا السرعسكر ما بلغه من الحجاج اليهود عن أخبار الدولة العثمانية وروسية، ١٣ جمادى الأولى، سنة ١٢٤٨هـ"[1].

فهل فهمت الآن كيف حدث الانقلاب الديموجرافي بين المسلمين واليهود في القدس، وهلا أدركت أن سياسات أول الآتين من الخلف وابنه وترتيباتهم في القدس، لم تكن في حقيقتها سوى خطوة نحو تهويد القدس، بتفريغها من المسلمين وتكميم مساجدهم، وإباحتها لليهود ونشر معابدهم.

---

١) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد٢، ص١٣٦.

قناصل ويهود

قناصل:

لأستاذ تاريخ الشرق الأوسط في جامعة إرلانجن الألمانية، والمتخصص في تاريخ فلسطين، ألكساندر شولش، كتاب عنوانه: فلسطين في تحول، ١٨٥٦م-١٨٨٢م، دراسات في التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي Palestine In Transformation, 1856-1882, Studies In Social, Economic And Political Development، وقد ترجمه المؤرخ الفلسطيني المقدسي دكتور كامل جميل العسلي، بعنوان: تحولات جذرية في فلسطين، وفي باب: الاهتمام الأوروبي بفلسطين European Interests In Palestin، من كتابه يقول شولش إن المشروع اليهودي بدأ من قبل ظهور الحركة الصهيونية، ومن بدأوه هم:

"صهاينة القرن التاسع عشر الإنجليز غير اليهود The English Gentile Zionists Of The Nineteenth Century، هم رواد الصهيونية وحماتها، ومن مهدوا لها بأفكارهم، فأشاعوا عقيدة إعادة اليهود Restoration Of The Jews، إلى جانب فكرة الحملة الصليبية السلمية Peaceful Crusade الذائعة في القارة الأوروبية، والاهتمام المسيحي واليهودي التقليدي بفلسطين"[١]، [٢]، [•].

ثم هاك شولش يخبرك بنقطة البداية في مشروع الصهاينة البريطان من غير اليهود:

---

1) Alexander Scholch: Palestine In Transformation, 1856-1882, Studies In Social, Economic And Political Development,P48, Institute For Palestine Studies, 1993.

٢) ألكساندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين، -١٨٨٢م، دراسات حول التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ص٦٠، ترجمة: دكتور كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الثانية، عمَّان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

•) أشرنا إلى ترجمة دكتور كامل جميل العسلي لكتاب شولش، إلا أننا لم نلتزم بنص ترجمته، بل ترجمنا عن الطبعة الإنجليزية مباشرة.

"إن نقطة الانطلاق لكل هذه الأحداث، هي فتح الأرض المقدسة أمام تغلغل أوروبا السياسي والثقافي والديني Europe's Political And Religious-Cultural Penetration، والذي بدأ في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، مع تحريك محمد علي حاكم مصر لجيشه بقيادة ابنه إبراهيم، واستيلائه على سوريا بأكملها/الشام، ومن ضمنها فلسطين، ولكي يكسب رضا القوى الأوروبية، خصوصاً انجلترا، فعل محمد علي شيئين، الأول أنه أزال كل أشكال التمييز ضد أتباع الطوائف غير المسلمة في المناطق التي استولى عليها، فأصبح لهم نفس حقوق المسلمين، بل وأصبحوا مميزين من بعض الوجوه عن المسلمين، والشيء الثاني أنه سهّل تغلغل الأوروبيين السياسي والثقافي والديني، عبر السماح لهم بفتح القنصليات في داخل البلاد، وبتوسعة الأنشطة التبشيرية وإقامة مؤسسات لها والاعتراف بها ... وأكثر الأحداث أهمية في فلسطين بهذا الخصوص، هو تأسيس القنصلية البريطانية في القدس سنة ١٨٣٨م"[1]، [2].

ونقول لك: أولاً: لا نريد أن نخرجك من الكتاب الذي بين يديك، ولكن ما قاله شولش عن نقطة البداية للمشروع اليهودي في الغرب، وأنه بدأ مع الإنجليز في القرن التاسع عشر، ليس صحيحاً، فبداية هذا المشروع كانت مع الحروب الصليبية، وانتقال نشاط اليهود والحركات السرية الرئيسي من الشرق إلى الغرب، مع تكوين منظمة فرسان الهيكل، وهو أيضاً المشروع الذي تتوارثه إمبراطوريات الغرب من بعد الحروب الصليبية، وهو بوصلتها وغايتها الخبيثة من حملاتها المتوالية على الشرق في كل العصور، البرتغال والإسبان والفرنسيس والبريطان، ونرجو منك أن تعود في بيان ذلك وأدلته إلى كتبنا: اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، واليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، واليهود والماسون في الثورات والدساتير.

وثانياً: ما أخبرك به شولش يؤكد لك ما أخبرناك به، من أن المشروع اليهودي هو محرك الإمبراطوريات الماسونية، ودافعها الرئيسي نحو الشرق، وكل غزواتها له وسياساتها فيه من أجل

---

1) Palestine in Transformation,1856-1882, Studies in Social, Economic and Political Development,P48-49.

٢) تحولات جذرية في فلسطين، ١٨٥٦م-١٨٨٢م، دراسات حول التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ص٦٠-٦١.

إتمامه، وهو محور كل ما شهدته وتشهده بلاد العرب من أحداث، منذ حملة الماسوني نابليون على مصر، وما تلاها من تأسيس دولة أول الآتين من الخلف، وحتى اللحظة التي تقرأ فيها هذه الكلمات.

وثالثاً: أما ما قاله شولش، من أن استيلاء أول الآتين من الخلف على الشام، وتغيير هويتها الدينية والثقافية والسياسية، وتسهيل اختراق إمبراطوريات الغرب الماسونية لها، خصوصاً بريطانيا، هو نقطة الانطلاق العملية في المشروع اليهودي في طبعة القرن التاسع عشر التي نجحت واكتملت، فهو يكشف لك حقيقة أول الآتين من الخلف، وأن ما فعله في الشام، وفي مصر قبلها، لم يكن سوى بذر بذور المشروع اليهودي في الشام، ووضع أساساته وبنيته التحتية في الشرق كله.

والاختلاف بيننا وبين شولش، أننا نخبرك أن أول الآتين من الخلف، مثل جميع الآتين من الخلف وخريجي حواري اليهود، فعل ذلك عمداً وهو يقصده ويريده، وجاء من حارة اليهود اليونانية إلى مصر وهو يحلم به، فإذا أردت أن تتيقن من فرضيتنا فأعد قراءة كتاب بلاليص ستان من أوله.

وأما الخلاف بين أول الآتين من الخلف وبين الإمبراطوريات الماسونية، وإطاحتها به، فكما علمتَ، لا لأنهم مختلفون حول الغاية وأن المشروع اليهودي هو بوصلتهم ومحور حركتهم، بل لأن كل طرف يريد أن يتمه بطريقته، وبما يتوافق مع مصالحه والسيناريو الذي رسمه فيه لنفسه.

قبل أن يستولي أول الآتين من الخلف وابنه على الشام، لم يكن للإمبراطوريات الماسونية وجود فيها ولا تمثيل سوى في بعض المدن الساحلية، من أجل رعاية التجارة والأوروبيين القادمين عبر البحر للحج إلى الأراضي المقدسة، فلم يكن لبريطانيا سوى قنصلية واحدة في بيروت، أنشئت سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، وكان لها فروع أو وكلاء في عكا وحيفا ويافا وصفد.

وكان لفرنسا قنصلية عامة في بيروت، أسست أواخر القرن السابع عشر، وكان لها قنصليات فرعية في المدن الساحلية، حلب وصيدا واللاذقية، وكان وجودها متقطعاً ونشاطها ضعيفاً، ويقتصر على رعاية التجارة الفرنسية وحماية الموارنة الكاثوليك.

وكان لروسيا قنصلية في يافا، أُسست سنة ١٨١٢م، لرعاية الحجاج الأرثوذكس القادمين لزيارة الأماكن المقدسة.

ولم يكن للقناصل والقنصليات الأوروبية حضور في القدس، ولا في مدن الشام الداخلية، بل وكان ممنوعاً على القناصل جميعاً دخول دمشق مركز الشام، حتى ولو كان ذلك لمجرد الزيارة، ومن ثَم لم يكن لهم ولا لدولهم نفوذ ولا سطوة سياسية داخل الشام، ولا تأثير لهم على أنسجتها الاقتصادية والاجتماعية.

وما أن استولى جيش أول الآتين من الخلف على الشام، بعد صلح كوتاهية، حتى فتح مدنها أمام قناصل الإمبراطوريات الماسونية التي بنت له دولته وجيشه، وأول قنصلية يسمح أول الآتين من الخلف بإنشائها في دمشق، لم تكن قنصلية فرنسا، كم لابد خمنت، بل قنصلية بريطانيا.

وهو ما ينسف لك مرة أخرى الأغاني التي يرددها المؤرخون الأميون عن عداوة أول الآتين من الخلف لبريطانيا، وعداوتها له، فلم يكن في أي لحظة من تاريخه عدواً لبريطانيا، بل كان يسعى جاهداً لاسترضائها، ومنتهى أحلامه، كما صرح هو نفسه لقنصل بريطانيا في مصر، أن ترضى بريطانيا عنه وتقبله عميلاً لها في الشرق، وبريطانيا كانت تعلم ذلك وأفسحت له، لكي يطعن الدولة العثمانية ويستنزفها، ويعزل مصر، ويقطع الشام عنها، ويمهد الشام للمشروع اليهودي، ولم تصبح بريطانيا عدوة له إلا بعد أن أدى دوره وانتهت وظيفته التي بنوا له جيشه من أجلها، وبعد أن وضعت بريطانيا وفرنسا أقدامهم في الشام، ليفعلوا ما لا يمكنه فعله، ويستكملوا هم المشروع اليهودي، الذي يكمن أصحابه وأهله الحقيقيون في رؤوسهم، وهم من يرسمون لهم السيناريو ويحركونهم، كما سترى وأنت تواصل مسيرتك معنا.

فإليك وصف الموظف المجهول في حكومة إبراهيم باشا في دمشق، للحفاوة والاستقبال الرسمي الذي أعدوه لقنصل بريطانيا فارن Farren، يوم دخوله دمشق قادماً من بيروت:

"استقام قنصل الإنجليز في بيروت لحينما حضر إبراهيم باشا وأخذ بلاد العربية، حضر للشام نهار الجمعة بعد الصلاة، في ٢١ رمضان ١٢٤٩هـ/٢ فبراير ١٨٣٤م، وكان ترتيب دخوله هكذا: طلع لملاقاته عمر بك مير اللواء، واستنظره في قصر عبد الرزاق باشا الذي

بالمرجة، وصحبته ألف عسكري نظام، وكان برفق القنصل حاضر من بيروت أربعة وعشرون خيال في بيارق النظام، وقواصته عدة ثمانية، واستقام مقدار نصف ساعة، وقام ركب ومشيوا قدامه ألف عسكري نظام في الموسيقا، وبين باشي، وبعده ثلاثين قواص من قواصة الوزير، بعده الخيالة الذين حضروا معه من بيروت ببيارقهم، وبعده التفكجي باشا وجماعته، وبعده قواصته لابسين طقومة وردي جزايرلي مقصب، وبيدهم عصي فضة، مكويجين (ذات قبضة/مقابض) على كسم صليب، وبعده التراجمين في الشالات الكشمير في الخيل المنظومة، وبعده القنصل راكب على راس خيل من الخيول الجياد، ولابس على راسه برنيطة محجرة بالألماس، وفي راسها جملة ريش أبيض وأحمر، ويرمي سلام، ووراه كيخية وخزنداره وعبيده، وتنظر العالم منتشرة من عند قصر المرجة شي لاينحصي"[١].

وغزت القنصلية البريطانية دمشق، لتتوالى عليها قنصليات الدول الأوروبية، فرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا، وصار لكل قنصلية فروع ووكلاء في مدن الشام الكبرى، ومن أجل نوال رضا الإمبراطوريات الماسونية، أسبغ أول الآتين من الخلف رعايته وحمايته على قناصلها، وأباح لهم لهم الشام، ليتوغلوا فيها ويغيروا هويتها ويعبثوا بها كيف شاءوا.

فإليك نموذجاً، في المرسوم الذي أرسله أول الآتين من الخلف إلى ابنه إبراهيم باشا، ووجهه إلى المتسلمين والقضاة في إيالات الشام وصيدا وطرابلس، بخصوص تعيين جاسبر شاسو Jasper Chasseaud قنصلاً للولايات المتحدة في الشام، وقد أورد نصه دكتور أسد جبرائيل رستم، في كتابه: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا:

"مرسوم من سعادة أفندينا ولي النعم المفخم، تاريخه ٥ رمضان ١٢٤٩هـ/١٧ يناير ١٨٣٤م ... ورد إلينا تحرير من محبنا سنيور شاصود، وبه يذكر عن أوامر وردت له بإحالة وظيفة قنسلوسية بلاد سورية لعهدته، ويلتمس صدور أمر من طرفنا لأجل إعلان ذلك، فيلزم

١) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٦٨.

أن يكون معلوماً عندكم إحالة الوظيفة المتقدم ذكرها لعهدته، ويكون له الحماية والصيانة، ويكون روية دعاوى أبناء جنسه بمعرفته، كباقي أحبابنا القناصل أقرانه فينا"[1].

وقد تقول هذه رسالة دبلوماسية تقليدية، وما فيها من عبارات فهو من قبيل إظهار الود وتوثيق الروابط مع الدول، فهل من الدبلوماسية والود أن يتحايل أول الآتين من الخلف لكي يمنح أحباءه من القناصل الأراضي في الشام ويُملِّكها لهم من الباطن؟

وفي المحفوظات الملكية، وثيقة، هي رسالة من أول الآتين من الخلف إلى محمد منيب أفندي، متسلم بيروت، بتاريخ ١٣ شوال ١٢٤٩هـ/٢٣ فبراير ١٨٣٤م، وفيها:

"يوافق على بيع قطعة أرض في بيروت إلى قنصل إسبانية، ويرى أن تُكتب الحُجة باسم أحد أقاربه (أقارب محمد منيب أفندي)، أو باسم أحد أصدقائه المسلمين، لأن القانون يمنع بيع الأملاك والأراضي إلى الأجانب في الممالك الإسلامية"[2].

وهل من الدبلوماسية والود أن يرفع أول الآتين من الخلف الضرائب عن القنصليات وأحبائه القناصل وعمن يشملونهم بالحماية، سواء كانوا من الأوروبيين أو من أهل الشام نفسها، حتى أصبح الدخول في حماية القناصل وسيلة للتهرب من الضرائب وتجاوز من يقومون بجبايتها، في الوقت الذي يستنزفون فيه مسلمي الشام بالضرائب من كل نوع، ويعذبونهم ويضطرونهم لبيع أملاكهم لسدادها؟

ولأن أول الآتين من الخلف رفع الضرائب والعوايد والرسوم عمن يشملهم القناصل بحمايتهم:

"عمل القنصل البروسي على منع تحصيل العوايد، فضم أفراداً إليه ليدخلهم تحت رعايته"[1].

---

١) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ٢، ص٩٧-٩٨، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣١م.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٢، ص٣٨٤.

وفي أطروحته التي حصل بها على درجة الدكتوراة من جامعة اليرموك في الأردن: الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام، ينقل دكتور قاسم محمد أحمد النواصرة عن مراسلات الكولونيل كامبل قنصل بريطانيا في مصر إلى وزير الخارجية بالمرستون، أن:

"القناصل اعتادوا أن يصدروا شهادات بأن البضائع الموجودة في الجمارك تابعة لهم، ومعفاة من الرسوم، ولا يمكن تفتيشها، مع أن السكان جميعاً كانوا يعرفون أن القناصل إنما يتسترون على بضائع تابعة لبعض التجار المحليين ... القنصل البريطاني لدى بيروت، مور، كان يحمي شحنة من القمح، تبين فيما بعد أنها ليست تابعة له، وأن أحد اليونانيين أرسلها إلى آخر"[٢].

ومع الوقت، واعتماد أول الآتين من الخلف على الإمبراطوريات الماسونية لمعاونته في مواجهة الدولة العثمانية والانسلاخ عنها، وفي حربه الثانية التي يزمع شنها ضدها، تعاظم نفوذ القناصل، وزاد سلطانهم، حتى تجاوزوا أول الآتين من الخلف وابنه وصهره محمد شريف باشا حكمدار الشام، وصارت سلطة القناصل فوق سلطتهم جميعاً.

فإليك أمثلة، في شهر صفر سنة ١٢٥١هـ/يونيو ١٨٣٥م، كان الآلاي الثامن من جيش أول الآتين من الخلف يجمع الأنفار للتجنيد في بيروت، واعترضه القناصل ومنعوه من تجنيد بعض الأنفار، لأنهم يعملون في المحجر الصحي الذي يديره القناصل، ونشب نزاع بين القناصل ومتسلم بيروت، فكانت الأوامر الصادرة له من أول الآتين من الخلف هي:

"ألا ينازع القناصل"[٣].

---

١) الحكم المصري في الشام، ٢٦٩.

٢) دكتور قاسم محمد أحمد النواصرة: الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام، ١٢٤٧هـ-١٢٥٦هـ/١٨٣١م-١٨٤١م، ص١٣٠، ١٣١، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٦م.

٣) الحكم المصري في الشام، ص٢٦٩.

ورأى أول الآتين من الخلف أن يرسل سليمان باشا/الكولونيل سيف إلى بر الشام للتفاوض مع القناصل، مصحوباً بمن يختاره القناصل في الإسكندرية من رجالهم، وكان قد عين سليمان باشا مسؤولاً عن الشؤون الإفرنكية وأمر حكمدار الشام بأن يحيل كل ما يخص القناصل إليه.

فهاك الرسالة التي أرسلها أول الآتين من الخلف إلى ابنه إبراهيم باشا في الشام، في ١٩ صفر ١٢٥١هـ/١٧ يونيو ١٨٣٥م، يخبره فيها بما حدث، وتعرف منها كيف كانت العلاقة بينه وبينهم، وقد أوردها دكتور أسد جبرائيل رستم في المحفوظات الملكية:

"تعلل القناصل في هذا، وفاه بعضهم بما لا يليق، وقدم دوهامل (قنصل روسيا) تقريراً أظهر فيه قلة ثقته بقانوننا، ثم طفح الكيل يوم لقي الجناب العالي القناصل في جنينة كرد على أغا وذكرهم بما كان الأوربيون فيه ببر الشام قبل عهد ولايته، إذ كانوا لا يملكون السفر والتجول، ولا يقدرون على زيارة بيت المقدس، كما فكرهم بما كان عليه القناصل عهدئذ من ضعف الشأن وحقارة الأمر، على أن القناصل لم يلبثوا أن أعادوا ما أبدوا ... وختم الجناب العالي كتابه إلى السرعسكر بأن بوغوص بك يرى أن رضى القناصل بسفر سليمان باشا منوط بارتضاء قنصل الإنكليز له"[١].

وفي شهر رجب ١٢٥٣هـ/أكتوبر ١٨٣٧م:

"تشب نزاع بين حكمدار الشام محمد شريف باشا وبين قنصل الإنكليز في دمشق حول تدخل يسقجية القنصل المذكور في شؤون الأمن العام"[*]، [٢].

---

١) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٣، ص٢١، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤١م.

●) يسقجية جمع يسقجي yasakçı، وهي كلمة تركية معناها: حارس أو حاجب.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٣، ص٢٧٣.

وحين رفع محمد شريف باشا الأمر إلى أول الآتين من الخلف في مصر، واشتكى من أن ما يفعله قنصل انجلترا ومعاونوه يؤدي إلى انحلال نظام الحكومة في الشام، كانت تعليمات أول الآتين من الخلف إليه، المحفوظة في محفوظات الشام:

"مراعاة الامتيازات الممنوحة للأجانب"[1].

فهل أدركت الآن حقيقة دولة أول الآتين من الخلف وما فعله، وأن ما يؤلف المؤرخون الأميون فيه الأغاني على أنه استقلال ودولة مستقلة، لم يكن سوى أنه قطع مصر والشام من دولة الإسلام الجامعة لبلاده وشعوبه، ليدخل بها تحت جناح الإمبراطوريات الماسونية، خصوصاً بريطانيا، وخلع سلطة الدولة العثمانية وأزال رايات الإسلام، ليضع نفسه تحت سلطة الغرب ويصير تابعاً له ويرفع رايات إمبراطورياته الماسونية، ويصير هو ودولته جزءًا من المشروع اليهودي، ومن أدوات إرساء عُمُده وإتمامه.

وفي الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، رسالة من حكمدار الشام محمد شريف باشا، إلى مدير إيالة صيدا، حسين أفندي عبد الهادي، بخصوص:

"الفرمان العالي البارز من الديوان الخديوي مؤرخاً في ١٧ صفر سنة ١٢٥٣هـ/٢٤ مايو ١٨٣٧م، والأمر العالي من سعادة السنيور كالونيل كنبل المفخم (الكولونيل كامبل)، قنسلوس دولة الإنكليز السعيدة بالإسكندرية، ومضمونها يشير بنصبنا وكيل قنسلوس الإنكليز بحيفا، ومأمورين برفع بنديرة هذه الدولة المفخمة"[•]، [2].

وهاك نص رسالة أخرى، أرسلها سليمان باشا الفرنساوي، المسؤول عن القناصل والشؤون الإفرنكية، إلى بطريرك الموارنة في بيروت، في ١٥ تموز/يوليو ١٨٤٠م:

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٧٠.

•) بنديرة Bandiera: "كلمة إيطالية، مرادفها راية وعلم ولواء، وهي مأخوذة من بند الفارسية" (القس طوبيا الحلبي اللبناني: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، ص١٣، غني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه: الشيخ يوسف توما البستاني، صاحب مكتبة العرب، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٣٢م.

٢) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ٢، ص٦٦.

"تزكرة شريفة من سعادة سلطانم سليمان باشا المعظم، ريس الرجال الجهادية، لأجل حماية ديركم يلزم متى قربت العساكر لديركم توضعوا التزكرة على بوابة الدير، وتوضعوا بنديرة دولة الفرنساوية الشريفة فوق بوابة ديركم، والبنديرة تكون من قماش أزرق فاتح وبعده أبيض وأحمر مخيط في بعضه ومركب على عصاية البنديرة"[1].

وما نريدك أن تدركه ولا تغفل عنه، لكي تفهم ما يحدث في زمانك، أن المسار الذي شقه أول الآتين من الخلف لبلاليص ستان ودفعها بجيشه إليه، هو الذي سارت وما زالت تسير فيه، ويحكم دولتها في كل عصورها، ملكية وجمهورية، وهو الذي وصل ببلاليص ستان إلى المشهد الذي تراه أمامك، وقد كاد المشروع اليهودي أن يكتمل ويصل إلى تمامه، وهو أيضاً الذي أنتج الأميين الذين يؤلفون الأغاني في خريجي حواري اليهود الذين هيأوا الشرق لاستقبال بني إسرائيل، وحولوه إلى محضن لمشروعهم ودولتهم، وكانوا من أدوات إقامتها وتمددها، وما زالوا.

ومع تعاظم نفوذ القناصل في الشام، وارتفاع سلطتهم فوق سلطة حكمدار الشام، محمد شريف باشا، والسرعسكر قائد الجيش، إبراهيم باشا، ومع خضوع أول الآتين من الخلف لهم، وعجزه عن مواجهتهم، تجاوز من شملهم القناصل بالحماية السلطة هم أيضاً، وبينما مسلمو الشام في ضنك ويفرون هرباً من حكومة أول الآتين من الخلف إلى المناطق العثمانية، كان المشمولون بحماية القناصل يسرحون ويمرحون في الشام، ويعيثون فيها فساداً، دون أن يكون في مقدور هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم أو تحاسبهم، كما يخبرك دكتور قاسم محمد أحمد النواصرة في رسالته للدكتوراة نقلاً عن وثائق محفوظات الشام:

"وأدخل القنصل الإنجليزي في حمايته المشهورين بالتمرد والشغب، "وإن أكثر أهالي دمشق الشام شقاوة هم سكان أحياء الميدان والعقيبة والصالحية، وأكثر المستخدمين عند القنصل منهم"، وكانوا يبيحون المحظورات دون أن تمتد إليهم يد السلطة، فحدث أن أقدم أحد ذوي

---

١) الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد٥، ص١٥٢، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣٣م.

الحماية البريطانية على السرقة، ولما قبض عليه تدخلت القنصلية لدى السلطات المصرية، وتم الإفراج عنه"[1].

ووصل فساد المشمولين بحماية القناصل، وتجاوزهم لسلطة أول الآتين من الخلف وابنه وقائد جيشه وصهره حكمدار الشام، أن صاروا ينافسون الحكومة في تجارة الخمور، ويوقعون بها الخسائر، دون أن تتمكن من إيقافهم أو تحصيل ضرائب منهم.

وهو ما تخبرك به أستاذة التاريخ الهائمة ككل الأميين بأول الآتين من الخلف، نقلاً عن محفوظات الشام:

"واستغل أصحاب الحمايات الظروف وفتحوا الخمارات وقدموا المشروبات الروحية للقوات مخالفين تعليمات الجيش، وكان يديرها يونانيون أصحاب حماية بريطانية ... وكتب إبراهيم إلى المتسلمين لمنع ما يُقدِم عليه هؤلاء من فتح تلك المحلات، وأوضح تلك الخسارة التي تسببت لالتزام الخمارات، لعدم دفع الرسوم المقررة، وطلب أن يبلغ القناصل "بوجوب إقفال الخمارات التي فتحها رعاياهم بعد إمهالهم ثماني ساعات"، ورغم كتابة القناصل لرعاياهم بالعمل على وقف بيع الخمور وإذا باعوها يلتزمون برسومها، إلا أن هذا لم يتحقق، لأن الدائرة القنصلية شريكة في هذا العمل، فيبلغ حكمدار حلب المعية أن: "القناصل وتراجمتهم والذين في حمايتهم يأتون بمشروبات مثل العرق والعنب والخمر والزبيب من بلاد أخرى ويدعون أنها خاصة بأنفسهم، والحقيقة أن المشروبات التي يأتون بها ليست خاصة بهم، بل إنهم يوردونها للبيع"[2].

ويهود:

والآن إلى ما جئناك بهؤلاء القناصل من أجله، فبعد أن فتح لهم أول الآتين من الخلف الشام، وتعاظم نفوذهم فيها، وعلت سلطتهم على سلطة أول الآتين من الخلف وعلى ابنه قائد جيشه

---

١) الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام، ١٢٤٧هـ-١٢٥٦هـ/١٨٣١م-١٨٤١م، ص١٣٢، ١٣٣.

٢) الحكم المصري في الشام، ص٢٦٨-٢٦٩.

وعلى صهره حكمدار الشام، صارت مهمتهم الرئيسية والمشتركة بينهم جميعاً، هي بسط الحماية على اليهود، ورفعهم فوق سلطة حكومة أول الآتين من الخلف، سواء كانوا من رعايا دولهم أو من غير رعاياها، أو من يهود الدولة العثمانية والشام نفسها، فكل قنصل وقنصلية تشمل بحمايتها مواطنيها ومن يتحالف معها من الطوائف في الشام، وتمنع حكومة أول الآتين من الخلف من تحصيل العوائد منهم، ومن التعرض لهم عند تجاوزهم للنظام والقوانين التي وضعتها وتطبقها بقسوة على المسلمين، وحماية اليهود والوقوف درعاً لهم أمام الحكومة ليفعلوا ما شاءوا مهمة جميع القناصل والقنصليات، تتقدمهم قنصليات بريطانيا الماسونية بالطبع!

وفي تقارير قنصل النمسا في عكا وصيدا إبان حكم أول الآتين من الخلف للشام، أنطونيو كاتافاجو Antonio Catafago، رسالة أرسلها القنصل كاتافاجو في ٢٢ ديسمبر ١٨٣١م إلى البارون دوتنفل D' Ottenfel، سفير النمسا في الأستانة، يخبره فيها أنه:

"**أنتهز هذه الفرصة لأوصيكم بأمر اليهود الكثيرين من رعايا النمسا القاطنين في صفد وطبريا، لأني علمت أنهم قلقون على أرواحهم واموالهم منذ ظهور الحملة المصرية، ولقد فزت ببيورالدي شديد اللهجة في سبيل حمايتهم**"[1].

ومن الطريف أن قنصل النمسا أرسل إلى السفير في الأستانة، يوصيه برعاية اليهود، ويخبره أنه فاز من إبراهيم باشا بمرسوم شديد اللهجة لحمايتهم، قبل أن يفكر في حماية النمساويين أنفسهم، وطلب حمايتهم جاء بعد بيورالدي حماية اليهود الذي فاز به بسبعة أشهر، إذ في تقارير القنصل كاتافاجو رسالة عنوانها: "**حماية النمساويين**"، وقد أرسلها في ١٩ تموز/يوليو ١٨٣٢م، إلى باولو مالاجامبا Paolo Malagamba، وكيل القنصل في حيفا، يقول له فيها:

"**أفيدكم أن الكولونيل البارون أكارتي Acarti، قائد الفرقة الإمبراطورية في الشرق، قد أعلن لمحمد علي أنه مصمم على أن يدافع بالقوة عن المبدأ المقرر، وهو أن: "البيرق يحمي الأشخاص والبضائع**"[1].

---

١) فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، ص١٥.

وفي الرسالة التي أرسلها القنصل كاتافاجو إلى الكافالير دي بتشوتو De Betchoto، قنصل النمسا في حلب، في ١٧ يوليو ١٨٣٣م، يخبره أنه:

"لم أتأخر عن أن أسند بكل قواي طلبات البولونيين النمسويين (اليهود) النازلين في صفد، لإعفائهم من مبلغ ٧٥٠٠ غرش كانوا يدفعونها سنوياً إلى عبد الله باشا كرسم إيجار لمنازلهم، وقد رجوت بهذا الخصوص الخواجا حنا بحري، وكيل شؤون إبراهيم باشا العام"[٢].

وفي المحفوظات الملكية الخاصة بوثائق الشام، التي نشرها دكتور أسد جبرائيل رستم، رسالة أرسلها المسيو بروكشن، مندوب/قنصل النمسا في مصر، في ١٩ جمادى الآخرة ١٢٤٩هـ/ ٣ نوفمبر ١٨٣٣م، إلى ناظر الخارجية بوغوص بك، وفيها:

"يرجو تأمين اليهود من رعايا النمسا القاطنين في جهات القدس ودمشق، ورفع المظالم عنهم، وعدم إرهاقهم بالضرائب، ووضع نظام خاص لحمايتهم"[٣].

وفي سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م، اندلعت الثورة في فلسطين ضد حكم أول الآتين من الخلف وابنه، وامتدت إلى مناطق واسعة من الشام، وإبان الثورة في صفد شمال فلسطين، كما يصف موظف حكومة إبراهيم باشا المجهول:

"إسلام صفد هجموا على اليهود، وسبوا حريمهم، ونهبوهم على الإطلاق، وقتلوا منهم كم زلمة، والإسلام في الشام وغيرها صاروا يتوعدون النصارى والعساكر، وقد بلغ ذلك إلى شريف باشا الحكمدار، وكان عنده نحو أربعة آلاف عسكري بالشام، فعمل الجهد والحرص الكلي هو والعساكر، وقتل بوقتها واحد من رؤوس أهل الفساد، الذي سمع أنه تكلم بحق الحكم

---

١) فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، ص٢٨.

٢) فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، ص٢٧.

٣) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٢، ص٣٦٧.

(الحكومة)، اسمه ابن سقا أميني، من أهالي حارة العقيبة ... ثم توجه الأمير بشير (الشهابي) من طرف إبراهيم باشا لقصاص أهالي صفد، فنزل على صفد ومعه نحو خمسة آلاف عسكري من الجبل، فقرروا له يهود صفد أن الذي نهبوهم الإسلام لهم أربعة وتسعين خزنة مال، عدا الذي لم يعرفوا فيه، فصار الأمير بشير يجيب (يُحضر) أهالي صفد ويُخلص مال اليهود منهم، عدا العذاب الذي عذبهم إياه، فزبط (حجر على) بيوتهم وأرزاقهم، ومن الجملة راح منهم مايتين زلمة قتل في عكا وفي غير مطرح"[1].

وكما ترى من شهادة موظف حكومة إبراهيم باشا وأحد كتابها الرسميين، حكمدار الشام شريف باشا، وأمير الدروز بشير الشهابي، حليف أول الآتين من الخلف، اقتصا ليهود صفد قصاصاً تجاوز العدل إلى الظلم والجور، ففي مقابل"**كم زلمة**" قُتلوا من اليهود، قتلوا هم ما يربو على المائتين من المسلمين، وصادروا بيوت المسلمين وأرزاقهم لمنح اليهود ما ادعوا أنهم خسروه من المال، وهو أربع وتسعون خزنة، والخزنة الواحدة عشرة أكياس، وفي كل كيس خمسمائة قرش، أي ٤٧٠,٠٠٠ قرش، وهو مبلغ جسيم مبالغ فيه.

وبالإضافة إلى ذلك، اعتقل الأمير بشير الشهابي ثمانية عشر شخصاً من أعيان صفد، ومنهم الشيخ عبد الغني النحوي، نائب صفد، والشيخ محمد السلطي، مفتيها، والشيخ محمد النقيب، نقيبها، وأمر بنفيهم إلى غزة ومصر وعكا.

ورغم ذلك، لم يكتف القناصل من حماة اليهود بهذا القصاص الجائر، والتعويض المبالغ فيه، ونفي أعيان صفد وعلمائها، فأرسل قناصل أربع دول معاً، بريطانيا وفرنسا والنمسا وروسيا، مذكرة إلى ناظر الخارجية بوغوص بك، يطالبون فيها لليهود بتعويض أشد جسامة ومبالغة فيه، وبمصادرة بيوت المسلمين في بعض نواحي صفد ممن لم يكن لهم صلة بالتعدي على اليهود.

وفي محفوظات الشام أن القناصل أصروا على:

---

١) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص٧٣-٧٤.

"مصادرة أملاك أناس فقراء مسلمي تلك الجهة غير المجنوحين فيها"[١].

وهاك من المحفوظات الملكية نص التقرير الذي كتبه بوغوص بك إلى أول الآتين من الخلف عن مطالب القناصل المبالغ فيها، والتي قام بكتابتها وتقديمها إليه الكولونيل كامبل، قنصل بريطانيا:

"لم نرد على مذكرة القناصل في أبريل الماضي لأنها كُتبت بأسلوب حاد، لكننا بلغناهم الإرادة السنية التي صدرت في هذا الشأن بلاغاً شفهياً، ثم عاد القناصل فقدموا لنا مذكرة أخرى في الموضوع نفسه، ومن قراءتها ستطلعون على حقيقة الحال، وتعلمون أنهم لا يقتنعون بالإجابة الشفهية، بل إنهم مصرون على أن يكون الرد كتابياً، وفوق ذلك أن خسائر يهود صفد تبلغ ستة ملايين ومائة وخمسة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وستة عشر قرشاً وعشرين باره، بدون مغالاة ... وقد دُفع إلى أولئك اليهود أشياء ونقود بقيمة ٨٦٤,٤٩٤ قرشاً و٢٥ باره، وصودرت أملاك الذين تسببوا في هذا النهب وضبطت أموالهم، فلو بيعت لبلغت ٢,٦٣٥,٤٦٠ ... ولعل خسائر اليهود التي قدرها حضرات القناصل تكون مبالغاً فيها، فلا يجوز الوثوق بدعواهم، وينبغي ألا تخفى تلك الدقيقة، أننا لو نازعناهم في رد ما بولغ فيه من تلك المطلوبات أو قبوله، لتضمن ذلك اعترافنا بصحة دعواهم، ولوجب علينا دفع ما يتحقق منها"[٢].

وكان رد أول الآتين من الخلف لبوغوص بك، على مطالب القناصل بمصادرة أملاك المسلمين غير المجنوحين في حادثة التعدي على اليهود، وبيعها ودفع أثمانها لليهود:

"إن رغائب المومَى إليهم (القناصل) هذه، أمر لا يُتصور، ولم يسبق تنفيذ أغراض مثل هذه في مملكة ما، كما هو في إحاطة علمهم"[٣].

---

١) الحكم المصري في الشام، ص٢٦١.

٢) المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد ٣، ص٢٥٩-٢٦٠.

٣) الحكم المصري في الشام، ص٢٦١.

وهاج أول الآتين من الخلف وماج أمام موظفيه وعبيد نعمته، كما ترى، وأقسم أن: "**كلمته لا يمكن تنزل الأرض أبداً**"، ولكن لأن السلطة العليا في الشام صارت للقناصل، وأول الآتين من الخلف ليس في حقيقته سوى عميل لإمبراطوريات الغرب الماسونية، وبنى دولته لتكون تابعة لها، فقد انطفأت ثورته وأعلن في استكانة أنه: "**خلاص، هتنزل المرة دي**"!

وكانت أوامره لسليمان باشا الفرنساوي، المسؤول عن شؤون القناصل والتعامل معهم، كما تخبرك أستاذة التاريخ الأمية، نقلاً عن محفوظات الشام، هي:

"**مبيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم أثمانها على المدعين كذباً**"[١].

وربما رأيت أحد الأميين يقول إن ما حدث فوضى، ومن حق أول الآتين من الخلف أن يعاقب من تسببوا فيها بصرامة، والقناصل كانوا يدافعون عن اليهود لأنهم مستضعفون، ومن رعايا دولهم المسيحية، فلا غرابة في ذلك.

ولكي ترد عنك وسواس المؤرخين الأميين، إليك موقف أول الآتين من الخلف وموقف القناصل من الحادثة نفسها، بعد أن تغير أطرافها، وصار اليهود هم القتلة، رغم أنهم من أهل الشام، وليسوا من رعايا الدول الأوروبية المغلفة بالمسيحية، والمقتول راهب مسيحي وأوروبي!

في شهر ذي الحجة ١٢٥٥هـ/فبراير ١٨٤٠م، قُتل البادري توما الكبوشي، وقد روى حادثة مقتله تفصيلاً، موظف الحكومة المجهول في مذكراته عن حملة إبراهيم باشا على الشام، وفي كتابه: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، أورد مؤرخ الكنيسة الأنطاكية وأستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت، أسد جبرائيل رستم، جرنال التحقيق أو نص محضر التحقيق الذي أجراه حكمدار الشام محمد شريف باشا بخصوص الحادثة، واستغرق شهراً، وأرسله إلى أول الآتين من الخلف، ويقع في أربعين صفحة، وكذلك روى حادثة قتل توما الكبوشي بإيجاز الدكتور ميخائيل مشاقة، في كتابه: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، والدكتور مشاقة كاثوليكي من لبنان، انضم إلى حملة إبراهيم باشا وصار أحد أطباء جيشه.

---

١) **الحكم المصري في الشام، ص٢٦١.**

والبادري توما الكبوشي(•):

"راهب طلياني الأصل"[1] ... "وكان كارُه حكيم، ويدق إلى الجدري في الشام للنصارى والإسلام واليهود، وكان أهالي البلد من الكبير إلى الصغير يعرفوه، وكان نافع الناس في مادة الدق إلى الجدري"[2].

وخلاصة الحادثة في مصادرها المختلفة، أن الراهب توما الكبوشي توجه بعد العصر إلى حارة اليهود، للصق ورقة على باب كنيس اليهود، للتنبيه عن مزاد تِركة حكيم إفرنجي اسمه ترانويا، كان قد توفي سابقاً.

ولما تأخر الراهب الكبوشي في العودة، توجه خادمه إبراهيم إلى المكان الذي أخبره أنه ذاهب إليه في حارة اليهود للبحث عنه، ولم يعد هو الآخر.

وفي الليل حضر بعض أصدقاء الراهب ممن اعتادوا السهر معه، فوجدوا باب ديره مغلقاً، وفي الصباح حضر رهبان الكبوشية من الدير الكبير، وامتلأت حارة دير البادري توما بأناس من جميع الطوائف، وشهد بعضهم أن الراهب وخادمه دخلوا حارة اليهود ولم يخرجوا منها، وأخبر الرهبان قنصل فرنسا، الكونت دي راتلي منتون De Ratli Menton، لأن الراهب مشمول بحماية فرنسا، فحضر القنصل، وتسلقوا الدير ونزلوا إلى داخله، فوجدوه خالياً، والطعام الذي أعده الخادم لعشاء الراهب في الليلة السابقة كما هو.

وأرسل القنصل وكيله بودان Beaudin إلى محمد شريف باشا، فأحضر أربع حاخامات لسؤالهم، فأنكروا، ثم أرسل تفكجي باشا إلى حارة اليهود، لتفتيش بيوتها ومحلاتها والتحقيق في الحادثة، فاشتبهوا في سليمان الحلاق اليهودي، لوجود ملصق بالمزاد على محله، وبعد ضربه أقر أن الذين قتلوا البادري توما هم: الحاخام موسى السلانكلي، والحاخام موسى أبو العافية،

•) الكبوشية طائفة من الرهبان الكاثوليك، قدموا من إيطاليا واستقروا في دمشق، وكان لهم دير فيها.

١) الدكتور ميخائيل مشاقة: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، ص١٢١، منشئاه: ملحم خليل عبدو، وأندراوس حنا شخاشيري، طبع بمصر، سنة ١٩٠٨م.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص١١٣.

وداوود هراري،، وإخوته إسحق هراري وهارون هراري، وعمهم يوسف هراري، ويوسف لنيادوا، وأن هؤلاء السبعة استدرجوا الراهب إلى بيت داوود هراري، ثم:

"أحضروني من دكاني بعد المغرب بنصف ساعة، والبادري توما مربوط، وقالوا لي: اذبح هذا البادري، ووعدوني بإعطاء دراهم، فقلت لهم: لا أقدر، فقالوا لي: اصبر، وقاموا أحضروا سكين، وأنا بطحته بالأرض، ومسكته أنا والبقية، ووضعت رقبته على طشت كبير، وأخذ داوود السكين وذبحه، وكمَّل عليه هرون، وأخذوا دمه بالطشت، وشلحناه الأواعي وحرقوهم بالنار، وحضر خدَّام داوود هراري، والسبعة المرقومين قالوا لي وللخدام: قطعوه، قطع قطع، وصرنا نقطعه قطع قطع ونضعه بالكيس مرة بعد مرة ونرميه على نهر المالح، عند رأس حارة اليهود، جانب بيت مشون أبو العافية، وسُئل سليمان الحلاق: عضمه كيف عملتم به، جاوب إن عضمه وضعناه على البلاط وكسرناه بيد الهاون، وسُئل: راسه كيف عملتم به، جاوب إن راسه كذلك كسرناه بيد الهاون ... وذبحناه لأجل دمه، وقد أخذنا الدم بقتينة، ووضعنا القتينة في بيت الحاخام مشون أبو العافية، من أجل الديانة، حيث أن دمه يلزم بديانتنا، سُئل: الدم لأي سبب يلزم بديانتكم، جاوب أنه يلزم لأجل وضعه بالفطير يوم وقفة العيد، سُئل: يا ترى يفرقوا الدم على بعضهم، جاوب أنه بالظاهر لا يتفرق، وإنما يتفرق على أصحاب الديانة مثل حاخامات وغيرهم"[1].

وأرسل شريف باشا تفكجي باشا، فاستخرج بقايا جثة البادري توما وعظامه من نهر المالح، وأُرسلت إلى قنصلية فرنسا، وقام بفحصها مجموعة من الحكما (الأطباء) المسلمين والإفرنج، وكان أحدهم دكتور ميخائيل مشاقة، في حضور قنصل فرنسا وقنصل النمسا، وكتب الحكما والقناصل تقارير وضعت في جرنال التحقيق الرسمي.

وتم استجواب اليهود السبعة، فأقر الحاخام موسى أبو العافية بما حدث، ولزوم الدم عند اليهود لأجل فطير العيد، وكتب شهادة عن أحكام غير اليهود في شريعة بني إسرائيل وفي التلمود، ثم أسلم، وسمى نفسه محمد أبو العافية، وختم شهادته بالتماس، يقول فيه:

---

١) جرنال (محضر) فقد البادري توما، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد٣، ص٩، ١٥.

"عبدكم مستجير بالله تعالى ورسوله سيدنا محمد، والله هدانا على الحق على دين سيدنا محمد رسول الله، ومتوقعين على مراحم دولتكم والعفو، والأمر لمن له الأمر أفندم"[١].

وبعد إقرار الحاخام موسى أبو العافية، وبعد إقرار بقية اليهود السبعة، وثبوت ارتكابهم للجريمة:

"حضر أمر من محمد علي بإطلاق اليهود جميعهم، فأطلقهم شريف باشا، وصار فرح عظيم من اليهود، وعملوا عراضات يومها، وشتموا النصارى كثير"[٢]!

فإذا توهمت أن أول الآتين من الخلف أطلق اليهود القتلة ابتهاجاً بإسلام حاخامهم، فإليك دكتور ميخائيل مشاقة يخرجك من أوهامك وسذاجتك، ويخبرك أن العفو كان سببه أنه:

"وصل إلى الشام أحد يهود الإنكليز، واشترى حرية المتهمين من محمد علي باشا بستين ألف كيس"[٣].

وإليك نص المرسوم الذي أصدره أول الآتين من الخلف بالعفو عن اليهود قتلة البادري توما، تعرف منه من يكون هؤلاء اليهود الإنجليز:

"إنه من التقرير الذي رفعه إلينا الخواجات مونتفيوري وكارنيو (كريميو)، اللذين جاءا إلينا مرسلين من جُل عموم الأوروباويين التابعين لشريعة موسى، اتضح أنهم يرغبون الحرية والأمان للذين صار سجنهم من اليهود، والذين فروا هرباً من الفحص في حادثة البادري توما الراهب الذي اختفى في دمشق في ذي الحجة ١٢٥٥هـ، مع خادمه إبراهيم، وبما أنه بالنظر

---

١) جرنال (محضر) فقد البادري توما، الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد٣، ص٣٠.

٢) مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص١٢١.

٣) مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، ص١٢٢.

لعدد هذا الشعب الوفير، لا يوافق رفض طلبتهما، فنحن نأمر بالإفراج عن المسجونين، ونُطمّن الهاربين عند رجوعهم"[١].

وبعد أن تقارن بين موقف أول الآتين من الخلف القاسي العنيف من المسلمين حين اعتدوا على اليهود، وموقفه الناعم الممزوج بالعطف والحنان على اليهود القتلة، وتذرعه بعدد الشعب اليهودي الوفير، مع أن المسلمين أضعاف أضعافهم، تنبه أنك لن تجد في أي مصدر ما يشير إلى اعتراض قناصل دول أوروبا المسيحية على هذا العفو عن اليهود قتلة الراهب المسيحي وخادمه، وهم الذين قاموا معاً قومة واحدة، وأقاموا الدنيا ولم يقعدوها عند قتل كم زلمة من اليهود.

وفي كتابه: المشروعات البريطانية لإعادة اليهود British Projects For The Restoration Of Jews، يقول المؤرخ اليهودي الصهيوني البريطاني ألبرت مونتفيوري هيامسون Albert Montefiore Hyamson، وكان أيضاً المشرف على عمليات توطين اليهود في فلسطين بعد فرض الانتداب البريطاني عليها، يقول وهو يخدع القارئ البريطاني والأوروبي الذي يخاطبه بكتابه، ويلقي بوزر قتل الراهب الكبوشي على المسلمين، ويعرض جهود بريطانيا لحماية اليهود إبان الحادثة:

"واشترك المسلمون مع المسيحيين في التعدي على اليهود، لأن القاتل الحقيقي كان معروفاً أنه مسلم، وباستثناء قنصل فرنسا الذي يقع الراهب توماسو تحت حمايته، قام القناصل الآخرون، وعلى رأسهم قنصل بريطانيا في القدس، بجهود كبيرة لحماية اليهود في دمشق والمدن الأخرى من الأعمال الوحشية، وأرسل بالمرستون (وزير الخارجية) على الفور تعليمات إلى ممثلي بريطانيا في القسطنطينية/إسطنبول والإسكندرية لبذل كل جهد لإنهاء المسألة، وانعقد البرلمان لمناقشة القضية، وفي مجلس العموم House of Commons لم يكن زعيم المعارضة السير روبرت بيل Robert Peel أقل حماسة من بالمرستون في الدفاع عن

---

١) المحامي أحمد غسان سبانو، هامش بكتاب: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، ص١٢١-١٢٢.

اليهود المضطهدين في الشرق، وعقد عُمدة لندن مؤتمراً للدفاع عن اليهود المتهمين في دمشق"[1].

ثم تنبه وتنبه من مجيء اليهود الإنجليز، مندوبين عن: "**جل عموم الأوروباويين التابعين لشريعة موسى**"، واشترائهم حرية اليهود القتلة، رغم أنهم من يهود دمشق الشام، وليسوا إنجليزاً ولا أوروبيين، تنبه إلى أنه بينما كان أول الآتين من الخلف يفكك الشرق بدولته وجيشه، ويقطع رابطةالإسلام بين بلدانه وشعوبه، ويزيل الإسلام نفسه من بنائها السياسي وأنسجتها الاجتماعية، كان يهود الغرب في حراسة دولته وجيشه يترابطون مع يهود الشرق، وصارت أموالهم محركاً للأحداث فيه، دون أن يظهروا أو يراهم أحد على مسارحها.

وهو ما يصل بك إلى الخطوة التالية في المشروع اليهودي، والتي وصل فيها يهود بريطانيا إلى القدس، دون أن يراهم أحد فيها، لأنهم وصلوها مغلفين في قنصلية بريطانيا الماسونية والأسقفية البروتستانتية.

---

1) Albert Montefiore Hyamson: British Projects For The Restoration Of Jews, P10-11, The British Palestine committee,Printed By Petty & Sons, Leeds, 1917.

بريطانيا في القدس



بريطانيا واليهود

إذا ذهبت إلى المجلد الثاني من الموسوعة الفلسطينية، فستجدها تخبرك في دراستها عن: الحكم المصري في الشام، أنه:

"في هذه السنوات من حكم محمد علي في فلسطين والشام بدأت بريطانيا تربط مصالحها مع اليهود وتستخدمهم للاستيطان في فلسطين، وذلك ضمن الخطط التي بدأت وضعها وتطبيقها لتمزيق المنطقة الشامية وإيجاد الركائز الغربية فيها، وقد استغلت قنصليتها وممثليها القنصليين لبث الدسائس على محمد علي، وافتتحت في القدس سنة ١٨٣٨م قنصلية، كانت أول قنصلية أجنبية فيها، للغرض نفسه"[١].

وما قرأته في الموسوعة الفلسطينية نموذج على الفهم الأمي المقلوب، وعدم إدراك الأميين في بلاليص ستان من خليجها السائر إلى محيطها الهائم لموقع اليهود من بريطانيا والغرب عموماً، وحقيقة العلاقة بينهم، ولا لحقيقة ما شهدته بلاليص ستان وما زالت تشهده من أحداث منذ حملة الماسوني نابليون على مصر، ولا لهوية من تصدروا هذه الأحداث من الشرقيين والغربيين وغاياتهم، ولا لأن مشروع اليهود الساري عبر التاريخ هو محور هذه الأحداث ومحركها وبوصلتها، وأن الشرق كله يُدار من أجله، وتوهمهم أن المشروع اليهودي ظهر فجأة في القرن التاسع عشر، وعدم إدراكهم أن ما حدث في القرن التاسع عشر والقرن العشرين لم يكن سوى نجاح هذا المشروع وخروجه إلى العلن وسطح الأرض، بعد أن ظل قروناً مموهاً في سياسات إمبراطوريات الغرب وحملاتها على الشرق، ومختبئاً في أدمغة ساستها وقادة جيوشها، وأنه بعد أن تم تهيئة الشرق له وُضعت أسسه فيه وأُقيمت أبنيته واكتمل نموه، سلمته إمبراطوريات الغرب لأهله وأصحابه الحقيقيين، ليستكملوه ويتموه هم بأنفسهم.

وهذا الفهم المقلوب هو ما أراد الغرب وما يريد اليهود أنفسهم لبلاليص ستان وساستها ونخبها الأمية أن يفهموه، لأن إحدى أكبر دعائم المشروع اليهودي عبر التاريخ، خفاؤه وتمويهه في

١) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام: الحكم المصري في الشام، مجلد٢، ص٢٦٥، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤م.

مشاريع إمبراطوريات الغرب وحملاتها على الشرق، لكي لا يراه عموم البشر ولا يدركون حقيقة علاقته بما يحدث إلا بعد أن يكتمل فعلاً ويصل إلى غايته.

فالموسوعة الفلسطينية، مثل غيرها من نخب بلاليص ستان الأمية من الساسة والمؤرخين، تخبرك أن بريطانيا بدأت تربط مصالحها باليهود، وهي التي وظفتهم ووطنتهم في فلسطين، وأقامت قنصليتها في القدس، من أجل زرع ركائزها وركائز الغرب في بلاد العرب، لأن الأميين الذين كتبوها لا يعرفون أن بريطانيا مملكة اليهود والماسون، واليهود يستوطنون عبر تاريخها كله رؤوس ساستها، ويمسكون بمقاليدها الاقتصادية والمالية والإعلامية، وهم الذين حركوها نحو الشرق، كما كانوا يحركون إمبراطوريات الغرب كلها عبر التاريخ، من أجل مشروعهم المموه في مشاريعها، والموسوعة الأمية تخبرك أن بريطانيا وظفت يهود الشرق من أجل إمبراطوريتها ومصالحها فيه، لأنها لا تدرك أن الإمبراطورية البريطانية كلها موظفة عند يهود الغرب.

والأميون الذين كتبوا الموسوعة الفلسطينية، يحدثونك عن أول الآتين من الخلف وكأنه عدو لبريطانيا ومن أبطال مقاومة اليهود وإبطال مشروعهم، لأنهم مثل كل الأميين في بلاليص ستان، وكالأنعام، لا يدركون مما يحدث إلا ما ترصده عيونهم على مسارحها ويقع تحت طائلة حواسهم من أغلفتها، وأول الآتين من الخلف الذي يتوهم الأميون أنه عدو بريطانيا، ربيب اليهود، وخريج حارة اليهود في اليونان العثمانية، وما كان يريده ويسعى إليه هو نفسه ما كانت تريده بريطانيا وتسعى إليه، وقد عرض عليها صراحة، كما علمتَ من قبل، أن يكون عميلها في الشرق، والفِراق بينهما كان فقط لأن الدور الذي رسمه لنفسه في المشروع اليهودي يختلف عن الدور الذي رسمته له بريطانيا ويهودها ومن يستوطنون رؤوسهم من ساستها.

وإنشاء القنصلية البريطانية في القدس لم يكن سوى نتاج لعقيدة إعادة اليهود إلى الأرض المقدسة واستعادتهم لأورشليم وإقامة دولتهم فيها، ليكون ذلك تمهيداً لعودة المسيح ومجيئه الثاني، التي اجتاحت أوساط الساسة والنخب في بريطانيا، ولسيطرة اليهود على عالم المال والتجارة والمؤسسات الاقتصادية والنقدية فيها، ولنفوذ الماسونية والحركات السرية في السلطة وتغلغلها في طبقاتها الحاكمة والعليا ونخبها الاجتماعية والثقافية، وإعادة اليهود للأرض المقدسة وإعادة هيكلهم بوصلة هذه الحركات والغاية العليا التي تربي عليها أعضاءها، وهي كلها عناصر في

مزيج واحد، ظل يختمر عبر القرون، إلى أن جاء إنشاء القنصلية في القدس ليكون الخطوة الأولى في تحويل الغاية اليهودية من عقيدة تستوطن الأذهان والنفوس إلى مشروع سياسي وإجراءات عملية ظاهرة على سطح الأرض.

وقبل أن نحدثك عن قنصلية بريطانيا في القدس وعلاقتها بالمشروع اليهودي، ولكي لا تشوش على عقلك الأوهام التي يتوهمها الأميون في بلاليص ستان عن المشروع اليهودي الذي ظهر في الغرب في القرن التاسع عشر وانتقل إلى الشرق فجأة، وفهمهم المقلوب عن توظيف بريطانيا لليهود وليس العكس، إليك نبذة موجزة عن هذا المزيج، وكيف تكَوَّن عبر القرون.

بريطانيا والماسونية واليهود:

فأما عن الماسونية وموقعها من بريطانيا، فقد عرَّفناك بها من قبلُ بأدلتها ومصادرها، في باب: حروب أول الآتين من الخلف، ونذكرك بها سريعاً.

بريطانيا مملكة ماسونية، منذ اعتلى عرشها الملك جيمس الأول James I، سنة ١٦٠٣م، ليكون أول من يحكم انجلترا واسكتلندا معاً، وكان قبل ذلك ملكاً لاسكتلندا باسم جيمس السادس، وهو ماسوني، وكان عضواً في محفل الاسكتلنديين Lodge Of Scots، وإبان حكمه لاسكتلندا أشرف على تنظيم المحافل الاسكتلندية في صورتها الحديثة ووضعها تحت رعايته.

وثمة تحالف بين الأسر المالكة في بريطانيا، في كل عهودها، وبين محفل انجلترا الأعظم منذ تكوينه سنة ١٧١٧م، ويوجد تقليد سائر عبر السنين، منذ سنة ١٨١٣م، وهو أن يكون الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم من الأسرة المالكة، والأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم عند بداية هذا التقليد، وفي زمن حكم أول الآتين من الخلف للشام، وتأسيس القنصلية البريطانية في القدس، هو دوق سوسيكس، الأمير أوجستس فردريك Augustus Frederick, Duke Of Sussex، أصغر أبناء الملك جورج الثالث George III، والأستاذ الأعظم الحالي لمحفل انجلترا الأعظم، دوق كِنت، الأمير إدوارد Edward, Duke Of Kent، ابن عم الملكة إليزابيث وحفيد الملك جورج الخامسGeorge V.

ورئيس الحكومة البريطانية التي تم إنشاء قنصلية بريطانيا في القدس في عهدها، هو الماسوني وليم لامب، كونت ملبورن William Lamb, Viscount Melbourne، ووزير خارجية بريطانيا الذي اتخذ قرار إنشاء القنصلية وأمر به هو اللورد جون هنري تمبل بالمرستون، وزير خارجية بريطانيا من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، ورئيس الحكومة البريطانية من سنة ١٨٥٥م إلى وفاته سنة ١٨٦٥م، والمسيطر الحقيقي على سياسة بريطانيا الخارجية لأكثر من ثلاثين سنة.

وبالمرستون ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، أعلى درجات الطقس الاسكتلندي، وراعي الماسونية في أوروبا، وحين كوَّن اليهودي الأمريكي والقائد الأعلى للمجلس السامي للطقس الاسكتلندي في الولايات المتحدة Supreme Council، ألبرت بايك، تنظيم الحكمة Order of The Palladium، وعقيدته الرئيسية عبادة لوسيفر، قام بالاشتراك مع صديقه الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين جوتزيب ماتزيني Giuseppe Mazzini، أحد أبطال الثورة والوحدة الإيطالية، وأحد مؤسسي ألمافيا، بتأسيس أربعة محافل مركزية لنشر عقيدة لوسيفر بين ماسون الطقس الاسكتلندي من الدرجات العليا، الأول في محفل شارلستون Charleston في ولاية كارولينا الجنوبية في الولايات المتحدة، وأستاذه الأعظم ألبرت بايك، وهو نفسه الأستاذ الأعظم لمحفل شارلستون، والمحفل الثاني في روما، وأستاذه الأعظم ماتزيني، والمحفل الثالث في برلين، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، الزعيم الألماني وموحد ألمانيا ومستشارها أوتو فون بسمارك Otto Von Bismark، والمحفل الرابع في لندن، وأستاذه الأعظم الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وزير خارجية بريطانيا ورئيس حكومتها اللورد هنري جون تمبل بالمرستون.

والملكة فكتوريا، التي ظلت على عرش بريطانيا طوال القرن التاسع عشر، من سنة ١٨٣٧م إلى سنة ١٩٠١م، وفي عهدها تسللت بريطانيا إلى الشام، وأنشأت قنصليتها في القدس، وتحولت إعادة اليهود إلى فلسطين إلى مشروع سياسي بريطاني، وقامت بغزو الشرق وتمهيده من أجله، الملكة فكتوريا هي أول من يحكم بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتاس Saxe-Coburg And Gotha، وهي أسرة ألمانية الأصل وليست انجليزية، وهي من فروع الأسرة

الميروفنجية، وهم من اليهود الأخفياء، وقد ظل ساكس كوبرج جوتا لقب الأسرة المالكة رسمياً، إلى سنة ١٩١٤م، حين اندلعت الحرب العالمية الأولى، وأصبحت بريطانيا في حرب ضد ألمانيا، فاضطر الملك جورج الخامس مراعاة لمشاعر الإنجليز الذين يحكمهم إلى تغيير لقب الأسرة إلى وندسور الإنجليزي Windsor.

فالملكة فكتوريا والأسرة المالكة البريطانية كلها، هي نفسها، من اليهود الأخفياء Crypto Jews، إضافة إلى أنها ورثت عن الأسر السابقة التحالف مع الماسونية ومحفل انجلترا الأعظم، وأبو الملكة فكتوريا، إدوارد دوق كنت Edward, Duke Of Kent، رابع ابناء الملك جورج الثالث، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge، قبل أن يندمج مع محفل انجلترا الأعظم الأصيل Premier Grand Lodge، سنة ١٨١٣م، ليتكون باندماجهما محفل انجلترا الأعظم الموحد United Grand Lodge Of England، وأمها فكتوريا ماري لويزا Victoria Mary Louisa، ابنة فرانز فريدريك Franz Frederick، دوق ساكس كوبرج، وهي دوقية في ألمانيا وداخل الإمبراطورية المقدسة، وكانت أسرته تحكمها بالوراثة منذ الحروب الصليبية، إلى أن سقطت الإمبراطورية الألمانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، سنة ١٩١٩م.

وبعد وفاة عمها الملك وليم الرابع William IV، سنة ١٨٣٧م، وكان جميع أعمامها من ورثة العرش قد ماتوا قبله، أصبحت فكتوريا ملكة بريطانيا وهي في الثامنة عشرة من عمرها، وفي سنة ١٨٤٠م، تزوجت من ابن خالها الأمير فرانز أوجستس ألبرت ساكس كوبرج جوتا Franz Augustis Albert Of Saxe Coburg And Gotha، وأنجبت منه تسعة أبناء.

وبعد وفاة الملكة فكتوريا، سنة ١٩٠١م، وقد جلست على عرش بريطانيا أربعة وستين عاماً، خلفها أكبر أبنائها، ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا Albert Edward Of Saxe Coburg And Gotha، ليصبح ملك بريطانيا والهند، وأول من يعتلي عرش بريطانيا من أسرة ساكس كوبرج جوتا من الرجال، باسم الملك إدوارد السابع Edward VII، وهو أيضاً ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان قبل أن يعتلي العرش ويصبح ملك بريطانيا، وفي عهد أمه الملكة، كان عضو المجلس السامي للماسونية في انجلترا Supreme Council، والأستاذ الأعظم

لمحفل انجلترا الأعظم ستة وعشرين عاماً، من سنة ١٨٧٥م إلى سنة ١٩٠١م، فانتقل من سدة محفل انجلترا الأعظم إلى عرش بريطانيا مباشرة، اتباعاً للحلف الذي بين المحفل والمملكة، والتقليد الذي يقضي بأن يكون الأستاذ الأعظم للمحفل من الأسرة المالكة، ولكنه يمنع الجمع بين عرش الماسونية والعرش البريطاني في وقت واحد، وبعد أن اعتلى العرش منحه محفل انجلترا الأعظم لقب حامي الأخوية Protector Of The Craft، وخلفه في رئاسة محفل انجلترا الأعظم ومنصب أستاذه الأعظم أخوه وثالث أبناء الملكة فكتوريا، الأمير آرثر ألبرت دوق كانوت Duke Of Cannaught Arthur Albert.

وأما عن موقع اليهود ومشروعهم وغايتهم العقائدية والتاريخية من الماسون والماسونية، فيوجزه لك الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ومؤرخ الماسونية الرسمي ألبرت ماك كي في الموسوعة الماسونية:

"هيكل أورشليم هو روح الماسونية، وهو مصدر رموزها وطقوسها، وهو واسطة العقد الذي تلتقى عنده الماسونية المهنية العملية Operative والماسونية الرمزية التأملية Speculative، وهو الذي يمنح الماسونية صبغتها العقائدية والدينية Religious Character، فلو أُخذ من الماسونية وأزيل منها ما يرتبط به من أفكار ورموز وطقوس لذبلت من فورها وماتت، وكل محفل هو في حقيقته، وكما يجب أن يكون، رمز لهيكل اليهود، وكل أستاذ على كرسيه هو ممثل لملك اليهود، وكل ماسوني هو تجسيد للعامل اليهودي"[١].

وأما عن اليهود وسيطرتهم على الاقتصاد وعالم المال والتجارة في بريطانيا، ونفوذهم من خلالها على ساستها وتحكمهم في سياساتها، فمؤسس أول بورصة Bourse[•] في تاريخ انجلترا،

---

1) Encyclopedia Of Freemasonry, P804.

•) كلمة بورصة هي في الأصل اسم فندق أو نُزل في مدينة بروج Bruges، عاصمة إقليم فلاندرز Flanders، وهو يقع الآن في بلجيكا، وقت أن كان الإقليم مركز حركة المال ومحور التجارة الرئيسي في أوروبا في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، وكان الفندق والميدان الذي يقع فيه مقر نزول التجار الوافدين إلى بروج ومحل إقامتهم ومركز عقد الصفقات بينهم، واسم الفندق هو نفسه اسم الميدان: Huis Ter Beurze، وهما معاً يحملان اسم الأسرة التي أنشأتهما وكانت تملكهما، وهي أسرة بورصة Van Der Buerze، والسير توماس جريشام هو الذي منح كلمة بورصة معناها الشائع إلى اليوم، حين أطلقها على سوق المال التي أنشاها في لندن.

وهي التي تحول اسمها لاحقاً إلى سوق المال الملكية أو البورصة الملكية في لندن Royal Exchange، هو المرابي وتاجر السلاح السير توماس جريشام، وكان المستشار المالي للملك إدوارد السادس Eduard VI والملكة إليزابيث الأولى Elizabeth I، وقد أسسها سنة ١٥٧١م، لتكون مركزاً لتبادل مِلكية الأسهم والبضائع، وعقد الصفقات بين التجار، وتوفير التمويل لها من المرابين وبيوت المال، وتصفية الحسابات بين هؤلاء وأولئك، من بلدان أوروبا كافة، وهو أيضاً مؤسس مصلحة سك العملة الإنجليزية، وكان يجلب لها سبائك الذهب والفضة من يهود ألمانيا وهولندا وإسبانيا، من أجل ضبط نسبة المعادن النفيسة في العملة وتوحيدها.

والسير توماس جريشام من أسرة يهودية تحولت إلى البروتستانتية، وهو نفسه أول أستاذ أعظم للماسون في لندن وجنوب انجلترا بعد توحيد محافلها، وفي طبعة سنة ١٧٣٨م الموسعة من دستور الماسون The Constitutions Of The Freemasons، سرد دكتور جيمس أندرسون James Anderson من وثائق الماسونية، تاريخها في انجلترا قبل تأسيس المحفل الأعظم، وفيها أنه:

"في سنة ١٥٦٧م، قرر الماسون في جنوب انجلترا الانفصال عن محفل يورك في شمالها، وقاموا بتكوين محفل في لندن، وانتخبوا السير توماس جريشام Thomas Gresham أستاذاً أعظم لهم، وفي عهده وبفضل جهوده وعطاياه انضم كثير من الرجال النابهين وصفوة المتعلمين إلى الماسونية"(١)

وبالبورصة التي أنشاها اليهودي توماس جريشام، وبوصوله إلى سُدة المحافل، أستاذاً أعظم للماسون في لندن، أصبحت لندن مركز حركة المال وعاصمة الاقتصاد في أوروبا، وقبلة التجار وأصحاب البنوك في كل بلدانها، واستوطنها عدد كبير منهم، وفي الوقت نفسه صارت عاصمة اليهود والماسون في أوروبا.

2-James Anderson: The History And Constitutions Of TheMost Ancient And Honorable Fraternity Of Free And Accepted Masons, P81, Printed And Sold By J. Robison, At The Golden Lion In Ludgate Street, London, In The Year Of Masonry 5746.

وإذا ذهبت إلى كتابنا: اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، ستعلم تفصيلاً أن الشركة تم تأسيسها بأموال يهود المارانو المهاجرين إلى انجلترا من إسبانيا والبرتغال، وأنها هي التي احتلت الهند وليس مملكة بريطانيا، ونشرت المحافل الماسونية في كل مكان منها، وأن غزو الشركة للهند لم يكن سوى خطوة مبكرة في المشروع اليهودي، من أجل المرابطة على تخوم عالم الإسلام وكنز الثروات اللازمة لتكوين الأساطيل والتسلل إلى مياهه، ولاختراقه والوصول إلى قلبه، ولاكتساب النفوذ في بريطانيا وتحريكها نحو الشرق، وهي مسألة أخرى يفهمها الأميون مقلوبة، كعادتهم.

اليهود في بنك انجلترا:

وأما بنك انجلترا، الذي ورث جميع المؤسسات المالية والنقدية في بريطانيا، ونظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي لم يكن سوى صورة طبق الأصل منه ومن موقعه من بريطانيا واقتصادها وسياساتها، بنك انجلترا كان ثمرة اتفاق الملك وليم الثالث William III مع البنوك والشركات التجارية في بريطانيا، سنة ١٦٩٤م، أن تؤسس شركة خاصة باسم: الحاكم وشركة بنك انجلترا Governor And Company Of The Bank Of England، وأن يمنحها حق احتكار التجارة داخل المملكة، وإصدار العملة الإنجليزية، في مقابل إقراضه وتمويل حروبه في القارة الأوروبية.

والملك وليم الثالث لم يكن وريث العرش، ولا من حقه أن يرثه مطلقاً، لأنه إنجليزي ومن أسرة ستيوارت Stuart الحاكمة لبريطانيا من جهة أمه فقط، وقد وصل إلى حكم بريطانيا بعد ثورة بروتستانتية ضد الملك جيمس الثاني، آخر ملوك أسرة ستيوارت وآخر ملك كاثوليكي لبريطانيا، وهي الثورة التي توصف بالمجيدة Glorious Revolution، وكان قبلها أمير مقاطعة أورانج في هولندا Orange، والحاكم العام Stadtholder لاتحاد مقاطعات الأراضي الواطئة، باسم: فيليم الثالث Willem III، وأسرة أورانج هي أيضاً من فروع الأسرة الميروفنجية.

وأم فيليم/وليم الثالث هي ماري ابنة الملك تشارلز الأول، وقد تحولت إلى البروتستانتية بعد زواجها من أمير أورانج والأراضي الواطئة، فيليم الثاني، وزوجة فيليم الثالث هي ابنة خاله، ماري الصغرى، كبرى بنات الملك جيمس الثاني، وكانت وريثة العرش البريطاني، إلى أن أنجب الملك

جيمس الثاني من زوجته الثانية ماري مودينا الكاثوليكية Mary Of Modena، ولداً هو جيمس ستيورات James Stuart، فصار الوريث الأول للعرش، وكانت هذه هي شرارة الثورة البروتستانتية.

وفي ٣٠ يونيو سنة ١٦٨٨م، وبعد اندلاع الثورة البروتستانتية ضد الملك جيمس الثاني، أرسل سبعة من الساسة وأعضاء البرلمان، وبعضهم كانوا أعضاء في حكومة الملك، أرسلوا رسالة سرية مع الأدميرال آرثر هربرت Arthur Herbert، إلى فيليم الثالث في هولندا، يدعونه لغزو انجلترا، ويَعدونه بمعاونته على الوصول إلى العرش البريطاني.

وبعد غزوه لانجلترا، وفرار جيمس الثاني، وبعد موافقة مجلس العموم ومجلس اللوردات، تم تنصيب ماري الصغرى وزوجها وابن عمتها فيليم الثالث، في ١١ أبريل سنة ١٦٨٩م، ملكين على انجلترا واسكتلندا وأيرلندا، في كنيسة وستمنستر، إلى أن ماتت ماري سنة ١٦٩٤م، فانفرد زوجها بحكم بريطانيا، باسم الملك وليم الثالث William III.

وغزو أمير أورانج والأراضي الواطئة/هولندا، فيليم/وليم الثالث لانجلترا، الذي وصل به إلى عرش بريطانيا، كان من تمويل يهود هولندا!

في ثنايا ما أورده من تفاصيل عن الثورة المجيدة وغزو وليم الثالث لانجلترا، وصعوده إلى عرشها، في كتابه: تاريخ انجلترا منذ جيمس الثاني The History Of England From The Accession Of James The Second، يقول المؤرخ والسياسي البريطاني توماس ماكولاي Thomas Macaulay، وكان أيضاً وزير الحرب من سنة ١٨٣٩م إلى سنة ١٨٤١م، في وزارة الماسوني ملبورن، يقول ماكولاي عن ترتيبات وليم الثالث، بعد أن خرج بجيشه فعلاً وتوجه لغزو انجلترا، وحرك أسطوله نحوها:

"هذه الترتيبات والاستعدادت كانت تتطلب أموالاً جاهزة، ولكن وليم، وبالرغم من إجراءاته الاقتصادية الصارمة، وجد نفسه في وضع حرج وأزمة كبيرة Great Emergency، وكان بحاجة إلى مائتين وخمسين ألف جنيه إسترليني، وتم توفير معظم ما يحتاجه بواسطه أنصاره المتحمسين، ووصلته كميات كبيرة من الذهب، لا تقل قيمتها عن مائة ألف جنيه إسترليني،

والهوجونوت(•) Huguenots الذين اصطحبوا وهم خارجون معه كميات كبيرة من المعادن النفيسة كانوا حريصين على إقراضه كل ما يملكونه، وفي الوقت نفسه كانت الاتصالات بين انجلترا وهولندا نشطة ولا تنقطع"(١).

فإليك الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia، المطبوعة في الولايات المتحدة أوائل القرن العشرين، في ثنايا سيرتها لليهودي الإسباني البرتغالي المقيم في لاهاي Hague، إسحق لوبيز سُواسُّو Isaac Lopez Suasso، التي كتبها المؤرخان اليهوديان جوزيف جاكوبس Joseph Jacobs ومائير كيسرلنج Meyer Kayserling، تخبرك بمن يكون فَعَلة الخير وأنصار وليم الثالث المتحمسين، أصحاب الأموال الجاهزة دائماً، الذين أنقذوه من ورطته، ومولوا غزوه لانجلترا، وتحويلها إلى مملكة بوتستانتية:

"ومن أجل خدمات سُواسُّو الكبيرة لملك إسبانيا شارل الثاني Charles II، جعله الملك في سنة ١٦٧٦م نبيلاً، وصار بارون أفيرناس لجراس Baron D'Avernas Le Gras، وكان سُواسُّو من أكثر المتحمسين والداعمين لبيت أورانج، وعندما شن وليم الثالث حملته على انجلترا سنة ١٦٨٨م قدم له سُواسُّو مليوني، ٢,٠٠٠,٠٠٠، ذهبية Gulden، بدون فوائد، بل ودون أن يشترط عليه ردها، وقال لوليم الثالث: "إذا نجحتَ يمكنك ردها، وإذا لم تنجح فالخسارة عليَّ I Will Be The Loser"، وقد ذكر يوفري Euvres في تاريخه Historiques أن ملك بروسيا فردريك الثاني Frederick II أشار إلى ذلك في مذكراته، وقال: "إن الذي قام بهذه التضحية الكبيرة يهودي اسمه شفارتزو Schwartzau"(٢).

(•) الهوجونوت Huguenots: هم أتباع جان/جون كالفن John Cavin والكنيسة البروتستانتية الإصلاحية في فرنسا، وقد ازدهروا فيها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وحدثت صراعات حادة بينهم وبين الكاثوليك، وقاموا بعدة ثورات ضد ملوك فرنسا الكاثوليكية، انتهت بإصدار الملك لويس الرابع عشر Louis XIV مرسوم فونتنبلو Édit De Fontainebleau، الذي خيَّر جميع البروتستانت في فرنسا بين التحول للكاثوليكية أو ترك فرنسا، وقد هاجر معظمهم إلى الدول البروتستانتية، خصوصاً انجلترا وسويسرا وهولندا، ثم أعادتهم الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وساوت بينهم وبين الكاثوليك في الحقوق والامتيازات.

1) Thomas Macaulay: The History Of England From The Accession Of James The Second, Vol. II, P397-398, Donohue, Henneberry & Co., Chicago, 1890.

2) Joseph Jacobs, Meyer Kayserling: Antonio (Isaac) Lopez Suasso, The Jewish Encyclopedia, Vol. XI , P577, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1906.

وما تخبرك به الموسوعة اليهودية، يؤكده المؤرخ الهولندي فوتر تروستWouter Troost، في سيرته للملك وليم الثالث: وليم الثالث الحاكم العام والملك، سيرة سياسية William III :The Stadholder-king, A Political Biography

" كان اليهودي البرتغالي لوبيز سُواسُّو من أكبر أصحاب الأسهم في شركة الهند الغربية الهولندية Geoctroyeerde Westindische Compagnie، وقد أقرض الملك وليم الثالث مبلغاً فلكياً، قدره مليونا جيلدر Guilders، وعندما سأله وليم الثالث عن الضمان الذي يطلبه، رد عليه قائلاً: "إذا انتصرتَ، فأنا أعلم أنك سترد المال، وإذا لم تنتصر فأنا أوافق على تحمل الخسارة"، وتمويل نصف قوات وليم الثالث، وتمويل أطقم الأسطول بأكملها، جاء من يهود أمستردام Amsterdam، وفي بداية شهر أكتوبر ١٦٨٨م، كانت الأرمادا جاهزة، وكانت تتكون من ثلاث وخمسين سفينة حربية، وأربعمائة سفينة نقل للجنود والسلاح وخمسمائة فرس، وقام اثنان من التجار اليهود، هما ماخادو Machado وبيريرا Pereira، بتوفير المؤن والطعام لقوة الغزو بالكامل، الجيش والبحرية، وكانت أربعين ألف رجل، وكان دعم اليهود في هولندا لوليم الثالث في غزوه لانجلترا، ليس فقط لأنهم يأملون في تحسين أوضاع إخوتهم من اليهود في انجلترا، بل وأيضاً لأنهم كانوا يعتقدون أن ذلك سوف يؤدي إلى توثيق روابطهم مع تجمعات السفارديم Sephardi في المستعمرات البريطانية في الكاريبي، بما فيها باربادوس وجامايكا"[1].

وقد أتيناك بهذه التفاصيل عن الطريقة التي وصل بها وليم الثالث إلى عرش بريطانيا، ومن مولوا غزوه لها، وتحويلها إلى مملكة بروتستانتية، لكي لا تعجب، ولا تحتاج إلى تفسير حين نخبرك أن الذين منحهم الملك وليم الثالث حق تأسيس بنك انجلترا، وإصدار العملة الإنجليزية، واحتكار التجارة في المملكة، وتمويل حروبها، وإقراض ملوكها، كانوا من اليهود، ومن خارج مملكة بريطانيا، بالضبط مثل الذين أسسوا نظام الاحتياط الفيدرالي الأمريكي، والذين عرَّفناك بهم في كتابنا: النازية واليهود والحركات السرية.

---

1) Wouter Troost: William III The Stadholder-king: A Political Biography, P195-196, Translated By: J. C. Grayson, Ashgate Publishing, Farnham, United Kingdom , 2005.

في كتابه: حقائق عن بنك انجلترا Facts About The Bank Of England، يقول المؤرخ النيوزيلندي آرثر نلسون فيلد Arthur Nelson Field، إنه حين صعد وليم الثالث إلى العرش، كانت الخزانة شبه خاوية، فطلب تدبير قرض قيمته مليون ومائتي ألف جنيه إسترليني، وجرت المفاوضات بين الخزانة البريطانية وبين من سوف يقرضونها بواسطة التاجر والمرابي الاسكتلندي وليم باترسون William Patterson، الذي صار أول مدير لبنك انجلترا بعد تأسيسه، وكانت المفاوضات في كنيسة مرسيرز Mercers Chappel، والتي صارت إحدى قاعاتها أول مقر لبنك انجلترا، وتم الاتفاق على:

"منح المساهمين في القرض، مرسوماً بتأسيس بنك انجلترا، على أن تظل أسماء المساهمين في القرض سرية Remain Secret، ومنحهم حق العمل بقاعدة الذهب Gold Standard، فيمكنهم إقراض عشرة جنيهات إسترلينية، في مقابل كل مقدار من الذهب قيمته جنيه إسترليني واحد يضعونه في خزانة البنك"(١).

ولم يشترط مرسوم الملك وليم الثالث، أن يكون المساهمون في البنك ومالكو أصوله، من البريطان أو من الأجانب، وأن يكونوا أشخاصاً أو ممثلين لشركات أو بنوك بريطانية أو غير بريطانية، وجمع وليم باترسون المبلغ المطلوب للقرض من المساهمين في اثني عشر يوماً فقط.

فإليك مؤرخ الاقتصاد اليهودي جون جوتسيبي John Giuseppi، يكشف لك من يكون فَعَلة الخير هؤلاء الذين اشتركوا في إقراض الملك وليم الثالث، في مقابل أن يمنحهم مرسوماً بتأسيس بنك انجلترا، واشترطوا في اتفاقهم معه على حجب هويتهم، فظلت أسماؤهم سراً إلى أن كشفها جوتسيبي وأخرجها للعلن لأول مرة بعد ثلاثة قرون من الزمان.

في دراسته: يهود السفارديم في السنوات الأولى لبنك انجلترا Sephardi Jews And The Early Years Of The Bank Of England، التي نشرها في مجلة: أعمال الجمعية اليهودية التاريخية في انجلترا Transactions Of Jewish Historical Society Of England، سنة ١٩٥٥م، يقول جون جوتسيبي:

---

1) Arthur Nelson Field: Facts About The Bank Of England, P4, Nelson Publisher, New Zeland, 1938.

"في الفصل الذي خصصه لمالكي أصول بنك انجلترا من كتابه: تاريخ بنك انجلترا History Of Bank Of England، أشار الراحل السير جون كلافام John Clapham، إلى ارتفاع نسبة يهود السفارديم الإسبان والبرتغال، الذين ظهرت أسماؤهم في قوائم مالكي أصول البنك في سنواته الأولى، ولم يسعف الوقت السير كلافام لاستكمال تحقيقه حول الموضوع، وبناءًا على اقتراح جمعيتكم (الجمعية اليهودية التاريخية في انجلترا)، وبعد موافقة محافظ بنك انجلترا ومجلس إدارته، الذين أدين لهم بما منحوه لي من الوقت، وما وفروه لي من الوسائل، قمت ببحث مكثف حول هذا الموضوع في صيف سنة ١٩٥٢م، وكانت ثمرته هذه الدراسة ... في سنة ١٧٠١م كان يهود السفارديم من إسبانيا والبرتغال يشكلون نسبة كبيرة من مالكي أصول البنك الذين تبلغ حصتهم ٤,٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر، وهي النصاب اللازم للاشتراك في إدارة البنك وانتخاب حاكمه، ومن بين هؤلاء اليهود السفارديم المالكين لهذه الحصة، اثنان من أسرة داكوستا Da Costa، وواحد من كل من: أسرة فونسيكا Fonseca، وأسرة هنريكز Henriquez، وأسرة منديز Medez، وأسرة رودريجز Rodrigues، وأسرة سالفادور Salvador، وأسرة تيشيرا دي ماتوس Teixeira De Mattos، ومتعهد الإنشاءات اليهودي العظيم لجيش الملك، سلومون دي مدينا Solomon De Medina"[1].

وفي دراسته التالية: المالكون اليهود الأوائل لأصول بنك انجلترا Early Jewish Holders Of Bank Of England Stock، التي نشرها في مجلة الجمعية اليهودية التاريخية في انجلترا، سنة ١٩٦٢م، يقول جون جوتسيبي، إن مؤسسي بنك انجلترا ومالكي أسهمه عند تأسيسه، كانوا من يهود السفارديم المهاجرين من إسبانيا والبرتغال، والمتحالفين مع مجموعة من الهوجونوت البروتستانت، وكانوا أسراً مترابطة، وأغلبهم من خارج بريطانيا، ويقيمون في بلدان مختلفة من أوروبا، هولندا والبرتغال وإسبانيا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وجامايكا وتركيا، ثم ذكر جوتسيبي قائمة كاملة بأسماء مؤسسي بنك انجلترا ومالكي أصوله من اليهود والهوجونوت، وحصة كل منهم في البنك، فهاك هي:

---

1) John Giuseppi: Sephardi Jews And The Early Years Of The Bank Of England, Transactions Of Jewish Historical Society Of England, Vol. 19, (1955-59), pp. 53-63.

"أولاً: المؤسسون ومالكو الأصول من اليهود: موشيه أبرابانيل Moses Abrabanel (١٣,٦٤٢ إسترليني)، فرانسيس دوارت Francis Duarte (١٦,٤١٠ إسترليني)، فرانسيس دي ليس سِن Francis De Lis Sen (٥٣,٦٠٠ إسترليني)، فرانسيس دي ليس جن Francis De Lis Jun (١٧,٨٠٠ إسترليني)، إسحق فرانكو منديز Isaac Franco Mendes (١٧,٢٥٠ إسترليني)، أنتوني دي بنتو Anthony De Pento (١٣,٠٠٠ إسترليني)، جاكوب دي بنتو Jacob De Pento (١٠,٣١٦ إسترليني)، جوزيف جاكوب دي بنتو Joseph Jacob De Pento (١٠,٤٥٠ إسترليني)، الإخوة موشيه وجوزيف ودافيد أبناء هارون دي بنتو Moses, Joseph, David De Aaron De pento (١٠,٦٢٥ إسترليني)، جوزيف تيشيرا دي ماتوس Joseph Teixeira De Mattos (١٠,٠٠٠ إسترليني)، مانويل تيشيرا جن Manuel Teixeira Jun (٢١,٠٠٠ إسترليني).

ثانياً: المؤسسون ومالكو الأصول من الهوجونوت: دانيل برنارد Daniel Bernard (١٣,٩٨٣ إسترليني)، هنري دي شوس Henry De Cheusses (١١,٢٢٠ إسترليني)، نيكولاس كِلجنت Nicholas Clignet (١٤,٠٠٠ إسترليني)، ميشيل دي لا كورت Michael De La Court (١٩,٠٠٠ إسترليني)، جان أنطوان دي نورماندي Jean Antoine De Normandie (١٤,١٢٥ إسترليني)، بيتر تستاس Peter Testas (١٠,٦٢٥ إسترليني)"[1].

ومانويل تيشيرا، الذي رأيته بين مؤسسي بنك انجلترا ومالكي أصوله، برتغالي وصاحب بنك في هامبورج في ألمانيا، وهو صهر إسحق لوبيز سواسّو، وكان ابن سواسّو متزوجاً من ابنته.

روتشيلد وبنك انجلترا:

ومن تأسيس بنك انجلترا، ومؤسسيه ومالكي أصوله عند إنشائه، ننتقل بك في قصة مثيرة إلى روتشيلد وكيف استولى على أكبر حصة في البنك، بعد أن احتكر البنك التجارة داخل مملكة بريطانيا وحق إصدار العملة الإنجليزية، وصارت المملكة مدينة له، بما اقترضته لتمويل حروبها ونفقات ملوكها.

---

1) John Giuseppi: Early Jewish Holderrs Of Bank Of England Stock, 1694-1725, Miscellanies, Jewish Historical Society of England, Vol. 6, 1962, P 143-174.

في سنة ١٧٩٨م، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وصل ناثان روتشيلد Nathan Rothschild، ثالث أبناء روتشيلد الكبير، إلى انجلترا، وفي كتابه: آل روتشيلد حكام الأمم بالمال The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations، يقول المؤرخ الإنجليزي جون ريفز John Reeves، إنه بعد سنوات قليلة من وصوله وتأسيسه لمؤسسة روتشيلد في انجلترا:

"صار ناثان روتشيلد قائد بورصة الأسهم The Leading Man، ولا يوجد أحد في تاريخ البورصة تمكن من مضاعفة رأسماله فيها ٢٥٠٠ مرة خلال خمس سنوات غيره"(١).

وناثان روتشيلد هو الذي مول حملة انجلترا، بقيادة الجنرال آرثر ولسلي دوق ولنجتون Arthur Wellesley, Duke Of Wellington، في مواجهة قوات نابليون، في معركة ووترلو Waterloo في بلجيكا، في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥م، والتي انتهت بهزيمة نابليون وإنهاء إمبراطوريته، ونفيه إلى جزيرة سانت هيلانة.

فإذا عدت إلى باب: نابليون وحملة الماسون، ستجد أن الذي مول سلسة حروب نابليون، في مواجهة الحلفاء، انجلترا وهولندا وبروسيا، البنوك وبيوت المال اليهودية والماسونية، ومنها مؤسسة جيمس روتشيلد في انجلترا!

ونابليون، كما علمت تفصيلاً ماسوني، ودوق ولنجتون أيضاً ماسوني، ويقول مؤرخ الماسونية والماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين فريك جولد Freke Gould، في كتابه: المحافل العسكرية، المئزر والسيف أو الماسونية في الجيوش Military Lodges. The Apron And The Sword Or Freemasonry Under Arms، إن دوق ولنجتون:

"كان عضواً في المحفل الأيرلندي رقم: ٤٩٤ Irish Lodge No. 494، في دبلن، وكان توقيعه في سجلات المحفل: A. Wesley، ومازال المحفل يحفظ السجلات التي تحوي توقيعه، كأحد أثمن وثائقه"(٢).

---

1) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, P167, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.
2) Robert Freke Gould: Military lodges, The Apron and The Sword Or Freemasonry Under Arms, P102, Aldershot, Gale & Polden Ltd,London, 1899.

وأبو دوق ولنجتون، جافريت إيرل مورننجتون Gafrett, Earl Of Mornington، كان الأستاذ الأعظم لمحفل أيرلندا الأعظم، وخلفه في رئاسته ابنه الأكبر وشقيق دوق ولنجتون، ريتشارد ولسلي، لورد مورننجتون.

فإذا تساءلت ببراءة: وكيف يقاتل الماسون الماسون، ولماذا يمول اليهود هؤلاء وأولئك، ومن انهزم ومن انتصر، فالإجابة هي أن تفسير ذلك هو نفسه تفسير الحروب بين الإمبراطوريات الماسونية التي شهدها القرن العشرين، فالبنوك والشركات تقدح نار الحروب، لتتقاتل فيها الدول والإمبراطوريات بالأموال التي تقترضها من المرابين وبيوت المال قديماً، ثم من البنوك والمؤسسات المالية حديثاً، والمؤسسات المالية والبنوك، حتى المركزية منها، ليست مملوكة لهذه الدول كما يتوهم الأميون، بل هي مؤسسات خاصة يمتلكها من كنزوا الأموال ويكدسونها عبر القرون، وما تقترضه الدول من أموال تنفقه في شراء السلاح واحتياجات الجيوش ولوازم الحروب من الشركات التي يمتلكها أصحاب هذه البنوك، ومن فوائد القروض وأرباح التجارة تتراكم ثرواتهم، وفي الوقت نفسه يقع زمام الدول والمجتمعات التي استدانت منهم بين أيديهم، وتنتقل السلطة الفعلية إليهم، ويصبح الحكام والساسة مجرد واجهات لهم.

فالحروب ضرورة ليس لمن يخوضونها فقط، بل لمن يمولونها وينتجون ما تشتريه هذه الأموال، لكي تظل دورة كنزهم للثروات وإقراض الدول ووضعها تحت سرجهم فعالة ودائرة.

ودوق ولنجتون، كان أحد ضباط جيش شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند، وبعد عودته إلى انجلترا، أصبح دوق ولنجتون أحد ضباط جيش الإمبراطورية، ثم أحد قواده، ثم وزير الحرب، فرئيس الوزراء.

وإليك الأرشيف الرسمي لأسرة روتشيلد على الإنترنت، يخبرك في فخر بالورطة التي كان فيها دوق ولنجتون والإمبراطورية البريطانية، وكيف أنقذها ناثان روتشيلد:

"في سنة ١٨١٤م، وبعد حملات متوالية استغرقت سنوات، تقدم ولنجتون شمالاً عبر إسبانيا، وأجبر الفرنسيين على التراجع خلف جبال البرنيه/البرانيس Pyrenees، لكنه كان في حاجة ملحة للمال، لكي يوفر النفقات لقواته، فقامت الحكومة البريطانية بتفويض ناثان روتشيلد لإمداد الدوق بما يحتاجه من تمويل، وبالاشتراك مع إخوته في أوروبا قام ناثان

بتكوين شبكة من العملاء Network Of Agents، لشراء العملات المطلوبة، ونقلها إلى ولنجتون، وكان تفويض الحكومة البريطانية لمؤسسة روتشيلد، لأنها فشلت بالفعل في تكوين شبكة مماثلة تعمل لمصلحتها ... وقد وصف ناثان نفسه ما فعله بأنه: "أفضل صفقة قمت بها على الإطلاق The Best Business I Ever Did"[١].

ثم إليك ناثان روتشيلد نفسه يخبرك كيف دبر الذهب اللازم لإقراض الحكومة البريطانية، وتمويل حرب دوق ولنجتون، وكيف كان يستعد لهذه الصفقة منذ وصل إلى انجلترا، ومن قبل أن تحتاجها الحكومة البريطانية أو تفكر فيها:

"عندما انتقلت إلى لندن عرضت شركة الهند الشرقية البريطانية ما قيمته ٨٠٠ ألف جنيه إسترليني من الذهب للبيع، فقمت بشرائها كلها، لأنني أعلم أن دوق ولنجتون لابد سوف يحتاجها I Knew The Duke Of Wellington Must Have it، وقد أرسلتْ إليَّ الحكومة البريطانية، وطلبتها مني، وعندما حصلتْ عليها، لم تجد طريقة توصِّلها بها إلى الدوق في البرتغال، فقمت بتدبير ذلك كله، وأرسلتها عبر فرنسا(!)، وكانت هذه أفضل صفقة قمت بها على الإطلاق"[٢].

ولا تغفل عن أغرب ما في عبارة ناثان روتشيلد، وهو أنه أرسل الذهب إلى دوق ولنجتون في البرتغال عبر فرنسا، التي كانت حرب الدوق معها وضدها!

وهاك وجه آخر لمعركة ووترلو تعرف منه لماذا كانت أفضل صفقة على الإطلاق لناثان روتشيلد.

يقول جون ريفز إن ناثان روتشيلد قام بتنظيم جهاز مخابرات وجمع معلومات خاص به، وكان له عملاء ورسل يبثهم داخل الجيوش وفي بلاط الحكومات، وينفق عليهم بسخاء Without Regard To Expense، لكي يجمعوا له الأخبار من أوروبا، ويرسلوها إليه قبل أن تصل إلى الحكومة البريطانية، وفي الوقت نفسه:

---

1)The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild And Waterloo, https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo
2) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P166-167.

"قام بإنشاء نظام للبريد بواسطة الحمام Pigeon Post، لكي تصله الأخبار من أوروبا بسرعة وعلى فترات متقاربة، وأنفق على إنشاء هذا النظام مبالغ طائلة، وقد أثبت جهاز مخابراته الخاص في مناسبات عديدة أنه أكفأ من جهاز مخابرات الحكومة البريطانية"[١].

وفي أرشيف أسرة روتشيلد الرسمي، نص رسالة أرسلها جون رُوورث John Roworth، أحد مبعوثي ناثان روتشيلد، يقول له فيها:

"لقد وصلتني الأنباء، وعرفت أنك فعلتها بمهارة You Have Done Well، حين وصلتك مبكراً أخبار الانتصار في ووترلو"[٢].

فهاك كيف لعبها ناثان روتشيلد بمهارة، بعد أن وصلته أنباء انتصار ولنجتون في ووترلو، كما يقول ريفز:

"ذهب إلى عموده المعروف في البورصة His Well Known Pillar، واستند إليه، وبدا يائساً محطماً، وكأن كارثة قد حلت به، فانتشرت الشائعات في أنحاء لندن ... ولأن جميع المساهمين يتطلعون إلى روتشيلد، امتلأت البورصة في الأيام التالية بالجلبة، وأصحاب الأسهم يتحركون بقلق في كل اتجاه، ويتساءلون في همس عن سبب بيع روتشيلد لأسهمه، وسرت شائعات أن روتشيلد أخبر أحد أصدقائه المقربين أن بلوخر Blucher، قائد الجيش البروسي، هُزم أمام الفرنسيين، ولم يستطع ولنجتون إيقاف تقدم قوات نابليون المنتصرة، وانتشرت الأخبار السيئة في المدينة كالنار في الهشيم Like Wildfire، فانهارت أسعار الأسهم ... وبعد يومين وصلت أخبار انتصار ولنجتون وهزيمة الفرنسيين، وكان ناثان روتشيلد نفسه أول من أشاع الأخبار السارة، وبعد أن أعلنت الحكومة الانتصار رسمياً، ارتفعت أسعار الأسهم مرة أخرى، وأشفق كثيرون على روتشيلد بسبب خسائره الجسيمة، لأنهم لا يعلمون أنه بينما كان وكلاؤه المعروفون يبيعون الأسهم، كان وكلاء آخرون له غير معروفين يشترون كل ما يتم عرضه للبيع من أسهمه وأسهم الآخرين، وبهذا التلاعب وضع ناثان في جيبه مليون جنيه إسترليني"[٣]!

---

1) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P168-169.
2) 56) The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild And Waterloo, https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo
3) The Rothschilds, The Financial Rulers Of Nations, P173-175.

والأسهم التي استولى عليها ناثان روتشيلد بهذا الاحتيال، هي أسهم الشركات المالكة لأصول بنك انجلترا، فصار بذلك صاحب أكبر حصة في أصول البنك.

الحاخام منشه بن إسرائيل يفوز بانجلترا لليهود:

والآن نركب معك آلة الزمان، ونعود بك إلى الوراء، فقبل الخطوة الثانية التي رأيت فيها يهود السفارديم في هولندا يمولون غزو انجلترا، وتحويلها إلى مملكة بروتستانتية، بالتواطؤ مع البرلمان، والخطوة الثالثة التي كونوا فيها بنك انجلترا وسيطروا من خلاله على مقاليد بريطانيا، والخطوة الرابعة التي صارت بها الأسرة المالكة هي نفسها من اليهود الأخفياء Crypto Jews، والحكومة البريطانية خليط من اليهود والماسون ومجرد واجهة للبنوك والشركات ومن يملكونها، إليك الخطوة الأولى التي مول فيها يهود هولندا أيضاً ثورة كرومويل وتحويل بريطانيا إلى مملكة برلمانية، في مقابل توطين اليهود في انجلترا، لتصبح ممهدة وجاهزة للخطوات التالية، وهي كلها خطوات في المشروع اليهودي على الجانب الغربي، من أجل استيطان رأسه وامتطاء ظهره، والقفز به إلى الجانب الشرقي.

في سنة ١٢٩٠م، أصدر الملك إدوارد الأول Edward I مرسوماً بطرد جميع اليهود من انجلترا ومنع دخولهم إليها، بعد أن منَع المرابين اليهود من الإقراض بالربا، في إثر امتناعهم عن تمويل حربه ضد ويلز، ولذا لم يكن مسموحاً لليهود بالوجود في انجلترا رسمياً، إلى أن أعادهم إليها أوليفر كرومويل Oliver Cromwell، بعد ثورته الجمهورية التي أطاحت بالملك تشارلز الأول ثم أعدمته سنة ١٦٤٩م، بعد محاكمة صورية، وكان مساعد المدعي العام في المحكمة العليا التي كونها كرومويل لمحاكمة تشارلز الأولHigh Court Of Justice For The Trial Of Charles I، والذي قام بإعداد عريضة الادعاء ضد الملك، إسحق دوريسلاوس Isaac Dorislaus، وهو برتغالي من يهود المارانو، وكان يقيم في لاهاي، وهي المدينة نفسها التي جاء منها إسحق سواسُّو بعده بأربعين سنة!

في كتابه: قتلة الملك، الرجال الذين أعدموا تشارلز الأول Killers Of The King, The Men Who Dared To Execute Charles I، يقول المؤرخ البريطاني الإيرل تشارلز سبنسر Charles Spencer، عن دوريسلاوس ودوره في محاكمة تشارلز الأول والحكم عليه بالإعدام:

"وكان إسحق دوريسلاوس مساعد المدعي العام، وهو هولندي، ووُلد لأب عميق الإيمان بالكالفينية[*] Calvinism، وكان له أخوان، اسمهما أبراهام وجاكوب، وقدِم دوريسلاوس إلى انجلترا كأول محاضر في التاريخ في جامعة كمبردج، واشتهرت محاضراته، وكان موضوعها الرئيسي: "قوة الشعب في مواجهة الملوك The Power of The People Under The Kings" ... ولأنه من هولندا أُرسله أنصار الحكم الجمهوري لإقناع الهولنديين بالانضمام إلى انجلترا البرلمانية Parlementary England، وإقامة حلف بروتستانتي ضد الملك تشارلز الأول، وكان كروموبل يقدر دوريسلاوس، وهو الذي اختار هذا الهولندي لوضع عريضة الاتهام ضد الملك، وقبل يومين من المحاكمة زعم المدعي العام أنتوني ستيل Anthony Steel أنه أصيب بمرض شديد، وأصر على أنه لا يمكنه ممارسة عمله وحضور المحاكمة، ومع انسحاب ستيل من القضية، تقرر أن يقود دوريسلاوس المحاكمة"[1].

وقبل اعتقال الملك تشارلز الأول والحكم بإعدامه، كان الذي مول ثورة كروموبل وحرب أنصار الحكم البرلماني الجمهوري ضد الملك، حاخام أمستردام القبالي، منشه بن إسرائيل Menasseh Ben Israel، وكان إعدام الملك تشارلز الأول هو شرط هذا التمويل، ومنشه بن إسرائيل من يهود السفارديم في البرتغال، وهاجر مع أسرته وهو صغير إلى هولندا، حيث استقروا في أمستردام، سنة ١٦١٠م.

في كتابه: حرب بلا اسم The Nameless War، يقول الضابط والسياسي وعضو البرلمان البريطاني الكابتن أرشيبالد رامزي Archibald Ramsay، إنه في يوم ٣ سبتمبر سنة ١٩٢١م، نشرت دورية بلين إنجليش الأسبوعية Plain English، وتصدرها دار شمال بريطانيا للنشر North British Publishing، نشرت دراسة للورد ألفريد دوجلاس Alfred Douglas، الذي يشرف على تحرير الدورية، يقول فيها إن صديقه الهولندي فان فالكرت Van Valckert

•) الكالفينية Calvinism: هم أتباع البروتستانتية الإصلاحية Reformed Protestantism، وهي فرع من البروتستانتية، أسسها جان كالفن Jean Calvin، وهوراهب كاثوليكي فرنسي كان يعيش في جنيف، ثم انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية، وتحول إلى البروتستانتية، سنة ١٥٣٠م، وكتب شروحاً على أسفار الكتاب المقدس، صارت المصدر الرئيسي لعقيدة أتباعه الذين انتشروا في سويسرا وهولندا وانجلترا والنرويج وألمانيا وفرنسا.

1) Charles Spencer:Killers Of The King: The Men Who Dared To Execute Charles I, P33-34 , Bloomsbury Press, January 20, 2015.

أرسل له من أمستردام خطاباً يحتوي على رسالتين من وثائق عُثر عليها في مجلد في كنيس مولهايم Mülheim، وكان المجلد قد فُقد إبان حروب نابليون وعثر عليه حديثاً، وكانت الرسالة الأولى مرسلة من أوليفر كرومويل إلى الربي بن عزرا برات Ben Ezer Pratt، بتاريخ ١٦ يونيو ١٦٤٧م، ونصها:

"في مقابل التمويل In Return For Financial Support، سوف أعيد اليهود إلى انجلترا، ولكن ذلك مستحيل طالما ظل تشارلز الأول حياً، ولا يمكن إعدامه دون محاكمة، ولا نملك الآن سبباً وجيهاً لمحاكمته وإعدامه"[1].

وكانت الرسالة الثانية التي تحمل رد الربي بن عزرا برات، في ١٢ يوليو ١٦٤٧م:

"سوف نقدم التمويل اللازم حالما يختفي تشارلز، وتعلَن إعادة اليهود إلى إنجلترا، ينبغي إعطاء تشارلز فرصة للهرب، وحينئذ يكون القبض عليه ثانياً سبباً وجيهاً لمحاكمته وإعدامه، والتمويل سيكون سخياً The Support Will Be Liberal، غير أنه لا تفاوض حول شروطه قبل بدء المحاكمة"[2].

ولم يكن التمويل فقط هو ما أمد به اليهود كرومويل في ثورته وحربه ضد أنصار الملكية، بل أقاموا من تجمعاتهم الموزعة في بلدان أوروبا المختلفة شبكة تجسس، وكونوا جهاز مخابرات دولياً لإمداده بالمعلومات، كما يقول المؤرخ اليهودي النمساوي جوزيف جاكوبس Joseph Jacobs، في دراسته عن: المارانو في انجلترا Maranos In England، التي كتبها في الموسوعة اليهودية The Jewish Encyclopedia، المطبوعة في الولايات المتحدة:

"بعد طرد اليهود من إسبانيا سنة ١٤٩٢م، ومن البرتغال سنة ١٤٩٨م، استقر عدد من تجار المارانو في لندن، على أنهم مسيحيون، وصاروا مجتمعاً سرياً، يرأسه أنتونيو فرنانديز كارفاجال Antonio Fernandez Carvajal، وقد كوَّن هؤلاء المارانو أو اليهود السريون Secret Jews، شبكة واسعة ومترابطة للتجارة بين انجلترا وإسبانيا والبرتغال والبرازيل وجزر الكناري وهولندا وشرق المتوسط وجزر الهند الشرقية والغربية، وكان لهم دور مهم في ثورة

---

1) Archibald Ramsay: The Nameless War, P11,Britons Publishing Company, London, 1952.

2) The Nameless War, P11.

كرومويل، إذ بسبب شبكة علاقاتهم الواسعة كانوا يشكلون جهاز مخابرات سرياً لكرومويل Cromwell's Secret Intelligencers، ويمدونه بالمعلومات عن أنصار تشارلز الأول وتحركاتهم"(1).

وتقديراً من كرومويل لخدمات كارفاجال، ولدور جهاز مخابراته اليهودي الدولي في إنجاح ثورته والانتصار على الملك تشارلز الأول، منحه حق احتكار توريد الأغذية والحبوب للبحرية البريطانية.

وإليك بعض الطرائف من سيرة رأس اليهود الأخفياء في لندن، فرنانديز كارفاجال، التي كتبها المؤرخ اليهودي الإنجليزي لوسيان وولف Lucien Wolf،، في دراسته: أول يهودي إنجليزي، سيرة أنتونيو فرنانديز كارفاجال، مع بعض وثائق منها The First English Jew, Notes On Antonio Fernandez Carvajal, With Some Biographical Documents، والتي نشرها، سنة ١٨٩٤م، في مجلة: أعمال الجمعية التاريخية اليهودية في انجلترا Transactions Of The Jewish Historical Society Of England.

يقول وولف إن:

"**كارفاجال كان يتظاهر بأنه بابوي Pretended To Be A Papist، ويحضر القداس الكاثوليكي الذي يقيمه سفير إسبانيا في لندن، وفي الوقت نفسه كان يمارس الطقوس اليهودية في الكنيس السري الذي أقامه التجار المارانو ... وحين اندلعت الحرب بين انجلترا والبرتغال، ظلت سفن كارفاجال التجارية تبحر بين مواني انجلترا والبرتغال، دون أن يتعرض لها هؤلاء ولا أولئك، لأنه مواطن برتغالي وسفنه إنجليزية ... وفي سنة ١٦٥٥م صار مواطناً إنجليزياً هو وأولاده، وحين بدأت الحرب بين انجلترا وإسبانيا سنة ١٦٥٥م، وصارت سفنه عُرضة لأن يستولي عليها الإسبان، أبلغ كرومويل بذلك، فقام كرومويل بعمل ترتيبات، لكي يستمر كارفاجال في نقل البضائع من أملاكه في جزر الكناري إلى انجلترا، وذلك عن طريق رفع رايات وشعارات هولندية على السفينة الإنجليزية كنز البحر Seafortune، فكانت السفينة تبحر من دوفر Dover في انجلترا، يقودها ربان وطاقم هولندي، إلى جزر الكناري،**

---

1) Joseph Jacobs: Maranos In England, The Jewish Encyclopedia, Vol. V, P168, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed In USA, 1904.

ثم تعود محملة بالبضائع إلى أمستردام، حيث يتلقاها اثنان من التجار اليهود، هما لويز شيون Lopez Chillon، وفيليب فان هولتن Philip Van Hulten، ومن أمستردام ترجع السفينة إلى كارفاجال في انجلترا، في حراسة سفن حربية إنجليزية"[١]!

وبالتمويل الذي وفره حاخام أمستردام، منشه بن إسرائيل، لكرومويل، عبر بنوك اليهود في هولندا، وبالتنسيق مع كارفاجال في انجلترا، وبشبكة التجسس التي أقامها كارفاجال من اليهود وأعان بها كرومويل، أصبح منشه بن إسرائيل، كما يصفه المؤرخ اليهودي الألماني هينريش جريتز Heinrich Graetz:

"الرجل الذي فاز بانجلترا لليهودية Won England For Judaism"[٢]!

وكانت إعادة اليهود إلى انجلترا، كما رأيت من مراسلات كرومويل مع الربي بن عزرا برات، جزءًا من الاتفاق بين كرومويل ومنشه بن إسرائيل، وشرطاً في توفير التمويل لثورته وحربه ضد الملك تشارلز الأول.

وبعد نجاح ثورة كرومويل وأنصاره من البروتستانت البيوريتان[•] Puritans، وإعدام الملك تشارلز الأول، وبعد أن أعلن كرومويل، سنة ١٦٤٩م، إقامة الكومنولث Commonwealth أو اتحاد جمهوري برلماني من انجلترا وويلز، ثم انضمت إليه لاحقاً اسكتلندا وأيرلندا، كتب منشه بن إسرائيل كتيباً باللاتينية عنوانه: أمل إسرائيل Spes Israelis، ونشره في أمستردام سنة ١٦٥٠م.

---

1) Lucien Wolf: The First English Jew. Notes On Antonio Fernandez Carvajal, With Some Biographical Documents, The Jewish Historical Society Of England, Transactions, Session: 1894-1895, P16-18, Wertheimer, Lea And Co., London.

2) Heinrich Graetz: History Of The Jews, Vol.5, P19, Jewish Publication Society Of America, Philadelphia, 1895.

•) البيوريتان، أو حركة التطهر Puritans: هي البروتستانتية النقية أو الخالصة، وهي امتداد للكالفينية، وازدهرت في بريطانيا إبان القرن السادس عشر والقرن السابع عشر، وكان من نتائجها ثورة كرومويل البيوريتانية، ومن بعدها صارت الصبغة الرئيسية لبريطانيا وعقائدها وتاريخها وسياساتها، والبيوريتانية قامت على تنقية البروتستانتية وكنيستها في انجلترا من رواسب العقائد والممارسات الكاثوليكية، وعلى الالتزام الحرفي بتعاليم الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم، وعلى قبول الحرية الدينية والتسامح مع الديانات الأخرى، وهي كلها أفكار كان المقصود بها إعادة الاعتبار لليهود في المسيحية، وقبولهم في المجتمع، وتحريرهم من الأوزار التي تحمّلها الكنيسة الكاثوليكية لهم، ومن القيود التي تكبلهم بها، ثم تحويلهم إلى محور عقائد البروتستانت وسياساتهم وبوصلة حركتهم في التاريخ، وهو ما سوف تدركه وأنت تتابع القراءة.

وأهدى منشه بن إسرائيل كتابه، كما هو مكتوب على غلافه وصفحته الأولى إلى مؤسسات الكومنولث في انجلترا: المحكمة العليا Supreme Court، وبرلمان انجلترا Parliament Of England، ومجلس الدولة Council Of State، وفي سنة ١٦٥٢م ترجمه جون دوري John Dury، إلى الإنجليزية ونشره بعنوان: أمل إسرائيل The Hope Of Israel، وجون دوري بروتستانتي بيوريتاني، ومن أشد المتحمسين لإعادة اليهود لانجلترا، وهو أحد قادة جيش كرومويل، وكان أيضاً صديقاً لمنشه بن إسرائيل وزاره في أمستردام عدة مرات قبل نجاح ثورة كرومويل وتأسيس الكومونولث.

وأرسل منشه بن إسرائيل الطبعة اللاتينية من كتابه إلى انجلترا، سنة ١٦٥٠م، ليُقرأ أمام البرلمان ومجلس الدولة، مع رسالة يخاطب فيها أعضاء المحكمة العليا ومجلس الدولة والبرلمان، وكتاب منشه بن إسرائيل كله عن عقاب الإله لبني إسرائيل بتشتيتهم في كل مكان من الأرض، وعن الأسباط العشرة الذين تناثروا في الأرض ولا يُعلم مَن يكونون وأين هم، وعن إخبارات الأنبياء عن ظهور الأسباط العشرة واجتماع بني إسرائيل وعودتهم للأرض المقدسة، وإعادة الدولة والهيكل، وملأ منشه بن إسرائيل كتيبه بنصوص يستشهد بها من أسفار الأنبياء، خصوصاً إشعياء وإرميا.

وفي نهاية الكتيب وضع منشه بن إسرائيل خلاصة ما فيه في بضع عبارات، فهاك هي من الطبعة الإنجليزية من الكتاب، التي صدرت في لندن سنة ١٦٥٢م: **"وسوف أجمع ما قلته معاً وأوجزه، ومنه يمكن معرفة آثاره وما سوف يحدث، ١- جزء من الأسباط العشرة(•) كان يسكن قديماً جزر الهند الغربية، وقد وصلوا إليها بعد أن عبروا مضيق**

•) الأسباط العشرة الضائعة أو المفقودة: في سفر الملوك الأول أن مملكة سليمان انقسمت بعد موته إلى مملكتين، مملكة يهودا في الجنوب، وعاصمتها أورشليم، وملكها رحبعام بن سليمان، وبها سبطا يهوذا وبنيامين، ومملكة إسرائيل في الشمال، وعاصمتها السامرة، وملكها أخوه يربعام، وبها الأسباط العشرة الباقية، ومنذ القرن التاسع قبل الميلاد تعرضت مملكة إسرائيل لغزوات متتابعة من مملكة أشور، ففي القرن التاسع قبل الميلاد غزاها شلمنصر الثالث واحتل جزءًا منها، وفي القرن الذي يليه غزاها تغلاث فلاصر الثالث وسبى جُل اليهود من أهلها وساقهم سبياً إلى أشور، وبعدها بخمسة وعشرين عاماً غزاها سرجون الثاني ودمر عاصمتها السامرة، وسبى من بقي من اليهود إلى أشور، وقام ملوك أشور بتشتيت الأسباط العشرة الذين سبوهم من مملكة إسرائيل في مناطق مختلفة ومنعزلة وجبلية من مملكة

أنيان(•) Strait Of Anián، قادمين من طرطاري(•) Tartary، ٢- الأسباط موجودون في كل مكان من الأرض، لأن الأنبياء أخبروا أنهم سيعودون إلى أرضهم المقدسة من بلدان مختلفة، ٣-لم يعد هؤلاء الأسباط إلى الأرض المقدسة مع الهيكل الثاني، ٤-يحتفظ هؤلاء الأسباط بديانتهم اليهودية إلى يومنا هذا، ٥-النبوءات التي تخبر عن عودة الأسباط إلى وطنهم لابد أن تتحقق وتكتمل، ٦-من كل مكان في الأرض سوف يجمع الرب الأسباط في البلاد القريبة من الأرض المقدسة، وتحديداً في أشور ومصر، كما أخبر إشعياء، ومن هذين البلدين سيعودون إلى أورشليم/القدس، كما تعود الطيور إلى أعشاشها As Birds To Their Nests، ٧-سوف يتوحد الأسباط في أرضهم تحت قيادة ملك واحد، هو الهامشيحاه

أشور، لكي لا يجتمعوا معاً مرة أخرى، ويحاولوا العودة إلى مملكتهم، وفي سفر الملوك الثاني أنه: "وَسَبَى مَلِكُ أَشُّورَ إِسْرَائِيلَ إِلَى أَشُّورَ، وَوَضَعَهُمْ فِي حَلَحَ وَخَابُورَ نَهْرِ جُوزَانَ وَفِي مُدُنِ مَادِي"(الملوك الأول: ١٨: ١١)، والمناطق التي ذكر السفر أن ملوك أشور شتتوا الأسباط العشرة فيها تقع اليوم في مناطق مختلفة من العراق وفارس وتركيا، ولا يوجد في كتب الأنبياء العبرية ولا في أي وثائق أو مصادر تاريخية، يهودية أو غير يهودية، ما يُعرف منه مصير هذه الأسباط العشرة وإلى أين ذهبوا بعد انهيار مملكة أشور، ولكن توجد نظريات عديدة عنهم، منها أنهم ذهبوا إلى الهند، وأن منهم من استوطن إفريقيا، خصوصاً إثيوبيا، ومن أشهر هذه النظريات وأكثرها أثراً في التاريخ وفي موقف انجلترا ونخبها من اليهود، أن الأنجلو ساكسون، الذين قدموا إلى جزيرة انجلترا من أقصى شمال أوروبا، في القرن الخامس الميلادي، هم من الأسباط العشرة المفقودة، وأول من ادعى هذه الدعوى من الإنجليز، وقال إن شعب انجلترا من نسل بني إسرائيل، السياسي وعضو البرلمان جون سادلر John Sadler، في كتابه: حقوق المملكة The Rights Of The Kingdom، الذي نشره في لندن سنة ١٦٤٩م، وجون سادلر هو السكرتير الخاص لكرومويل، وأحد أصدقاء منشه بن إسرائيل في انجلترا، ومنذ أوائل القرن التاسع عشر، يتبنى بعض المؤرخين والساسة الإنجليز بحماسة نظرية أن الإنجليز من أسباط بني إسرائيل، وأشهر ما كتب في بيان هذه النظرية وتدعيمها بالأسانيد والأدلة، كتاب: إسرائيل في بريطانيا، براهين الأصل الإسرائيلي للجنس البريطاني، للكولونيل جون جارنير، وقد نشره في لندن سنة ١٨٩٠م.

Colonel John Garnier: Israel In Britain, A Brief Statement Of The Evidences In Proof Of The Israelitish Origin Of The British Race, Robert Banks & Son, Fleet Street, London, 1890.

(•) مضيق أنيان، اسمه الآن مضيق بيرنج Bering Strait، ويقع بين أقصى شمال روسيا في قارة آسيا، وآلاسكا في أقصى شمال قارة أمريكا الشمالية، وهو ممر بين المحيط الهادي والمحيط المتجمد الشمالي.

(•) طرطاري Tartary: هو الاسم الذي كان يطلقه الجغرافيون الأوربيون قبل القرن الثامن عشر على المنطقة الواقعة شمال روسيا بين جبال الأورال غرباً والمحيط الهادي شرقاً، وهي الآن سيبيريا.

بن داوود Messiah Son Of David، وسوف تظل مملكتهم إلى الأبد، ولن يخرجهم أحد من أرضهم بعد ذلك"(١).

وكتاب منشه بن إسرائيل، عن تشتيت الرب لبني إسرائيل والأسباط المفقودة، وإخبارات أنبياء بني إسرائيل عن عودتهم واجتماعهم في فلسطين، لم يكن سوى حرث لأذهان قادة انجلترا من البيوريتان، وتمهيدها لما يريده منهم في الرسالة التي أرفقها مع كتابه، لتقرأ أمام مجلس الدولة والبرلمان، وقد نشر مؤرخ اليهود اليهودي هينريش جريتز نصها في الباب الذي خصصه لمنشه بن إسرائيل من المجلد الخامس من كتابه: تاريخ اليهود History Of The Jews، فهاك هي:

"إن عودة اليهود إلى وطنهم الأم، التي قد اقترب زمانها، لابد أن يسبقها تشتتهم الكامل، وهذا التشتت كما يخبرنا الأنبياء لابد أن يكون في الأرض كلها، ومن أدناها إلى أقصاها From One End Of The Earth To The Other، وهذا يشمل بالطبع جزيرة انجلترا في أقصى شمال العالم، ولكن لا يوجد يهود في انجلترا منذ ثلاثمائة عام، ومن ثَم فالمرجو من مجلس الدولة والبرلمان أن يمنحوا اليهود حق التوطن في انجلترا، وممارسة شعائر ديانتهم، وبناء كُنسهم/معابدهم، وأنا أنوي الحضور إلى انجلترا لعرض قضية اليهود أمام أعضاء مجلس الدولة والبرلمان الموقرين"(٢).

وكما ترى، كتاب منشه بن إسرائيل ورسالته إلى مجلس الدولة والبرلمان الإنجليزي يحويان المشروع اليهودي كاملاً، بشقيه الغربي والشرقي، بدءًا من استيطان وعي الغرب وامتطائه، وتحويله إلى محضن لهذا المشروع، ثم القفز به على الشرق، لاحتلال بلدانه المحيطة بفلسطين، خصوصاً مصر والعراق، إلى أن يصل المشروع إلى غايته بإعادة اليهود إلى فلسطين وبناء دولتهم وإعادة الهيكل، تمهيداً لإقامة مملكة الهامشيحاه من نسل داوود.

ونعتقد أننا لسنا في حاجة إلى أن ننبهك إلى أن تاريخ بريطانيا والغرب الحديث كله، في داخله، ثم في علاقاته بالشرق وسياساته فيه، ليس سوى ترجمة هذا المشروع، ووضع الخطط واتخاذ الخطوات التي يقتربون بها من غايته وتمكنهم من إتمامه.

---

1) Menasseh Ben Israel : The Hope Of Israel, P53, Didecated By The Auther To The High Court, The Parliament Of England, And To The Council Of State, Printed By: R I, For Livewell Chapman At The Crown In Popes Head Alley, London, 1652.
2) History Of The Jews, Vol.5, P33.

وأيضاً لسنا في حاجة إلى أن ننبهك إلى الفرق بين ما تراه أمامك من حقيقة المشروع اليهودي، وأنه غاية اليهود ومحور تدبيراتهم وعملهم في كل زمان ومكان، وأنه مشروع يسير مع التاريخ ويلتبس بأحداثه في كل العصور وجميع الأمم، وبين الأوهام التي يعيش فيها الأميون في بلاليص ستان، فلا يدركون من هذا المشروع سوى أنه هرتزل والحركة الصهيونية، وما حدث في بلاليص ستان منذ نهايات القرن التاسع عشر بعد أن وصل إليها قطار المشروع اليهودي وظهر على سطح الأرض في الشرق.

ويقول المؤرخ اليهودي هينريش جريتز، إن كتاب منشه بن إسرائيل ورسالته أثارا حماسة عارمة في المجلس والبرلمان، إذ:

"كان كرومويل وقادة جيشه وجنوده يستلهمون أبطال العهد القديم، ويرون أنفسهم في عبارات سفر يشوع وسفر القضاة وأسفار الملوك، وكرومويل شبه نفسه بالقاضي جدعون Gideon، الذي قاتل المديانيين وهزمهم وحرر بني إسرائيل منهم، وأغلب البيوريتان كانوا يقدسون شعب الرب God's People، وكرومويل كان أحدهم، وكان في قلوبهم رغبة عارمة لأن يجلبوا الشعب اليهودي إلى انجلترا، وقد عبر كرومويل عن مشاعر البيوريتان نحو اليهود بقوله في إحدى خطبه :"تعاطفي عظيم مع هذا الشعب المسكين Poor People، الذي اختاره الرب، وأنزل عليه شريعته"، وكان كرومويل يحلم بالجمع بين العهد القديم والعهد الجديد، والتصالح بين اليهود شعب الرب والبيوريتان الإنجليز، ولكنَّ آخرين من البيوريتان، خصوصاً في جيش كرومويل والبرلمان، كانوا يهيمون بالعهد القديم، إلى درجة أنهم كانوا يعتقدون أن العهد الجديد لا قيمة له Of No Importance، وأن شعب الرب سوف يحتل منزلة رفيعة Glorious Position في الألفية القادمة، ودعا بعض أعضاء البرلمان الحكومة أن تجعل التوراة Torah قانون انجلترا، وأمام البرلمان قدم سكرتير البرلمان إدوارد نيكولاس Edward Nicholas، اعتذاراً للشعب المشرَّف والمختار من الرب عن سوء معاملة انجلترا له، وقال إن ما حاق بانجلترا من مآس وما اندلع فيها من حروب كان عقاباً لها على ذلك، والشيء الوحيد الناقص في البرلمان لكي يعتقد المرء أنه في بلاد اليهودية، أن يُلقي أعضاؤه خطبهم بالعبرية"[1]!

---

1) History Of The Jews, Vol.5, P26-28.

وفي السنة نفسها، ١٦٥٠م، وجه مجلس الدولة والبرلمان دعوة لمنشه بن إسرائيل للحضور إلى انجلترا، وحال دون ذلك اندلاع الحرب بين هولندا وانجلترا، وانقطاع المواصلات بين أمستردام ولندن، وفي سنة ١٦٥٥م أرسل كرومويل نفسه دعوة أخرى لمنشه بن إسرائيل، فوصل لندن في شهر نوفمبر، فاستقبله كرومويل بحفاوة، وكان في صحبته، كما يقول جريتز:

"عدد من يهود هولندا، منهم الربي جاكوب ساسبورتاس Jacob Sasportas، وكذلك بعض اليهود السريين Secret Jews من إسبانيا والبرتغال، المقيمين بالفعل في لندن، وعلى رأسهم اليهودي الثري والموقر في لندن فرنانديز كارفاجال"(١).

وفي ٤ ديسمبر ١٦٥٥م، عُقد مؤتمر تحت رعاية كرومويل، في مقر البرلمان في وايتهول Whitehall، لمناقشة مسألة السماح بعودة اليهود إلى انجلترا، وحضره منشه بن إسرائيل مع حشد من الساسة وقادة الجيش والشرطة وأعضاء البرلمان والمحكمة العليا وقساوسة بروتستانت من الكنيسة الإنجليزية وأساتذة في الديانات والتاريخ من جامعتي أوكسفورد وكمبردج وتجار لندن، وحضر كرومويل جلسته الختامية في ١٨ ديسمبر، ولكن انتهى المؤتمر دون نتيجة حاسمة، على غير رغبة كرومويل، بسبب اعتراض تجار لندن المسيحيين على فتح انجلترا أمام اليهود، لأنهم سيفرضون سيطرتهم مع الوقت على تجارتها ويقضون على منافسيهم، كما فعلوا في هولندا.

وفي سنة ١٦٥٦م قدم منشه بن إسرائيل التماساً مكتوباً Petition، لكرومويل حامي الكومنولث The Protector، قال فيه إنه لا يتكلم نيابة عن نفسه فقط، بل يمثل الشعب اليهودي كله، ودعاه فيه إلى اتخاذ إجراءات لإعادة اليهود لانجلترا، لأن:

"الإله هو الذي يكافئ ويعاقب الملوك في الأرض، والنصوص المقدسة تخبرنا أن كل الممالك الكبرى Great Monarchs التي سببت معاناة لإسرائيل دمرها الرب، مثل فرعون ونبوخذ نصر"(٢).

وأتبع منشه بن إسرائيل التماسه، بأن كتب بياناً وطبعه، بمعاونة أصدقائه في لندن، ثم أرسله إلى كرومويل، ووزعه على الساسة وأعضاء البرلمان وقادة الجيش وصفوة المجتمع في

---

1) History Of The Jews, Vol.5, P38.
2) History Of The Jews, Vol.5, P39.

لندن، وفي بيانه قدم منشه بن إسرائيل أسباباً عديدة تدعوهم إلى إعادة اليهود إلى انجلترا، ويقول جريتز إنه يمكن اختصار هذه الأسباب في مسألتين:

"المسألة الأولى روحية باطنية Mystical، ويتفق فيها مع كثير من المسيحيين، والتي شرحها في كل كتاباته، وهي أن عودة الإسرائيليين إلى وطنهم قد اقتربت، ولابد أن يسبقها تشتتهم الكامل، ولن يكتمل إلا إذا دخلوا انجلترا، وأنه يجب معاملة هذا الشعب النبيل المختار من الرب بما يليق به، والمسألة الثانية التي استفاض فيها تتعلق بالتجارة، فقال إن تجارة انجلترا وعلاقاتها التجارية مع جميع بلدان العالم سوف تزدهر ازدهاراً كبيراً من خلال اليهود، وكان منشه بن إسرائيل وهو يقول ذلك يدرك أن الإنجليز يعلمون أن يهود البرتغال في هولندا يسيطرون سيطرة تامة على تجارة العملات وتداولها بين مختلف البلدان Coin And Exchange Business، وعلى تجارة المجوهرات، والأصباغ Indigo، والخمور، والزيوت، وأن معاملاتهم المالية ليست قائمة على الربا والاستغلال Usury مثل يهود ألمانيا وبولندا، وكان يهود البرتغال في هولندا وإيطاليا يملكون رؤوس أموال كبيرة، لأن المارانو في إسبانيا والبرتغال كانوا يستثمرون أموالهم في البنوك التي أقاموها"[١].

وكان الحامي البيوريتاني كرومويل:

"متفقاً مع الربي القبالي، ويعتقد أنه مع توطن اليهود في انجلترا، سوف تتحول أعداد كبيرة منهم إلى المسيحية، وسيأتي اليوم الذي يكون فيه الراعي واحداً والقطيع واحداً One Shepherd And One Flock، ولذا كلَّف كرومويل اثنين من المتحمسين بالعمل لاتمام الهدف، وهما رجل الدين هوج بيترز Hugh Peters، وعضو مجلس الدولة هاري مارتن Harry Marten"[٢].

وبفضل جهود كرومويل وضغوطه، انتهت مهمة منشه بن إسرائيل في انجلترا، كما يقول المؤرخ اليهودي البريطاني لوسيان ولف، في كتابه: مهمة منشه بن إسرائيل لدى أوليفر كرومويل Menasseh Ben Israel's Mission To Oliver Cromwell، بأن:

---

1) History Of The Jews, Vol.5, P39-40.
2) History Of The Jews, Vol.5, P34.

"تم الأخذ بفتوى قضاة المحكمة العليا، السير جون جلين John Glynne، وهو رئيس المحكمة، والسير وليم ستيل William Steel، إبان مؤتمر وايتهول، بأنه لا يوجد قانون يمنع عودة اليهود إلى انجلترا No Law Which Forbad The Jews' Return Into England، لأن خروجهم منها كان بمرسوم أصدره الملك إدوارد الأول، وليس بقانون رسمي صادر عن البرلمان، وقوة هذا المرسوم انتهت Expired بوفاة الملك إدوارد الأول"(١).

وبذلك فتحت انجلترا أبوابها لليهود، وفاز منشه بن إسرائيل بانجلترا لليهودية، وصارت محضن المشروع اليهودي وقاطرته على الجانب الغربي، كما يخبرك الزعيم والمؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف Nahum Sokolow، في الباب الذي خصصه لعودة اليهود إلى انجلترا، من كتابه: تاريخ الصهيونية History of Zionism:

"يمكن القول بلا مبالغة، إنه كان خلف هذا الحدث الكبير عقيدة كتابية ومسيانية Biblical And Messianic، وفي الحقيقة فإن إعادة توطين اليهود في انجلترا هي المهد الذي نشأت فيه الصهيونية"(٢).

وهو ما يعيدنا إلى بذور المشروع اليهودي في الشام، ووصول قاطرته البريطانية من الغرب إلى الشرق، ودخولها القدس من بوابة أول الآتين من الخلف.

---

1) Lucien Wolf: Menasseh Ben Israel's Mission To Oliver Cromwell, Being Reprint Of The Pamphlets Published By Menasseh Ben Israel To Promote The Readmission Of The Jews To England, Introduction, PXLIX, Published For The Jewish Historical Society Of England, By Macmillan & Co., Limited, London, 1901.

2) Nahum Sokolow: History Of Zionism 1600-1918, Vol. I, P17, Longmans, Green & Co., New York, Calutta And Madras, 1919.

قنصلية من أجل اليهود

خلال القرن الثامن عشر، حاولت فرنسا الكاثوليكية إيجاد موطئ قدم لها في القدس، وتمكن الملك لويس الخامس عشر Louis XV من الحصول على فرمان من السلطان العثماني مصطفى الأول، بتعيين قنصل فرنسي في القدس، وتم ترشيح المسيو دارامون Daramont لذلك، وعند وصوله إلى القدس اجتمع علماؤها وأعيانها في المسجد الأقصى، وكتبوا شكوى ورفعوها إلى السلطان مصطفى الأول، فاستجاب لهم، وألغى تعيين القنصل الفرنسي في القدس.

وقبل أول الآتين من الخلف، لم يكن لأي دولة أوروبية وجود أو تمثيل رسمي في القدس، وكما كانت قنصلية بريطانيا أول قنصلية أوروبية في دمشق بعد استيلائه على الشام، كانت بريطانيا أيضاً أول دولة أوروبية تصل إلى القدس، وتحصل منه على تصريح بأن تقيم فيها قنصلاً وقنصلية، وكانت إقامتها أول خروج صريح للمشروع اليهودي من أذهان الساسة البريطان التي يستوطنها عبر القرون إلى سياساتهم العلنية في الشرق، والخطوة العملية الأولى في مشروع بريطانيا الماسونية ويهودها لإعادة اليهود إلى الأرض المقدسة واستعادتهم لأورشليم وبناء الدولة اليهودية، وهي الخطوة التي لم تعد الإمبراطوريات الماسونية بعدها في حاجة لأول الآتين من الخلف، وانتهى دوره في الشِق الشامي من مشروعها اليهودي للشرق، وانحصر دوره هو وخلفاؤه ومن خَلَفوهم في الشِق المصري.

للمؤرخ اليهودي الصهيوني البريطاني، والمشرف على توطين اليهود في فلسطين بعد فرض الانتداب البريطاني عليها، ألبرت مونتفيوري هيامسون، عدة كتب عن تاريخ اليهود في بريطانيا، وصلتها بهم، ودورها في تطوير المشروع اليهودي وإتمامه، وقد مر بك أحد هذه الكتب، وهو كتابه: المشروعات البريطانية لإعادة اليهود، وفيه يقول هيامسون:

"كان محمد علي متعاطفاً مع اليهود في سوريا وفلسطين، ويحظون في ظل حُكمه بالحماية والأمان، وكان تنصيب قنصل لبريطانيا في القدس سنة ١٨٣٩م أكثر الأعمال نفعاً لليهود في الأرض المقدسة، وفي السنة التالية أنهى الأسطول البريطاني بقيادة السير تشارلز نابيير Charles Napier حكم محمد علي، وكانت القوى الأوروبية ترغب في أن يحتفظ بسوريا

وفلسطين، ولكن طموحه كان أكبر من ذلك، ولو كان معتدلاً Moderate لبقيت هذه الأراضي تابعة لمصر"[١].

وما قاله المؤرخ اليهودي الصهيوني هيامسون، يؤكد لك ما أخبرناك به، من أن مشروع بريطانيا في الشرق هو نفسه مشروع أول الآتين من الخلف، والخلاف بينهما في موقعه منه وحجم دوره فيه، ولأن كلاً منهما يريد أن يتمه بطريقته.

ومن كتب هيامسون أيضاً، كتابه: القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس وعلاقتها باليهود في فلسطين The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914.، الذي كتبه إبان وجوده في القدس، مديراً للإدارة البريطانية لتهجير اليهود إلى فلسطين Department Of Immigration، من سنة ١٩٢٦م إلى سنة ١٩٣٤م، ونشر فيه وثائق القنصلية ونصوص جميع مراسلاتها الخاصة باليهود منذ افتتاحها إلى إغلاقها، مع مقدمات عن إنشائها وتاريخها، وفيه يقول هيامسون عن تأسيس القنصلية وافتتاحها وتاريخها:

"كان يوجد لبريطانيا بالفعل ممثل قنصلي في فلسطين، هو موشيه أبراهام فنزي Moses Abraham Finzi، وهو من يهود عكا، وتم تنصيبه في ١٨ مايو ١٨٣٧م، وكان تابعاً للقنصلية البريطانية العامة في بيروت، وكان قبلها قنصل بريطانيا في صفد، وفي سنة ١٨٣٨م اتُخذ قرار بتنصيب قنصل بريطاني في فلسطين، وفي ١٩ سبتمبر من السنة نفسها، أرسل مكتب الخارجية خطاباً إلى المستر وليم يونج William Young، بتنصيبه نائب قنصل Vice Consul في فلسطين، براتب قدره ٣٠٠ جنيه إسترليني في السنة، مع ترخيص بممارسة التجارة، وتعليمات بالإقامة في أورشليم/القدس، وكان يونج أول ممثل قنصلي للقوى الأوروبية في أورشليم/القدس، وقد وصل إلى يافا في ٤ فبراير ١٨٣٩م، ولكن بسبب تفشي وباء الطاعون لم يدخل أورشليم/القدس إلا في يوم ٢٦ مارس ١٨٣٩م، وتم افتتاح القنصلية وظلت عاملة إلى أن أُغلقت في ١٦ نوفمبر ١٩١٤م، مع اندلاع الحرب ضد تركيا، ونُقلت وثائقها وسجلاتها إلى القنصلية الأمريكية في أورشليم/القدس، وحين سحبت الولايات المتحدة ممثليها من تركيا، نُقلت الوثائق والسجلات إلى عُهدة قنصل إسبانيا، الذي سلمها إلى حكومة

---

1) British Projects For The Restoration Of Jews, P9.

الانتداب البريطانية على فلسطين في أواخر سنة ١٩٢٠م، وخلال سنوات عملها الست والسبعين تعاقب على القنصلية سبعة ممثلين للحكومة البريطانية في أورشليم/القدس"[١].

ويقول هيامسون في كتابه: المشروعات البريطانية لإعادة اليهود، إن التعليمات الصادرة من مكتب الخارجية البريطانية للقنصل وليم يونج، قبل افتتاح القنصلية في القدس، كانت:

"إذا تعرض أي يهودي، سواء كان نمساوياً أو فرنسياً أو من أي دولة أوروبية أخرى، لاضطهاد أو سوء المعاملة، وتنكر له Repudiated By قنصل دولته، يجب على القنصل الإنجليزي أن يضعه تحت رعايته ويتولى قضيته"[٢].

وفي ٣١ يناير ١٨٣٩م، أرسل جون بدويل John Bedwell، سكرتير وزير الخارجية الماسوني بالمرستون، برقية إلى القنصل يونج، فهاك نصها من كتاب القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس لهيامسون:

"لقد كلفني الفيسكونت بالمرستون أن أبلغك، أن جزءًا من مهامك كقنصل لبريطانيا في أورشليم/القدس، أن تقدم الحماية لليهود عموماً To Aford Protection To The Jews Generally، وأن تقوم على وجه السرعة بإعداد تقرير وإرساله لسيادته عن تعداد اليهود في فلسطين وأحوالهم"[٣].

ومن ثَم، كما يقول هيامسون:

"أصبحت مسألة حماية بريطانيا لليهود، ولسنوات عديدة، الاهتمام الأساسي Principle Concern لقنصلية بريطانيا في أورشليم/القدس، وفي الحقيقة فإنه لفترة طويلة كانت

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Preface, Pix.
2) British Projects For The Restoration Of Jews, P18.
3) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P2.

مصالح اليهود Jewish Interests هي الشغل الشاغل للقنصل ومعاونيه، ومحور عملهم"[1].

ونعلم أنك لن تعجب إذا علمتَ أن قنصل بريطانيا، التي من المفترض أنها دولة مسيحية، شمل بحمايته ورعايته اليهود في القدس على حساب المسيحيين من أهلها، حتى كرهه المسيحيون، وفي التقرير الذي أعده القنصل يونج بناءًا على تعليمات بالمرستون، وأرسله إليه في ٢٥ مايو ١٨٣٩م، أن:

"الباشا (إبراهيم) أكثر مراعاة لليهود من رعاياه، وقد نجحت مرتين في تحقيق العدالة والحصول لليهود على حقهم من الأتراك، والمطالبة بالعدالة ليهودي شيء جديد في أعين الناس هنا، ولديَّ من الأسباب القوية ما يجعلني أعتقد أن جهودي لحماية اليهود أضرت، وسوف تُضر لبعض الوقت بعلاقتي بالطوائف الأخرى، سواء كانوا من المسيحيين أو من الأتراك/المسلمين، ولو حاول يهودي، سيدي، أن يمر أمام بوابة كنيسة القيامة، فسوف يكلفه ذلك حياته، وهو ما يتنافى مع المسيحية، باعتبار أن المسيح نفسه كان يهودياً Christ Himself Was A Jew، وإذا أراد يهودي هنا الأمان، فسوف يُهرع إلى بيت أحد المسلمين، وليس إلى بيوت المسيحيين"[2].

ودخلت روسيا حلبة التنافس مع بريطانيا، لتفرض هي الأخرى حمايتها على اليهود في القدس، وأيضاً سواء كانوا من رعايا روسيا أو من غيرهم، وفي أكتوبر ١٨٣٩م:

"زار القنصل الروسي في بيروت، قسطنطين باسيلي، أورشليم/القدس، وأقام فيها ممثلاً له، وأمره ليس فقط أن يضع اليهود الروس تحت رعايته، بل وأيضاً جميع اليهود في المدينة All Jews In The City"[3].

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–914, Introduction, Pxxxiv.
2) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P6.
3) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Introduction, Pxxxv.

وفي ١٧ اكتوبر من السنة نفسها، أرسل القنصل يونج رسالة إلى بالمرستون يخبره فيها أنه:

"وقعت بين يدي اليوم رسالة مرسلة من قنصل روسيا إلى الوكيل Wakiel الذي أقامه على اليهود الأوروبيين في فلسطين، وأتشرف بإرفاق نسخة منها إليكم، وفي هذه الرسالة كما سترى يا سيدي دعوة لليهود أن يكونوا تحت الحماية الروسية، وأشير لسيادتك أن الوكيل الروسي ليس روسياً، بل هو من رعايا النمسا، وتم إقامته فعلياً وكيلاً على جميع اليهود الأوروبيين، رغم أن لقبه في الوثيقة المرفقة: وكيل الإسرائيليين من رعايا روسيا Vakil Des Isralites Sujet De Russie"[1].

وكما ترى، بريطانيا وروسيا، ودول أوروبا عموماً، وسواء كانت بروتستانتية أو كاثوليكية أو أورثوذكسية، تختلف في كل شيء، ما عدا اليهود وحمايتهم، فهذه هي المسألة التي يتفق فيها ويتوافق حولها الجميع، حتى وهم أعداء ويتواجهون في ميادين القتال.

وبعد أن غرست بريطانيا أقدامها في القدس، ووضعت اليهود فيها تحت حمايتها، وبعد أن صارت الدولة العثمانية بين أنياب الإمبراطوريات الماسونية، وهي تزعم أنها تدافع عنها أمام أول الآتين من الخلف، وترد جيشه عن الأناضول، وتجبره على الانسحاب من الشام، تطلعت بريطانيا الماسونية إلى وضع جميع اليهود في الدولة العثمانية كلها، بما فيهم يهود المجر وأوروبا الشرقية، واليهود من رعايا الدولة العثمانية نفسها، تحت حمايتها، فظهرت مسألة شديدة الغرابة، ولا سابقة لها في القانون ولا في الأعراف الدولية، كما يصفها المؤرخ اليهودي البريطاني هيامسون، وهي:

"أن تضع دولة أجنبية تحت حمايتها رعايا دولة أخرى يقيمون في مناطق تابعة لدولة ثالثة"[2]!

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P25.

2) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Introduction, Pxxxiv.

وفي ٢٤ نوفمبر ١٨٤٠م، أرسل وزير الخارجية الماسوني بالمرستون رسالة إلى سفير بريطانيا في الأستانة، بونسونبي Ponsonby، يقول له:

"أرسل إلى معاليكم نسخة من المذكرة التي قدمتها لي الجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا Church Of Scotland، وتدعوني فيها لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الشعب اليهودي في الشرق، خصوصاً في سوريا/الشام، ولضمان حرية الاعتقاد، ودخول الإرساليات البروتستانتية إلى هذه المنطقة من العالم، وبخصوص هذه المذكرة ينبغي أن أشير لكم أنها أثارت اهتماماً عميقاً جداً في عقول عدد كبير من الأشخاص في المملكة المتحدة، وسوف يحوز السلطان مؤازرة طبقات عديدة وقوية في هذا البلد/بريطانيا، إذا قام بإصدار مرسوم أو تصريح Edict Or Decleration، يمنح به هؤلاء اليهود حق الاستقرار في أي مكان يختارونه من المناطق التركية، خصوصاً في سوريا/الشام، مع ضمان الأمن التام لأشخاصهم وممتلكاتهم، وحرية التنقل ذهاباً وإياباً، ومن المرجح أن يسهم مثل هذا التصريح إلى حد كبير في منح الثقة لليهود الذين يرغبون في الاستيطان في فلسطين، إذا أعقبه موافقة الباب العالي على أن يرفع اليهود شكاواهم إلى الحكومة التركية من خلال موظفي القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس، أو من خلال السفارة البريطانية في الأستانة، ولا شك أن الحكومة التركية سوف تجني فوائد عظيمة لو اقتنع عدد كبير من اليهود الأثرياء بالمجئ والتوطن في المناطق العثمانية، لأن ثرواتهم سوف توفر أعمالاً للناس، وذكاؤهم سيكون مفيداً في ترقية الصناعة، ومن ثَم ستزدهر موارد الدولة"[١].

وكما ترى، حكومة بريطانيا، وسفارتها في الدولة العثمانية، وقنصليتها في القدس، لم يكن شغلها الاستعمار ولا المسيحية والمسيحيين، كما يتوهم الأميون في بلاليص ستان، وكل ما كان يعنيها هو تمهيد الشرق ودفع الأحداث في اتجاه جمع اليهود واستيطانهم في فلسطين.

وفي ٢١ يناير ١٨٤١م، أرسل السفير بونسونبي إلى الوزير بالمرستون، تقريراً كتبه المسيو بيزاني Pisani، عن الجهود التي بُذلت مع الباب العالي، بخصوص المقترحات التي طلبها

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P34-35.

الوزير بالمرستون لوضع اليهود تحت حماية بريطانيا وفتح فلسطين أمامهم، فإليك نتيجة هذه الجهود من نص الرسالة التي أرفق السفير بونسونبي التقرير معها:

"أنا أسف إلى أقصى درجة على هذا الفشل I Regret Extremely This Failure، ولن أتوانى عن تكرار جهودي لتحقيق الهدف المنشود"[١].

ورداً على جهود بريطانيا وقنصليتها وقنصلها في القدس، لحماية اليهود، خصوصاً بعد شلها يد أول الآتين من الخلف عن معاقبة اليهود قتلة الراهب توما الكبوشي، ثم ضغطها عليه حتى تم العفو عنهم وإطلاق من سُجن منهم، كما علمتَ من قبل، وبمناسبة نجاة الملكة فكتوريا بعد تعرضها، في ٢٠ يوليو ١٨٤٠م، لمحاولة اغتيال هي وابنها وولي عهدها الأمير ألبرت إدوارد ساكس كوبرج جوتا/الملك إدوارد السابع، كتب مجلس الربانيين في القدس، نيابة عن يهودها، من رعايا الدولة العثمانية، وليسوا من رعايا بريطانيا Native Jews، كتبوا رسالة إلى الملكة فكتوريا بالعبرية، في ٢٢ يوليو ١٨٤٠م، وأرسلها إليها القنصل يونج، مع ترجمتها الإنجليزية، فهاك نصها:

"صهيون، كاملة الجمال The Perfection Of Beauty، في الرابع والعشرين من شهر تموز، في سنة ٥٦٠٠ من بداية الخلق، من المجلس المتواضع والمقر بالجميل لبني إسرائيل القاطنين في المدينة المحبوبة أورشليم/القدس، إلى صاحبة الجلالة المعظمة فكتوريا، ملكة بريطانيا العظمى، نحن الموقعين أدناه، بني يعقوب الملقب بإسرائيل، في تواضع وإكبار لجلالتك، وسجود عند عرشك، نلتمس من جلالتك قبول ثناء الفقراء من شعب الإله The Poor Of The God' People، المجتمعين في بيت إلهنا، وقد ملأنا الخجل والاضطراب حين وصلتنا أنباء أن رجلاً يحظى بالعيش في ظل عدل جلالتك وعطائك الوافر، قد دبر مؤامرة ضد مسيحة الرب Anointed Of The Lord، لكن من رحمة الإله على من يخشونه، أنه أريك الفاسق، وغل يده، وأظهر الحق، ومن ثَم نعلن عظيم ابتهاجنا، وأفواهنا تمتلئ بالأهازيج كالبحر، وألسنتنا تتدفق بالأغاني مثل عُبابه، وأورشليم/القدس ترفع صوتها وتبتهل في كل

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P35.

شوارعها للرب شكراً على رحمته العظيمة بنا، نحن بقية إسرائيل، لحفظه جلالتك، ولجلالتها نقول: تحت ظلالك يمكننا العيش بين الهمج، وبفضل رعايتك وعطفك الملكي، سوف يهيئ الرب لنا الخير، ونحن نرفع صلواتنا للرب إله إسرائيل أن يحفظ جلالتك من كل سوء، وأن يديم عرشك من أجل جميع رعاياك، سواء كانوا من اليهود أو المسيحيين، لأن أبانا واحد، دامت شمس عطفك مشرقة علينا وعلى جميع إسرائيل، إلى أن يأتي الزمان الذي وعدنا الرب أن يفك فيه أسر شعبه ويعيدهم إلى أرضهم، وسوف يكون لجلالتك المجد والعظمة عندما يأتي المخلص The Redeemer إلى صهيون، حين يحين خلاص يهودا ويعودون إلى مسكنهم، ونرجو من الرب أن يمن علينا ويكون ذلك سريعاً وفي زمان جلالتك، آمين Amen، هذه هي صلوات إسرائيل المتواضعة، الفقراء من أمتك(!)، الذين يرتبطون بشخص جلالتك من كل قلوبهم، ويسجلون بكل صدق وإخلاص أسماءهم، الموقعون: رؤساء مجلس الربانيين، ومختوم بخاتم المجلس"[١].

وما تكشفه لك رسالة مجلس الربانيين عن العلاقة بين بريطانيا وقنصليتها واليهود في القدس، والعقائد المشتركة بينهما، والمشروع اليهودي الذي انبثق عنها ويتفقون فيه ويعملون معاً على تحقيقه، كما ترى، يغنيك عن أي بيان.

الماسوني شافتسبري مؤسس القنصلية:

والآن جاء أوان أن نعرفك بالفاعل الأول خلف إنشاء قنصلية بريطانيا في القدس، لتكون أول خطوة عملية في المشروع اليهودي تظهر على سطح الأرض في الشرق، وهو الذي رشح وليم يونج ليكون أول قنصل لبريطانيا في القدس، ورغم ذلك لا يظهر اسمه في الوثائق والمراسلات الرسمية، كالمعتاد، ودوافعه ودوافع بريطانيا كلها لإنشاء قنصلية في القدس، بعد أن صار اليهود والماسون أسرتها المالكة وحكومتها ونخبها وبنوكها وتجارها وتجارتها، هي نفسها دوافع كرومويل والبيوريتان لفتح انجلترا أمام اليهود قبلها بقرنين من الزمان، لأن إعادة اليهود إلى الأرض المقدسة وإقامة دولتهم واستعادة أورشليم وهيكلها، جزء من العقيدة البروتستانتية، وشرط في نبوءة

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, P32-33.

تحول اليهود إلى المسيحية واتباعهم للمسيح عند مجيئه الثاني، لأنه هو نفسه كما يعتقدون الهامشيحاه الذي ينتظره اليهود.

في إشارة سريعة، ودون تفاصيل، إلى الرجل الذي كان خلف فكرة إنشاء قنصلية بريطانية في القدس، يقول المؤرخ اليهودي البريطاني ألبرت مونتفيوري هيامسون، في مقدمة كتابه: القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس وعلاقتها باليهود في فلسطين:

"وكان التعاطف مع اليهود شائعاً في دوائر الحكومة الإنجليزية، وكان جزء من هذا التعاطف نابعاً من أملهم أن يتحول اليهود إلى المسيحية، وكان اللورد شافتسبري Lord Shaftesbury مشهوراً بأعماله الخيرة ودفاعه عن العمال والفئات الفقيرة، وقد مست التعاسة والفقر الذي يعيش فيه اليهود في فلسطين قلبه العطوف، وكان أيضاً رجلاً يعمل بسرعة وحسم، ولا تقيده العوائق البيروقراطية، وكان اللورد بالمرستون وزير الخارجية زوج حماته Stepfather In Law، فأرسل إليه في سنة ١٨٣٨م، يقترح إنشاء قنصلية بريطانية في أورشليم/القدس، وألح عليه في ذلك"[1].

وشافتسبري هو النبيل والسياسي البريطاني وعضو مجلس العموم، اللورد أنتوني أشلي كوبر Anthony Ashley Cooper، الإيرل السابع لشافتسبري، ورئيس موظفي القصر الملكي Lord Chamberlain، وعضو المجلس الخاص لجلالة الملكة فكتوريا Her Majesty's Most Honourable Privy Council، وأحد أكثر الشخصيات نفوذاً في عصرها.

وفي كتابه: الرؤيا كانت هناك، تاريخ الحركة البريطانية لإعادة اليهود إلى فلسطين The Vision Was There, A History Of the British Movement For The Restoration Of The Jews To Palestine، يقول المؤرخ اليهودي المجري فرانز كوبلر Franz Kobler، إن شافتسبري:

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Introduction, Pxxxiii.

"كان يؤمن بالعقائد الكتابية، ويمتلئ قلبه بالحب لشعب الإله وأرضه ولغته God's Ancient People, Its land And Its language، وكان هو الذي اتخذ الخطوة الأولى نحو افتتاح القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس، واقترح على بالمرستون أن تكون إحدى مهام القنصل يونج تقديم الحماية لليهود عموماً"[١].

وسوف يفسر لك لماذا كان قلب اللورد شافتسبري يمتلئ بالحب لليهود، وبذل جهداً فادحاً لتعلم العبرية، ولماذا لم ير في فلسطين سوى اليهود الفقراء، ولماذا كانت إعادة اليهود من جميع أنحاء العالم إليها غايته ومحور أعماله، أن تعلم أنه كان، مثل زوج حماته اللورد بالمرستون، من الماسون.

في الجزء الرابع من كتابه: ١٠ آلاف من مشاهير الماسون 10,000 Famous Freemasons، الذي كتب مقدمته الماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين ورئيس الولايات المتحدة الثالث والثلاثين أيضاً هاري ترومان Harry Truman، يقول مؤرخ الماسونية وليم دنسلو William Denslow، إن:

"إيرل شافتسبري كان الأستاذ الأعظم الإقليمي Provincial Grand Master، لمحفل دورسيت[*] Dorset، لأكثر من خمسين سنة"[٢].

وعن دوافعه لإنشاء قنصلية لبريطانيا في القدس، وما بذله لتحقيق ذلك، يقول شافتسبري نفسه بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٣٨م، في يومياته، التي أورد نصوصها المؤرخ البريطاني إدوين هودر

---

1) Franz Kobler: The Vision Was There, A History Of The British Movement For The Restoration Of The Jews To Palestine, P59, World Jewish Congress, British Section,1956

•) دروسيت شاير Dorsetshire : مقاطعة جنوب غرب انجلترا، تطل على بحر المانش، ومنطقة شافتسبري Shaftesbury، التي كان عميد أسرة شافتسبري في كل جيل إيرل أو حاكماً لها بالوراثة منذ سنة ١٦٧٢م، تقع شمال دورسيت شاير.

2) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Vol.IV, P124, Missouri Lodge Of Research Independence, Missouri, published by: Macoy Publishing & Macoy Supply Co., Inc. Richmond, Virginia,1957.

Edwin Hodder، في سيرته لحياة شافتسبري وأعماله، التي تقع في ثلاث مجلدات: The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury:

"خلال يوم أو اثنين، سيبحر يونج، الذي تم تعيينه نائب قنصل في أورشليم/القدس، إلى الأرض المقدسة، وما أروع ذلك What A Wonderful Event It Is! مدينة شعب الإله العتيقة سوف تستعيد مكانتها بين الأمم، وسوف أتذكر دائماً أن الإله وضع في قلبي خطة الشرف، ومنحني قدرة التأثير على بالمرستون، ووفر لهذه المهمة رجلاً يترنم بأورشليم/القدس"[1].

ويقول المؤرخ اليهودي المجري فرانز كوبلر، إن:

"لورد أشلي كوبر، الإيرل السابع لشافتسبري، صار قائد حركة إعادة اليهود إلى فلسطين، وروحها المتدفقة Dynamic Spirit، وأحدث نقلة حقيقية فيها، وأدخلها في عهد جديد، وحولها إلى برنامج سياسي وخطوات عملية، ونشر المعرفة بها بين عموم الناس"[2].

جمعية يهود لندن:

وحركة إعادة اليهود لفلسطين، قد توطنت في انجلترا، وصارت جزءًا من عقائدها وتكوين ساستها ونخبها، كما علمتَ، منذ ثورة كرومويل البروتستانتية البيوريتانية، في القرن السابع عشر، ثم ازدهرت ازدهاراً كبيراً أوائل القرن التاسع عشر، مع تأسيس جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews، والتي اشتهرت باسم: جمعية يهود لندن London Jews' Society، فإليك سكرتير الجمعية، وليم توماس جيدني William Thomas Gidney، يعرفك بقصة تأسيس الجمعية، في كتابه: تاريخ جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود The History Of The London Society

1) Edwin Hodder The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P233, Cassell & Co. Limited, London, Paris, New York, 1886.
2) The Vision Was There, A History Of the British Movement For The Restoration Of The Jews To Palestine, P59.

For Promoting Christianity Amongst The Jews: From 1809 to 1908، الذي ألفه من أرشيفها ووثائقها:

"في سنة ١٨٠١م قدِم من برلين إلى انجلترا مسيحي يهودي اسمه جوزيف صمويل فردريك فري Joseph Samuel Frederick Frey، مع اثنين من المبشرين التلاميذ، هما بالم وأُلبريخت Palm And Ulbricht، من أجل الانضمام إلى جمعية لندن للتبشير London Missionary Society، التي أُسست سنة ١٧٩٥م، وروعته الأحوال الروحية المزرية ليهود لندن، فقرر البقاء فيها، ونذر نفسه للتبشير بينهم، بموافقة جمعية التبشير وتحت رعايتها، وأقام مدرسة لتعليم الصبية والبنات من اليهود، ومع الوقت اكتشف أن مهمته تحتاج إلى منظمة مستقلة، ولا يكفي أن تكون مجرد ملحق لجمعية التبشير العامة، وفي يوم ٤ أغسطس ١٨٠٨م، في كنيسة شارع أرتيليري Artillery، تم تأسيس جمعية من مجموعة من الرجال البارزين، باسم: "جمعية لندن لزيارة المرضى والبائسين والتخفيف عنهم، ولإرشاد الجهلة، خصوصاً من الأمة اليهودية The London Society For The Purpose Of Visiting And Relieving The Sick And Distressed, And Instructing The Ignorant Especially Of The Jewish Nation"، وصار المستر فري أول رئيس لها، واعترضت جمعية لندن للتبشير على اسم الجمعية الجديدة، وطلبت أن تكون الشؤون اليهودية ضمن مهام التبشير، فتم تعديل اسم الجمعية في ١٥ فبراير ١٨٠٩م إلى جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews ... وبعد موافقة دوق كنت Duke Of Kent، تم انتخابه بالإجماع راعياً للجمعية"[1].

وكما ترى، مؤسس الجمعية يهودي، وأسسها من أجل رعاية اليهود وترقية أحوالهم، ونص على ذلك صراحة في اسمها، ثم تم تغليف مهمة الجمعية واسمها الحقيقي في التبشير بالمسيحية، ونترك لفطنتك وأنت تواصل القراءة أن تحدد هل غاية الجمعية الحقيقية كانت

---

1) William Thomas Gidney: The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews: From 1809 to 1908, P33-34, 37, London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews, Printed By The Operative Jewish Converts Institute, London, 1908.

التبشير بين اليهود بالمسيحية، أم استيطان أذهان المسيحيين في بريطانيا وتحويلهم إلى مطية لتحقيق الأهداف اليهودية.

أما دوق كنت الذي وضع جمعية يهود لندن تحت رعايته، فهو أبو الملكة فكتوريا، وهو كما علمتَ من قبل، ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، وكان الأستاذ الأعظم لمحفل انجلترا الأعظم العتيق Ancient Grand Lodge.

وتنوعت نشاطات حركة إعادة اليهود إلى فلسطين، وجمعية يهود لندن، بين الكتب والكتابة في الصحف، وعقد المؤتمرات، وإرسال البعثات التبشيرية والطبية إلى فلسطين والقدس، وبلغت أوجها مع المذكرة التي كتبها هنري إنّس Henry Innes، سكرتير البحرية البريطانية Secretary Of The Admiralty، نيابة عن الذين يأملون في خلاص إسرائيل، ووجّهها في شهر يناير ١٨٣٩م إلى القوى البروتستانتية في شمال أوروبا وأمريكا Protestant Powers Of North Of Europe And America، وقد أعادت جريدة التايمز البريطانية The Times نشرها كاملة بعد أكثر من سنة، في ٩ مارس ١٨٤٠م، ونشرت مقتطفات منها صحيفة الجلوب The Globe، وهي صحيفة شبه رسمية Semi Official تابعة لمكتب الخارجية، مع ارتفاع موجات إعادة اليهود إلى فلسطين، وأن اجتماع شعب الإله في الأرض المقدسة قد جاء زمانه، التي أعقبت افتتاح القنصلية البريطانية في القدس، وكان ذلك ضمن:

"حملة لنشر الوعي بالمسألة السورية Syrian Question وإعاة اليهود في الصحف البريطانية، كان خلفها اللورد شافتسبري واشترك فيها بالكتابة في الصحف بنفسه، فلم يكن يمر يوم دون أن تنشر جريدة التايمز مقالة أو عموداً عن تطورات الأحداث في سوريا/الشام وارتباطها بإعادة اليهود"[١].

وفي يوم ٤ نوفمبر ١٨٤٠م، كتب اللورد شافتسبري نفسه في يومياته، وقد صار رئيس جمعية يهود لندن:

---

1) British Projects For The Restoration Of Jews, P6.

"لقد بذلت كل جهد لإقناع التايمز بالإفساح للآراء الداعية إلى إعادة اليهود إلى أرضهم، ضمن مقالاتها بخصوص المسألة السورية، وقد نجحت جهودي، فقد أخبرني اللورد بالمرستون هذا المساء أن أوراق توري Tory Papers مهدت لحل عشرة آلاف عقدة Smoothed Ten Thousand Difficulties"[1].

وقد نشر الزعيم والمؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف نص مذكرة هنري إنِّس للقوى البروتستانتية كاملاً، في ملاحق كتابه: تاريخ الصهيونية، وهي مذكرة طويلة وتمتلئ بالشواهد من التوراة وأسفار الأنبياء عن شعب الإله وأرضه المقدسة وعودته إليها، فهاك فقرات منها تعرفك بفحواها وغايتها:

"مذكرة إلى القوى البروتستانتية في شمال أوروبا وأمريكا، فكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وأيرلندا، فردريك الثالث Frederick III ملك بروسيا، وليم William ملك الأراضي الواطئة/هولندا، شارل الرابع عشر Charles XIV ملك السويد والنرويج، فردريك الرابع Frederick VI ملك الدنمارك، إرنست أوجستس Ernest Augustus ملك هانوفر، وليم William ملك فورتمبرج، أمراء المقاطعات السويسرية المتحدة الذين اعتنقوا الدين الإصلاحي The Reformed Religion، قادة دول أمريكا الشمالية المؤمنين بمجد الإله ونعمه ورحمته ... شجرة التين قد أخرجت أوراقها مرة أخرى، وبنو إسرائيل يسألون عن الطريق إلى صهيون ... أيها الملوك، لقد اقتربت الأيام التي فيها، تحت قيادة المسيا المقدسة Hallowed Sway Of Messiah، ستمتلك أمة اليهود المستضعفة مملكتها (دانيال)، وهي توجه أنظاركم نحو الإمبراطورية العظيمة التي تنهار في الشرق، لكي تنتهزوا هذا الحدث، فلسطين حجر نفيس (زكريا) في يد أتباع النبي المزيف، ولكنها ستعود لإسرائيل (ميخا) ... لقد قطع الرب إلهنا وعداً لأبرام/إبراهيم بخصوص أرض فلسطين، وقال له: "لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"(التكوين: ١٥: ١٨)، وهي منحة أبدية Everlasting، له ولنسله من بعده، ومن أجل أن يحوزوا الحكمة والنضج شتت الرب إلهنا ورثته، ولكن اسمعوا كلمة الرب: "هو الذي شتت إسرائيل، سيجمعهم ويحفظهم، كما

---

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P315.

يحفظ الراعي قطيعه" ... كما أثار الرب روح قورش Cyrus ملك فارس لبناء هيكل الرب في أورشليم (أخبار الأيام الثاني)، فإنه بينكم ويدعوكم لتحقيق إرادته، "وَيَقُولُ عَنْ أُورُشَلِيمَ: سَتُبْنَى، وَلِلْهَيْكَلِ: سَتُؤَسَّسُ"(إشعياء: ٤٤: ٢٨)، وسوف يكون الرب إله إسرائيل مع هؤلاء الذين ينذرون أنفسهم لتحقيق إرادته، وينزل عليهم سلامه ورحمته ونعمه العظيمة"(١).

وإليك ما هو أهم من المذكرة التي قرأتها، ألا وهو رد وزير الخارجية بالمرستون والملكة فكتوريا عليها، فقد أرسل هنري إنِّس المذكرة إلى مكتب وزير الخارجية، فرفعها الماسوني بالمرستون إلى الملكة مع رسالة منه يقول فيها:

"لي عظيم الشرف أن أضع عند قدمي جلالتك المذكرة المرفقة، بخصوص الأوضاع الحالية لشعب الإله العتيق God's Ancient People، ومستقبله، وليس عندي شك أن مشاعر جلالتك الورعة سوف تتحرك وتمنح الآمال والتوقعات الكتابية اهتمامكم البالغ، باعتبار أن الإله الرحيم قد اختار هذه الأرض البروتستانتية لتكون مقر كنيسته، ورعايا جلالتك وخدمك المطيعون من هذا الشعب الفريد، اليهود Peculiar People, Jews، يقولون في صلواتهم إن خلاص يهودا وعودة إسرائيل إلى مسكنهم سيكون في عهد جلالتك"(٢).

وأما موقف الملكة فكتوريا من المذكرة، فتعرفه من الرد الذي أرسله بالمرستون إلى هنري إنِّس، في يوم ١٤ مارس ١٨٣٩م:

"أُعْلِمكم أني قد وضعت المذكرة والرسالة المرفقة بها، بخصوص مستقبل اليهود، أمام الملكة، وأن جلالتها تلطفت واستقبلتها بسرور Pleased Graciously To Receive"(٣).

ومن بريطانيا إلى الشام، لتعرف كيف كان ما فعله أول الآتين من الخلف وابنه في الشام، ثم ما فعلته به بريطانيا وحلفاؤها، بعد أن أدى وظيفته وفتح لها الشام، ووضعت أقدامها في القدس، كيف كان هو الشرارة التي حولت حركة إعادة اليهود إلى فلسطين في بريطانيا بقيادة اللورد

---

1) History Of Zionism 1600-1918, Vol. II, P231-234.
2) History Of Zionism 1600-1918, Vol. II, P235.
3) History Of Zionism 1600-1918, Vol. II, P236.

شافتسبري، إلى مشروع سياسي، ومهدت لمولد الحركة الصهيونية، كما يقول الزعيم الصهيوني ناحوم سوكولوف:

"بعد أن وقَّعت القوى الكبرى، في ١٥ يوليو ١٨٤٠م، اتفاقية لندن لإحلال السلام في شرق المتوسط The Levant، رفض محمد علي مقترحاتها، فاندلعت الحرب، واضطر محمد علي لتوقيع معاهدة لندن، في ١٨ يوليو ١٨٤١م، وتخلى عن مطالبه بخصوص سوريا، في مقابل أن يكون حكم مصر وراثياً في أسرته، وكانت هذه نقطة تحول شديدة الأهمية في تاريخ فلسطين Turning Point Of Much Significance، ففي هذه اللحظة صار في إمكان اليهود أن يستعيدوا أرضهم، إذا توافرت لهم منظمة تعمل من أجل تحقيق هذا المشروع، وانجلترا هي البلد الوحيدة في العالم في ذلك الزمان التي كانت تحتضن هذه الفكرة، وقد أثارت هذه الأحداث التي تجري في الشرق اهتمام اللورد شافتسبري بشدة، وحفزته لبذل جهود أكبر"(١).

وأول وأهم ما يجب أن تنتبه إليه، ليس ما قاله ناحوم سوكولوف، بل الفرق بين ذهن سوكولوف اليهودي الذي يرى الأحداث متصلة، ويدرك أن كلاً منها خطوة في مسار، نتجت من سابقتها، وتمهد للتي بعدها، وأن ما يحدث في الغرب تتلاقح آثاره مع ما يشهده الشرق، وأن إتمام المشروع اليهودي ثمرة هذا التلاقح، وبين الأميين في بلاليص ستان، ذوي الأدمغة المفككة، الذين يغرقون في تفاصيل الأحداث الصغيرة، ويرونها متناثرة لا رابط بينها، ويذهلون بها عن رؤية النقلات الكبيرة، ولا يدركون أن هذه النقلات خطوات في مسار، وأن كل خطوة منها ما كان لها أن تكون من غير سابقتها، وليس عندهم أدنى وعي بصلة المسار الذي يسير فيه الغرب الحديث بالمسار الذي تم رسمه للشرق ودفعه فيه منذ حملة الماسوني نابليون على مصر وتكوين دولة أول الآتين من الخلف، ولا بصلة المسارين معاً باليهود ومشروعهم الساري عبر التاريخ، وفي جميع الأمم غرباً وشرقاً.

ويلي ذلك أن تنتبه، مما قاله سوكولوف، إلى أن مواجهة بريطانيا وفرنسا والقوى الكبرى لأول الآتين من الخلف، واجباره على إخلاء الشام، لتصبح فراغاً مؤهلاً لاستقبال اليهود، هي الخطوة

1) History Of Zionism 1600-1918, Vol. I, P125.

الثانية، والخطوة الأولى كانت دفع هذه الإمبراطوريات الماسونية نفسها أول الآتين من الخلف لتوجيه ضربات للدولة العثمانية واستنزافها وقطع الشام منها، لكي يحمل عنهم بجيشه من المصريين عبء هذه الخطوة التي كانت ستكبدهم تكلفة باهظة في الأموال والأرواح، لأنهم لو فعلوا ذلك بأنفسهم لصاروا في مواجهة شعوب الإسلام كلها.

فمعاهدة لندن، وقطع الشام عن مصر، هي النقلة الثانية في مسار المشروع اليهودي في الشرق، والنقلة الأولى هي التي خطاها أول الآتين من الخلف، ألا وهي تكوين دولته وبناء جيشه وإطلاقه ليستنزف الدولة العثمانية ويقطع منها الشام، ويفتحها في الوقت نفسه، ويفتح فلسطين والقدس، لليهود ولحراسهم من الإمبراطوريات الماسونية، فأصبحت الشام بالنقلتين معاً معزولة عما حولها شرقاً وغرباً، وجاهزة لاستقبال اليهود، ولخروج مشروعهم من مكامنه في أدمغة الساسة إلى سياساتهم، ولكي ينتقل نقلة تاريخية من كواليس الحكومات الأوروبية إلى سطح الأرض العربية.

وثالث ما يجب أن تدركه من كلام سوكولوف، لماذا لم يكن أول الآتين من الخلف يصلح لإتمام المشروع اليهودي، رغم أنه خريج حارة اليهود وربيبهم وصديقهم وفتح مصر والشام لهم، وهو لا يفرق في ميزاننا عن اليهود الأخفياء، أو بكلمات أصرح هو عندنا منهم، ورغم أن المشروع اليهودي بوصلته والغاية التي دفع الشرق كله نحوها، ولماذا انتهت مهمته وكان لابد من إزاحته من الشام بعد أن خطا الخطوة الأولى ومهد الشرق للمشروع، لتتحول قيادته إلى بريطانيا.

لأن بريطانيا محضن طبيعي، كما رأيت، للمشروع اليهودي، وهو جزء من عقائد المملكة وملكتها وساستها ونخبها وعموم أهلها، بينما أول الآتين من الخلف استولى على حكم بلاد العرب وشعوب الإسلام، وهذه الشعوب يمكن إجبارها على الرضوخ بالقوة لهذا المشروع، لكنها ليست محضناً طبيعياً ولا تلقائياً له، ولا يمكن تحويلها إلى قوة فاعلة فيه، ولا توظيفها من أجله بعد أن يصبح صريحاً ويظهر إلى العلن، بل هي بعقائدها وتاريخها سد منيع أمامه، ومن ثَم فأقصى ما يمكن الوصول إليه مع هذه الشعوب هو إخراجها من موازين القوى في الشرق وعزلها عن الفعل والتأثير في ما يشهده من أحداث، وهي بالفعل الغاية التي كانت تدور حولها سياسات

بريطانيا وفرنسا ونظمها الإدارية والقانونية والتعليمية والإعلامية التي أقامتها في ما احتلته من بلاد الشرق، مع إقامة نخب مزيفة على سطح كل بلد وتمليكها الجيوش والسلاح، لكي تتبعها وتسير خلفها، وتتواطأ معها على إتمام المشروع اليهودي، بأن تحمل عنها عبء تكتيف شعوب الإسلام.

ومن الشام إلى بريطانيا مرة أخرى، لتعرف جهود اللورد شافتسبري الأكبر في بلورة المشروع اليهودي، وخطوته السياسية والعملية التالية بعد القنصلية البريطانية في القدس، والتي حفزه لها اتفاق الدول الأوروبية على إخراج أول الآتين من الخلف من الشام.

بعد أسبوع من انعقاد مؤتمر لندن، واتفاق القوى الأوروبية الكبرى، بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا، على إخراج أول الآتين من الخلف من الشام، كتب اللورد شافتسبري في يومياته، بتاريخ ٢٤ يوليو ١٨٤٠م:

"يبدو أن كل شيء قد صار جاهزاً لعودة اليهود، وطريق ملوك الشرق The Kings Of The East قد أصبح مُعبداً، وإذا ضمنت القوى الغربية الخمس الحماية للجنس العبري، فسوف يعودون إلى فلسطين بأعداد كبيرة، وببركة الإله By The Blessing Of God، سوف أقوم بإعداد مذكرة، وأدعمها بكل ما يمكنني جمعه من شواهد وبراهين، وواثقاً من رحمة القدير وحكمته، سوف أضعها أمام وزير الخارجية"[1].

وعن استجابة بالمرستون لمقترحاته، كتب شافتسبري في يومياته، بتاريخ ١ أغسطس ١٨٤٠م:

"بعد تناول العشاء بقيتُ مع بالمرستون وحدنا، وقدمت له مشروعي، الذي يبدو أنه وافق هواه، وبعد أن سألني بضعة أسئلة وعدني بالاهتمام به، كم هي رائعة ترتيبات العناية الإلهية How Singular Is The Order Of Pro\idence، إذا قورنت بتدبير الإنسان، فقد

---

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P310.

اختار الإله بالمرستون ليكون أداة الخير Instrument Of Good لشعبه العتيق، بإجلاله لإرثهم، وإعترافه بحقوقهم"[١].

ويقول المؤرخ اليهودي فرانز كوبلر، إن:

"ميل بالمرستون لمقترحات شافتسبري، ظهر في المقالة التي نُشرت يوم ١٤ أغسطس، في صحيفة الجلوب شبه الرسمية التابعة لمكتب الخارجية، بعنوان: بخصوص اليهود A Regard For The Jews، والتي طرحت مسألة عودة اليهود إلى فلسطين، وأن مهمة انجلترا هي محاكاة ما فعله قورش To Imitate The Deed Of Cyrus"[٢].

وفي ٢٤ أغسطس ١٨٤٠م، كتب شافتسبري في يومياته:

"أخبرني بالمرستون أنه أرسل تعليمات إلى اللورد بونسونبي، لكي يبدأ في إجراء مفاوضات مع رشيد باشا في القسطنطينية/الأستانة، بخصوص حماية اليهود والسماح بعودتهم إلى فلسطين، وهذه مقدمة Prelude لتكرار مرسوم قورش (بعودة اليهود إلى فلسطين وبناء الهيكل)"[٣].

وفي ٢٥ سبتمبر ١٨٤٠م، قدم رئيس ديوان الملكة فكتوريا وعضو مجلسها الخاص الماسوني شافتسبري إلى وزير الخارجية الماسوني بالمرستون، مذكرة رسمية مكتوبة، بعنوان: مخطط لاستعمار فلسطين Scheme For The Colonisation Of Palestine، لتكون ضمن التسوية النهائية والصياغة الأخيرة لاتفاقية لندن التي سيجبرون أول الآتين من الخلف على توقيعها، وقد نشر نصها كاملاً المؤرخ إدوين هودر في سيرته لحياة شافتسبري وأعماله، فهاك هي:

---

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P311.
2) The Vision Was There, A History Of the British Movement For The Restoration Of The Jews To Palestine, P61.
3) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P311.

"لقد قررت القوى الأوروبية أن تتولى بنفسها تسوية المسألة السورية، وسوف أقترح خطة إذا تم تبنيها فسوف تضمن التطور واستغلال الخصوبة الهائلة لجميع البلدان الواقعة بين نهر الفرات والبحر المتوسط، وهذه الخطة تستلزم وجود سلطة قوية ومعترف بها، وقوانين مستقرة وحاسمة، وحكومة ترغب في السلام الداخلي وقادرة على تحقيقه، هذه المناطق الشاسعة هي الآن مقفرة وخالية **Desolate**، وإنتاجها يتناقص سنة بعد سنة، بسبب قلة الأيدي العاملة، وهي عديمة القيمة **Worthless**، كمصدر للموارد، إذا قورنت بالثروات التي يمكن أن تدرها إذا أُدخلت إليها الصناعة، وهي تحتاج إلى القوة العاملة وإلى رأس المال معاً، ورأس المال بطبيعته شديد الحساسية، ولا يتدفق في أي بلد إلا بعد ضمان الأمان للأرواح والممتلكات، وبالنسبة لهذه المناطق التي يدور فيها النزاع، يوجد شعب وفير العدد، وإن يكن مشتتاً، لديه إغراءات نحوها وآمال فيها تجعله أكثر اهتماماً بها من أي تجمع آخر في البشرية، ويمكن القول باطمئنان إنهم يأملون في استعادة أرض فلسطين، والأكثر أنهم يعتقدون أنه قد حان زمان ذلك، وكل ذكرى من الماضي، وكل إشارة إلى المستقبل، تحرك آمالهم، لكن خوفهم على حياتهم وعلى ممتلكاتهم يعرقل حركتهم، ولو قامت القوة الحاكمة لسوريا/الشام بوضع قوانين عادلة، توفر بها الحماية لليهود مثل غيرهم، وضمنت القوى الأربع ذلك، وصدقت عليه ضمن مواد المعاهدة، فسوف ينفتح الطريق على الفور، ويكتسب الشعب اليهودي الثقة ويتجاوز هواجسه، ويتدفق على هذه المناطق، ويستدعي إليها الصناعة والمشروعات وثرواته المخبوءة **Hidden Wealth**، توجد أسباب عديدة لأن يكون المتوقع منهم أكثر من أي أحد آخر يمكن أن يستوطن هذه الأرض، فلديهم ذكريات عريقة فيها، وتعلق كبير بها، وترتبط في قلوبهم بكل ما هو مجيد في ماضيهم، وبكل ما ينتظرونه من مجد في مستقبلهم، وجدهم ومثابرتهم لا نظير لها، وهم موجودون في كل مكان تقريباً، وقد اعتادوا على الحكم المستبد، ولا يهتمون بالمسائل السياسية، وحصروا آمالهم في التمتع بما يجمعونه من مال، وقد عوَّدتهم عهود طويلة من المعاناة على التحمل وإنكار الذات **Self Denial**، وسوف يكونون سعداء بإظهار هذه الخصال في استيطان بلدهم العتيق وخدمته، ولو اعتمدنا عودتهم في ضوء تأسيس جديد لفلسطين أو استعمارها، فسوف نجد أنها أرخص طريقة وأكثرها أماناً لإمداد هذه المناطق غير المأهولة بالسكان **Depopulated Regions** بما تحتاجه، فسوف يعودون على نفقتهم، وسوف يخضعون لشكل الحكم القائم، دون أوهام عن المشاركة فيه،

لأنهم تعودوا في كل مكان على طاعة الحكومات المستبدة، وسوف يُقدرون وضع الأرض بين يدي أصحابها الحقيقيين، ويعملون على الحصول عليها وزيادة إنتاجها بالوسائل الشرعية، مثل الشراء والإجارة، ولكونهم مفصولين عن جميع الشعوب الأخرى في الأرض، فلن ينحازوا أو يتعاطفوا مع أي أمة تسير في اتجاه خاطئ، والضمان الذي أقترح وضعه في الاتفاقية، يمكن أن يتحقق عبر حماية القناصل ونواب القناصل الموقرين من أمم مختلفة، وسوف يكون ذلك كافياً لحماية الشعب اليهودي، وضمان ممارسته لحقوقه، وفوائد ذلك سوف تعم العالم المتحضر بأسره The Whole Civilised World"[١].

ورغم أن رغبة شافتسبري لم تتحقق، ولم يوضع النص الذي أراده عن عودة اليهود إلى فلسطين وحمايتهم ضمن مواد معاهدة لندن، فقد تبنى بالمرستون مخطط شافتسبري لاستعمار فلسطين بواسطة اليهود، وصار فعلاً دليل الحكومات البريطانية جميعها ودستورها في التعامل مع فلسطين في كل المراحل التالية، إلى أن سلمت فلسطين للعصابات الصهيونية بعد الحرب العالمية الأولى.

صهيونية بلا يهود:

وفي سنة ١٨٨٢م، قبل وفاته بثلاث سنوات، حوَّل شافتسبري بنفسه مشروعه لاستيطان اليهود في فلسطين إلى واقع، حين اشترك مع إليزابيث فِن Elizabeth Finn، زوجة جيمس فِن James Finn، ثاني قناصل بريطانيا في القدس بعد وليم يونج، في تأسيس جمعية تخفيف المعاناة عن اليهود Society For The Relief Of Distressed Jews، والتي اشتهرت في بريطانيا باسم صندوق استعمار سوريا Syrian Colonisation Fund، وصار شافتسبري أول رئيس للجمعية، وكان هدف الجمعية دعم المهاجرين اليهود الذين بدأوا في التدفق على فلسطين من شرق أوروبا، كما قال شافتسبري في بيان تأسيس الجمعية:

---

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P313-315.

"هدف هذه الجمعية توفير الراحة والوظائف لليهود، خصوصاً في الأرض المقدسة، حتى يتوفر القدر الكافي من التمويل اللازم لتمكينهم من تنظيم أنفسهم في مستعمرات Enable Them To Form Themselves Into Colonies يتحملون مسؤوليتها بأنفسهم"(١).

وكذلك مقترح شافتسبري بأن يكون ضمان الحماية لليهود في فلسطين، عن طريق قناصل عدة دول أوروبية وليس دولة واحدة، قد تم تنفيذه عملياً أيضاً، إذ:

"في سنة ١٨٤٢م تم افتتاح قنصلية بروسيا في القدس، تلتها قنصلية فرنسا وقنصلية سردينيا سنة ١٨٤٣م، ثم القنصلية الأمريكية سنة ١٨٤٤م، والقنصلية النمساوية المجرية سنة ١٨٤٩م"(٢).

وإذا عدت إلى مذكرة شافتسري الرسمية ومخططه لاستعمار فلسطين، فستجده وصف ما بين الفرات والبحر المتوسط بأنها: "**بلاد مقفرة وخالية**"، وأنها : "**مناطق خالية من السكان**"، رغم أن تعداد الشام حينذاك كان حوالي مليون نسمة، ٨٣% منهم من المسلمين، وتعداد فلسطين وحدها نحو أربعمائة ألف، ٨٥% منهم مسلمون، كما علمت من التعدادات التي أوردناها لك في باب: نحو تهويد القدس.

والماسوني شافتسبري، رئيس جمعية يهود لندن، هو أول من روج لهذه الأكذوبة عن الشام وفلسطين، لتكون ذريعة لتبرير إعادة اليهود لفلسطين واستيلائهم على أراضيها، ثم ثابر على ترسيخ هذه الأكذوبة في أذهان ساسة بريطانيا، وفي يوم ١٧ مايو ١٨٥٤م، كتب في يومياته:

"لقد كتبت اليوم إلى السير موشيه مونتفيوري، لأعلم موقف اليهود من الخطة التي فاتحت فيها بالفعل كلاريدون Claredon (وزير الخارجية)، وأرسل كلاريدون إلى اللورد ستراتفورد Stratford (سفير بريطانيا في الأستانة)، لكي يحرك السلطان من أجل إصدار فرمان يمنح اليهود حق شراء الأراضي في سوريا، وسوف يكون ذلك شبيهاً بمرسوم قورش(•)،

---

1) British Projects For The Restoration Of Jews, P9.
2) Palestine In Transformation,1856-1882, Studies In Social, Economic and Political Development,P49.
●) رفض السلطان عبد المجيد الأول إصدار فرمان يمنح فيه اليهود حق تملك الأراضي في فلسطين.

الإمبراطورية التركية في طريقها للانحلال سريعاً، وجميع الأمم والقوميات في قلق، وسوريا ضائعة بلا سكان Wasted Without An Inhabitant، وهذه المناطق الشاسعة والخصبة ستصبح بلا حاكم ولا قوة تسيطر عليها، ولا احد يمكنه ملأها، لا الأوربيين ولا الأمريكان، ولا الآسيويين، ولا الأفارقة، ثَمة بلد بلا أمة Country Without A Nation، والإله بحكمته ورحمته يوجهنا الآن نحو أمة بلا بلد Nation Without A Country، شعبه المحبوب، أبناء إبراهيم وإسحق ويعقوب"[١].

وأكذوبة الماسوني شافتسبري عن بلد بلا شعب لشعب بلا بلد، هي التي استعارتها منه الحركة الصهيونية بعد تكوينها، وجعلتها شعاراً لتسويق مشروعها للاستيلاء على فلسطين واحتلال بلداتها وقراها، وأول من استعار أكذوبة شافتسبري وصاغها من الصهاينة، إسرائيل زنجويل Israel Zangwill، أحد رفقاء هرتزل وشركائه في تأسيس الحركة الصهيونية، في دراسة عنوانها: العودة إلى فلسطين The Return To Palestine، نشرها في عدد شهر ديسمبر ١٩٠١م من دورية الليبرالي الجديد New Liberal Review، التي تصدر في لندن، فيقول زنجويل:

"فلسطين بلد بلا شعب، واليهود شعب بلا بلدPalestine Is A Country Without A People, The Jews Are A People Without A Country"[٢].

وفي محاضرة عامة ألقاها في لندن، سنة ١٩٠٣م، بعنوان: صهيون تطلبنا Zion Whence Cometh My Help، يقول زنجويل:

"فلسطين بلد مخربة، واليهود شعب محطم، وشفاء كل منهما في الآخر، فلسطين تحتاج شعباً، وإسرائيل تحتاج بلداً، وبتجديدها للأرض المقدسة سوف تنبعث إسرائيل من جديد In Regenerating The Holy Land, Israel Could Regenerate Itself"[١].

---

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. II, P478.
2) Israel Zangwill: The Return To Palestine, New Liberal Review, London, December, 1901, P628.

والآن نريدك أن تعود إلى مذكرة شافتسبري الرسمية ومخططه لاستعمار فلسطين مرة أخرى، وتقرأها بعناية وتمهل لتنتبه إلى أهم ما فيها، وهو ما لم يرد فيها، ألا وهو المفارقة بين دوافع الماسوني شافتسبري الحقيقية، هو والماسوني بالمرستون، والملكة فكتوريا التي هي من اليهود الأخفياء وأبناؤها من أساتذة الماسون العظام، وبين الغلاف الذي غلف فيه هذه الدوافع في مذكرته الرسمية التي قدمها لوزارة الخارجية، ليتم إدراجها في معاهدة لندن.

فدوافعهم، كما رأيتها في يوميات شافتسبري وفي حواراته ومراسلاته الخاصة مع بالمرستون، دوافع عقائدية خالصة، محورها الإيمان أن اليهود شعب الإله، وأن فلسطين أرضهم المقدسة التي منحهم الإله إياها، ووعده لهم بالعودة إليها في نبوءات أنبياء بني إسرائيل، وأن هذه العودة شرط في مجيء المسيح الثاني عند البروتستانت، الذي هو نفسه الهامشيحاه الذي ينتظره اليهود وسوف يتبعونه عند مجيئه، أما في هذه المذكرة الرسمية فقد نسب شافتسبري الدوافع العقائدية لليهود فقط، وحجب دوافعه هو العقائدية وأخفاها في أغلفة من دوافع أخرى تتعلق بمصالح بريطانيا السياسية ومنافع مادية واقتصادية سوف تعم العالم المتحضر، مثل تطوير المنطقة التي بين الفرات والبحر المتوسط واستثمار خصوبتها والعمل على إدخال الصناعة إليها من أجل ازدهارها، وبرر اقتراحه بجلب اليهود تحديداً إلى هذه المنطقة وحمايتهم بأنه يريد من بريطانيا توظيفهم واستغلال ارتباطهم بالشرق في استعماره لمصلحتها، وبأنهم لن يكلفوا بريطانيا شيئاً لكونهم عمالة ماهرة ورخيصة وسوف يأتون إلى فلسطين على نفقتهم، بل وسوف يحضرون ثرواتهم المخبوءة إليها.

والغلاف الذي غلف فيه شافتسبري وبالمرستون وساسة بريطانيا وملوكها سياساتهم ودوافعهم الحقيقية لغزو الشرق وغرس اليهود في قلبه، هو الذي ابتلعه الأميون من الساسة والمؤرخين في بلاليص ستان طوال القرن العشرين، وبنوا عليه سياساتهم وتواريخهم، وأقاموا وما زالوا يقيمون حوله فهمهم للمشروع اليهودي وعلاقة بريطانيا به، هي ووريثتها الولايات المتحدة الماسونية، ويعيشون في أوهام أنهم سيتمكنون يوماً ما من استمالتهم وإقناعهم أن مصالحهم مع بلاليص ستان وليس مع اليهود.

---

1) Israel Zangwill: Zion Whence Cometh My Help, In: Maurice Simon, Editor: Speeches, Articles And Letters Of Israel Zangwill, P80, Soncino Press, London, 1937.

ولكـي لا تتوهم أن إعـادة اليهـود إلـى فلسـطين، مشـروع بريطانيـا البروتسـتانتية فقط، ولا أن تغليف هذا المشروع في أغلفة الاستعمار السياسي والاقتصادي، استراتيجيتها وحدها، ولكي توقن أنـه مشروع كل امـة استوطن اليهود أذهان ساستها ونخبها، وسيطروا علـى تجارتها واقتصـادها، إليك أحد آبـاء الصـهيونية، اليهودي الألمـاني موشيه هِس Moses Hess، يخبرك عن مشروع اليهود لفرنسا الماسونية، ويغلفه لها، وهو اليهودي، في غلاف السياسة والمصالح الاقتصادية.

يقول هِس فـي كتابـه: رومـا والقدس Rome And Jerusalem، الـذي صـدر لأول مـرة بالألمانيـة فـي لايبزج Leipzig، سنة ١٨٦٢م، فـي الوقت نفسـه الـذي كـان المشـروع اليهـودي يختمر بغلافه في بريطانيا البروتستانتية الماسونية:

"إذا كان عندكم شك فـي أن فرنسـا سـوف تسـاعد اليهـود فـي تكوين مسـتعمرات، ربمـا تمتـد مـن السـويس إلـى أورشـليم/القدس، ومـن ضـفاف نـهـر الأردن إلـى شـواطئ البحـر المتوسـط، فاقرأوا الكتاب الذي صدر بعد أحداث سـوريا، عن دار النشر الشـهيرة دنتـو Dentu، بعنـوان: المشـكلة الشـرقية الجديـدة The New Oriental Problem، وقـد كتبـه مؤلفـه إرنسـت لاهـارانErnest Laharanne بطلـب مـن الحكومـة الفرنسـية، لكنـه عبَّـر عـن روح الأمـة الفرنسية، حين ألـح علـى الأخوة التـي بيننـا (اليهـود والمسيحيون)، واسـتعادتنا لوطننـا القديم، بنـاءًا علـى دوافـع سياسـية وإنسـانية خالصـة Purely Political And Humanitarian Motives، ولـيس علـى أسـس دينيـة ... بفضـل تعـاطف الشـعب الفرنسـي واهتمـام السياسـة الفرنسية، بعد أن تنتهي الجيوش الفرنسية المظفرة من الإطاحة بنبوخذ نصر الحديث، فسوف تتمم عملها بتخليص الأمة اليهودية، لأنـه من المهم لفرنسا أن ترى الطريـق الـذي يوصـل إلـى الهند والصين مستوطَناً بشعب يوالي فرنسا، لكي تتمكن من إتمام المشروع الذي آل إليها من الثورة العظمى، ولا توجد أمـة يمكن أن تشترك مـع الفرنسيين فـي هذه المهمـة سوى اليهـود، ويبدو أن كلاً منهما خُلق للآخرThey Were Created For Each Other، ويتشـابهان فـي روحهمـا القوميـة والإنسـانية ... وبخصـوص إقامـة مسـتعمرات يهوديـة علـى الطريـق إلـى الهنـد والصين، فـلا يوجـد نقص لا فـي العمالـة والكفـاءات اليهوديـة، ولا فـي رأس المـال، فقط

دعوا البذرة تُغرس تحت حماية القوى الأوروبية، وسوف تُزهِر شجرة حياة جديدة بنفسها، وتثمر فواكه يانعة"[1].

وارنست لاهاران، الذي ألف كتابه: المسألة الشرقية الجديدة، الإمبراطورية المصرية والعربية وإعادة القومية اليهودية La Nouvelle Question D'Orient. Empires D'Égypte Et D'Arabie, Reconstitution De La Nationalité Juive، بطلب من الحكومة الفرنسية، وألح فيه على الأخوة بين اليهود والمسيحيين، ودعا إلى أن تتبنى فرنسا مشروع إحياء القومية اليهودية وإعادة اليهود إلى فلسطين، لم يكن مجرد كاتب أو مؤلف، فهو المستشار الخاص للإمبراطور نابليون الثالث Napoleon III، وألف كتابه بناءًا على رغبته.

والإمبراطور نابليون الثالث، هو شارل لويس بونابرت Charles Louis Napoleon Bonaparte، وهو ماسوني، وأحد أعضاء الشرق الأعظم الفرنسي، وأبوه لويس بونابرت Louis Bonaparte كان نائب الأستاذ الأعظم للشرق الأعظم، وعمه جوزيف بونابرت Joseph Bonaparte كان الأستاذ الأعظم، في عهد أخيهما الإمبراطور نابليون بونابرت، وهو أيضاً ماسوني، كما عرفت تفصيلاً من قبل، ووضع الماسونية في فرنسا وإيطاليا وبلجيكا تحت رعايته وحمايته بعد أن صار الإمبراطور.

وكما ترى، بينما كان اليهود والمتهودون في بريطانيا يعملون جاهدين من أجل دفع بريطانيا نحو تبني مشروع إعادة اليهود إلى فلسطين واستعمارها بهم، لأن ذلك سيكون في مصلحة بريطانيا وسياساتها في مواجهة القوى الأخرى، خصوصاً فرنسا، كان اليهود والماسون في القارة الأوروبية يقدمون لفرنسا مشروعاً تساعد فيه اليهود على العودة لفلسطين وتكوين مستعمرات فيها، من باب أن ذلك سيحقق مصالح فرنسا السياسية والاقتصادية في مواجهة منافسيها، خصوصاً بريطانيا!، وبعد أن يشترك هؤلاء وأولئك في إعادة اليهود إلى فلسطين وتمكينهم فيها، ينتهي دور الاثنين ويرحلان معاً، وتبقى دولة اليهود، وهذا هو موجز تاريخ الغرب الحديث.

---

1) Moses Hess: Rome And Jerusalem, A Study In Jewish Nationalism P149-150, 167-169, Translated From The German By: Meyer Waxman, Bloch Publishing Company, New York, 1918.

صندوق استكشاف فلسطين وتهويدها

وبقي من الماسوني شافتسبري اشتراكه في تأسيس صندوق استكشاف فلسطين Palestine Exploration Fund، ورئاسته له، وهو الصندوق الذي قام بتهويد فلسطين جغرافياً وطبوغرافياً، ومهد لتهويدها سياسياً، من قبل أن تظهر الحركة الصهيونية، ومن قبل أن يزحف اليهود على فلسطين، عبر استكشافه لفلسطين وإجراء حفريات لاكتشاف آثارها في العصور القديمة في ضوء ما ورد عنها في التوراة وأسفار الأنبياء، وأعاد رسم خريطة فلسطين بعد منح البلدات والقرى والمواقع أسماءها العبرية الكتابية بديلاً عن أسمائها العربية.

وفي أطروحته التي حصل بها على الدكتوراة في التاريخ من جامعة ليسستر Leicester البريطانية، وكان عنوانها: صندوق استكشاف فلسطين ١٨٦٥م-١٩١٤م The Palestine Exploration Fund 1865-1914، يقول جون جيمس موسكروب John James Moscrop، إن:

"إنشاء الصندوق كان عمل مجموعة ذات ميول مشتركة من خبراء الكتاب المقدس وعلماء الآثار Group Of Like-Minded Biblical Scholars And Archaeologists"[1].

ويقول موسكروب في أطروحته للدكتوراة، إن طرح فكرة إنشاء صندوق استكشاف فلسطين لأول مرة، كان في القدس سنة ١٨٦٢م، إبان الرحلة الملكية التي زار فيها أمير ويلز/الملك إدوارد السابع، وهو ماسوني من الدرجة الثالثة والثلاثين، مصر وسيناء والأرض المقدسة، للتسرية عنه بعد وفاة زوجته، وزار خلالها القدس والخليل، وكان أول شخص غير مسلم يدخل الحرم الإبراهيمي علناً وبهويته الحقيقية.

وفي يوم ١٢ مايو ١٨٦٥م، تم عقد اجتماع تمهيدي لتأسيس الصندوق في قاعة القدس Jerursalem Chamber، في دير وستمنستر، ودُعي إليه الساسة وأعضاء البرلمان وأساتذة

---

1) John James Moscrop: The Palestine Exploration Fund 1865-1914, P35, Thesis Submitted For The Degree Of Doctor Of Philosophy At The University of Leicester, 1996.

جامعتي أوكسفورد وكمبردج وصفوة المجتمع في لندن، وتم تأسيس الصندوق برئاسة أسقف يورك ورأس الكنيسة الإنجليزية وليم طومسون William Thomson، وتكوين لجنة عامة للصندوق، وكان سكرتيرها والفاعل الحقيقي في الصندوق جورج جروف George Grove، وهو مهندس ومؤرخ موسيقي، وكان أبوه توماس جروف Thomas Grove أحد مؤسسي جمعية يهود لندن، ونُشر خبر تأسيس الصندوق في كبرى صحف لندن، التايمز والتلجراف والبوست.

وفي يوم ٢٢ يونيو ١٨٦٥م تم إعلان تأسيس الصندوق، من قاعة ويليس Willis' Room، في كنيسة القديس جيمس St. James، مع إصدار بيان للتعريف به والدعوة للتبرع لإنشائه وبدء مهامه، وتم افتتاح فروع وجمعيات تابعة للصندوق في مدن بريطانيا الكبرى، ونشر الصندوق في أول عدد من دوريته ربع السنوية أسماء هذه الفروع والجمعيات وأماكنها، فكانت خمسة وعشرين فرعاً.

وإليك بيان التعريف بنفسه الذي أصدره الصندوق عند تأسيسه، ونشره في أول عدد من دوريته ربع السنوية:

"لا توجد بلد يجب أن تحوز على اهتمامنا البالغ مثل التي كُتبت فيها وثائق عقيدتنا، وشهدت الأحداث الهامة التي واكبتها، وفي الوقت الحالي لا يوجد بلد يحتاج بصورة ملحة إلى استكشاف أكثر منها، وحتى الرحالة حين يذهبون إلى الأرض المقدسة يبدو لهم الكتاب المقدس في شكله ومحتواه كتاباً جديداً، فكثير من الإشارات التي فيه لا معنى لها حتى اليوم، أو لا ينتبه إليها أحد، وفهمها يلقي ضوءًا على عبارات بأكملها، والمقترح إنشاء صندوق، بغرض دراسة الأرض المقدسة Investigating The Holy Land، عبر توظيف أكفأ الأشخاص لدراسة المسائل التالية ..."[1].

---

1) **Palestine Exploration Fund: Topography Of Jeruslem, Quarterly Statemen, No. I, January To March 1869, P1, Office Of The Palestine Exploration Fund, 9Pall Mall East, S.W. London, 1869.**

والغرض الحقيقي لصندوق استكشاف فلسطين تعرفه من أول مهمة أخذها على عاتقه، ومن الذين مولوا إنشاءه والإنفاق على بحوثه واستكشافاته في فلسطين.

فأما المهمة الأولى للصندوق، فهاك هي كما نص عليها في بيان تأسيسه:

"أورشليم/القدس وحدها ستكون ميداناً فسيحاً للبحوث الأثرية، فما فوق الأرض سوف يتم دراسته والتعرف عليه بدقة، ولكن الصعوبة الحقيقية في استكشاف ما تحت سطح الأرض، قبور ملوك جبل صهيون، ومسار وادي تَيربون(•) Tyropoeon Valley، وحدود الهيكل وأبعاده الحقيقية، وموقع برج أنطونيا(•) Antonia Tower، ومكان قصر هيرود، ومكان الأوفل(•) Ophel، وبركة بيت حِسدا(•) Pool Of Bethesda، وعين ماء حزقيا(•) وقناته Spring And Conduit Of Hezekiah، فهذه كلها تنتظر الاستكشاف"[1].

(•) وادي تَيربون Tyropoeon Valley: هو الاسم الذي أطلقه المؤرخ اليهودي يوسفوس على الوادي الذي يقع جنوب غرب القدس، ويمر بين جبل الهيكل/الحرم القدسي/المسجد الأقصى القرآني وبين جبل صهيون، واسمه في التوراة وادي هنوم، وهو الآن وادي ربابة.

(•) برج أنطونيا Antonia Tower: برج أو حصن أقامه حاكم فلسطين اليهودي هيرود الثاني في القرن الأول الميلادي، الذي بنى الهيكل الثاني، وكان يحكم فلسطين باسم الإمبراطورية الرومانية، وسمى البرج: أنطونيا باسم الإمبراطور الروماني ماركوس أنطونيوس Marcus Antonius، وأقام هيرود البرج محل الحصن الذي شيدته الدولة الحشمونية في القرن الأول قبل الميلاد، ولا يُعلم مكانه تحديداً، ويرجح أنه كان في الجهة الشمالية من جبل الهيكل/المسجد الأقصى.

(•) الأوفل עֹפֶל Ophel: كلمة معناها في العبرية القديمة بروز أو ارتفاع، وهي في سفر أخبار الأيام في العهد القديم اسم تلة مسورة كان يقيم فيها صفوة اليهود، ويرجح أن مكانها شرق جبل الهيكل/الحرم القدسي.

(•) بركة بيت حِسدا Pool Of Bethesda: بركة حفرها الملك هيرود في القرن الأول الميلادي، لإمداد القدس بالمياه، ثم اندثرت، وتمكن صندوق استكشاف فلسطين من العثور على آثارها في القرن التاسع عشر، وتقع شمال غرب القدس.

(•) حزقيا Hezekiah: في سفر الملوك الثاني وسفر أخبار الأيام الأول أنه الثالث عشر في ملوك مملكة يهوذا من بني إسرائيل، ويقع حكمه بين سنة ٧١٥ وسنة ٦٨٦ قبل الميلاد.

1) Palestine Exploration Fund: Topography Of Jeruslem, Quarterly Statemen, No. I, January To March 1869, P1.

وكل مواقع القدس التي ذكر البيان التأسيسي لصندوق استكشاف فلسطين، الذي تم صياغته وإصداره من كنيسة وستمنستر، أن استكشافها مهمته، كما ترى، يهودية وهدفها بعث القدس البني إسرائيلية، ولا علاقة لها بالمسيحية!

وبالفعل، أول بعثة استكشافية أرسلها الصندوق إلى فلسطين، كانت مهمتها دراسة طبوغرافية القدس Topography Of Jeruslem، ونشر الصندوق نتائجها في أول عدد من الدورية ربع السنوية: Quarterly Statemen، التي بدأ في إصدارها سنة ١٨٦٩م لنشر نتائج بحوثه واستكشافاته فيها(١).

وخلال شهري مايو ويونيو سنة ١٨٩٢م، قام الصندوق بتنظيم كورس من سبع محاضرات، عن أعماله، في مقره بميدان هانوفر Hanover Square، في قلب لندن، بعنوان: المدينة والأرضThe City And The Land، وإحدى هذه المحاضرات ألقاها السكرتير الفخري للصندوق السير والتر بيسانت Walter Beasant، وكان سابقاً السكرتير التنفيذي لها، وكان عنوان المحاضرة: العمل العام للجمعية The General Work Of The Society، وقال فيها:

"لقد جمعنا وأنفقنا منذ بدأنا حتى الآن حوالي ٨٥,٠٠٠ جنيه إسترليني، وقد أنفقناها كالتالي ... وأحب أن أقول كلمة عن كيف جمعنا كل هذا المال، إن سر هذا النجاح يكمن في شيئين، الأول الاهتمام الواسع، فما الذي يمكن أن يكون أكثر شعبية من استرداد الأرض المقدسة Recovery Of The Holy Land، والثاني أن الذين طلبوا المال وجمعوه كانوا فوق الشبهات ... وخلال سبعة وعشرين عاماً أنجزت الجمعية عملاً عظيماً دون ضجيج، ودون أن تسعى للاستعراض الخارجي External Show، ولا أحد خارج دائرتنا الداخلية ودائرة أصدقائنا رآنا أو علم أي شيء عنا وعما نفعله، فقد كنا مشغولين في إنجاز ثورة كاملة Cmplete Revolution، في فهم الكتاب المقدس ودراسته، لقد بعثنا الحياة في العظام اليابسة، وكنا نعيد مجلد فلسطين هيرودوس Herodian Palestine، ونسترد بلاد داوود،

---

1) Palestine Exploration Fund: Topography Of Jeruslem, Quarterly Statemen, No. I, January To March 1869, P3-10.

وكنا نعيد إلى الخريطة المدن التي اكتسحها القائد العظيم يشوع ... وثَمة مسألة أخرى صنعنا فيها ثورة كاملة، فقد أعدنا البلد للعالم إلى الأبد بالخريطة والأسماء والأماكن كما هي في الكتاب المقدس، وقد استعاد رجل واحد، هو كوندر Conder، من الأسماء القديمة ما يفوق ما فعله جميع من سبقوه من الباحثين والرحالة مجتمعين"[1].

وقائمة أوائل المتبرعين للصندوق، الذين تم تأسيسه بتبرعاتهم، وظلوا يتبرعون سنوياً للصندوق، تضم اللورد شافتسبري، ومحفل انجلترا الأعظم، واليهودي موشيه مونتفيوري، واليهودي ليونيل روتشيلد، إذ:

"تمكن جروف بعد الاجتماع التمهيدي للصندوق من إحداث نقلة كبرى Coup، بضم البارون ليونيل روتشيلد Lionel De Rothschild إلى الصندوق"[2].

أما أكبر المتبرعين لصندوق استكشاف فلسطين، فهي الملكة فكتوريا، التي وضعت الصندوق تحت رعايتها، وبعد أن أصدر الصندوق دوريته ربع السنوية، التي كان ينشر فيها نتائج بحوثه، صارت الدورية منذ أول عدد فيها تضع تحت اسم الصندوق الذي يتصدر غلاف الدورية، أنه تحت رعاية الملكة Patron: The Queen، وعند وفاة الملكة، صارت العبارة: تحت رعاية الملك Patron: The King.

وأحد وجوه دعم الملكة وحكومة بريطانيا للصندوق، أن المستكشفين الأوائل الذين أرسلهم الصندوق لفلسطين، كانوا من مهندسي سلاح المهندسين الملكي Royal Engineers التابع للجيش والبحرية البريطانية، ومن أشهر هؤلاء المستكشفين الذين وهبوا أنفسهم للبحث عن آثار التوراة والعهد القديم في فلسطين، ولرسم خريطة يهودية عبرية لها، الكولونيل/السير كلود كوندر Claude Conder، أحد مهندسي سلاح المهندسين الملكي، وقد اشترك بعد ذلك في الحملة البريطانية لاحتلال مصر سنة ١٨٨٢م، تحت قيادة الجنرال جارنت ولسلي Garnet

1) Walter Beasan: The General Work Of The Society, Lecture In: Palestine Exploration Fund: The City And The Land, A Course Of Seven Lectures On The Work Of The Society, P106, 108-109, 120, Published By The Committee Of Palestine Exploration Fund By: A. P. Watt & Son, Norfalk Street, London, Third Edition, 1894.
2) Moscrop: The Palestine Exploration Fund 1865-1914, P47.

Wolseley، والميجور/السير تشارلز ويلسون Charles Wilson، واشترك أيضاً في حملة احتلال مصر، والكابتن/السير تشارلز وارن Charles Warren، وهو الذي قام بدراسة طبوغرافية القدس وإجراء حفريات في مناطق مختلفة، منها منطقة الحرم القدسي، للبحث عن الآثار الكتابية فيها، والليوتنانت/اللورد هوراشيو كتشنر Horatio Kitchener، وهو بعد ذلك الجنرال كتشنر، قائد الحملة البريطانية التي احتلت السودان سنة ١٨٩٨م، ثم المندوب السامي البريطاني في مصر، سنة ١٩١١م، ثم وزير الحرب البريطاني مع نشوب الحرب العالمية الأولى، التي تحالف فيها بقر بلاليص ستان، في مصر وفي غرب جزيرة العرب وفي شرقها وفي الخليج، مع بريطانيا الماسونية في مواجهة الدولة العثمانية.

وثلاثة من أسماء المستكشفين وقادة الجيوش البريطانية التي مرت بك من مشاهير الماسون وأساتذة محافلهم، فالجنرال جارنت ولسلي، قائد الحملة التي احتلت مصر:

"انتسب للماسونية، ونال الدرجة الأولى، درجة الصبي أو المبتدئ Apprentice، في ١٣ أبريل سنة ١٨٥٤م، وكان ذلك في المحفل العسكري رقم: ٧٢٨ .Military Lodge, No 728، في دبلن Dublin، ويتبع محفل أيرلندا الأعظم، وترقى فيه إلى أن صار أستاذه الأعظم، وفي ٣ أبريل سنة ١٨٨٣م أسس محفلاً باسم أسرته، وهو محفل ولسلي رقم: ١٩٩٣، في مانشستر Wolseley Lodge, No. 1993، ويتبع محفل انجلترا الأعظم، وفي سنة ١٨٨٧م صار ولسلي القيم الأعظم Grand Warden، لمحفل انجلترا الأعظم[1].

والسير تشارلز وارين، المسؤول عن الاستكشاف والحفريات في القدس:

"تم انتخابه سنة ١٨٨٤م أستاذاً أعظم لمحفل المتوجين الأربعة Quatuor Coronati، الذي صار مركز الإشعاع الماسوني للماسون من جميع الأمم"[2].

---

1) John Parsons: British Military Masonry, Nebraska College M.S.R.I.C.F, April 30, 2003.
2) Military lodges, The Apron And The Sword Or Freemasonry Under Arms, P107.

واللورد كتشنر، قائد حملة احتلال السودان، والمندوب السامي البريطاني في مصر، ووزير الحرب البريطاني في الحرب العالمية الأولى:

"دخل الماسونية حين كان في مصر سنة ١٨٨٣م، في محفل كونكورديا رقم: ١٢٢٦ La Concordia Lodge No. 1226، وفي سنة ١٨٨٥م كان أحد المؤسسين لمحفل دروري رقم: ٢١٢٧ Drury Lane Lodge No. 2127، في لندن، وفي سنة ١٨٩٧م صار القيم الأعظم Grand Warden، في محفل انجلترا الأعظم، ثم الأستاذ الأعظم للمحفل الأعظم لمصر والسودان، التابع لمحفل انجلترا الأعظم سنة ١٨٩٩م، والأستاذ الأعظم لمحفل البنجاب الأعظم سنة ١٩٠٢م"[١].

وأما الكولونيل كوندر، الذي ليس ماسونياً، فهو الذي رسم خريطة فلسطين العبرية، وهَوَّدها بمنح المدن والبلدات والجبال والوديان والمواقع أسماءها التوراتية، وكانت خريطته تتكون من ستة وعشرين جزءًا، وخصص كل جزء منها لمنطقة من فلسطين، ومن مجموعها تتكون خريطة فلسطين الكاملة، واشترك معه في رسم بعضها الليوتنانت كتشنر، وقام الاثنان بنشرها في كتابهما: خريطة فلسطين الغربية في ست وعشرين لوحة Map Of Western Palestine In 26 Sheets، ثم شرحوا هذه الأجزاء بالتفصيل، في كتابهما الذي يقع في ثلاثة أجزاء، وعنوانه: مسح فلسطين الغربية Survey Of Western Palestine، وفي كتاب: مسح فلسطين الشرقية Survey Of Eastern Palestine، الذي انفرد كوندر بتأليفه.

فإليك إحدى هذه الخرائط الست والعشرين، التي هَوَّد فيها كوندر وكتشنر فلسطين، وهي للقدس والخليل والمناطق المحيطة بهما، من كتابهما: خريطة فلسطين الغربية في ست وعشرين لوحة[٢].

---

1) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Vol.III, P30.

2) Captain Claude Conder And Captain Horatio Kitchener: Map Of Western Palestine In 26 Sheets, P35, From Surveys Coducted For The Committee Of The Palestine Exploration Fund During The Years 1872-1877, London, 1880.



إحدى الخرائط الست والعشرين التي رسمها كوندر وكتشنر لفلسطين، وهي لمنطقة القدس والخليل.

والآن إليك كوندر نفسه يخبرك بأفكاره وأهدافه من ذلك، وما الذي كان يفعله هو والصندوق في فلسطين، في محاضرته: مستقبل فلسطين The Future Of Palestine، التي ألقاها ضمن كورس الصندوق للتعريف بأعماله، سنة ١٨٩٢م:

"في خلال العشرين سنة التي مرت منذ رأيت رمال يافا الصفراء لأول مرة، كانت قوى صامتة Silent Forces تعمل بجد، وبعملها جعلت فلسطين اليوم بلداً مختلفاً تماماً عن ذلك الذي نذر صندوق استكشاف فلسطين نفسه لدراسته ... في سنة ١٨٧٣م قام المستر

تيرويت دريك Tyrrwhitt Drake بحساب عدد اليهود في أورشليم/القدس، وكانوا بضع مئات قليلة، وكانوا يزيدون بمعدل ١٢٠٠ أو ١٥٠٠ نفس سنوياً، وعندما رأيت القدس لأول مرة لم أر سوى بضع فيلات متناثرة خارج أسوارها القديمة، والآن توجد ضاحية يهودية تمتد لمسافة ميل بموازاة الطريق الغربي، وضاحية أخرى في الشمال قرب الحي القديم، وثالثة في الجنوب على الطريق إلى بيت لحم، وأتوقع ألا يقل عدد اليهود اليوم في المدينة المقدسة عن ٤٠,٠٠٠[*]، وهو ثلاثة أضعاف عددهم منذ عشرين سنة، وتجارة المدينة صارت في أيدي اليهود، ولم يعودوا أقلية مضطهدة وخائفة، بل أصبحوا سادة المدينة، وأدعي أنني قد أسهمت مع آخرين في هذا التطور، في كتابي الأول: مخيمات العمل في فلسطين Tent Work In Palestine، عارضت بشدة الفكرة الشائعة عن أن فلسطين بلد غير مأهول بالسكان، وما قلته حينها أتى إليَّ بعرض من محرر صحيفة جويش كرونيكل (الأخبار اليهودية) The Jewish Chronicle، أن أكتب في الصحيفة مجموعة مقالات عن لاستعمار اليهودي في فلسطين، وقد جذبت هذه المقالات اهتمام الدوائر اليهودية، لأنها تُرجمت إلى لغات أخرى ... حجر الأساس Stone Of Foundation الذي كان أقيم عليه قدس الأقداس The Holy Of Holies، مغطى الآن بقبة الصخرة العربية القديمة التي تسمى خطأً مسجد عمر ... فلسطين تصرخ على من يسكنها، لكي يعمروا خرائبها، ويزرعوا كرومها، ويقيموا الشرفات على تلالها، والدراسات المفصلة لكل أجزاء فلسطين، والخرائط التي تبين طرقها وعيونها وأراضيها الصالحة للزراعة، والجداول عن مناخها، جميعها متاحة، واليهود قد قرأوا هذه الدراسات ... وهناك نقاط مثيرة تتعلق بخط سكة حديد دمشق الكرمل، في المقام الأول فإن إنشاء هذا الخط سوف يجعل الاحتمال الأقرب، في حالة نشوب حرب، هو أن تكون المعركة في ميدان الحرب

•) هذا الرقم مضخم ومبالغ فيه، وفي الإحصاء الرسمي الذي أجرته الدولة العثمانية، واكتمل سنة ١٨٩٢م، كان عدد اليهود في القدس ٨,١١٠ يهودي، وهو عدد اليهود من رعايا الدولة(Kemal Karpat: Ottoman Population, Demographic and Social Char acteristics:1830-1914, P145)، وفي الإحصاء الذي أجراه الرحالة لونز Lunez، ليهود القدس، سنة ١٨٩١م، ونقله الباحثان اليهوديان روث كارك، وميشال نوردهيم، في كتابهما: أورشليم/القدس، أحياؤها وضواحيها وقراها من ١٨٠٠م إلى ١٩٤٨م، كان إجمالي عدد اليهود من رعايا الدولة العثمانية ومن غيرهم، ٢٥,٣٢٢ يهودياً، وهو أيضاً رقم مضخم ومبالغ فيه. (Ruth Kark, Michal Oren-Nordheim: Jerusalem And Its Environs: Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948, P28).

القديم هار مجدون Armageddon، وامتلاك هذا الخط الوحيد في البلاد سيكون لا محالة هدف المخططين الاستراتيجيين، وبفرض أن دمشق سقطت أو حوصرت، فإن أي قوة قادمة لإنقاذها تريد النزول تحت الكرمل، فطريقها الوحيد سيكون عبر الأردن وهار مجدون، والاحتمال الثاني أكثر سلمية، وهو أن خطوط السكك الحديدية تسبق في الغالب الطرق وتمهد لإنشائها، ومع خط السكة الحديد سوف تتغير الأراضي شرق الأردن إلى الأفضل، لأن تواصلها مع البحر ومع العاصمة سيكون أسهل ... وما نتوقع أن نراه في المستقبل، إذا كان مسار المستقبل في فلسطين سلمياً، هو الزيادة التدريجية في أعداد المزارعين، وانتشار المستوطنات وازدهارها، ووجود الأتراك لن يمنع هذا التقدم، إلا أن العوائق التي سيضعونها يمكن أن تقلل من سرعته، وهذا النمو لن يحدث بسبب مخططات الأفراد، بل بتواصل الإنسان مع الإنسان في أوساط الطبقات المتواضعة Humbler Classes من اليهود والمسيحيين، والفلاحون المسلمون، الذين سيموت تعصبهم ببطء، سيصبحون بالتدريج وبآثار ما يحدث أكثر ذكاءًا ونشاطاً، ولكنهم لن يعودوا سادة البلاد، وكلما زاد الأوربيون ورأس المال الأوروبي في البلاد فسوف تدخل أكثر وأكثر في دائرة الدول الخارجة على دولة الاتراك ... وأي محاولة عنيفة لعرقلة التطور السلمي للبلاد سوف تؤدي حتماً إلى مسألة فلسطينية هائلة Fomidable Palestine Question، ستكون الإجابة عليها في هار مجدون ... وفي الوقت نفسه لن تعتمد عودة اليهود على أي جنس آخر، بل على أنفسهم، وهم يعودون الآن بالفعل، ولقد بدأ صندوق استكشاف فلسطين عمله فقط بغرض إلقاء ضوء جديد وصحيح على الكتاب المقدس، ولكنه أصبح بعد ذلك أداة لمساعدة هؤلاء الذين سيصبحون في المستقبل سكان فلسطين في الحصول على الحقائق الصحيحة عن إمكانياتها Capabilities، ومن ثَم فقد أسهم بعمله السلمي في إزالة البؤس من البلاد التي نسميها الأرض المقدسة، وفي ازدهار مستقبلها"[١].

---

1) Major Claude Conder: The Future Of Palestine, Lecture In:Palestine Exploration Fund: The City And The Land, A Course Of Seven Lectures On The Work Of The Society, P30, 46, 49, 54, 57-58, 60-61, Published By The Committee Of Palestine Exploration Fund By: A. P. Watt & Son, Norfalk Street, London, Third Edition, 1894.

وكما ترى، محاضرة الميجور كوندر لا تعرفك فقط بعقائده وأفكاره وينابيعها في التوراة وأسفار أنبياء بني إسرائيل ونبوءاتهم، وبِدَور صندوق استكشاف فلسطين في تجهيزها لليهود، عبر إمدادهم بالدراسات المفصلة عن جغرافيتها وطبوغرافيتها، وتهويد بلداتها وقراها وتضاريسها، بل وقد جاءتك أيضاً بعناصر المشروع اليهودي كاملة، قبل أن تخرج على سطح الأرض وتظهر في الحروب والسياسات، وما حدث لم يكن سوى ترجمة ما هو كامن في العقول والنفوس، والزمان اللازم لذلك، إغراء العرب بالانسلاخ عن الدولة العثمانية والخروج عليها، من أجل تفكيكها وقطع فلسطين منها، وإغوائهم بالتمدن على الطراز الأوروبي، وتحويلهم إلى قردة مقلدة للغرب، وإيهامهم بالتقدم، وهم في الحقيقة يفقدون سيادتهم في بلادهم، ويتحولون ويحولونها إلى توابع للإمبراطوريات الماسونية، ومحاضن لليهود والدولة اليهودية.

وأما موقع اللورد شافتسري من صندوق استكشاف فلسطين، فيقول موسكروب في أطروحته للدكتوراة، إنه:

"في ٢٧ أبريل ١٨٦٥م، دُعي اللورد شافتسبري للاشتراك في الصندوق، وصار من أكبر المتبرعين له"(١).

وفي الاجتماع السنوي للصندوق، في المعهد الملكي Royal Institution، في ١٠ يونيو سنة ١٨٧٥م، أصبح اللورد شافتسبري رئيس صندوق استكشاف فلسطين، خلفاً لأسقف يورك، وليم طومسون، فهاك كلمة أسقف يورك التي قدم فيها شافتسبري وسلمه رئاسة الصندوق:

"سوف أفسح الطريق بسرور لإيرل شافتسبري، ولا أحد أولى بهذا المكان من رئيس جمعية الكتاب المقدس The Bible Society، لأننا أيضاً جمعية كتابية ... انجلترا بلدي وأنا أعرفها وأحبها، وفلسطين أيضاً بلدي، وأنا واثق أنكم جميعاً كذلك"(٢).

وهذه هو خطاب شافتسبري الذي افتتح به رئاسته للصندوق:

---

1) Moscrop: The Palestine Exploration Fund 1865-1914, P45.

2) Palestine Exploration Fund: Annual General Meeting Held In 10 June 1875, Quarterly Statemen, July 1875, P112, 115, Office Of The Palestine Exploration Fund, 9Pall Mall East, Bentley & Son, 8 New Burlington Street,London, 1875

"ينبغي أن لا نتأخر في أن نطلب من صديقنا السكرتير المبجل المستر جروف، أن يرسل أفضل العناصر التي يملكها لكي تقوم بفحص طول فلسطين وعرضها، وتمسح الأراضي، وتذهب إلى كل ركن فيها، وأن تجهزها لعودة مالكيها القدامى Its Ancient Possessors، لأنني أعتقد أن زمان هذا الحدث العظيم لم يعد بعيداً، لدينا هناك أرض خصبة وثرية بالتاريخ، وتقريباً بلا سكان، بلا شعب، ولدينا شعب مشتت في العالم بلا بلد، وقد تحدثت في هذا الموضوع مع اللورد أبردين Aberdeen، حين كان رئيساً للوزراء، فقال لي: "إذا خرجت الأرض المقدسة من يد الأتراك فلن تذهب إلى أي قوة أخرى، وسوف تعود إلى يد الإسرائيليين Return Into The Hands Of The Israelites"، وثَمة علامات تُرينا أن الزمان الذي سوف ينزل الرب فيه رحمته على صهيون صار قريباً ... يجب توجيه التحية والامتنان لهؤلاء الرجال الذين استكشفوا فلسطين وبجهودهم زادت معرفتنا بها، ويجب استكشاف حوض نهر الأردن بأكمله، ولكن الأهم من ذلك كله، وغايتنا التي يجب أن نصل إليها هي مسجد عمر Mosque Of Omar (المسجد الأقصى)، والغوص أسفله، والتنقيب في الأقبية والسراديب التي تحت الصخرة، فقد سمعت من بعض اليهود الذين يتوارثون التقاليد شفوياً، أن هذه التقاليد تخبرهم أن تابوت العهد Ark Of The Covenant ما زال موجوداً في هذا المكان، وأنه لم يؤخذ بعيداً عنه أبداً، ونحن نتطلع لأن نخرج تابوت العهد العتيق العظيم إلى النور، يا للسماء! Good Heavens، أي اكتشاف مجيد سيكون هذا؟!"[1]؟!

وخطاب شافستبري لا يحتاج إلى تعليق ولا بيان، لمن لم يكن من الأميين في بلاليص ستان.

وما ننبهك إليه، هو أن ما قاله اللورد أبردين، رئيس الحكومة البريطانية، لشافتسبري، من أن الأرض المقدسة إذا خرجت من يد الدولة العثمانية، فسوف تذهب للإسرائيليين ولن تكون لأي قوة أخرى، يؤكد لك ما أخبرناك به من قبل، من أن بريطانيا لم تنتهز ضعف الدولة العثمانية وتسعى لتفكيكها، بعد الضربات التي وجهها لها أول الآتين من الخلف، وأخرت هذه الخطوة سبعين عاماً، لأن غرضها الحقيقي، لم يكن مجرد تفكيك الدولة العثمانية، ولا أن تملأ هي الفراغ الناشيء عن تفكيكها، ولا أن تسمح لقوة غيرها في الشرق بملئه، حتى لو كانت حليفة لها، ولذا

1) Palestine Exploration Fund: Annual General Meeting Held In 10 June 1875, Quarterly Statemen, July 1875, P115-117.

ضربت أول الآتين من الخلف وأخرجته من الشام رغم أنه عرض أن يشترك معها في تمزيق الدولة العثمانية، وأن يكون قوة عميلة لها تحل في الشرق محل الدولة العثمانية.

وغرض بريطانيا الحقيقي، كما تفهم الآن، كان تفكيك الدولة العثمانية، وإحداث فراغ في الشرق، لكي يملأه اليهود ويتمددوا فيه، واليهود إذ ذاك كانوا في مكامنهم في كواليس السلطة وأدمغة الساسة في الغرب، ولم يكونوا قد ظهروا على مسرح الأحداث في الشرق، ولم تكن لهم قوة سياسية ولا عسكرية صريحة، تُمكِّنهم من ملأ الفراغ الذي ينتجه تفكيك الدولة العثمانية، فلما صارت لهم هذه القوة وأخذوا أهبتهم، وصار الشرق كله مهيأً لهم، بما فعله أول الآتين من الخلف، وأتمته بريطانيا، آن أوان التفكيك وإحداث الفراغ.



أسقفية مسيحية والأسقف حاخام يهودي!

مشروع بريطاني ألماني من أجل شعب الإله:

قبل استيلاء أول الآتين من الخلف وابنه على الشام، لم يكن للبروتستانتية نشاط تبشيري ولا مؤسسات ولا كنائس في فلسطين، ولا في الشام كلها، ولم يكن للبروتستانت وجود كطائفة، وكان عدد البروتستانت في القدس وفلسطين كلها لا يتجاوز أصابع اليدين، لأنها بخلاف مذاهب المسيحية الأخرى، مذهب نشأ وازدهر في أوروبا، وارتبط بتاريخها وما شهدته من صراعات عقائدية وسياسية.

وإدخال البروتستانت والبروتستانتية إلى القدس، كان أحد آثار أول الآتين من الخلف وأول من يصل إلى حكم مصر الشام من خريجي حواري اليهود، هو وابنه.

ودخول البروتستانتية والبروتستانت إلى القدس كان من أجل اليهود، وجزءًا من المشروع اليهودي البروتستانتي لإعادة اليهود لفلسطين، وكان عملاً مشتركاً بين جمعية يهود لندن في بريطانيا وشقيقتها في ألمانيا!

أما على الجانب البريطاني، فيقول وليم توماس جيدني، سكرتير جمعية يهود لندن، في كتابه عن تاريخها الذي ألفه من وثائقها:

"وكانت الجمعية هي قائدة مشروع تأسيس الأسقفية في أورشليم The Society Leads The way، والفضل الأكبر في تأسيسها يعود لجهود لورد أشلي، الذي صار إيرل شافتسبري، ووزير الخارجية بالمرستون، ودكتور هاولي Howley، أسقف كانتربري وراعي جمعيتنا"[1].

---

1) **The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews, From 1809 to 1908, P206.**

وبظهور الماسوني إيرل شافتسبري والماسوني بالمرستون خلف إنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس، تكون قد علمتَ الغرض الحقيقي من إنشائها، وأنها أُسست لتكون عوناً للقنصلية البريطانية في مهمتها، وإحدى أدوات تمهيد الطريق أمام إعادة اليهود واستيطانهم لفلسطين، وهو ما يخبرك به صريحاً شافتسبري نفسه.

في شهر ديسمبر ١٨٣٨م، كتب اللورد أشلي/إيرل شافتسبري مقالة طويلة في الدورية ربع السنوية The Quarterly Review، القريبة من الدوائر الحكومية البريطانية، وكان عنوانها: الدولة وآمال اليهود State And Prospects Of The Jews، وقد نشر نصها كاملاً المؤرخ البريطاني إدوين هودر، في سيرته لحياة شافتسبري وأعماله، فهاك هي:

"المسيحيون يُظهرون اليوم اهتماماً كبيراً وجديداً بالشعب العبري، وصار بينهما تواصل ومسائل مشتركة، واليهود في روسيا وبولندا والهند وفي كل مكان آخر يشعرون أن زمان خلاصهم قد صار وشيكاً، وهذا الشعور مصدره العميق اقترابهم المتنامي من المسيحية Growing Approximation Towards Christianity، كما تكشفه تقارير كثير من الجمعيات والرحالة، والأهم من ذلك أن ذوي الحماسة والعطف من المهتمين بالأمة اليهودية، قد وضعوا مشروعاً لتأسيس كنيسة في أورشليم/القدس، وإذا أمكن أن تكون على جبل صهيون نفسه، حيث ستتلى صلواتنا وطقوسنا يومياً أمام المخلص باللغة العبرية، وقد تم جمع مبلغ معقول من المال لهذا الغرض، والإرساليات التبشيرية صارت مقيمة بالفعل في هذه البقعة، ولا يوجد عائق سوى شراء أرض لكي نقيم عليها هذا الصرح المقدس Sacred Edifice، ويتولى الأمر في أورشليم/القدس المستر نيكولايسون(•) Nicolayson، ويشترك معه في العمل المستر بييرتز Pieritz، وهو عبري تحول إلى المسيحية، ويقومان بالخدمة

(•) جون نيكولايسون John Nicolayson: مبشر دانمركي اسمه الأصلي: هانز نيكولايسون Hans Nicolajsen، وقد رحل إلى لندن واستقر فيها وانضم إلى جمعية يهود لندن، وسافر سنة ١٨٢٦م إلى القدس ضمن بعثة الجمعية التبشيرية، وظل يمارس التبشير فيها سراً داخل أحد بيوت القدس، إلى أن استولى أول الآتين من الخلف وابنه على الشام، وأباحوا للإرساليات التبشيرية العمل علناً، وقد اشترك نيكولايسون في تأسيس الأسقفية البروتستانتية البريطانية الألمانية المشتركة في القدس، ثم في تأسيس كنيسة المسيح البروتستانتية الإنجيلية في القدس.

رغم أن تابوت الرب Ark Of God محجوب خلف الأستار(•)، وثَمة مجموعة صغيرة ولكنها عميقة الإيمان من المهتدين تستمع يومياً إلى العظات الإنجيلية لكنيستنا على جبل المدينة المقدسة نفسه، بلغة الأنبياء وبروح الحواريين، من المعروف أنه لقرون كان لليونان (الأرثوذكس) والرومان (الكاثوليك) والأرمن والأتراك/المسلمين، أماكن للعبادة في أورشليم/القدس، وبتسامحه منح إبراهيم باشا اليهود هذه الميزة مؤخراً، وعقائد الإصلاح النقية The Pure Doctrines Of The Reformation، ممثلة في كنيسة انجلترا، هي الوحيدة التي ليس لها وجود وسط هذا الفساد"[1].

والآن ننتقل بك إلى الجانب الألماني في مشروع إنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس.

في أطروحتها اتي حصلت بها على الدكتوراة من جامعة ليدن Leiden، في هولندا، وكان عنوانها: الهداية والصراع في فلسطين، إرساليات جمعية الكنيسة التبشيرية والأسقف البروتستانتي صمويل جوبات(•) Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat، تقول تشارلوت فان در ليست Charlotte Van Der Leest، وهي راعية ومبشرة في الكنيسة البروتستانتية في لاهاي، إنه:

"كان خلف خطة تأسيس أسقفية بروتستانتية في أورشليم/القدس ثلاثة رجال، الدبلوماسي البروسي المشهور البارون كارل يوشيا بونزن Carl Josias Bunsen، وصديقه الحميم كوير أنتوني لورد أشلي، الإيرل السابع لشافتسبري، وملك بروسيا فردريك وليم الرابع

•) كلام شافتسبري عن الخدمة الكنسية في موضع تابوت العهد، وفوق جبل المدينة المقدس، يعني أن الإرسالية التبشيرية البريطانية في عهد أول الآتين من الخلف وابنه إبراهيم باشا، كانت تقيم صلواتها وتتلو عظاتها داخل المسجد الأقصى، وتحديداً عند قبة الصخرة.

1) The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Vol. I, P239-240.

•) صمويل جوبات Samuel Gobat: هو ثاني أساقفة الأسقفية البروتستانتية التي اشتركت بريطانيا وألمانيا في إنشائها في القدس.

Frederick William IV، ومن بين هؤلاء الثلاثة لعب بونزن دوراً محورياً في وضع خطة إنشاء الأسقفية والمفاوضات التي سبقت إنشاءها"[١].

وفردريش فيلهلم/فردريك وليم الرابع، خلف أباه فردريش فيلهلم/فردريك وليم الثالث على عرش بروسيا، سنة ١٨٤٠، وكان أبوه أحد الملوك البروتستانت الذين وجه إليهم سكرتير البحرية البريطانية هنري إنِّس مذكرته عن خلاص بني إسرائيل وإعادتهم لفلسطين.

وأما بونزن، فكان سفير بروسيا في روما، وكانت زوجته إنجليزية، وكان:

"مؤمناً بالأفكار الألفية عن إعادة اليهود وإحياء صهيون Wiederbelebung Zions، وبخصوص مشروع أورشليم/القدس كان بونزن يعتقد أنه يجب إنشاء كنيسة بروتستانتية في أورشليم/القدس، لاستقبال المخلص عند مجيئه الثاني Meet The Saviour At His Second Coming"[٢].

وفي سنة ١٨٣٨م ترك بونزن روما، بعد نزاع طويل بين بروسيا والكنيسة الكاثوليكية، حول ديانة الأبناء من الزواج المختلط بين الكاثوليك والبروتستانت في بروسيا، وانتقل إلى لندن، فمكث فيها سنة ونصف، إلى أواخر سنة ١٨٣٩م، وإبان ذلك التقى أعضاء جمعية يهود لندن، وكان يحضر اجتماعاتهم، وتوافقت آماله مع خططهم، وصار صديقاً مقرباً للورد أشلي/شافتسبري، وفي مذكراته A Memoir Of Baron Bunsen، التي جمعتها زوجته البارونة فرنسيس بونزن Frances Bunsen من رسائله ويومياته، يقول بونزن في رسالة إلى زوجته إن:

---

1) Charlotte Van Der Leest: Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat, Doctoral Thesis, P54, History Of World Christianity, Faculty Of Religious Studies, Leiden University, 18 -06-2008.

2) Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat, P57.

"اللورد ساندون Sandon واللورد أشلي يتصرفون نحوي مثل إخوتي، ويسعدني التوافق بيني وبين اللورد أشلي، فقد كان هو الرجل الذي دفع خطة أورشليم/القدس Jerusalem Plan إلى الأمام، وقد وضعنا خطتنا لأورسليم معاً في ليلة ١٠ ديسمبر ١٨٣٨م"[1].

وفي أواخر سنة ١٨٣٩م، عاد بونزن إلى بروسيا، ومنها سفيراً إلى سويسرا، فمكث فيها سنتين، وفيها انضم إلى الجمعية التبشيرية Missionsgesllschaft، في بازل Basel، وكانت امتداداً لجمعية التبشير بالمسيحية بين اليهود Beforderung Des Christentums Unter Den Juden ، أو جمعية يهود ألمانيا Deutsch Jüdische Gesellschaft، التي أُسست سنة ١٨٢٢م، وكانت على علاقة وثيقة بجمعية يهود لندن، وتعتنق نفس أفكارها عن ارتباط المجيء الثاني للمسيح بإعادة اليهود إلى فلسطين، واستعادتهم لأورشليم/القدس وإقامة الهيكل.

وإبان وجوده في سويسرا، ومع اتفاق القوى الأوروبية على إخراج أول الآتين من الخلف من الشام في معاهدة لندن، في ١٥ يوليو ١٨٤٠م، أرسل البارون بونزن في ٣ أغسطس ١٨٤٠م، رسالتين نصهما واحد، إلى اللورد أشلي/شافتسبري، وإلى عضو البرلمان البريطاني اللورد وليم جلادستون William Gladstone، الذي صار لاحقاً رئيس هيئة التجارة، ثم وزير الحرب والمستعمرات، فرئيس الحكومة البريطانية، يدعوهما إلى انتهاز هذه الفرصة، ويقول لهما:

"من المؤكد أنه يستحيل ألا نرى أصابع الإله Fingers Of God في تأسيس كنيسة إنجليزية وتجمع من المسيحيين المهتدين (المتحولين من اليهودية) على جبل أورشليم/القدس المقدس، ألا ينبغي استغلال هذه الأحداث السياسية التي دبرتها العناية الإلهية، والتي تتوافق مع علامات إحياء صهيون Zion's Revival، ويمكنكم الآن دون عناء أن تحوزوا للمسيحية في المناطق التي تخضع للسلطان، ليس فقط الحرية وامتيازات كالتي حاربت أوروبا المسيحية من أجلها في العصور الوسطى، بل وأيضاً حق الامتلاك، وأيا كان الذي سيحدث، ينبغي ألا تقيد سياساتُ الشركاء الآخرين يدَ انجلترا، لأنها في هذه الظروف هي القوة التي

---

1) Frances Bunsen: A Memoir Of Baron Bunsen, Drawn Chiefly From Family Papers By His Widow, Vol. I, P608, Drown From Family Papers By His Widow, Longmans, Green & Co., Lodon, 1868.

بيدها مقاليد الأمور في أوروبا، وأنا أعلم أنك لن تُسئ فهم ما أقوله، ولذا أكتب إليك بغير خوف أن تتهمني بالتطاول عليكم"[1].

وعن سيرة البارون بونزن وأعماله Christian Carl Josias Freiherr Von Bunsen، التي كتبها المؤرخ الألماني فردريش نيبولد Friedrich Nippold، أستاذ تاريخ الكنيسة في جامعتي هايدلبرج Heidelberg وبرن Bern، في القرن التاسع عشر، ينقل دكتور عبد الرؤوف سِنُّو، أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية وفي المعهد الألماني للأبحاث الشرقية Das Orient Institut، في كتابه: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، أن بونزن أرسل من سويسرا تقريراً، في ١٧ سبتمبر ١٨٤٠م، إلى الملك فردريك وليم الرابع في برلين، يقول له:

"لقد كتبت إلى اللورد أشلي حول خطة لشراء قطعة أرض في فلسطين لليهود المُنصَّرين(المتحولين للنصرانية)، خصوصاً الفقراء منهم في القدس، إذا ما تحرك الإيمان المسيحي في داخلهم"[2].

وتقول الراعية والمبشرة البروتستانتية تشارلوت فان دِر ليست، في رسالتها للدكتوراة عن الأسقفية، إنه:

"وجد بونزن في الملك فردريك وليم الرابع روحاً متعاطفة، فقد كان فردريك وليم الرابع مثل بونزن يؤمن بأفكار الإحياء Erweckungsbewegung، ويرى أن ما يحدث في الدولة العثمانية من عمل الإله Work Of God، وما أن اعتلى العرش حتى أعطى دعمه الكامل للخطط الخاصة بفلسطين"[3].

---

1) A Memoir Of Baron Bunsen, Drawn Chiefly From Family Papers By His Widow, Vol. I, P583.

٢) دكتور عبد الرؤوف سنو: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٩١، طبع بدعم من مؤسسة ألكسندر فون همبولدت، بون، الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

3) Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat, P61.

وأمر الملك فردريك وليم الرابع بإعداد عدة مذكرات لعرضها على ملوك أوروبا من أجل توحيد الجهود تجاه الأرض المقدسة، وهذه المشاريع أو المذكرات جميعها كانت تحوي مسألتين وتربط بينهما، الأولى استعادة الأماكن المقدسة في فلسطين للمسيحية، والثانية حماية اليهود في القدس وفلسطين.

والمذكرة التي أعدها سفير بروسيا في لندن هَينريش فون بولوف Heinrich Von Bülow، وأُرسلت إلى فيينا، في ٦ أغسطس ١٨٤٠م:

"طالبت بوضع الكنائس والأديرة والمؤسسات التابعة للطوائف الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية تحت الحماية الدولية، وضرورة إقامة ثلاثة مندوبين أوروبيين في القدس، تُعين الأول بالتناوب كل من النمسا وفرنسا كممثلتين للكاثوليكية في الشرق، فيما تعين الثاني روسيا كممثلة للأرثوذكسية، أما المندوب الثالث فتعينه بالتناوب كل من بروسيا وبريطانيا، ويكون ممثلاً للبروتستانتية، وختم بولوف اقتراحاته بأن يكون لكل دولة فرقة عسكرية قوامها ٦٠ جندياً تتمركز في القدس لحماية أماكنها المقدسة والسهر على تنفيذ هذه القرارات"(١).

والمذكرة التي أعدها جوزيف ماريا فون راندوفيتس Joseph Maria Von Radowitz، سفير بروسيا وملحقها العسكري في بلاط كارلسروه وشتوتجارتKarlsruhe And Stuttgart، وكانت بعنوان: خطاب إلى أوروبا المسيحية بخصوص الأماكن المقدسة في فلسطين Address To European Christendom On The Subgect Of The Sacred Places In Palestine، وأُرسلت في مارس ١٨٤١م إلى بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا، دعت إلى:

"تكوين اتحاد بين القوى الأوروبية من أجل المسيحيين والأماكن المقدسة في فلسطين، والعمل معاً لكي تكون الأماكن المقدسة في أيدٍ مسيحية"(٢) ... "وتأمين حماية لليهود وتعليم أبنائهم، واحتوت الاقتراحات التي وجهها إلى لندن على إضافات غير مذكورة في المذكرات

---

١) ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٨١.

2) Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat, P62.

التـي وجهتهـا الحكومـة البروسـية إلـى العواصـم الأوروبيـة، وتمحـورت حـول اقتـراح بتعـاون بروسي بريطاني مشترك، كي يحصل البروتستانت في فلسطين على حق تشييد مستشفى ودار للعبادة، وأن يُخصص جبل صهيون للإرسالية البروتستانتية وحدها"[١].

فإذا قلت: أليس من حق البروتستانت أن يكون لهم أسقفية ومؤسسات في القدس مثل بقية الديانات والطوائف، فإليك مؤرخ القدس عارف العارف يخبرك في كتابه: المسيحية في القدس، بعدد البروتستانت في القدس، ومن هم ومن أين جاءوا، في سنة ١٨٤٥م، بعد تأسيس الأسقفية البروتستانتية وبدء نشاطها بثلاث سنوات:

"كان عدد البروتستانت في القدس في تلك السنة، ١٨٤٥م، حوالي ٦٠ شخصاً، منهم ٢١ من المرسلين (المبشرين الأوروبيين)، و ٣٩ يهودياً تم تنصيرهم"[٢]!

وفـي شـهر مـايو ١٨٤١م، استدعى الملك فردريك ولـيم الرابـع البـارون بـونزن مـن سويسـرا، ليكـون مبعوثـه الخـاص إلـى لنـدن فـي مهمـة خاصـة، هـي الوصـول إلـى اتفـاق مـع بريطانيـا، بخصوص التعاون في الأرض المقدسة، وإنشاء أسقفية بروتستانتية بريطانية بروسية مشتركة في القدس.

فهاك نص تعليمات الملك فردريك وليم الرابع والمهمة التي كلف بها البارون بونزن، في ٨ يونيو ١٨٤١م، والتي نشر نصها الألماني مع ترجمته الإنجليزية، القس والمبشر البروتستانتي وعضـو جمعيـة يهـود لنـدن ولـيم هِشـلر Wlliam Hechler، ضـمن وثـائق إنشـاء الأسـقفية البروتستانتية في القدس The Jerusalem Bishopric Documents، التي تم جمعها بأمر من الملسك فردريك وليم الرابع نفسه:

"لأن المسألة شديدة الأهمية وذات طبيعة مقدسة، ولتجنب أي احتمال لسوء الفهم، يرغب جلالتـه فـي أن تكـون أهدافـه واضـحة، فـي المقـام الأول يـرى جلالتـه أنـه لا أمـل للمسـيحية

---

١) ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٨١.

٢) المؤرخ عارف العارف: المسيحية في القدس، ص١٥٠، مطبعة دير الروم الأرثوذكس، القدس، ١٩٥١م.

البروتستانتية أن يكون لها مكانة في الشرق عموماً، وفي الأرض المقدسة خصوصاً، ولا أن تجني أي ثمرة دائمة من عملها وانتشارها، إلا إذا قدمت نفسها في هذه البلاد كهيئة موحدة United Body، وإذا أصرت الكنائس البروتستانتية على أن تقدم كل منها نفسها منفصلة عن غيرها، فسوف تتردد الحكومة التركية بلا شك في الاعتراف بها، ولن تمنحها الامتيازات التي تعطيها للكنائس الأخرى التي اعترفت بها، وسوف يتذرع الباب العالي بعدد رعاياه في هذه التجمعات البروتستانتية المتعددة، وكل الهيئات البروتستانتية الموجودة حالياً في الشرق مجتمعة لا يمكنها أن تقدم للباب العالي سوى أفراد قليلين من أهل البلاد الأصليين الذين انضموا إليها، وإضافة إلى ذلك كيف يمكن للمسيحية البروتستانتية أن تعمل وهي منقسمة ومفتتة إلى جوار الكنائس الأخرى العريقة في الشرق، التي تعمل رغم عيوبها وسوء تنظيمها كهيئة واحدة وجسد متماسك؟ ولهذا يرى جلالته أن اتحاد الكنائس البرتستانتية هو الخطوة الأولى والتي لابد منها لكي تنجح في الشرق، ويرى جلالته أن الأوضاع الراهنة للإمبراطورية العثمانية، خصوصاً ما يتعلق بالدور الذي أدته انجلترا وبروسيا، من التدبيرات الإلهية Divine Guidance، التي منحت الفرصة للمسيحية البروتستانتية لأول مرة، أن تصر على أن يكون لها مكان في الأرض المقدس إلى جانب الكنائس الأصيلة في الشرق والكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)، وأن تطالب بالاعتراف بها كأحد فروع كنيسة المسيح العالمية، وبمساواتها بالكنائس الأخرى، ومنحها ما تناله من امتيازات، وفي هذه اللحظة ألا ينبغي أن يكون من الأهداف السامية لرأس الكنيسة العظيمة، جلب إسرائيل إلى أرض الوعد Land Of Promise، من أجل خلاصهم، وجلالته لن يتردد في مد يده بترحاب إلى الكنيسة الأسقفية Episcopal Churche في انجلترا، التي تشكل بمبادئها البروتستانتية مؤسسة أصيلة تسعى إلى العالمية والاستقلال، وسوف يسمح جلالته لكل القساوسة والمبشرين في كنيسة بروسيا أن ينضموا إلى كنيسة انجلترا في كل أرض للتبشير يوجد لها فيها أسقفية، ولكن فوق كل شيء، يرغب جلالته في بذل كل جهد ممكن لتوحيد العمل في الأرض المقدسة، وكنيسة انجلترا تملك مؤسسة في جبل صهيون، ولذا يرى جلالته أنه يجب على كل أمير ومجتمع بروتستانتي أن ينضموا إلى هذه المؤسسة، كنقطة الانطلاق الأولى في العمل المشترك، وسوف يوفر ذلك أسساً قوية ويعطي دفعة حياة للتبشير في مهد المسيحية، وفي مناطق نفوذ الكنائس الأخرى، وفي طول الإمبراطورية التركية وعرضها، وفي هذا التعاون المشترك بين

الكنيستين يجب أن يُراعَى أن جلالته لا يرغب في أن يضحي باستقلال كنيسته القومية أو يعرضها للخطر، وعلى ذلك فالمفاوضات الخاصة بالاتحاد مع كنيسة انجلترا، يجب أن يحكمها قاعدتان، الأولى: الاتحاد العظيم في العمل بين الكنيستين في جميع المناطق الخاضعة للسيادة التركية، وفي الأرض المقدسة على وجه الخصوص، والقاعدة الثانية: مراعاة استقلال كنيسة ألمانيا البروتستانتية وخصوصية الشعب الألماني، ويقدر جلالته أن الخطوة الأولى نحو هذا الاتحاد في العمل بين الكنيستين، أن تقوم كنيسة انجلترا بتأسيس أسقفية في أورشليم/القدس، وأن يلحق بها مؤسسات تحتوي جميع البروتستانت في الأرض المقدسة، ويرغب جلالته أن ينضم القساوسة وإرساليات التبشير البروسية إلى الأسقفية بمجرد تأسيسها، من أجل اليهود المتحولين إلى المسيحية ويتكلمون الألمانية، وكذلك من أجل البرتستانت من أصل ألماني، وسوف يسمح جلالته لكنيسة انجلترا أن تقوم برسم الأساقفة والمبشرين الألمان، ويفضل جلالته أن يكون ذلك في أورشليم/القدس"[1].

وفي يوم ١٩ يونيو ١٨٤١م، وصل البارون بونزن إلى لندن، وتحت رعاية إيرل شافتسبري، عقد لقاءات وخاض مفاوضات لعدة أسابيع، مع رؤوس كنيسة انجلترا، وليم هاولي William Howley، أسقف كانتربري Canterbury، وفيرنون هاركورت Vernon Harcourt، أسقف يورك، وتشارلز بلومفيلد Charles Blomfield، أسقف لندن، ومع ممثل الحكومة البريطانية، وزير الخارجية بالمرستون.

وفي يوم ٥ أكتوبر ١٨٤١م، أصدر البرلمان البريطاني، قانون أسقفية أورشليم/القدس The Jerusalem Bishopric Act، ونص على أنه:

"باسم جلالة الملكة المعظمة، وبموافقة مجلسي اللوردات والعموم، يجوز قانوناً لأسقف كانتربري، أو أسقف يورك، ومن يستعينون بهم من الأساقفة الآخرين، أن يقوموا برسم رعايا بريطانيا، أو رعايا أي مملكة أو دولة أجنبية، أو مواطنيها، ليصبحوا أساقفة في أي بلد أجنبية، وسواء كان هؤلاء الرعايا أو المواطنين من رعايا هذا البلد الذي سيعملون فيه أو

1) Wlliam Hechler: The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P2-18, Pubished By Command Of His Majesty Frederick William IV Prince Of Prussia,Trubner & Co., 57 & 59 Lodgate Hill, London,1883.

مواطنيه، أو لم يكونوا Whether Such Foreign Subjects Or Ctizens Be Or Be Not Subjects Or Citizens Of The Country In Which They Are To Act"[١].

وفي يوم ٩ ديسمبر ١٨٤١م، تم توقيع بيان بإجراءات تأسيس أسقفية كنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة في أورشليم/القدس Statement Of Proceedings In Relation To The Establishment Of A Bishopric Of The United Churche Of England And Ireland In Jerusalem، وكان بمثابة اتفاقية بين بريطانيا وبروسيا، ووقعه عن بريطانيا أسقف كانتربري، وعن بروسيا البارون بونزن، ونص على أنه:

"من المستحيل ألا نرى يد العناية الإلهية فيما يحدث في الشرق، فقد فتحت باباً للمسيحيين، خصوصاً أمتنا، للعمل من أجل مملكة المخلص Saviour's Kingdom، ومن أجل إعادة شعب الإله العتيق إلى أرضه ... أسقف كنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة في أورشليم/القدس، يتم اختياره بالتناوب بين التاج البريطاني والتاج البروسي، وأسقف كانتربري له الحق المطلق في الاعتراض، مع كامل الاحترام للتاج البروسي، وسوف يكون أسقف أورشليم/القدس تابعاً لأسقف كانتربري، حتى تصبح الظروف المحيطة بأسقفية أورشليم/القدس، في رأي أساقفة الكنيسة الموحدة، مناسبة لتعديل هذه العلاقة، وسلطة أسقف أورشليم/القدس الروحية والإدارية سوف تشمل الأساقفة والتجمعات الإنجليزية ومن ينضم إليها، في فلسطين وسوريا ومصر والحبشة وكلدانيا/العراق، وطبقاً لقوانين كنيسة انجلترا ولوائحها وتقاليدها، والمهمة التبشيرية الرئيسية لأسقف أورشليم/القدس، سوف تتوجه نحو هداية اليهود وحمايتهم وتوفير الأعمال المناسبة لهم، وسوف يتم العمل على إنشاء كلية College في أورشليم/القدس، تحت رعاية الأسقف، وهدفها الأول سيكون تعليم اليهود المهتدين، ومن سلطة الأسقف أن يقبل فيها الدروز وغيرهم من الأممين/غير اليهود، وكذلك المسيحيين الشرقيين، وتجمعات البروتستانت الناطقين بالألمانية المقيمين داخل مجال نفوذ

---

1) The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P50.

الأسقفية، ويرغبون في الانضمام إليها، سوف يكونون تحت رعاية القساوسة الألمان الذين تحت سلطته، ويتوافقون في صلواتهم وطقوسهم مع عقيدة كنيسة انجلترا"[١].

وكانت الملكة فكتوريا، بصفتها ملكة انجلترا وأيرلندا وحامية العقيدة، بعد إقرار قانون إنشاء الأسقفية، قد أصدرت في ٦ نوفمبر ١٨٤١م، مرسوماً ووجهته إلى أسقف كانتربري، بموافقتها على رسم أول أسقف في أورشليم/المقدس، ونصه:

"بتواضع طلب منا أسقف كانتربري الموقر، تصريحاً ملكياً بتفويضه السلطة لرسم المبجل مايكل سولومون ألكساندر Michael Solomon Alexander، أحد رعايا بريطانيا، ليكون أسقف كنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة في أورشليم/القدس، وقد أثبت أسقف كانتربري جودة تعليمه وتدريبه، وزكّى كفاءته وإخلاصه ونقاء عقيدته، ويسرنا أن نضع سوريا وكلدانيا ومصر والحبشة، تحت السلطة الروحية للمذكور مايكل سولومون ألكساندر، وأن تكون له السلطة داخل هذه الحدود على التجمعات البريطانية وقساوسة كنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة، وعلى التجمعات البروتستانتية الأخرى التي ترغب في وضع نفسها تحت سلطته، والآن وبإرادتنا الملكية، نمنح أسقف كانتربري السلطة لرسم المذكور مايكل سولومون ألكساندر، ووضع سوريا وكلدانيا ومصر والحبشة تحت سلطته الروحية"[٢].

ومن أجل توفير التمويل اللازم لتأسيس الأسقفية البريطانية في القدس، ولأنشطتها ونفقاتها:

"تبرع ملك بروسيا فردريك وليم الرابع بهبة، قدرها ١٥,٠٠٠ جنيه إسترليني، لكي يتم استثمارها والإنفاق من عائدها على الأسقفية، وكانت قيمة هذا العائد ٦٠٠ جنيه إسترليني سنوياً، تشكل نصف نفقات الأسقفية، ودفع الجانب البريطاني ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترليني، وفرت جمعية يهود لندن منها ٣,٠٠٠ جنيه إسترليني، وتم تأسيس صندوق تمويل الأسقفية Bishopric Endowment Fund، تحت رعاية أسقف كانتربري، وكان من أوائل

1) The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P108-112.
2) The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P58-60.

المتبرعين للصندوق اللورد أشلي/شافتسبري، والسير جورج روز George Rose، والسير توماس بيرنج(•) Thomas Baring"[1].

وفي يوم ٢١ يناير ١٨٤٢م، وصل أول أسقف بروتستانتي بريطاني إلى القدس، وكان في استقباله خارجها قنصل بريطانيا وقنصل الولايات المتحدة الأمريكية، ثم دخلها في موكب حافل، ليبدأ مهامه ونشاطه من أجل تحويل البيت الذي كانت الإرسالية البروتستانتية التابعة لجمعية يهود لندن تقيم فيه الطقوس وتمارس التبشير سراً إلى أسقفية.

وعند توقيع اتفاقية بريطانيا وبروسيا بخصوص تأسيس أسقفية بروتستانتية في القدس، ووصول الأسقف مايكل سولومون ألكساندر إلى القدس، كانت الدول الأوروبية قد أخرجت أول الآتين من الخلف من الشام، وأعادتها لسيادة الدولة العثمانية، ولكنها كانت سيادة اسمية فقط، فما فعله أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، أنهك الدولة العثمانية واستنزفها، ووضع الإمبراطوريات الماسونية على أبوابها، ووضع الشام والشرق كله بين أنيابها ومخالبها، وقد رفضت الدولة العثمانية الموافقة على إنشاء الأسقفية رسمياً، ولم يكن في مقدورها منع ذلك فعلياً.

تقول الراعية والمبشرة البروتستانتية تشارلوت فان دِر ليست، في رسالتها للدكتوراة عن الأسقفية:

•) السير توماس بيرنج Thomas Baring: كان عضواً بالبرلمان البريطاني، وأحد مالكي بنك بيرنج وشركاه Baring Brothers & Co.، وهو جد السير إيفلين بيرنج Evelyn Baring، الذي هو اللورد كرومر، أشهر مندوب سام بريطاني في مصر، والذي وضع أسس الدولة المصرية وبنى مؤسساتها، وأسرة بيرنج أسرة يهودية ألمانية، من بريمن Bremen، وتحولت إلى البروتستانتية مع هجرة رأسها يوهان بيرنج Johann Baring إلى انجلترا، سنة ١٧١٧م، وبنك بيرنج كان شريكاً لبنك روتشيلد في انجلترا، وأسرة بيرنج أيضاً ماسونية، ولها محفل باسمها، هو محفل بيرنج رقم ٢٦٠٢ Baring Lodge No. 2602، في بلدة كرومر Cromer، شمال مدينة نورفولك Norfolk، شرق انجلترا، وأسرة بيرنج هم لوردات كرومر بالوراثة.

1) The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews, From 1809 to 1908, P206.

"خلال عملية إنشاءالأسقفية البروتستانتية في أورشليم/القدس، تجاهلت انجلترا وبروسيا السلطات العثمانية تجاهلاً تاماً، ويتجلى إخراج الباب العالي من مشروع إنشاء الأسقفية، في الخطاب الذي أرسله بالمرستون إلى سفير بريطانيا في القسطنطينية/الأستانة، جون بونسونبي، بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٨٤١م، ويقول له فيه: "لا توجد حاجة إلى تصريح خاص Special Permission من الباب العالي من أجل الأسقفية، فالأسقف من حقه ان يقيم في أي مكان من الإمبراطورية العثمانية مثل جميع رعايا بريطانيا وبروسيا، ووظائفه الروحية لن تتعارض مع رعايا الدولة العثمانية من المسلمين، ولذا لا ينبغي فتح هذا الموضوع الآن مع السلطات العثمانية"، ولم تكن السلطات العثمانية راغبة في الاعتراف بالأسقف البروتستانتي، وفي ٩ أكتوبر ١٨٤١م، أرسلت مذكرة إلى السفارة البريطانية، تعترض على إرسال أسقف بروتستانتي إلى أورشليم/القدس، وعلى إنشاء كنيسة بروتستانتية فيها، وكانت جمعية يهود لندن قد وضعت أسسها بالفعل، وكانت الدولة العثمانية غاضبة بسبب تجاهل انجلترا وبروسيا لها، كما أنها كانت تخشى أن يمتد نشاط الأسقفية إلى رعاياها المسلمين، ولم تكن أيضاً مرتاحة لوجود تجمع مسيحي جديد في أورشليم/القدس، ورغم أن الباب العالي لم يعترف رسمياً بالأسقف البروتستانتي، إلا أنه لم يتخذ إجراءات حاسمة لمنع إنشاء الأسقفية"(١).

ولم تعترف الدولة العثمانية بالبروتستانت وأسقفيتهم إلا بضغوط بريطانية شديدة، وبعد أن صارت الأسقفية واقعاً قائماً في القدس، يقول دكتور عبد الرؤوف سِنُّو، إنه:

"ظل العثمانيون يماطلون في مسألة الاعتراف بالملة البروتستانتية بحجة عدم وجود أكثر من عشرة بروتستانت في كل الدولة العثمانية، وأن تنَصُّر بعض اليهود على المذهب البروتستانتي لا يعني وجود ملة بروتستانتية في السلطنة، وأبلغ رفعت باشا، وزير الخارجية العثمانية، هانز ألبرت فون كونجسمارك Hans Albert Von Konigsmarck، الوزير البروسي المفوض في العاصمة العثمانية، أنه لا يمكن إصدار مرسوم لصالح شيء غير موجود، وعندما حركت بريطانيا دبلوماسيتها الضاغطة في اتجاه الباب العالي، اضطر السلطان العثماني في ١٠ آذار/مارس ١٨٤٦م، إلى إصدار مرسوم لصالح البروتستانت،

1) Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant Bishop Samuel Gobat, P78-79.

سمح لهم بموجبه بحق تشكيل ملة خاصة، وتعيين وكيل عنهم، وإنشاء كنيسة لهم، وفي سنة ١٨٤٩م تم تدشين الكنيسة التي عُرفت بكنيسة المسيح"[١].

والآن جاء أوان أن نعرفك بالهدف الحقيقي من إنشاء الأسقفية البروتستانتية البريطانية البروسية في القدس، والهدف الرسمي والمعلن للأسقفية، كما علمت من وثائق تأسيسها، كان حماية البروتستانت في الدولة العثمانية، وفي فلسطين والقدس بصفة خاصة، والتبشير في القدس وبين اليهود تحديداً، من أجل تحويلهم إلى البروتستانتية.

أما الغرض الحقيقي من إنشاء الأسقفية، فتعرفه من الإشارات التي في وثائق إنشائها إلى هذا الغرض، ومن أبطال مشروع تأسيسها.

فأما هذه الإشارات، فهي نص الملك فردريك وليم الرابع في تعليماته التي كلف البارون بونزن بحملها إلى بريطانيا والتفاوض حولها، على أنه:

"**ألا ينبغي أن يكون من الأهداف السامية لرأس الكنيسة العظيمة، جلب إسرائيل إلى أرض الوعد**"[٢].

والنص في بيان إجراءات تأسيس الأسقفية في ٩ ديسمبر ١٨٤١م، الذي وقعه أسقف كانتربري والبارون بونزن، على:

"**العمل من أجل مملكة المخلص Saviour's Kingdom، ومن أجل إعادة شعب الإله العتيق إلى أرضه**"[٣].

وأما أبطال مشروع تأسيس الأسقفية وأطرافه، فهم من الجانب البريطاني الملكة فكتوريا، ووزير الخارجية بالمرستون، وإيرل شافتسبري، وجمعية يهود لندن، وأول أسقف في أورشليم مايكل سولومون ألكساندر، ومن الجانب الألماني البارون كارل بونزن، والملك فردريك وليم الرابع.

---

١) **ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٨٤-٢٨٥.**

2) The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P10.

3) The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P108.

فأما الجانب البريطاني، فقد علمت من قبل تفصيلاً موقع اليهود من بريطانيا وعقائدها، ودورهم في صناعة تاريخها وأحداثها الكبرى، وتأسيسهم لبنك انجلترا وسيطرتهم على اقتصادها، والتقيت بالملكة فكتوريا ووزير خارجيتها بالمرستون وإيرل شافتسبري وجمعية يهود لندن، وعلمتَ هويتهم ودوافعهم الحقيقية التي ينظفون الوثائق الرسمية منها ويغلفونها في السياسية والمصالح الاقتصادية.

أول أسقف بروتستانتي في الشرق حاخام يهودي:

ولم يبق من هذا الجانب البريطاني سوى مايكل ألكساندر سولومون، أول أسقف بروتستانتي في القدس وفي الشرق كله، وهو نموذج مثالي على المفارقة بين الحقيقة والدوافع الحقيقية، وبين الأغلفة التي تُغلف فيها لحجبها عن عموم البشر وتضليل التاريخ عنها، وعلى الفرق بين كيف يتم صناعة الأحداث واختيار أبطالها ومن تصدروها حقاً، وبين الصورة المزورة المنمقة والأزياء الخداعة التي يتم إلباسها لهم في الوثائق الرسمية، وعند إخراجهم على مسرح التاريخ، وأمام كاميرات المؤرخين.

فإذا رجعت إلى مرسوم الملكة فكتوريا الذي أصدرته في ٦ نوفمبر ١٨٤١م، بالموافقة على أن يقوم أسقف كانتربري برسم مايكل سولومون ألكساندر ليكون أول أسقف لكنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة في أورشليم/القدس، فستجد فيه أن الذي رشحه لهذا المقام هو أسقف كانتربري نفسه، وكانت هذه هي مؤهلات ألكساندر التي من أجلها رشحه أسقف كانتربري:

"بتواضع طلب منا أسقف كانتربري الموقر، تصريحاً ملكياً بتفويضه السلطة لرسم المبجل مايكل سولومون ألكساندر Michael Solomon Alexander، أحد رعايا بريطانيا، ليكون أسقف كنيسة انجلترا وأيرلندا الموحدة في أورشليم/القدس، وقد أثبت أسقف كانتربري جودة تعليمه وتدريبه، وزكّى كفاءته وإخلاصه ونقاء عقيدته"[١].

1) **The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, P58.**

فإليك الحقيقة المحجوبة في المرسوم خلف هذا الغلاف الرسمي من الأكاذيب، وهاك السيرة الحقيقية لأول أسقف بروتستانتي في القدس وفي الشرق كله، من كتاب: تاريخ جمعية لندن للتبشير بالمسيحية بين اليهود، ومؤلفه وليم توماس جيدني كان سكرتير الجمعية، وألف كتابه من أرشيفها ووثائقها، ومايكل سولومون ألكساندر كان من أعضاء الجمعية:

"الخطوة التالية بعد إقرار تأسيس الأسقفية، كانت اختيار الرجل المناسب لهذا المقام، وتم الاتفاق على أن أسقفية القديس جيمس Episcopate of St. James، يجب أن تكون لرجل من نسل إبراهيم A Descendant Of Abraham، ومن ثَم تم اختيار أبرز العبريين المسيحيين في انجلترا، مايكل سولومون ألكساندر، وقد وُلد سنة ١٧٩٩م، لأبوين يهوديين، في شونلانكه Schonlanke، وهي بلدة صغيرة في دوقية بوزن[*] Posen، وتلقى تعليماً وتدريباً على أدق تعاليم اليهودية الربانية Rabbinical Judaism، وفي سن السادسة عشرة أصبح معلماً للتلمود Teacher Of The Talmud، وفي سنة ١٨٢٠م، حين كان في الحادية والعشرين من عمره، قدِم إلى انجلترا، للعمل في نفس المجال، ولم يكن له إذ ذاك أدنى معرفة بالمسيحية، حتى أنه لم يكن يعرف بوجود العهد الجديد، ومعرفته بالسيد المسيح كانت تنحصر في النفور من هذا الاسم المقدس، ولضيق أحواله في لندن، انتقل للعمل مدرساً في بلدة كولشستر Colchester، حيث وقع بين يديه منشور لجمعيتنا، يدعو إلى أحد لقاءاتها، وأثار فضوله، فبدأ في قراءة العهد الجديد، وقد رشحه له كاهن كنيسة القديس بطرس في البلدة، وبعد ذلك تبوأ مايكل سولومون ألكساندر منصب الحاخام في نورويتش Norwich، ثم في بليماوث Plymouth، وفي سنة ١٨٢١م تزوج من الآنسة ليفي Miss Levy، وبعناية الرب تعرف على الموقر بي بي جولدنج B. B. Golding، كاهن كنيسة ستون هاوس Stonehouse، وقام بإعطائه دروساً في العبرية، وبعد نقاشاته معه من حين لآخر، وبعد صراع داخل نفسه، اقتنع ألكساندر أن المسيحية هي الحق، واعتاد على الذهاب في أمسيات أيام الآحاد إلى كنيسة ستون هاوس، حيث يقف بجوار الجدار، ويستمع إلى

---

[*] بوزن Posen: إقليم في غرب بولندا، يقع على نهر فارتا Warthe، وكانت جزءًا من دوقية فَرشافا/وارسو Duchy Of Warsaw في بولندا، وفي سنة ١٨١٥م، صارت دوقية بولندية تدار ذاتياً Semi Autonomous، وفي سنة ١٨٤٨م غزتها بروسيا وضمتها إليها، وهي الآن جزء من بولندا.

ترانيم الشكر المسيحي، وتسرب إلى الكُنيس ميله إلى المسيحية، فتم تعليق مهامه كحاخام، وصار يواظب على الحضور إلى الكنيسة مع الموقر جولدنج، وفي يوم ٢٢ يونيو ١٨٢٥م، تم تعميده في كنيسة القديس أندرو St. Andrew، في بليماوث، بواسطة الموقر جون هاتشارد John Hatchard، في حضور ألف شخص، وتعمدت زوجته بعد ستة أشهر في إكسيتر Exeter، وفي سنة ١٨٢٧م رسمه أسقف ماجي Magee شماساً Deacon في دبلنDublin، في وقت كان رسم مسيحي عبري حدثاً نادراً، وفي ديسمبر من السنة نفسها رسمه أسقف كيلدار Kildare كاهناً Priest، وخدم في جمعيتنا مبشراً إلى اليهود في دانزج Danzig، من سنة ١٨٢٧م إلى سنة ١٨٣٠م، وفي لندن من سنة ١٨٣٠م إلى سنة ١٨٤١م، وفي سنة ١٨٤٠م ظهر ألكساندر على رأس قائمة تضم ستين اسماً من قادة اليهود المتحولين إلى المسيحية في انجلترا، يحتجون رسمياً على تهمة الدم Blood Accusation، التي اتُهم فيها اليهود بقتل مسيحيين واستخدام دمهم في طقوس عيد الفصح، وكان بياناً لافتاً للنظر، صدر عن رجال كانوا بعِرقهم يهوداً، وعاشوا حتى نضجوا مؤمنين باليهودية ويمارسون طقوسها، وقد تبوأ ألكساندر منصب أستاذ العبرية وآداب الربانيين Rabbinical Literature، في جامعة الملك King's College، في لندن، ومن ثم صار مؤهلاً للمقام الذي تم اختياره له"[1].

وكما ترى، الرجل الذي تم اختياره ليكون أول أسقف بروتستانتي في القدس، وفي الشرق وبلاد الإسلام كلها، يُقدَم في الوثائق على أنه مسيحي بريطاني، وأن مؤهلاته لهذا المنصب إخلاصه ونقاء عقيدته وجودة تعليمه وتدريبه، بينما هو في الحقيقة حاخام يهودي من بولندا، وبعد أن تحول إلى المسيحية وصار قساً ومبشراً مسيحياً ظهر اسمه على رأس بيان يحتج على إنزال العقوبة بيهود دمشق الذين قتلوا الراهب المسيحي توما الكبوشي، والمهنة التي كان يمارسها وهو على أعتاب اختياره ليكون أول أسقف بروتستانتي في القدس والشرق، هي تدريس العبرية وآداب الربانيين اليهودية، والذي اختاره ليس أسقف كانتربري، بل جمعية يهود لندن بالاتفاق مع إيرل

1) The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews From 1809 to 1908, P208-209.

شافتسبري، واختياره لهذا المنصب كان فقط لأن أسقف أورشليم/القدس ينبغي أن يكون من بني إسرائيل!

وما يزيدك يقيناً بحقيقة الأسقفية البروتستانتية في القدس وأغراضها، أن تعلم أنه بعد وصول الحاخام مايكل سولومون ألكساندر إلى القدس، بدأ في وضع الأساسات لتشييد أسقفية، وتكوين طاقم للعمل معه، فإليك سكرتير جمعية يهود لندن يُعرفك بصفتهم:

"صار في أورشليم/القدس الآن، أسقف، وكاهن، وشماس، جميعهم عبريون في عبريين All Hebrews Of The Hebrews، ويقيمون في جبل صهيون، ووضع ثلاثة من الربانيين في أورشليم/القدس أنفسهم تحت تصرف الأسقف، وهم الربي أبراهام Abraham، والربي بنيامين Benjamin، والربي إليعازر Eliezer، وانضم اثنان آخران من الربانيين إلى كنيسة المسيح العبرية في جبل صهيون"[1].

ألمانيا والماسونية واليهود:

وأما عن الجانب الألماني في تأسيس الأسقفية البروتستانتية في القدس، فقد عرفت طرفاً من سيرة البارون بونزن ودوافعه، فإليك بقيتها، فبعد أن أصدرت الملكة فكتوريا مرسومها بالموافقة على تنصيب اليهودي مايكل سولومون ألكساندر أول أسقف بروتستانتي في القدس، في نوفمبر ١٨٤١م، أصدر ملك بروسيا فردريك وليم الرابع مرسوماً بتعيين البارون بونزن سفيراً في لندن، مكافأة له على نجاح مفاوضاته مع البريطان لإنشاء الأسقفية، وضم القساوسة والمبشرين الألمان لها وعملهم من خلالها.

وبعد أن أصبح سفير بروسيا في لندن، انضم البارون بونزن إلى جمعية يهود لندن، وتقديراً لجهوده في إنشاء الأسقفية انتخبته الجمعية نائباً لرئيسها.

---

1) The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews From 1809 to 1908, P236-237.

وإليك البارون بونزن، يخبرك صريحاً بالهدف الحقيقي والخبئ خلف إنشاء الأسقفية البروتستانتية في القدس، في رسالته التي كتبها لزوجته من لندن، يوم ١٩ يوليو ١٨٤١م:

"هذا يوم عظيم، فأنا عائد تواً من عند اللورد بالمرستون، بعد أن أرسل تعليماته إلى اللورد بونسونبي في القسطنطينية/الأستانة، بخصوص إرسال الأسقف، وسوف يبدأ خليفة القديس جيمس في مباشرة عمله في شهر أكتوبر، وهو إسرائيلي بعِرقه By Race An Israelite، ووُلد في بروسيا، ويتبع كنيسة انجلترا، وأستاذ للعبرية والعربية في جامعة الملك، وهكذا اكتملت البداية، بفضلك يا إلهي، من أجل إعادة إسرائيل For The Restoration Of Israel"[١].

وأما ملك بروسيا فردريش فيلهلم/فردريك وليم الرابع، وحماسته وعمله من أجل إنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس، لتكون أداة إعادة اليهود إلى فلسطين، وقبوله أن تكون كنيسة بروسيا تحت جناح كنيسة انجلترا، فقد كانت ثمرة المزيج نفسه الذي صنع موقف بريطانيا من اليهود عبر القرون، ودفعها للعمل على إنشاء القنصلية والأسقفية، وهو المزيج الذي تختلط فيه عقيدة إعادة اليهود إلى أرضهم المقدسة وإقامة دولتهم حول أورشليم/القدس، لتكتمل مقدمات عودة المسيح ومجيئه الثاني، واتباع اليهود له حينئذ على أنه الهامشيحاه الذي ينتظرونه، بسيطرة اليهود على البنوك والتجارة في بروسيا وألمانيا كلها، وبتغلغل الماسونية والحركات السرية بين النخبة الحاكمة والطبقات العليا في بروسيا.

فأما الحركات السرية والماسونية، فهي أعرق في ألمانيا من انجلترا، وألمانيا مع إيطاليا كانت المحطة التي تمركزت فيه الحركات السرية بعد الحروب الصليبية، قبل أن تستوطن انجلترا واسكتلندا والعالم الجديد.

وظهور الدولة البروسية نفسها التقت فيه الحركات السرية مع البروتستانتية، وكان من آثار تنظيم الألمان من أتباع السيدة مريم العذراء في أورشليم Ordo Domus Sanctæ Mariæ

---

1) A Memoir Of Baron Bunsen, Drawn Chiefly From Family Papers By His Widow, Vol. I, P608-609.

Hierosolymitanorum Theutonicorum، والمعروفة تاريخياً باسم التنظيم الألماني Deutscher Orden، أو منظمة فرسان التيوتون Teutonic Order، وهي في ألمانيا وشمال أوروبا نظير فرسان الهيكل في غربها.

وقد أُنشأت المنظمة في الأرض المقدسة تحت غلاف مساعدة الحجاج الصليبيين وإسعاف المرضى وعلاج الجنود ثم تحولت إلى منظمة عسكرية، وكان مقرها في عكا، ومع نهايات الحروب الصليبية، انتقل نشاط المنظمة الرئيسي إلى أوروبا، فقامت بغزو أراضي بروسيا وأبادت سكانها وأحلت محلهم قبائل جرمانية موالية لها، ثم كونت المنظمة دولة شاسعة في شمال أوروبا تعرف بدولة فرسان التيوتون، وامتدت من بحر البلطيق إلى بحر الشمال، وكانت تضم ما يعرف الآن بجمهوريات البلطيق وبولندا وأجزاء واسعة من روسيا والسويد والدنمرك والأجزاء الشمالية من ألمانيا حتى وسطها.

وفي سنة ١٥٢٢م تحول الأستاذ الأعظم للمنظمة ألبريخت فون براندنبورج Albrecht Von Brandenburg إلى البروتستانتية واستقل بإمارة بروسيا وحوَّلها إلى مملكة تحكمها أسرته، وهي أسرة هوهنزلرن Hohenzollern التي ظلت تحكم الإمبراطورية الألمانية بعد توحيد إماراتها إلى قيام الحرب العالمية الأولى.

ومثل فرسان الهيكل، كان التنظيم الألماني أحد روافد الماسونية، ويقول مؤرخ الماسونية والماسوني من الدرجة ٣٣ ألبرت ماك كي Albert Mackey في الموسوعة الماسونية Encyclopedia of Freemasonry إن:

"الماسونية تنحدر تاريخياً من ثلاث منظمات عسكرية، هي منظمة فرسان الهيكل Knights Templar، ومنظمة إسعاف القديس يوحنا Knights Hospitalars، أو منظمة فرسان مالطا Knights Of Malta، وفرسان التيوتون Teutonic Knights"[1].

وفي القرن الخامس عشر تكونت حركة الروزيكروشيان أو الصليب الوردي Rosicrucian، وبدأت نشاطها من أديرة ألمانيا وكنائسها، وفي التوقيت نفسه ظهر مارتن لوثر وتكونت

---

1) Albert Mackey: Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, P536, A New And Revised Edition, Puplished By The Masonic History Company, New York And London, 1914.

البروتستانتية، والروزيكروشيان توأم الماسونية، ولكنها أكثر انغلاقاً وأقل شهرة منها، ومن ألمانيا انتقلت إلى انجلترا وتوطنت فيها.

ومنظمة الإليوميناتي Illuminatenorden تأسست في القرن نفسه في بافاريا الألمانية، وحين اكتُشف أمر المنظمة حظي مؤسسها آدم فيسهاوبت Adam Weishaupt بحماية إرنست الثاني دوق ساكس جوتا Ernst II, Ludwig Von Sachsen Gotha، الأستاذ الأعظم لمحفل لاندز الأعظم للماسون في ألمانيا Große Landesloge Der Freimaurer Von Deutschl، وكان إرنست الثاني قد انضم بمحفله إلى منظمة الإليوميناتي وصار عضواً فيها سنة ١٧٨٣م.

وأسرة ساكس جوتا هي إحدى رافدين تكونت بالتقائهما أسرة ساكس كوبرج جوتا Sachsen Coburg Und Gotha، وهي الأسرة الملكية في بريطانيا وبلجيكا.

وإسقاط الملكية في فرنسا اتفقت عليه الحركات السرية في أوروبا في مؤتمرها في فرانكفورت سنة ١٧٨٦م، وخطة الثورة وترتيباتها وُضعت في محافل منظمة الإليوميناتي ومحافل طقس الفرسان في ألمانيا وليس في فرنسا.

والقادة الحقيقيون للثورة اثنان من قادة الإليوميناتي، هما المركيز بوده Bode والبارون دي بوشيه De Basche، اللذان تم إرسالهما من ألمانيا إلى مركز الحركة الثورية في محفل الأصدقاء المتحدين L'Amis Ruines في باريس، قبل اندلاع الثورة ببضعة أشهر، للإشراف على الترتيبات النهائية للثورة.

وفي القرن الثامن عشر كان ملك بروسيا فردريش الثاني/فردريك العظيم Frederick The Great، الجد الأكبر لفردريك وليم الرابع، هو الراعي للحركات السرية في أوروبا كلها، وصارت ألمانيا في عهده قبلتها ومركز نشاطها، فهاك سيرته في الماسونية، من موسوعة ماك كي الماسونية:

"طبقاً لتقرير البارون فون بيلفيلد Von Bielfeld، الذي كان صديقاً حميماً لفردريك الرابع، تم تكريس فردريك العظيم في الماسونية، في برونشفيك Brunswick، ليلة ١٤ أغسطس ١٧٣٨م، قبل أن يصعد إلى العرش بسنتين، وتم منحه الدرجة تحت سلطة محفل

هامبورج، وبعد أن صعد فردريك إلى العرش، وفي ٢٠ يونيو ١٧٤٠م، أسس محفلاً ملكياً في كارلوتنبرج Charlottenburg، وصار أستاذه الأعظم، وقام بتكريس أخيه الأمير وليم، وفي ١٦ يوليو ١٧٧٤م، صادق على اتفاقية رسمية مع محفل انجلترا الأعظم Grand Lodge Of England، بمقتضاها تم تأسيس محفل ألمانيا الأعظم National Grand Lodge Of Germany، ثم وضعه تحت حمايته، وفي ١٤ فبراير ١٧٧٧م احتفل محفل الصداقة الملكي في برلين Royal York Of Friendship، بعيد ميلاد الملك فردريك الرابع، وألقى الملك كلمة أكد فيها علاقته الحميمة بالماسونية وحمايته لها، فقال: "لا يمكنني التعبير عن مشاعري تجاه ما أبداه محفل الصداقة الملكي من حماسة وارتباط بشخصي، والجمعية التي توظف نفسها من أجل غرس بذور الحب ونشر الفضائل في مملكتي سوف تكون دائماً قريبة إلى قلبي وتحظى برعايتي"[١].

وكما ترى، الحلف بين الكنائس البروتستانتية في ألمانيا وانجلترا، سبقه حلف أعرق وأوثق بين محفل انجلترا الأعظم ومحفل ألمانيا الأعظم، وفردريك وليم الرابع وضع كنيسة ألمانيا تحت جناح كنيسة انجلترا، متأسياً بجده فردريك العظيم الذي عقد مع محفل انجلترا الأعظم اتفاقية، أسس بها محفل ألمانيا الأعظم، وجعله فرعاً منه، وسلطته الماسونية من سلطته.

وملك بروسيا فردريك وليم الثالث Frederick William III، كان حامي الماسونية ومحافلها في بروسيا، وابنه فردريك وليم الرابع مثله، وإبان اعتلائه عرش بروسيا:

"كان أخوه وولي عهده فيلهلم/وليم الأول Wilhelm I، الأستاذ الأعظم للماسون في برلين، وعضواً شرفياً في محفل اسكتلندا الأعظم Grand Lodge Of Scotland، وبعد أن خلف أخاه فردريك وليم الرابع على عرش بروسيا، سنة ١٨٦١م، وضع الماسونية فيها تحت حمايته، وبعد أن أصبح أول إمبراطور لألمانيا، سنة ١٨٧١م، صار حامي الماسونية في الإمبراطورية الألمانية كلها، وجميع محافلها تحظى برعايته"[٢].

---

1) Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, P279-280.
2) 10,000 Famous Freemasons, Vol. IV, P325.

وأما القوة الدافعة الثانية خلف تحريك فردريك ولـيم الرابـع، للعمل علـى إنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس، تكون مهمتها الأولـى جلب اليهود إلـى الأرض المقدسة وحمايتهم وتمكينهم فيها، في غلاف أنها تسعى إلى تنصيرهم، وهي سيطرة اليهود على المال والتجارة والبنوك في بروسيا وألمانيا كلها، فيقول دكتور عبد الرؤوف سنّو:

"تمتعت الرأسمالية اليهودية بامتيازات خاصة، في حقول النشاطات الصناعية والمالية واستثمار الأراضي، وذلك تقديراً لدعمها المالي للدولة البروسية ضد النمسا وروسيا خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦م-١٧٦٣م)، وما أن حل القرن التاسع عشر حتى كانت الرأسمالية اليهودية الألمانية قد رسخت نفسها في شتى المرافق الاقتصادية، ففي مجال النشاطات المصرفية، امتلك اليهود الألمان منذ بداية القرن التاسع عشر ٣٠ مؤسسة مصرفية في برلين من أصل٥٢ مؤسسة، وعندما تأسست أول بورصة في برلين، كان خمسة من أصل تسعة من الشخصيات الموقعة على أول جداول أسعارها من اليهود، وفي سنة ١٨٣٧م بلغت حصص رجال المصارف اليهود في شركة خطوط حديد الراين الثلثين، وفي مقاطعات أخرى من ألمانيا، مثل بافاريا وهِسن وهامبورج، لم يكن الوضع أفضل مما كان عليه من بروسيا بالنسبة إلى تموضع الرأسمال اليهودي"[١].

وما لم يخبرك به دكتور عبد الرؤوف سِنّو، هو أن الذين مولوا ملك بروسيا فردريك العظيم في حرب السنوات السبع، هم بيت مال اليهودي دانيال إتزج Daniel Etzeg، من الألزاس في فرنسا، وبيت مال اليهودي موكاتا Mocatta في لندن، فإذا رجعت إلى كتابنا: اليهود والماسون في الثورات والدساتير، ستجد أنهم، مع بيت مال أسرة مونتفيوري الذين ستلتقي بهم عما قليل، هم أنفسهم الذين مولوا ثورة الماسون في فرنسا، سنة ١٧٨٩م.

وفي دراسته: النخبة الاقتصادية اليهودية الألمانية The German Jewish Economic Elite, 1900 – 1933، التي نشرها في مجلة تاريخ الأعمال Journal Of Business

---

١) **ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٨٧-٢٨٨.**

History، يقول الباحث في جامعة ترير Trier الألمانية، باول وِندولف Paul Windolf ، إن:

"النخبة اليهودية الألمانية كونت خلال القرن التاسع عشر شبكة واسعة ومتماسكة من الشركات والبنوك، تمكنت من الاستحواذ على رأس المال في المجتمع To Accumulate Social Capital، وكثافة اليهود في هذه الشبكة كانت أكبر بصورة واضحة من غير اليهود، خصوصاً في مجال البنوك ... وهذه البنوك اليهودية لعبت دوراً كبيراً في تمويل مد خطوط السكك الحديدية، وعبر شبكة علاقاتها العابرة للقوميات، قامت بتوفير القروض للدولة من مراكز التمويل الأجنبية في لندن وباريس"[١].

وهذا هو تفسير سيطرة اليهود على الاقتصاد الألماني في القرن التاسع عشر، وكيف استحوذوا على رؤوس الأموال:

"وهذه السيطرة والاستحواذ سببها ارتفاع نسبة التعليم بين الأقلية اليهودية، وخصوصاً ارتفاع نسبة التعليم الجامعي والدرجات العلمية، بين اليهود من أعضاء النخبة الاقتصادية الألمانية مقارنة بغير اليهود، وقد توصل سابل Supple، في دراسته عن بنوك الاستثمار اليهودية الألمانية في القرن التاسع عشر، إلى أن هذه البنوك كانت تترابط فيما بينها، ليس فقط بعلاقات العمل، بل وأيضاً عبر التحالف بالزواج والمصاهرة، فأغلب اليهود مالكي البنوك كانوا عائلات تتزاوج داخل دائرة مغلقة عليها، وتاريخياً تعود سيطرة هذه العائلات اليهودية على الاقتصاد الألماني إلى تغلغل يهود البلاط Court Jews في بلاط الأمراء في مختلف المقاطعات الألمانية، وسيطرتهم على تجارة الحُلي والمجوهرات، وتوفير الكماليات للطبقات الحاكمة والأسر النبيلة، وكثير من البنوك في ألمانيا ينحدر مؤسسوها من يهود البلاط، ومنها

---

1) Paul Windolf: The German Jewish Economic Elite 1900 – 1933, Journal Of Business History, Vol. 56, No. 2, 2011, P140, 142.

بنك مندلسون Mendelssohn، في برلين، وبنك فاربورج Warburg، في هامبورج، وبنك روتشيلد Rothschild في فرانكفورت"[١].

وأما الضلع الثالث في مثلث دوافع ملك بروسيا لإنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس، وهو في الحقيقة الجذر العميق الذي تتفرع منه الدوافع الأخرى وتلتقي فيه، فهو الاعتقاد في أن عودة المسيح مرهونة بإعادة اليهود إلى فلسطين واستعادتهم للقدس والهيكل، ومن ثم ضرورة العمل من أجل ذلك، وقد رأيتها في تعليمات فردريك وليم الرابع إلى البارون بونزن، وهو يرسله إلى انجلترا، التي نص فيها على أنه ينبغي أن يكون من مهام الكنائس البروتستانتية: "**جلب إسرائيل إلى أرض الوعد**".

وبعد الاتفاق على تأسيس الأسقفية البروتستانتية في القدس، أصدر فردريك وليم الرابع تعليمات بتوفير الظروف المناسبة ودعم هجرة اليهود من بروسيا إلى فلسطين، ووضع شرطاً لذلك، وهو أن يتحول اليهودي إلى المسيحية البروتستانتية قبل السماح له بالهجرة، إلا أنه كان شرطاً ظاهرياً أو غلافاً فقط، وليس مانعاً حقيقياً، كما يخبرك دكتور عبد الرؤوف سِنّو نقلاً عن المؤرخين الألمان المعاصرين لحكم فردريك وليم الرابع:

"**فلم يحاول الساسة البروسيون أن يضعوا العقبات أمام ذهاب اليهود المُنصَّرين إلى فلسطين كيهود وليس كألمان، واحتفاظهم بقوميتهم اليهودية، ويعلق هينريش أبكن Heinrich Abeken، الذي أرخ لتأسيس المطرانية/الأسقفية، وكان مقرباً من الملك، على ذلك بالقول: "إنه تقرر أن يُرسَل اليهود إلى فلسطين كأمة يهودية" ... وكلفت الحكومة البروسية كونجسمارك، الوزير البروسي المفوض في الأستانة، دراسة إمكانية الاستعمار في ممتلكات الدولة العثمانية، وفي تقرير له في السادس من تشرين الأول/أكتوبر ١٨٤١م اقترح كونجسمارك إنشاء منظمة تأخذ على عاتقها مهمة تسفير الألمان الراغبين في الاستيطان في الدولة العثمانية، وتوطينهم في مستعمرات، ومع أن الوزير لم يذكر فلسطين بالاسم كمنطقة للاستيطان، إلا أنها كانت في صلب السياسة الاستعمارية، ورأى كونجسمارك أن يتم تشجيع**

---

1) The German Jewish Economic Elite 1900 – 1933, Journal Of Business History, Vol. 56, No. 2, 2011, P140 -141.

الفقراء من الألمان واليهود على الهجرة إلى الدولة العثمانية، وأن ذلك سيحقق ثلاثة أهداف: نشر الحضارة في منطقة استيطان الألمان، وتوطين الألمان الفقراء، وازدهار التجارة والمصنوعات البروسية"[١].

ونراك وأنت تقرأ تهمس لنفسك وأنت تعبث بشعرك: هذا الكلام عن إعادة اليهود إلى فلسطين وتكوين مستوطنات ومستعمرات منهم، من أجل التقدم ونشر الحضارة فيها، وازدهار الصناعة والتجارة، قد مر عليّ من قبل.

ونقول لك: برافو! فقد مر عليك من قبل نسختان طبق الأصل من هذا الكلام، إحداهما بريطانية والأخرى فرنسية، وها هي الثالثة الألمانية، وكل بلد منها استوطنه اليهود وامتلكوا زمامها بالتجارة والمال والمؤسسات النقدية، واستوطنوا عقلها ونفسها ببث عقيدة إعادة اليهود إلى فلسطين شرطاً في مجيء المسيح الثاني، والتقاء اليهود مع المسيحيين عند هذا المجيء، وبالحركات السرية والماسونية التي يدور كل شيء فيها حول اليهود وغايتهم، كل بلد منها تحول إلى ركوبة يمتطيها اليهود إلى فلسطين، في غلاف أن ذلك سيصنع لها امتداداً في الشرق، وينشر حضارتها، ويكون سبباً في ازدهار صناعتها وتجارتها، ويمنحها القوة في مواجهة خصومها ومنافسيها من الدول الأوروبية الأخرى، حتى إذا وصل اليهود فعلاً إلى فلسطين وتمكنوا منها وأقاموا دولتهم الموعودة، رحلت مطاياهم جميعها عن الشرق، وعاد كلٌ منهم إلى حظيرته، وهذا كما أخبرناك هو موجز تاريخ الغرب الحديث.

وبعد ذلك يبقى اليهود في الشرق، الذي فككته إمبراطوريات الغرب الماسونية، وصنعت دوله وخريطته التي تراها أمامك لتكون محضناً لمشروع اليهود ودولتهم، ثم تأكلها وتتمدد على حسابها، إلى أن يكتمل المشروع اليهودي بإقامة الهيكل، وهذا هو موجز تاريخ بلاليص ستان.

وهاهنا نريدك أن تركب آلة الزمان، وتعود إلى زمان تأسيس القنصلية البريطانية والأسقفية البروتستانتية في القدس، وتنتبه إلى أن كل ما فعله أول الآتين من الخلف وابنه في الشام، وما فعلته بريطانيا وفرنسا وألمانيا، كما رأيت، كان يدور حول اليهود ومن أجل مشروع إعادتهم إلى

---

١) ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص٢٩٢,٢٩٣.

فلسطين وإقامة دولتهم، وبعض أبطال المشروع كانوا من اليهود أنفسهم، ومع ذلك إذا عدت الى ذلك الزمان، أو كنت من أهله، فلن ترى يهودياً في مسرح الأحداث، ولن تجد في وثيقة ولا اتفاقية ذكراً لليهود، ولا أن ما يحدث ويدبر من أجلهم ومن أجل استيطانهم لفلسطين وإقامة دولتهم، وحتى اليهود الذين قابلتهم في مسيرتك معنا، من طراز الحاخام اليهودي الذي أصبح أول أسقف بروتستانتي في القدس وفي الشرق كله، فلن تراهم وتعرف عنهم في ذلك الزمان سوى أنهم مسيحيون متدينون وبروتستانت متحمسون لنشر عقيدتهم ومذهبهم واقامة كنيسة لها في الأرض التي يقدسها المسيحيون، فلم تكن لتفطن إذا وُجدت في ذلك الزمان وكنت أمياً إلى أن ما يحدث له صلة باليهود من بعيد أو قريب.

وأما ما نبهناك إلى ذلك من أجله، فهو أن تفطن منه إلى صلة ما يدور في زمانك، زمان ثالث الآتين من الخلف، وما تشهده فيه من أحداث في بلاليص ستان من خليجها السائم إلى محيطها الهائم، باليهود والخطوة التالية في مشروعهم، ألا وهي تمديد دولتهم وإقامة هيكلهم، لكي لا تكون كالأميين في بلاليص ستان الذين لا يدركون صلة ما يحدث باليهود، بل ويتندرون على من يفطن إلى ذلك وينبههم إليه، لأن الحدث عند هؤلاء الأميين البقر لا يكون له صلة باليهود، إلا إذا رأوا في صدارته يهوداً بزي الحاخامات، وشاهدوا وثائقه مختومة بنجمة داوود.

المستوطنة الأولى

موشيه مونتفيوري:

والمستوطنة اليهودية الأولى في فلسطين، فكرة ومحاولة ومشروع حاز شرف التخطيط له والاتفاق عليه مناصفة، اليهودي البريطاني موشيه مونتفيوري، وأول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود في اليونان العثمانية محمد علي باشا، ليس بالحيل المموهة وتهيئة الظروف والأوضاع لإنشاء هذه المستوطنة، بل بالموافقة الصريحة عليها.

وموشيه مونتفيوري، من أسرة من يهود السفارديم من البرتغال، هاجرت في القرن السادس عشر إلى إيطاليا، واستوطنت بلدة مونتفيوري Montefiore، ثم انتقلت منها إلى بلدة لجهورن Leghorn، وصارت إحدى الأسر اليهودية المسيطرة على التجارة في إيطاليا، ويقول المؤرخ اليهودي الإنجليزي لوسيان وولف Lucien Wolf، في سيرته لمونتفيوري، إنه:

حين أصدر البابا بيوس الخامس Pius V، مرسوم إخراج اليهود من المناطق البابوية Bull Hebraeorum Gens، استثنى يهود أنكونا Ancona، لكي لا تنهار التجارة في شرق إيطاليا وبحر الأدرياتيك، والتي كانت بأكملها في أيدي اليهود، وخلال القرن السابع عشر كان أماديو مونتفيوري Amadio Montefiore، وإسماعيل مونتفيوري Ismael Montefiore، كما يظهر في سجلات الكُنيس، من قادة اليهود في أنكونا"[١].

وفي سنة ١٧٥٢م، تزوج موشيه حاييم مونتفيوري، أو مونتفيوري الكبير Moses Chaim Montefiore، من إستر Ester، ابنة مسعود راكاح Massahod Racah، وهو تاجر من المغرب، يعمل بالتجارة في إيطاليا، ثم هاجر هو وزوجته سنة ١٧٨٥م إلى بعض أقارب زوجته في انجلترا، ليعمل معهم في التجارة بينها وبين إيطاليا.

---

1) **Lucien Wolf: Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p2-3, John Murray, Albemarle Street, London, 1884.**

وفي سنة ١٧٨٣م، تزوج جوزيف إلياس Joseph Elias، ابن موشيه مونتفيوري الكبير من راشيل Rachel، ابنه أبراهام موكاتا Abraham Mocatta، وهو من أسرة يهودية مغربية، وأحد كبار التجار وأصحاب بيوت المال في لندن، وفي سنة ١٨٨٤م، وُلد أول أبنائهما موشيه مونتفيوري، الذي حاز شرف التخطيط لأول مستوطنة يهودية في فلسطين مناصفة مع أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية.

وفي سنة ١٨١٢م تزوج موشيه مونتفيوري، من جوديث Judith، ابنة ليفي بيرنت كوهين Levy Barent Cohen، بينما تزوجت أختها حنا Hannah، من ناتانيل روتشيلد Nathan Rothschild، وتزوج أبراهام أخو موشيه مونتفيوري من هنرييت، اخت ناتانيل روتشيلد Henrietta Rothschild، ثم تزوجت لويزا Louisa، ابنة أبراهام مونتفيوري من ابن خالها أنتوني روتشيلد Anthony De Rothschild(١).

وليفي بيرنت كوهين، صهر أسر موكاتا ومونتفيوري وروتشيلد، من أسرة من يهود السفارديم استوطنت هولندا، وأبوه بيرنت كوهين Barent Cohen كان حاخام أمستردام، وكان ليفي بيرنت كوهين صاحب بيت مال في انجلترا، وأصهاره جميعاً كانوا مثله من التجار والمرابين أصحاب بيوت المال والبنوك، وهو في الوقت نفسه جد حاييم هيرشل مُردخاي Chaim Hirschel Mordechai، الذي هو كارل ماركس مؤسس الشيوعية!

وقبل زواجه، سنة ١٨١٠م، كان موشيه مونتفيوري قد التحق بوحدات المشاة الملكية The Royal Surrey Militia، في الجيش البريطاني، وهي قوات رفيعة المستوى، لأداء المهام الخاصة، وظل فيها أربع سنوات.

وبعد أن ترك الفوج الملكي، عمل بالتجارة مع أصهاره من أسرة موكاتا وشركائهم من أسر جولدسمد Goldsmid، وميسرز Messrs، في شركتهم التي كانت تعمل في جلب سبائك الذهب والفضة، وتجارة الحلي والمجوهرات.

---

1) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals,p13-14.

وفي سنة ١٨١٦م، حصل له أخواله من أسرة موكاتا على تصريح بالعمل في قلب مدينة لندن City Of London، فصار موشيه مونتفيوري أحد اثني عشر يهودياً يمتلكون تصاريح العمل داخل مدينة لندن الصغرى، فكون مع أخيه أبراهام شركة للعمل في بورصة الأسهم والأوراق المالية Stock Exchange[1].

ومدينة لندن الصغرى City Of London، حي في قلب مدينة لندن الكبرى، وهو مركز المال والبنوك والبورصة والتجارة وشركاتها، وفي القرن التاسع عشر كان القلب المسيطر على حركة المال والتجارة في بريطانيا وأوروبا كلها، ومقاليد بريطانيا الحقيقية في يد من يحكمونه، وحي مدينة لندن يحكمه مجلس يديره ذاتياً ولا يتبع الحكومة البريطانية، هو مجلس عمدة حي مدينة لندن وعموم سكانه ومواطنيه Mayor And Commonalty And Citizens Of The City Of London، الذي يتكون من خمسة وعشرين شخصاً، ويرأسه عمدة الحي Lord Mayor of London، الذي يتم انتخابه من بين الشرفاء الاثنين المسؤولين عن حفظ الأمن والنظام في الحي Sheriffs، والشرفاء أنفسهم يتم انتخابهم سنوياً بواسطة الشركات وروابط التجار وأصحاب البنوك العاملة في الحي Livery Companies Of The City Of London.

وفي سنة ١٨٣٧م تم انتخاب موشيه مونتفيوري شريفاً لحي مدينة لندن، ومع الوقت توسعت أعماله، وصار أحد أغنى اليهود في بريطانيا، فأسس شركة للتأمين Alliance Insurance Company، والرابطة الإمبرطورية لتجارة الغاز Imperial Continental Gas Association، وشركة لتجارة الحرير في المستعمرات Colonial Silk Company. واشترك في تأسيس بنك أيرلندا Bank Of Ireland، وكان أحد أعضاء هيئة إدارته[2].

وفي يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٣٧م، ولم يكن قد مر على اعتلاء الملكة فكتوريا للعرش خمسة أشهر:

---

1) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals,p19.
2) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals,p25-26.

"زارت الملكة مدينة لندن (الحي)، ومنحت الشريف مونتفيوري، وسام الفارس Knight، فأصبح السير موشيه مونتفيوري، وكان أول يهودي صريح اليهودية Conforming Jew (ليس من اليهود الأخفياء) يحوز هذا الشرف، وكان مونتفيوري يعرف الملكة فكتوريا قبل أن تعتلي العرش، كما كان صديقاً لدوق سوسيكس Duke Of Sussex، عم الملكة، وكان سموه يبدي اهتماماً كبيراً باليهود ويتعاطف معهم"[1].

فأما دوق سوسيكس، فهو الأمير أوجستس فردريك Augustus Frederick، أصغر أبناء الملك جورج الثالث George III، وكان يبدي اهتماماً كبيراً باليهود ويتعاطف معهم، لأنه كما علمتَ من قبل، أول أستاذ أعظم من الأسرة المالكة البريطانية لمحفل انجلترا الأعظم، بعد التحالف بين الأسرة والمحفل سنة ١٨١٣م.

وموشيه مونتفيوري كان صديقاً لدوق سوسيكس، لأنه ماسوني، وفي سنة ١٨١٢م، وهو يخدم في الفوج الملكي في الجيش البريطاني:

"انتسب موشيه مونتفيوري إلى الماسونية، وأصبح عضواً في محفل موارا رقم: ٩٢ Moira Lodge No. 92، في لندن، واحتفاءًا ببلوغه الثمانين، تم تأسيس محفل باسمه، سنة ١٨٦٤م، وهو محفل مونتفيوري رقم: ١٠١٧ Montefiore Lodge No. 1017، في لندن، وفي سنة ١٨٨٨م تم تأسيس محفل آخر باسمه، هو محفل مونتفيوري رقم: ٧٥٣ Montefiore Lodge 753، في جلاسجو Glasgow"[•]،[2].

وأما علاقة مونتفيوري بالملكة فكتوريا قبل اعتلائها العرش، فيقول عنها مونتفيوري نفسه، في يومياته هو وزوجته، التي جمعها وحررها المؤرخ والمستشرق اليهودي البروسي لويس لويفه

---

1) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p62.

•) في سنة ١٩٩٦م، تم تأسيس محفل في تل أبيب، يتبع محفل إسرائيل الأعظم، باسم موشيه مونتفيوري، وهو محفل مونتفيوري للأساتذة رقم: ٧٨ Montefiore Lodge of Installed Masters 78.

2) 10,000 Famous Freemasons, Vol.III, P216.

Louis Loewe، عضو الجمعية الملكية الآسيوية، وأحد رفقاء مونتفيوري في رحلاته إلى الأرض المقدسة، إنه كان يملك قصراً تحيط به حدائق في بلدة رامسجيت Ramsgate، المطلة على البحر في مقاطعة كِنت، جنوب شرق انجلترا، وكان ينتقل للإقامة فيه بضعة أشهر كل سنة، وفي يوم ٢٩ سبتمبر ١٨٣٥م، حضرت إلى البلدة دوقة كِنت وابنتها الأميرة فكتوريا، للاستجمام في قصر دوق كِنت المجاور لضيعة مونتفيوري، فتم ترتيب موكب لاستقبالهما خارج البلدة، وأشرف على ترتيبه وترأسه نائب البلدة في البرلمان وموشيه مونتفيوري، ورافقا الموكب سيراً على الأقدام، ثم استقبلتهما الدوقة في قصرها لشكرهما.

وفي اليوم التالي:

"تطوع السير موشيه، فأرسل مع السير جورج كوروني John Conroy مفتاح الباب الذي يفضي إلى ضيعته إلى سمو دوقة كِنت، لكي تتمكن هي والأميرة فكتوريا من الدخول إلى حدائقه البديعة والمنسقة بعناية، ومع إعجاب الدوقة بالحدائق وتكرار زيارتها مع الأميرة لها، أمر مونتفيوري بفتح باب بين حدائقه وقصر الدوقة، لكي تتمكن من دخولها بسهولة ومتى شاءت، وأرسلت له الدوقة رسالة مع السير كوروني، تقول له فيها إن: "سموها ممتنة إلى أقصى درجة لاهتمامه براحتها وفتحه مدخلاً إلى حدائقه الرائعة من جهة قصرها"[1].

وإبان حياته التي تخطت المائة سنة بسنة، زار مونتفيوري الأرض المقدسة/فلسطين سبع مرات، كانت أولاها سنة ١٨٢٧م، وهو في الثالثة والأربعين، وآخرها كانت سنة ١٨٧٥م، وهو في الحادية والتسعين من عمره.

ويقول المؤرخ اليهودي البريطاني لوسيان وولف، إن موشيه مونتفيوري ورث الاهتمام بالأرض المقدسة، والعمل على بعث اليهود كأمة، عن جده لأمه أبراهام موكاتا، وكان مونتفيوري يتنقل في مختلف نواحي بريطانيا لتفقد التجمعات اليهودية، ويعمل على تحسين أحوالها بهباته لها

1) Louis Loewe: Editor: Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P96, Belford Clarke Co., Chicago, 1890.

وبإقامة المدارس والمستشفيات ومؤسسات الرعاية، وفي سنة ١٨٤٠م، تم انتخابه رئيساً لمجلس وكلاء اليهود البريطان Board Of Deputies Of British Jews.

مونتفيوري وأول الآتين من الخلف والمستوطنة الأولى:

وزيارة مونتفيوري وزوجته الأولى لفلسطين، بدأها من لندن في بداية شهر مايو ١٨٢٧م، وكان دافعها الوحيد، كما يقول محرر يومياته، المؤرخ اليهودي البروسي لويس لويفه:

"رغبتهما في زيارة الأرض المقدسة ورؤية أورشليم/القدس، التي يرتبط بها الجنس اليهودي بروابط عديدة، وذكراها واسمها المحبوب يترنم به يومياً في صلاته كلُ إسرائيلي حقيقي Every True Israelite"[١].

وبعد اثني عشر يوماً مرا فيها خلال فرنسا ومالطا، وصل مونتفيوري وزوجته إلى الإسكندرية، ومنها إلى القاهرة عبر النيل، يصاحبهما قنصل بريطانيا، هنري سولت Henry Salt، وزاروا معاً الأهرامات، وفي يوم ٥ سبتمبر ١٢٧م كان اللقاء الأول بين اليهودي مونتفيوري وأول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، في حضور قنصل بريطانيا ووكيله مالتاس Maltass، الذي تولى الترجمة بينهما، وقد وصف مونتفيوري اللقاء في يومياته هكذا:

"استقبلنا الباشا بحفاوة، وقدم لنا القهوة، وكان غليونه/البايب مرصعاً بالجواهر، واستمر الحديث بيننا لثلاثة أرباع ساعة، حول مشروعاته في مصر[٢] ... وقد وضع هذا اللقاء أسس صداقة دائمة بينهما Lasting Friendship، وتوافق محمد علي مع ضيفه اليهودي لدرجة أنه عرض عليه أن يكون وكيله في انجلترا"[٣].

وبعد أن تعطل مونتفيوري وزوجته عدة أسابيع بسبب اندلاع الحرب العثمانية اليونانية، ركبا سفينة من الإسكندرية، وقد استبدلت زوجته بزيها الأوروبي زياً تركياً/مسلماً وارتدت الحجاب، فوصلا يافا يوم ١٦ أكتوبر، ورفض متسلمها العثماني السماح لجميع الأوروبيين بالنزول إليها،

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P96.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P38.
3) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p35.

وتوسط قنصل بريطانيا وتمكن من الحصول على إذن خاص لمونتفيوري وزوجته، فواصلا الرحلة إلى رام الله، ومنها إلى القدس، وفي مساء يوم الأربعاء ١٧ أكتوبر ١٨٢٧م:

"وصل سير موشيه وزوجته إلى أورشليم/القدس، وحين رأوها بكوا وتحسروا على خرابها، كما يبكي المنكوب على فقد أعزائه، ثم صلوا شاكرين الإله أن وفقهما في تحقيق الهدف الغالي من رحلتهم، والوصول إلى أورشليم/القدس، ثم نزلا في بيت المستر جوزيف أمزالاك Joseph Amzalak، في الحي اليوناني/الرومي، وزارهما الربي موشيه سوزين Moses Soozin، حاخام العبريين الإسبان/السفارديم، والربي مندل Mendel، حاخام العبريين الألمان/الأشكناز، ثم ذهب مونتفيوري وزوجته لزيارة أحجار أساس الهيكل القديم، التي تسمى الحائط الغربي (حائط البراق) Western Wall، وقاما بالصلاة عنده، شاكرين الإله مرة أخرى أن وفقهما إلى رؤية الأرض الموعودة، وصعد مونتفيوري وزوجته إلى سطح منزل لكي يمكنه أن يرى منه بوضوح مسجد عمر (المسجد الأقصى)، الذي بُني مكان هيكل سليمان، وزارا قبر راحيل، ثم زارا المقبرة القديمة، وأخذ مونتفيوري حفنة من ترابها المقدس Terra Santa، ليعود بها إلى انجلترا، وتبرع لعائلات اليهود الإسبان والألمان والبولنديين، وأرسل تلسكوباً قيماً وهدية نفيسة إلى حاكم القدس، على أمل أن يكون ذلك سبباً في ترفقه باليهود في المستقبل، وفي يوم ٢١ أكتوبر غادر مونتفيوري وزوجته أورشليم/القدس، وكان في وداعهما حاخام الإسبان وحاخام الألمان مع المئات من اليهود"[١].

ومرة أخرى ننبهك إلى الفحوى الحقيقية الملفوفة فيما قرأته، وهي أنه بينما كان يهود الغرب يعملون على بعث اليهود كأمة، وإحياء الروابط العقائدية بينهم، ويتواصلون مع يهود الشرق، ويتأهبون لبذر بذور مشروعهم فيه، كان أول الآتين من الخلف يتأهب لإكمال عملهم، وتمهيد الشرق لكي يكون محضناً لهم ولمشروعهم، بإعداد العدة وبناء جيش لتفكيكه، وقطع روابط الإسلام بين شعوبه، وإزالة الإسلام نفسه من أنسجة المجتمع في مصر والشام، وفتحها أمام الإمبراطوريات الماسونية الحاضنة لليهود ومشروعهم في الغرب.

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P40-42.

يقول المؤرخ اليهودي البريطاني لوسيان وولف، إن:

"وقوع سوريا/الشام تحت حكم محمد علي، أحيا في قلب السير موشيه فكرة تحسين أحوال اليهود في الأرض المقدسة عن طريق مشروعات الزراعة والعمل الصناعي، وكان عنده أمل كبير أن مكانته عند محمد علي His Influence With Mehemet Aly سوف تُمكنه من ذلك"(١).

ومن أجل تنفيذ فكرته، شرع موشيه مونتفيوري وزوجته في رحلته الثانية، في بداية شهر نوفمبر ١٨٣٨م، بعد أن أرسل وزير الخارجية بالمرستون رسائل للتوصية به واستقباله، إلى سفراء بريطانيا وقناصلها، في البلاد الأوروبية التي سيمر بها، وفي مالطا والإسكندرية، وإلى قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط.

ووصل مونتفيوري إلى الإسكندرية، ومنها إلى بيروت، يوم ١١ مايو ١٨٣٩م، وقد سبقته إليها رسائل توصية به ومعاملته كصديق من أول الآتين من الخلف، فعرض عليه متسلمها، محمد بك Mohamad Bey، أن ينزل في بيته، ولكنه نزل في البيت الذي أعدته له زوجة قنصل بريطانيا، نيفين مور Niven Moore، ووجد مونتفيوري في انتظاره مندوبين عن يهود طبريا وصفد والخليل والقدس، مع رسائل تحتفي به وتخبره بترقبهم لزيارته.

وطلب مونتفيوري من متسلم بيروت، أن يوفر له مبعوثين وحراسة آمنة، لنقل أموال إلى يهود طبريا وصفد والخليل والقدس، وبعد أن وضع الأموال في حقائب صغيرة وسلال وسلمها للمتسلم، واصل رحلته، فوصل إلى صفد يوم ١٦ مايو، واستقبله يهودها خارجها بإطلاق الرصاص ابتهاجاً بقدوه، وداخلها بالأغاني والرقص على الدربكة Darabucca.

وبعد أن استراح من وعكة أصابته، زار مونتفيوري تجمعات اليهود البرتغال والألمان في صفد، ووزع عليهم المال، دولاراً إسبانياً Spanish Dollar، لكل يهودي، رجلاً كان أو طفلاً أو امرأة، ثم بدأ في جمع المعلومات من الحاخامات عن أحوال اليهود في صفد والقرى المجاورة

---

1) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p65.

لها، وعن إمكانية إنشاء مستوطنات زراعية فيها، ثم زار إسرائيل دراكر Israel Drucker وابنه نيسان Nissan، من أجل ذلك عدة مرات، وهما من أثرياء يهود بولندا، وحضرا إلى صفد، بعد أن فتح أول الآتين من الخلف الشام لليهود والقناصل، وجلبوا معهم مطبعة لطباعة الكتاب المقدس وكتب الصلوات، ثم أقاموا مزرعة في قرية على أطراف صفد.

وبعد أن التقى مونتفيوري أيضاً أبراهام شوشانة Abraham Shoshana، وصمويل عبُّو Samuel Aboo، واستشارهما، وهما من يهود صفد ويمتلكان قطعة أرض زراعة في قرية مجاورة لها، دَوَّن مونتفيوري في يومياته نبذته الأولى عن عناصر مشروعه، فهاك هي:

"من كل المعلومات التي تمكنت من جمعها، تبدو الأراضي القريبة من صفد واعدة للزراعة، إذ توجد بها بساتين من أشجار الزيتون، أعتقد أن عمرها يتجاوز الخمسمائة عام، ومراعٍ كثيرة الكلأ، وأبار عديدة ووفرة في الماء العذب، وكذلك أشجار التين والجوز واللوز والتوت، وحقول غنية بالقمح والشعير والعدس، وفي الحقيقة إنها أرض يمكن أن تنتج كل شيء بوفرة، وبعمالة ومهارات قليلة، وأنا واثق أن الخطة التي أفكر فيه سوف تنجح، وسوف تجلب السعادة والوفرة إلى الأرض المقدسة، وسوف أتقدم إلى محمد علي بطلب منحة من الأرض لمدة خمسين سنة، حوالي مائة أو مائتي قرية، في مقابل إيجار قيمته من ١٠% إلى ٢٠% من إنتاجها، يتم دفعه بالكامل سنوياً في الإسكندرية، بشرط أن تكون الأرض والقرى معفاة من جميع أنواع الضرائب طوال هذه الفترة، سواء للباشا أو للمتسلمين المحليين، وكذلك حرية نقل إنتاجها وتوزيعه في أي مكان من الكوكب، وفي حالة الحصول على منحة الأرض من الباشا، شكراً للرب، سوف أقوم عند عودتي إلى انجلترا بتكوين شركة للزراعة وتشجيع إخوتنا في أوروبا على العودة إلى فلسطين، وكثير من اليهود الآن يهاجرون إلى ويلز وكندا وبلاد أخرى، ولكنهم سيجدون بالتأكيد نجاحاً أكبر في الأرض المقدسة، فالآبار ستكون جاهزة، والزيتون والكروم مزروعة بالفعل، والأرض غنية ولا تحتاج إلى سماد كثير، وخطوة خطوة آمل أن أُغري الآلاف من إخوتنا بالعودة إلى أرض إسرائيل To Induce The Return Of Thousands Of Our Brethren To The Land Of Israel، وأن متأكد أنهم

سيكونون سعداء وينعمون بممارسة طقوس ديانتنا المقدسة وشعائرها بطريقة يستحيل ممارستها بها في أوروبا"[١].

وكتب المستشرق اليهودي لويس لويفه طلباً بالعربية ووقعه مونتفيوري، إلى حاكم عكا، لكي يرسل جنوداً لحراسته في طريقه إلى القدس، وبعد أن وصل الجنود، واصل رحلته، فوصل إلى طبريا يوم ٢٧ مايو ١٨٣٩م، فاستقبله يهودها كما استقبله يهود صفد، ووزع الأموال عليهم، وطلب من الحاخامات إحصاءًا بتعداد اليهود في طبريا والقرى التي تقع في محيطها.

ورغم شيوع أنباء تفشي الطاعون في القدس والقرى المحيطة بها، قرر مونتفيوري مواصلة رحلته، فطلب من متسلم طبريا رسولاً يضمنه وأرسل معه رسالة إلى قنصل بريطانيا في القدس وليم يونج، للاستعلام عن الأماكن الآمنة من الطاعون، ثم رحل عن طبريا يوم ٢ يونيو ١٨٣٩م، فمر بشكيم/نابلس، وزار في طريقه قبور فنياس Phineas، وإليعازر Eleazar، وإيثامار Ithamar، أبناء الكاهن الأعظم هارون[•].

وفي يوم ٦ يونيو وصل مونتفيوري وزوجته ولويفه ورفاقهم إلى القدس:

"فصعدنا إلى جبل الزيتون (يقع شرق الحرم القدسي ويطل عليه)، ونصبنا خيامنا في بقعة يمكننا منها رؤية المدينة المقدسة كلها، ومسجد عمر/المسجد الأقصى، قرب قبر النبية هولداه/ خَلْدَةَ[•] Huldah The Prophetess، ولساعتين قبل وصولنا إلى أورشليم/القدس

---

1) **Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P167.**

(•) هكذا النص في يوميات موشيه مونتفيوري التي جمعها وحررها المستشرق اليهودي لويس لويفه، ج١، ص١٧٦، والنبي هارون، الذي هو الكاهن الأعظم عند اليهود، له في التوراة أربعة أبناء، وليس بينهم ابن اسمه فنياس، وفي سفر يشوع: "وَمَاتَ أَلِعَازَارُ بْنُ هَارُونَ فَدَفَنُوهُ فِي جِبْعَةِ فِينْحَاسَ ابْنِهِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ فِي جَبَلِ أَفْرَايِم"(يشوع: ٢٤: ٣٣)، ففينحاس هو حفيد هارون، وقبرا إليعازر وإيثامار موجودان فعلاً في تلة فينحاس، التي تقع قرب قرية عورتا، جنوب شرق نابلس، وهي مزارات يهودية، أما فينحاس نفسه فلا يُعلم موقع قبره على وجه التحديد، وفيه آراء مختلفة.

(•) خلدة النبية Huldah The Prophetess: إحدى سبع نساء يعتقد اليهود أنهن نبيات، وكانت تعيش في القدس في عهد يوشيا ملك يهوذا في القرن السابع قبل الميلاد، وفي سفر الملوك الثاني أن الملك يوشيا أمر بترميم الهيكل، فعثر الكاهن العظيم حلقيا على سفر الشريعة داخل بيت الرب، فسلمه للكاتب شافان، الذي أعطاه للملك يوشيا، فكان أمره لهم: "اذْهَبُوا اسْأَلُوا الرَّبَّ لأَجْلِي وَلأَجْلِ الشَّعْبِ وَلأَجْلِ كُلِّ يَهُوذَا مِنْ جِهَةِ كَلاَمِ هذَا السِّفْرِ الَّذِي وُجِدَ، لأَنَّهُ عَظِيمٌ هُوَ

كان الطريق صخرياً ومرهقاً، ولا يبدو فيه أثر لشجر أو عشب، وكان السير موشيه يصلي، وعلق على ذلك قائلاً: "قفر صهيون يبدو مثل عدن، وصحراؤها مثل جنة الرب Wilderness Of Zion May Be Like Eden, And Her Desert Like The Garden Of The Lord، وفي اليوم التالي تلونا صلواتنا تحت ظلال إحدى أشجار الزيتون، بالضبط في مواجهة البقعة التي ينتصب فيها هيكل سليمان"[1].

وفي مخيم مونتفيوري في جبل الزيتون، زاره حاخامات اليهود من مختلف الفئات والجنسيات، مع العشرات من أتباعهم، وزاره متسلم القدس ومعه خمسة أغنام هدية، وأخبره أنه سيوفر له كل ما يحتاجه داخل القدس وفي بقية رحلته، وزاره قنصل بريطانيا وليم يونج وزوجته، ونصحه أن يبدأ مشروعه لإقامة مستوطنات زراعية يهودية بأعداد قليلة لكي لا يثير المسلمين، وزاره أربعة من قساوسة كنيسة اسكتلندا، جاءوا لاستطلاع أحوال اليهود في الأرض المقدسة، من أجل بدء مشروع الكنيسة لإعادة اليهود إليها.

وفي يوم ١٠ يونيو نزل مونتفيوري ورفاقه من جبل الزيتون، فمروا بعين سلوان في الزاوية الجنوبية الشرقية للحرم القدسي، ثم داروا حول أسوار القدس حتى وصل إلى وادي يهوشافاط Valley Of Jehoshaphat، خارج السور الغربي، وزاروا التلال والقبور التي في الوادي، وفي اليوم التالي ذهبوا لزيارة مقام داوود عليه السلام، في جبل صهيون، فرفض المشرف والحراس على المقام السماح لهم بالزيارة، لوجود أمر من إبراهيم باشا بمنع الأوروبيين من دخول المقام، بسبب إثارة ذلك للمسلمين ووقوع مشاحنات بينهم وبين الزوار، فأرسل مونتفيوري إلى متسلم القدس، الذي جاء من فوره، فأقر ما قاله المشرف والحراس، ولكنه قال لهم إن:

غَضَبُ الرَّبِّ الَّذِي اشْتَعَلَ عَلَيْنَا، مِنْ أَجْلِ أَنَّ آبَاءَنَا لَمْ يَسْمَعُوا لِكَلاَمِ هذَا السِّفْرِ لِيَعْمَلُوا حَسَبَ كُلِّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْنَا»، ١٤ فَذَهَبَ حِلْقِيَّا الْكَاهِنُ وَأَخِيقَامُ وَعَكْبُورُ وَشَافَانُ وَعَسَايَا إِلَى خَلْدَةَ النَّبِيَّةِ، امْرَأَةِ شَلُّومَ بْنِ تِقْوَةَ بْنِ حَرْحَسَ حَارِسِ الثِّيَابِ، وَهِيَ سَاكِنَةٌ فِي أُورُشَلِيمَ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي وَكَلَّمُوهَا، ١٥ فَقَالَتْ لَهُمْ: ....."(الملوك الثاني: ٢٢: ١٣-١٥)، ويعتقد اليهود أن خلدة دُفنت في كهف تحت صخرة في جبل الزيتون.

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P177-178.

"أمر إبراهيم باشا لا يسري على رجل مهذب رفيع المقام Gentleman، مثل السير مونتفيوري، الذي يحمل خطاب توصية من أعلى سلطة في هذه البلاد، وأمر أن ندخل وأن يتركونا وحدنا، لكي نقيم صلواتنا داخل المقام"[١].

وفي فجر يوم ١٢ يونيو ١٨٣٩م، وهو اليوم الذي اتفق فيه مونتفيوري مع متسلم القدس على أنه سيدخلها فيه، أرسل مونتفيوري إلى المتسلم، فحضر في جنوده وحاشيته، إلى موقع مونتفيوري في جبل الزيتون الساعة السادسة صباحاً، ودخل مونتفيوري القدس من باب الأسباط، على فرس عربي أبيض أهداه له المتسلم، وإلى جواره زوجته على فرس آخر، ومعهما رفاقهما، والمئات من اليهود وقادتهم من الحاخامات، في حراسة متسلم القدس وجنوده وحاشيته، فساروا في شوارع القدس التي امتلأت بالآلاف من أهلها، وقد منحهم المتسلم اليوم عطلة احتفاءًا بدخول مونتفيوري القدس، وفرقة موسيقية تعزف ترحيباً بهم، إلى أن وصلوا إلى كُنيس اليهود البرتغاليين Portuguese Synagogue، فتركهم المتسلم وترك لهم حامية الجنود، فأدوا الصلاة.

ومن كنيس اليهود البرتغاليين إلى كنيس اليهود الألمان، إلى الحائط الغربي للحرم القدسي/حائط البراق، حيث أدوا الصلوات خلف الحاخامات، إلى قنصل بريطانيا يونج، ثم عادوا مع الغروب إلى معسكرهم في جبل الزيتون.

ولم يذكر المستشرق البروسي لويس لويفه، الذي كان يصاحب مونتفيوري وحرر يومياته، اسم متسلم القدس، وذكر المؤرخ اليهودي البريطاني لوسيان وولف، أن اسمه:

"محمد دزدار Mohamed Djisdor"[٢].

ولأن الكتاب الذي بين يديك عن بذور المشروع اليهودي في الشام، نعرفك بالاسم الكامل والصحيح لمتسلم القدس الذي حاز شرف هذه المشاركة الصغيرة في المشروع اليهودي، وهو أحمد أغا العسلي الدِزدار[*].

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P180.
2) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p71.

وفي يوم ١٤ يونيو، وبعد أن حصل على إحصاءات من الحاخامات عن تعداد اليهود وفئاتهم العمرية، غادر مونتفيوري ورفاقه القدس إلى الخليل، وعسكروا في غابة على أطرافها، فزارهم متسلمها، وحاخامات اليهود وقادتهم، وزاروا قبر راحيل، وبعد يومين انطلقوا ومعهم المتسلم وجنوده لزيارة مغارة المكفيلة، التي تحوي قبور إبراهيم الخليل وزوجته سارة وإسحق ويعقوب، وتقع أسفل الحرم الإبراهيمي، فوجدوا المسلمين يملأون المسجد والعصي في أيديهم، ومنعوهم من الدخول، وأغلقوا الباب، وتمكنت حامية متسلم الخليل، والحامية التي أرسلها قنصل بريطانيا في بيروت لمرافقتهم، من إزاحة المسلمين وإدخال مونتفيوري وزوجته ولويفه إلى المسجد، لكنهم لم يستطيعوا المكوث فيه خوفاً من هياج المسلمين المسلحين بالعصي، ويبلغ عددهم نحو خمسمائة، فغادروا الحرم الإبراهيمي من بوابة أخرى، دون زيارة المغارة والقبور.

وبعد أن وزع هباته وحصل على الإحصاءات من الحاخامات، غادر مونتفيوري ورفاقه الخليل، فمروا بالكرمل، ثم يافا، ووصلوا إلى بيروت يوم ٤ يوليو، ثم غادروها على متن سفينة بريطانية إلى الإسكندرية، ومونتفيوري يصلي أن تكون رحلته مفيدة لليهود الذين يقيمون في الأرض المقدسة، ولإخوتهم الذين يحبونها ويرغبون في العودة إلى أرض الوعد، وقد اعتزم أن يفاتح أول الآتينم من الخلف في مشروعه الزراعي في فلسطين.

ووصل مونتفيوري إلى الإسكندرية يوم ١٢ يوليو ١٨٣٩م، وكان قنصل بريطانيا في الإسكندرية، الكولونيل كامبل، قد رتب له لقاءًا مع الماسوني بوغوص بك، وزير التجارة ووزير خارجية أول الآتين من الخلف، فالتقاه وأعطاه طلبات مكتوبة، فتحمس لها بوغوص ووعده أن يقدمها لأول الآتين من الخلف، وأن يرتب له لقاءًا معه في صباح اليوم التالي، وكانت هذه الطلبات:

"**أن يقوم صاحب السمو بتوفير الأمن لليهود وممتلكاتهم في فلسطين، خصوصاً في صفد وطبريا، وأن يأمر بإصلاح أسوار طبريا، وأن يتم الاعتراف بشهادة اليهود والأدلة Evidence التي يقدمونها أمام القضاء والحكام، وأن يسمح باستئجار الأراضي والقرى بعقد لمدة خمسين**

●) الدزدار: كلمة فارسية الأصل، شاعت في العصر المملوكي والعثماني، ومعناها قائد الحصن، وصارت لقب أحمد أغا العسلي، لأنه كان قائد قلعة القدس.

سنة، على أن تكون معفاة من الضرائب، ويسدد الإيجار في الإسكندرية، وأن يسمح لي بإرسال خبراء من أوروبا لمساعدة اليهود في زراعة الأرض وتعليمهم أفضل الطرق لزراعة الزيتون والكروم والقطن، ولرعي الأغنام، وأن يمنحني سموه فرماناً بفتح بنوك في بيروت ويافا وأورشليم/القدس والقاهرة"[1].

ولما كان اليوم التالي يوم سبت، رفض مونتفيوري أن يركب عربة، لكي لا ينتهك حرمته، فأعاره قنصل سردينيا محفة Sedan Chair، فحُمل عليها إلى قصر أول الآتين من الخلف، وهو يرتدى الزي الرسمي للشريف البريطاني، وقد سبقه إلى القصر الكولونيل كامبل، وهاك وصف مونتفيوري نفسه للقاء:

"استقبلنا محمد علي واقفاً، ثم جلس على مقعده في الديوان، وأشار إلىَّ لأجلس عن يمينه، وجلس دكتور لويفه في المقعد المجاور لي، وجلس كولونيل كامبل في المقعد الذي عن يسار الباشا، ثم رحب بنا بود وتكلم عن كل طلب من طلباتي، فقال بخصوص استئجار الأراضي في فلسطين إنه لا يملك أراضٍ، ولكنه سيوافق على أي عقد نبرمه مع المسلمين، ويرسله إلى القسطنطينية/الأستانة للتصديق عليه، فأخبرته أنني حين كنت في فلسطين علمت من المعلومات التي جمعتها أن سموه يمتلك أراضٍ فيها، فرد عليَّ بأن أي أراضٍ أشير إليها أنها تخصه يمكنني أن أحصل عليها، وأنه سيكون سعيداً بزراعة الأرض بطريقة أفضل، وأن أقوم بتوفير الأشخاص والمعدات اللازمة لذلك، وبعد ذلك كلَّمته عن القضايا التي يكون أحد أطرافها من اليهود في صفد وطبريا والخليل، ومساواتهم في ذلك بيهود أورشليم/القدس، فقال إنه يتم معاملة اليهود كالمسيحيين، ولا يوجد أي تمييز بينهم، ثم كلمته عن إعادة بناء الأسوار التي تحيط بطبريا ودمرها الزلزال، فأجابني أنه سيأمر فوراً بإعداد تقرير عن الموضوع وبناء السور، وكلمته عن تأسيس بنك مساهم، برأس مال مليون جنيه إسترليني، مع قابليتها للزيادة، فبرقت عيناه Sparkled، وبدا في غاية السعادة، وقال إن ذلك يسره وسوف يحظى

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P196-197.

البنك بحمايته، فأخبرته أن فروعه ستكون في الإسكندرية وبيروت ودمشق ويافا وأورشليم/القدس والقاهرة"[١].

وكان مونتفيوري متلهفاً على الحصول على ردود أول الآتين من الخلف مكتوبة، ولكن بوغوص بك أخبر لويفه أن مونتفيوري لم يوقع على ورقة الطلبات التي قدمها، ومن ثَم فلا يمكن الحصول على الرد مكتوباً، إلا بعد كتابة الطلبات مرة أخرى وتوقيع مونتفيوري لها، وأخبره أن يطمئن من جهة تنفيذ الباشا لوعده.

ورحل مونتفيوري وزوجته عن الإسكندرية يوم ١٤ يوليو ١٨٣٩م، إلى السفينة البريطانية أشيرون Acheron، الرابضة في الميناء، بعد أن وقع الطلبات، تاركاً دكتور لويفه لكي يقدمها إلى بوغوص، ويحصل على رد مكتوب ومُوقَّع من أول الآتين من الخلف، ثم يلحق به في السفينة.

واصطحب بوغوص دكتور لويفه إلى القصر، فقال له أول الآتين من الخلف وهو يبتسم:

"لقد استلمت الآن طلب السير موشيه الرسمي، وسوف أرد عليه برسالتين، الأولى ستصله وهو في الكرانتين/الحجر الصحي في مالطا، وسوف أخبره فيها أنني سأتخذ إجراءات بخصوص الأرض التي يرغب في استئجارها، أما بخصوص وضع اليهود أمام القضاء وإصلاح سور طبريا فسوف أعطي أوامر بذلك فوراً، وسوف أكتب للسير موشيه في نفس الرسالة بخصوص تأسيس البنوك، والرسالة الثانية ستحوي جميع التفاصيل الخاصة بعقد إيجار الأرض، وتحديد الأراضي التي تخصني أو تلك التي يجب أن أنزعها من الآخرين من أجل السير موشيه(! Which I Shall Have To Take For Sir Moses From Others، وسوف تصله هذه الرسالة بعد استيفاء المعلومات المطلوبة، وكونوا على ثقة من كل ما وعدتكم به"[٢].

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P199-200.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P202-203.

وهكذا، كما يقول المؤرخ اليهودي لوسيان وولف:

"بدا أن عهداً جديداً يشرق على اليهود في الأرض المقدسة، وعاد السير موشيه إلى انجلترا وقلبه مفعم بالأمل، وبدأ في التجهيز لوضع خططه موضع التنفيذ، من أجل تأسيس أمة جديدة في فلسطين، وحين عاد إلى وطنه في الربيع التالي كان متوجاً بالعظمة والجموع تحييه على أنه منقذ إسرائيل، ولكن انتصاره صار غائماً Clouded بعد أن لم يعد محمد علي حاكم سوريا، وحل محل حكمه المتسامح سلطة أفنديات إسطنبول الخانقة Asphyxiating"[1].

حكماء صهيون في الأستانة وفي لندن:

وزيارة مونتفيوري الثالثة لفلسطين، كانت من أجل تخليص يهود دمشق قتلة الراهب توما الكبوشي، وهو ما اضطره إلى تأجيل مشروعه للمستوطنة الزراعية اليهودية، ونريدك أن ترجع أولاً إلى تفاصيل هذه الجريمة التي أتيناك بها من محضر التحقيق الرسمي مع اليهود القتلة، ومن شهودها من المسلمين والمسيحيين، ورأيت اعتراف اليهود بارتكابها، والعثور على جثة الراهب حيث قالوا إنهم دفنوها، وكيف تم اعتقالهم وسجنهم، ثم أطلقهم أول الآتين من الخلف بعد أن اشتراهم مونتفيوري منه بستين ألف كيس.

فإليك الرواية اليهودية البريطانية للجريمة، وكيف تحول فيها القتلة إلى ضحايا، نموذجاً على التاريخ المزور وكيف يتم تزويره، ثم يصبح في أذهان البشر مع الزمان وبالإلحاح والتكرار هو الحقيقة التي لا يعرفون غيرها.

بعد اعتقال اليهود القتلة واعترافهم وسجنهم، أرسل حاخامات اليهود من حكماء دمشق Elders Of Damascus، إلى حكماء العبريين Elders Of The Hebrew في الأستانة، أبرام كونورتي Abram Conorte، وهارون كوهين Aaron Cohen، وسالمون فوا Salamon

---

1) **Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p78-79.**

Fua، وصمويل تريفز Samuel Treves، رسالة طويلة عن حادثة قتل الراهب توما، يقولون فيها:

.

"في أول يوم من شهر آدار(•) Adar، اختفى راهب في دمشق، وفي اليوم التالي أتى أناس إلى حارة اليهود، وقالوا إنهم شاهدوه يدخل إليها مع خادمه في اليوم السابق، ومن أجل تنفيذ مؤامرتهم Their Conspiracy، اعتقلوا حلاقاً يهودياً، وسلموه للحاكم، الذي أمر بضربه خمسمائة جلدة، وتعذيبه بوحشية، لكي يتهم جميع اليهود بالاشتراك معه في الجريمة، ولكي يخلص الحلاق نفسه من التعذيب اتهم ميسرز داوود وإسحق وهارون هراري ويوسف لانداو وموسى أبو العافية وموسى يهودا ويوسف هراري، بأنهم أعطوه ثلاثمائة قرش لكي يقتل الراهب، وأنه لم يستجب لهم ولا يعلم ما فعلوه بعد ذلك، فاعتقلهم الباشا وعاقبهم بالضرب ومختلف صنوف التعذيب، ثم سجنهم والأغلال في أيديهم وأعناقهم، وأمر بمواصلة تعذيبهم وتجويعهم خمس عشرة ساعة يومياً، ولكنهم أصروا على أنهم أبرياء، وبعد ذلك اعتقلوا الجزارين اليهود والربانيين يعقوب أنتوبي وسالومون هراري وأساريا يافلون، ووضعوهم في الأغلال، وضربوهم حتى تمزق لحم جسمهم لكي يجبروهم على الاعتراف بالجريمة، فلم يفعلوا، ثم ذهب الحاكم إلى المدرسة اليهودية واعتقل الصبيان Boys وسجنهم مقيدين في الأغلال ومنع أمهات الأطفال Children من زيارتهم، وبعدها ذهب الحاكم في ستمائة من الجنود وداهم بيوت اليهود، من أجل البحث عن جثث المفقودين ولم يجد شيئاً، فعاد إلى ضحاياه المسجونين وصب عليهم أشكالاً فظيعة من العذاب، وفي النهاية لم يعودوا قادرين على تحمل العذاب والمعاناة، فقالوا له إن التهمة صحيحة"(١).

وفي ٢٧ مارس ١٨٤٠م، أرسل حكماء صهيون في الأستانة رسالة إلى مسيرز روتشيلد Messrs De Rothschild في لندن، يقولون فيها:

•) شهر آدار Adar אֲדָר: هو الشهر الثاني عشر في السنة العبرية الربانية، والسادس في السنة العبرية المدنية.

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P209-210.

"بين المجتمع اليهودي روابط عميقة تربطهم بقوة معاً، وأنتم أيها السادة الأفاضل كنتم دائماً من البارزين في تخفيف المعاناة عن إخوتنا البائسين، ونعرف أن قلوبكم تتعاطف مع يهود دمشق تحت الحكم المصري، الذين يتعرضون للاضطهاد من الباشوات الطغاة الذين يحكمونهم، بسبب افتراءات Calumnies لفقها لهم من يضطهدونهم، ولم يكتفوا بسجن الرجال المسنين والربانيين وتعذيبهم، بل فعلوا ذلك أيضاً بالأطفال، ومجتمع اليهود الآن يدعوكم لوضع نهاية لهذا الاضطهاد، ومنع تكراره، ومخاطبة باشا مصر، ليس فقط لكي يحرر إخوتنا من طغيان باشا دمشق، بل وليعوضهم عما فعله بهم"[١].

واستجابة لرسالة حكماء صهيون في الأستانة، عقد أغنياء اليهود ونواب المجلس اليهودي في بريطانيا مؤتمراً في بيت موشيه مونتفيوري في لندن، يوم ٢١ أبريل ١٨٤٠م، وحضره المسيو كريميو Cremieux، نائب رئيس المجلس المركزي للإسرائيليين في فرنسا Consistoire Central Des Israelites Francais، وأصدر المؤتمر بياناً كرر ما جاء في رسالة حاخامات الأستانة، وانتهى بالتوصيات التالية:

"أولاً: المؤتمر يطالب بشدة حكومات انجلترا وفرنسا والنمسا، بالاحتجاج لدى الحكومات التي حدثت هذه الأفعال الوحشية Atrocities في المناطق التابعة لها، والتدخل لإيقافها، ثانياً: هذا المؤتمر يضع ثقته في إنسانية الأمة البريطانية وتعاطفها، وسوف يتم تشكيل لجنة من جوزيف هنريك Joseph Henriques، والبارون روتشيلد، والسير موشيه مونتفيوري، وإل جولدسمد L. Goldsmid، ودافيد سالومونس David Salamons، لعقد مؤتمر مع وزير خارجية صاحبة الجلالة، بخصوص الموضوع، ثالثاً: يتم الإعلان عن هذا المؤتمر ونشر هذه القرارات في الصحف"[٢].

وفي يوم ٣٠ أبريل عقدت اللجنة اليهودية التي تم تشكيلها مؤتمراً في مقر الحكومة البريطانية، مع وزير الخارجية الماسوني بالمرستون، وإبان المؤتمر فاتح مونتفيوري بالمرستون في مشروعه لإنشاء مستوطنة زراعية يهودية في فلسطين، وانتهى المؤتمر بموافقة بالمرستون

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P206-207.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P214.

على إرسال لجنة يهودية تحت اسم الحكومة البريطانية، إلى الإسكندرية، لمفاوضة أول الآتين من الخلف، في شأن يهود دمشق قتلة الراهب توما الكبوشي، وفي الوقت نفسه أرسل بالمرستون إلى سفيره في الأستانة بونسونبي، وإلى قنصله في الإسكندرية الكولونيل هودجز Hodges، للضغط على أول الآتين من الخلف، من أجل إطلاق اليهود القتلة وتعويضهم.

واللجنة التي تم تشيكلها باسم الحكومة البريطانية، للسفر إلى الإسكندرية، كانت تتكون من اليهودي موشيه مونتفيوري، ممثلاً ليهود بريطانيا، واليهودي أدولف كريميو، ممثلاً ليهود فرنسا، وأرسل بالمرستون مع مونتفيوري رسالة إلى القنصل هودجز، فيها تعليمات بحماية مونتفيوري ومؤازرته في مهمته لإنقاذ يهود دمشق، وأنه سوف يرسل إليه باسم حكومة صاحبة الجلالة أي خطاب رسمي يحتاجه للضغط على أول الآتين من الخلف.

وإبان التحضير للسفر انعقد مؤتمر من ممثلي الحكومة والمعارضة في مجلس العموم، بحضور وزير الخارجية بالمرستون وزعيم المعارضة اللورد أبردين، ومؤتمر آخر في حي مدينة لندن، برئاسة عمدته، وفي مقره Mansion House، وحضره أصحاب البنوك والتجار وكبار رجال الصناعة، وأعلن الجميع مؤزارتهم لمونتفيوري في مهمته واستعدادهم لفعل أي شيء لإنقاذ اليهود المضطهدين في الشرق.

وفي الثامنة صباح يوم ٤ أغسطس ١٨٤٠م، وصل إلى الاسكندرية مونتفيوري وكريميو وزوجتاهما، ومعهم لويس لويفه، وبعد ساعتين كان مونتفيوري ولويفه عند قنصل بريطانيا الكولونيل هودجز، ثم ذهبا معاً ومعهما كريميو إلى قنصل فرنسا كوشيليه Cochelet، ثم إلى قنصل النمسا لوران Laurin، ومنه إلى قنصل بروسيا، ثم قنصل النمسا، واتفق القناصل على أن يكون قنصل بريطانيا ممثلاً لهم، وأن يفاوض أول الآتين من الخلف باسمهم جميعاً.

وفي يوم ٥ أغسطس، استقبل أول الآتين من الخلف الكولونيل هودجز، وفي صحبته مونتفيوري ولويفه، فقرأ مونتفيوري أمامه التماساً مكتوباً بالإنجليزية، أثنى فيه على أول الآتين من الخلف، وما اشتهر به من عدل وسماحة، وقال إنه جاء إليه وهو لا يُكنُّ له كرهاً، بل وهو يحمل له مشاعر الود، ثم طلب من سموه:

"أن تسمح لنا بالذهاب إلى دمشق، وتشكيل لجنة للتحقيق في الاتهام، الذي تسبب في معاناة رهيبة ليهود دمشق، وأحدث ذعراً Consternation لليهود في العالم كله، وأن تسمح لنا بمقابلة اليهود المتهمين وأخذ أقوالهم، وأن توفر لنا الحماية وتمنحنا جميع الصلاحيات اللازمة ذلك، وأن يتم اعتماد نتائج التحقيق التي نجريها رسمياً، ووضعها أمام سموك، وإلزام حاكم دمشق بها، وأن يصدر سموك فرماناً بذلك ويتم تسجيله في السجلات Archives، ويُرسَل إلى حاكم دمشق، ويقوم بالإعلان عن فحواه في شوارع دمشق، وإن أنظار أوروبا موجهة في هذه اللحظة نحو سموك، فإذا منحتنا هذا الفرمان سوف نصلي من أجلكم، وسوف يكون العالم المتحضر كله ممتناً لكم"[1].

وبعد انتهاء مونتفيوري من تقديم التماسه، طلب من أول الآتين من الخلف أن يقوم دكتور لويفه بترجمته إلى التركية، فاعتذر أول الآتين من الخلف بأنه طويل، وقال إنه يعرف أنه بخصوص يهود دمشق، وسوف يطلع على ترجمته لاحقاً.

وفي ليل اليوم التالي، ذهب مونتفيوري وحده إلى قصر أول الآتين من الخلف، فالتقاه بحفاوة أكبر من اليوم السابق، دون أن يمنحه شيئاً، وأخبره أن سيغادر الإسكندرية بضعة أيام، ويفسر لوسيان وولف موقف أول الآتين من الخلف، وتراخيه في منح مونتفيوري الفرمان الذي يريده، بـ:

"بارتباك محمد علي بخصوص سوريا Embarrassment، وموقفه فيها الذي يزداد حرجاً يوماً بعد يوم، واتفاق القوى الأوروبية على إخراجه منها"[2].

وفي يوم ١٤ أغسطس وصل إلى الإسكندرية المستر بريجز Briggs، وهو تاجر يهودي إنجليزي، فقام بترتيب لقاء ثالث لمونتفيوري ومعه كريميو ولويفه، وفي اللقاء الذي كان في اليوم التالي، يوم ١٥ أغسطس:

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P225-226.
2) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p103.

"استقبلنا سموه بود، وقال إنه كان مشغولاً في الفترة السابقة، فألح عليه السير موشيه بشدة، باسم الإنسانية، أن يتخذ قراراً بشأن يهود دمشق، فأجاب بأنه أرسل تعليمات بالعناية بهم وحسن معاملتهم، وأنه سيرسل خطاباً إلى السير موشيه في اليوم التالي بخصوص الموضوع، فطلب منه سير موشيه العفو عن المتاعب التي سببها له، فرد عليه: بأنه على العكس، هو الذي ينبغي أن يعتذر للسير موشيه To Apologise To Sir Moses، وأثناء الحوار أضاف المستر بريجز عدة مرات عبارات ودية، وظهر أثرها على الباشا، وبعد أن وصلنا إلى الفندق جاء المستر بريجز وأخبرنا أن الباشا وعده بإطلاق السجناء، وأنه يعتقد أنهم فعلاً أبرياء من هذه الجريمة"(1).

وقام بريجز بإعداد التماس بخصوص يهود دمشق التعساء، كما يسميهم، وصاغه صياغة ملطفة، وعرضه عى مونتفيوري، واتفقا على تحديد لقاء مع أول الآتين من الخلف ليوقعه، وفي يوم ١٧ أغسطس، ذهب قناصل الدول الأوروبية مجتمعين إلى أول الآتين من الخلف، لتسليمه مذكرة بشروط معاهدة لندن، فاضطربت الأحوال في الإسكندرية، خصوصاً بعد وصول الأسطول البريطاني والحصار الذي ضربه حولها.

وفي يوم ٢٨ أغسطس، كما يقول لويفه:

"مضينا إلى القصر، فاستقبلنا الباشا، وأشار إلى سير موشيه أن يجلس، فقال له إنه جاء إلى سموه للحصول على رد على الطلب الذي قدمه إليه سابقاً، فقال له محمد علي إنه سيطلق جميع السجناء، فطلب سير موشيه منه أن يمنحه فرماناً بذلك، وأن يمنحه نسخة من الخطاب الذي سيرسله إلى حاكم دمشق، فوعده بذلك ... وفي يوم ٢٩ أغسطس ذهبت مع المسيو مونك Munk إلى غرفة سكرتير الباشا نجيب أفندي في القصر، للحصول على عدة نسخ من الفرمان والخطاب المرسل إلى حاكم دمشق، وعندما رأينا نسخة من الأصل، لاحظنا كلمة عفو Afoo، فأشرت إلى نجيب أفندي وقلت له إن سير موشيه لن يقبل هذا التعبير لأن هؤلاء اليهود ليسوا مذنبين، وأخذنا نسخة عربية لعرضها على السير موشيه والمسيو كريميو،

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P242-243.

وحضر المسيو كريميو إلى القصر على الفور، وبدون تردد أمر الباشا بحذف كلمة: عفو Afoo، وأن يوضع مكانها كلمة: إطلاق Itlak، التي تعني التحرير مع الشرف Honourable Liberation، وحضر سير موشيه فأخبره سموه أنه أمر بحذف الكلمة التي اعترض عليها، وأرسلنا على الفور رسائل بالنصر إلى لندن وبلدان أخرى، وفي اليوم التالي كتبنا خطاب شكر للباشا، ووقعه سير موشيه والمسيو كريميو"(١).

وكتب مونتفيوري في يومياته، بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٨٤٠م، إنه في يوم ١٥ سبتمبر ١٨٤٠م، وصلت رسائل من دمشق، بأن شريف باشا حاكم دمشق أطلق اليهود المظلومين يوم ٥ سبتمبر، وقام بتكريمهم، وأنهم:

"ذهبوا فور إطلاقهم إلى كنيس اليهود، وألقوا بأنفسهم على الأرض أمام التابوت المقدس Holy Ark، شاكرين إله إسرائيل الذي خلصهم من أيدي جلاديهم، وصلوا من أجل سعادة سموه، محمد علي، الذي أعادت عدالته وإنسانيته إليهم حريتهم وشرفهم"(٢).

وذهب مونتفيوري إلى كنيس اليهود في الإسكندرية لأداء صلاة شكر لإله إسرائيل، وقد نسينا أن نخبرك أنه طوال فترة وجوده في الإسكندرية، كان يذهب هو والمسيو كريميو وزوجتاهما ولويفه إلى الكنيس لأداء الصلوات والطقوس في أيامها ومواعيدها، وللاحتفال بالأعياد اليهودية التي مرت عليهم في المدينة.

وقبل مغادرتهم الإسكندرية، قال المسيو كريميو للسير مونتفيوري إنه ذاهب أولاً إلى القاهرة، لكي يتبرع لبناء مدرسة لليهود هناك، وأن معه ألف دوكا ذهبية Ducats، تبرعت بها البارونة روتشيلد Baroness De Rothschild في باريس من أجل هذا الغرض، واقترح كريميو على مونتفيوري أن يتبرع بتكلفة بناء مستشفى لليهود في القاهرة إلى جوار المدرسة، ولكن مونتفيوري قال إنه يدخر المال الذي جلبه معه لبناء مدرسة ومستشفى لليهود في الأرض المقدسة.

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P250-251, 253.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P250-260.

وفي يوم ١٨ سبتمبر ١٨٤٠م، كتب مونتفيوري في يومياته:

"رحلنا عن الإسكندرية ونحن نترنم بأنشودة موسى[•] Song Of Moses، وغادرنا مصر فرحين شاكرين"[١].

والآن جاء أوان أن نعرفك لماذا جئناك بهذه التفاصيل عن مهمة مونتفيوري في مصر من أجل تحرير يهود دمشق، لأن هذه التفاصيل التي يتجاوزها المؤرخون الأميون، ولا تسجلها الوثائق الرسمية، تكشف لك ما يغفلون عنه ويطمسونه، فهي تعرفك ليس فقط بما حدث، بل تعرفك بما ينظفون هذه الوثائق منه، ألا وهو كيف حدث، والقوى الفاعلة الحقيقية خلف حدوثه، وما واكبه من علاقات وملابسات.

فهذه التفاصيل التي يعمى عنها الأميون، تعرفك بالروابط بين اليهود على تباعد المسافات واختلاف البلدان وتفاوت الطبقات، وأن هذه الرابطة العابرة للأزمان والبلدان عقائدية، فهي تجمعهم على تشتتهم، وتجعلهم مع تباعدهم أمة واحدة، وتروساً تعمل في آلة واحدة، ومنها تدرك ما يضللك الأميون عنه، وهو أن المشروع اليهودي الساري عبر التاريخ، وظهر في بلاليص ستان في القرن التاسع عشر، مشروع عقائدي مصدره كتابهم المقدس الذي يربطهم بفلسطين وإن تبعثروا في أركان الأرض بعيداً عنها، ونبوءات أنبيائهم التي تخبرهم أنهم سيعودون إليها، وأن هذه العودة هي عفو الإله عنهم، وبهذ االعفو سيستعيدون دولتهم وتكون لهم السلطة على أمم الأرض كلها، وأنه ليس مجرد مشروع سياسي، كما يتوهم الأميون في بلاليص ستان، ولأنهم بقر يتوهمون أن اليهود بقر مثلهم.

•) أنشودة موسى: في سفر تثنية الاشتراع، أن موسى عليه السلام جمع بني إسرائيل قبل موته في جبل نيبو، وقال لهم: "لأَنِّي عَارِفٌ أَنَّكُمْ بَعْدَ مَوْتِي تَفْسِدُونَ وَتَزِيغُونَ عَنِ الطَّرِيقِ الَّذِي أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ، وَيُصِيبُكُمُ الشَّرُّ فِي آخِرِ الأَيَّامِ لأَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ الشَّرَّ أَمَامَ الرَّبِّ حَتَّى تُغِيظُوهُ بِأَعْمَالِ أَيْدِيكُمْ». ٣٠ فَنَطَقَ مُوسَى فِي مَسَامِعِ كُلِّ جَمَاعَةِ إِسْرَائِيلَ بِكَلِمَاتِ هذَا النَّشِيدِ إِلَى تَمَامِهِ"(تثنية: ٣١: ٢٩-٣٠)، وهذه الأنشودة التي ألقاها موسى على شيوخ بني إسرائيل وأسباطهم هي أنشودة موسى، التي تشمل الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية بأكمله، وبدايتها: «اِنْصِتِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ فَأَتَكَلَّمَ، وَلْتَسْمَعِ الأَرْضُ أَقْوَالَ فَمِي. ٢ يَهْطِلُ كَالْمَطَرِ تَعْلِيمِي، وَيَقْطُرُ كَالنَّدَى كَلاَمِي. كَالطَّلِّ عَلَى الْكَلاءِ، وَكَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ. ٣ إِنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أُنَادِي. أَعْطُوا عَظَمَةً لإِلهِنَا"(تثنية: ٣٢: ١-٣).

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P262.

ومن هذه التفاصيل تعرف عمق صلة اليهود بالغرب وتغلغلهم في أنسجته الاجتماعية والاقتصادية ونفوذهم في سياساته وفي نفوس ساسته، وتعلم كيف يصنع اليهود الأحداث بتحريك غيرهم في الغرب والشرق، فلا يتصدرون مشاهدها ولا يظهرون في وثائقها، فتبدو وكأنها تحدث وحدها دون إرادة ولا تدبير منهم، وكانهم لا صلة لهم بها.

وأهم من ذلك كله، أن هذه التفاصيل، التي رأيت فيها قصر أول الآتين من الخلف وأحضانه مفتوحة لقناصل الغرب ويهوده وتجاره، ولم تر فيها أحداً يمثل أمة الإسلام وعقائدها وتاريخها ومصالحها، هذه التفاصيل تعرفك بملامح المسار اليهودي الماسوني الذي شقه أول الآتين من الخلف لبلاليص ستان ودفعها فيه، ثم ورثته دول بلاليص ستان كلها، وواصلت السير فيه، وصارت ملامحه هذه هي صبغتها وتوازناتها والقواعد الحاكمة للأميين من ساستها ونخبها، وهو المسار الذي خرجت فيه الأمة كلها بعمومها وعلمائها وثوابتها من موازين القوى، ومن التأثير في الأحداث، ومن حسابات صنع القرار عند أول الآتين من الخلف، ومن حسابات مَن جاءوا بعده من خلفائه ومن خلفائهم وإلى يومك هذا، وانتقلت مراكز القوى الفاعلة التي تؤثر في الأحداث وتصنعها وتتحكم في مسارها، في مصر والشام، ثم في الشرق كله، إلى الإمبراطوريات الماسونية وسفرائها وقناصلها وعواصمها، وإلى اليهود الذين يكمنون في كواليس السلطة فيها ويستوطنون رؤوس ساستها ونفوسهم، ولا يراهم على مسرح الأحداث في الشرق أحد، وإلى التجار وأصحاب البنوك، وهم كما رأيت طوال كتاب بلاليص ستان الذي بين يديك، ليسوا سوى نواة من اليهود تتحكم في طبقات من الماسون والأميين تدور حولهم.

مونتفيوري في الأستانة:

وكان مونتفيوري يعتزم الذهاب إلى دمشق ومقابلة يهودها وزيارة القدس، ولكن وصلت الأنباء بأن الأسطول البريطاني حاصر بيروت ودمرها، والقوات البريطانية نزلت على الشواطيء السورية، فخرجت سوريا/الشام بذلك من تحت سلطة أول الآتين من الخلف، وقرر مونتفيوري مواصلة الرحلة مع زوجته ودكتور لويفه إلى الأستانة، لمقابلة السلطان العثماني، فغادروا الإسكندرية، على متن سفينة بريطانية، إلى ميناء سيرا Syra اليوناني في بحر إيجه، وتم حجزهم عشرة أيام في اللازاريتو/الحجر الصحي Lazaretto، وفي يوم ٣ أكتوبر ١٨٤٠م،

وصلوا إلى سِميرنا/إزمير Smyrna، غرب الأناضول، على البحر المتوسط، ثم إلى الأستانة يوم ٥ أكتوبر.

وبعد أن استقر مونتفيوري في الأستانة، وزاره كبير حاخامتها ورؤوس اليهود فيها، وزار هو الكنيس للاحتفال بأحد الأيام اليهودية، ولأداء الطقوس يوم السبت، التقى السفير البريطاني بونسونبي، يوم ١٥ أكتوبر، وشكره على دعمه له في قضية يهود دمشق، وطلب منه أن يرتب له مقابلة مع السلطان، لكي يطلب منه حماية اليهود في البلاد الخاضعة لسيادته، ويحصل منه على فرمان بخصوص اليهود في الأرض المقدسة، فأعطاه بونسونبي خطاباً إلى ناظر الخارجية رشيد باشا، من أجل ترتيب المقابلة، وعاد مونتفيوري من عنده مسروراً.

وفي يوم ٢٨ أكتوبر، استقبل السلطان عبد المجيد الأول مونتفيوري ولويفه ومعهما وكيل السفير البريطاني والمترجم بيزاني Pisani،، في حضور الصدر الأعظم رضا باشا، ووزير الخارجية رشيد باشا، وألقى مونتفيوري كلمة أعدها، وجاء فيها:

"باسم إخوتي الذين وكلوني عنهم، جئت لأضع عند أعتاب عرشكم توقيرهم وإجلالهم لجلالتكم ... في الأزمنة القديمة أخرج الإله شعبنا من مصر، واستقروا في فلسطين لعهود طويلة، ثم حكم عليهم الإله بالخروج منها والتشتت بين أمم الأرض كلها، وبذكائهم ومثابرتهم زادوا ثروات البلدان التي يعيشون فيها، وأسهموا في ازدهارها Augmented The Riches And Prosperity، وهم يتطلعون بشغف إلى أرض آبائهم، ويُصلون من أجل أن يتمتع جميع من يعيشون فيها بحمايتكم السامية، وأن يُسمح لهم بعبادة إله آبائهم في سلام، وصلواتهم تصعد إلى الإله الذي حكمته مطلقة ووعوده لا تتخلف أن يضع أعداءكم تحت أقدامكم، وأن يذيبهم مثل ندى الصباح، وأن يديم عرشكم إلى الأبد"[١].

فهل تنبهت أن مونتفيوري ورفاقه من اليهود كانوا يصلون في مصر من أجل أن يديم الإله حكم أول الآتين من الخلف، وينصره على أعدائه العثمانيين، ثم صاروا يصلون في الأستانة من أجل أن يديم الإله الدولة العثمانية، وينصر سلطانها على عدوه أول الآتين من الخلف؟!

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P272.

وفي يوم ١٢ رمضان ١٢٥٦هـ/٦ نوفمبر ١٨٤٠م، صدر الفرمان المنتظر، أو خط شريف بحماية اليهود من رعايا الدولة العثمانية، موجهاً من السلطان عبد المجيد الأول، إلى كبير قضاة اليهود في الأستانة، وحصل مونتفيوري على نسخة منه، وجاء فيه:

"... لهذه الأسباب لا يمكننا أن نسمح بأن يتعرض اليهود للتعذيب والمضايقة بسبب الجريمة التي ثبتت براءتهم منها، وسوف تتمتع الأمة اليهودية بجميع المزايا والامتيازات الممنوحة لغيرهم من الأمم العديدة الخاضعة لسلطتنا، وهي مثلهم تحظى بحمايتنا وحق الدفاع عنها، ومن أجل ذلك أصدرنا أوامرنا بحماية اليهود القاطنين في جميع مناطق إمبراطوريتنا، مثل جميع رعايا الباب العالي، وبألا يتحرش بهم أحد بأي طريقة، إلا لأسباب تتعلق بالقضاء والعدالة Just Cause، سواء فيما يخص ديانتهم أو حياتهم ومعاملاتهم، وعلى كبير قضاة اليهود المذكور أن يسجل الفرمان في سجلات المحكمة، وأن يقوم بإذاعته وإعلانه لجميع اليهود"[١].

وترك مونتفيوري ورفاقه الأستانة، بعد أن نسخ عدة نسخ من الفرمان، وفي طريق عودته إلى انجلترا، أرسل نسخة منه إلى يهود اليونان، ونسخة إلى يهود دمشق، ونسخة إلى يهود القدس، ونسخة إلى يهود فرنسا، ومن الطريف أنه حين وصل إلى نابولي، علم أن ثمة غضباً عارماً على اليهود في إيطاليا، بعد أن نشرت الصحف أن الرهبان الطليان الكاثوليك في دمشق، رفاق الراهب توما الكبوشي، أخذوا عظامه التي استخرجها شريف باشا من المكان الذي دفنه اليهود فيها، وأعادوا دفنها في قبر أمام بوابة كنيستهم في دمشق، وأقاموا على القبر شاهداً من الحجر، نقشوا عليه بالعربية والإيطالية عبارة:

"هنا ترقد عظام المبشر الكبوشي الأب توماسو من سردينيا Tomaso Da Sardegna، الذي قتله العبريون في دمشق يوم ٥ فبراير ١٨٤٠م"[٢].

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P279.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. I, P283.

وأرسل مونتفيوري إلى البارون شارل روتشيلد Charles De Rothschild، فحضر مع زوجته، وفي يوم ١٠ ديسمبر تم ترتيب لقاء لمونتفيوري وروتشيلد مع السفير البابوي في نابولي Pope's Nuncio، الذي وعدهم بالتدخل لإزالة شاهد القبر الذي يتهم اليهود بقتل الراهب توما، وأرسل رسالة إلى الكاردينال ريفيرولا Riverola، أحد أصدقائه من النافذين في البلاط البابوي، ليقوم بعمل اللازم لإزالة الشاهد دون إحداث ضجة، ولكن فشلت مهمته بسبب رفض البابا جريجوري السادس عشر Gregory XVI، واقتناعه الجازم أن اليهود هم من قتلوا الراهب توما.

ووصل مونتفيوري إلى لندن، وهو يحمل فرمان السلطان العثماني بحماية اليهود في الدولة العثمانية، ليخطط بالاتفاق مع إيرل شافتسبري من أجل دفع اللورد بالمرستون وزير الخارجية لوضع اليهود في الدولة العثمانية تحت حماية الحكومة البريطانية!، وهو ما رفضه السلطان العثماني، كما علمت.

وينقل المؤرخ اليهودي لوسيان وولف، في سيرته لمونتفيوري، عن مذكرات الكولونيل تشارلز هنري تشرشل Charles Henry Churchill، أن تشرشل عند تأهبه للسفر إلى بيروت، زار مونتفيوري في يوم ١١ أكتوبر ١٨٤٢م، واقترح عليه:

"تأسيس صندوق Fund، لتخفيف المعاناة عن اليهود في الأرض المقدسة، عن طريق تقديم قروض للكادحين منهم، تتراوح بين خمسمائة وألف قرش للفرد، وتأسيس مصانع يعمل بها اليهود، فأرسل السير موشيه مطبعة إلى أورشليم/القدس، وفرت عملاً للعديد من اليهود، وأسس أيضاً مصنعاً للكتان، وأرسل خبيراً فنياً لإدارته، كما أحضر ثلاثة من يهود الأرض المقدسة إلى انجلترا، لكي يتعلموا صناعة النسيج في بريستون Preston، وقام بإمداد يهود صفد وطبريا والخليل بالثيران والأدوات اللازمة للزراعة، واهتم سير موشيه في مخططه اهتماماً كبيراً بإنشاء مستشفى لليهود في أورشليم/القدس، ولكن تأخر جمع التمويل اللازم،

فأرسل السير موشيه على نفقته الخاصة دكتور فرانكل Dr. Frankel إلى أورشليم/القدس، وكلفه بإنشاء مستوصف Dispensary لعلاج اليهود"[1].

والكولونيل تشرشل نموذج آخر على موقع اليهود ومشروعهم من البناء الذهني والنفسي للساسة والعسكريين البريطان، فقد كان تشرشل ضابطاً في الحملة البريطانية على أول الآتين من الخلف في الشام، وبعدها تم تعيينه في بيروت قنصلاً عاماً لبريطانيا في سوريا/الشام، وقبل تعيينه كان قد أرسل رسالة إلى مونتفيوري، في ١٥ أغسطس ١٨٤٢م، ونشر نصها كاملاً المؤرخ اليهودي البريطاني لوسيان وولف، في كتاب آخر له، عنوانه: ملاحظات حول التاريخ الدبلوماسي للمسألة اليهودية مع نصوص المحاضر والشروط والمعاهدات والقوانين العامة والوثائق الرسمية Notes On The Diplomatic History Of The Jewish Question With Texts Of Protocols, Treaty Stipulations And Other Public Acts and Official Documents.

وفي رسالته إلى مونتفيوري يقول الكولونيل تشرشل:

"أود أن ألفت انتباهكم بشدة إلى أرض آبائكم Land Of Your Fathers، من أجل العمل بكل قوة لتخفيف معاناة إخوتكم الذين يقيمون فيها، وبهمتكم يمكن أن تعود هذه الأرض مرة أخرى موطناً لإخوتكم المتناثرين في كل مكان من الأرض، وما أقترحه هو أن يشترك اليهود في انجلترا مع إخوتهم في القارة الأوروبية، في تقديم طلب إلى الحكومة البريطانية، من خلال اللورد أبردين Aberdeen، بإرسال شخص مناسب Proper Person، إلى سوريا، تكون مهمته الأولى العناية باليهود ورعاية مصالحهم في هذه البلاد"[2].

---

1) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p120-121.
2) Lucien Wolf: Notes On The Diplomatic History Of The Jewish Question With Texts Of Protocols, Treaty Stipulations And Other Public Acts And Official Documents, P119, Published By: Jewish Historical Society Of England, Mocatta Library And Museum, Gower Street,1919.

والكولونيل تشارلز هنري تشرشل، كان هو هذا الشخص المناسب الذي اختارته الحكومة البريطانية، لرعاية اليهود ومصالحهم في الشام وفلسطين، ضمن مجموعة من الأشخاص المناسبين!

ولعدة سنوات، انشغل مونتفيوري عن يهود الأرض المقدسة، بمشاكل يهود روسيا وبولندا، التي اضطرته للسفر إلى روسيا أكثر من مرة، وإبان ذلك، سنة ١٨٤٣م، تم تعيين مونتفيوري شريفاً لمقاطعة كِنت.

وفي يوم ٢٠ مايو سنة ١٨٤٨م، غادر مونتفيوري انجلترا في رحلته الرابعة إلى الشرق، والثالثة إلى القدس والأرض المقدسة، وفي صحبته زوجته ودكتور لويفه والكولونيل جَولر Gawler، ثاني حاكم بريطاني لمستعمرة جنوب أستراليا والمفوض البريطاني المقيم فيها، فوصل إلى الإسكندرية يوم ٥ يونيو، ومنها إلى بيروت يوم ١٦ يونيو، فقدم إلى قنصل بريطانيا الكولونيل نيفين مور Niven Moore، خطاب التوصية الذي أرسله معه اللورد بالمرستون، وطلب من مور أن يساعده في الوصول إلى دمشق، وأرسل رسائل إلى يهود القدس والخليل وصفد وطبريا يُعْلمهم بقدومه.

وفي يوم ١٩ يونيو، عمتهم السعادة حين أخبرهم الكولونيل مور، أن:

"إمبراطور روسيا أصدر مرسوماً يسمح فيه لرعاياه في الأرض المقدسة بوضع أنفسهم تحت الحماية البريطانية British protection، وهو ما يعني وضع يهود روسيا وبولندا في فلسطين تحت الحماية البريطانية"[1].

وفي يوم ٣ يوليو ١٤٨م وصل مونتفيوري ورفاقه، وقد انضم إليهم دكتور فرانكل، طبيب المستوصف اليهودي في القدس، إلى دمشق، ونزلوا في بيت كبير عائلة فرحي، إسحق حاييم فرحي، وكان أول شيء فعله في دمشق، أن ذهب إلى كنيسة الرهبان الكبوشيين، وصُدم حين وجد شاهد القبر الذي يحمل العبارة التي تتهم اليهود بقتل الراهب توما ما زال قائماً في مكانه

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P13.

أمام بوابة الكنيسة، فقرر العودة في أسرع وقت إلى انجلترا، لتقديم طلب إلى الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية، كي تخاطب الحكومة العثمانية، من أجل إزالة الشاهد.

وبعد أن رتب مونتفيوري لإنشاء مدرسة يهودية للبنات في دمشق، توجه إلى صفد، ومنها إلى طبريا، فنزل ضيفاً عند الربي أبو العافية، ثم إلى نابلس، فالقدس، التي وصلها يوم ٢٦ يوليو، فمكث بها أسبوعاً، وتبرع بـ: ٥٣٧ جنيه إسترليني ليهود بولندا الذين استقروا فيها، وزار الخليل، ثم عاد إلى بيروت، وغادرها يوم ١٦ أغسطس إلى الإسكندرية، ومنها إلى انجلترا.

والكولونيل جورج جَولر، حاكم مستعمرة جنوب أستراليا، ورفيق مونتفيوري في رحلته الرابعة إلى الأرض المقدسة، هو بريطاني آخر من أصحاب نظرية أن فلسطين أرض بلا شعب، ووجوب استعمارها باليهود، لأنها أرضهم التي منحها الإله لهم، وفي سنة ١٨٤٥م، نشر ورقة في لندن، عنوانها: تهدئة سوريا والشرق Tranquilization Of Syria And The East، وقد نشر نصها ريدلي حاييم هيرشل Ridley Haim Herschell، في المجلد الأول من كتاب: صوت إسرائيل، يُوصِّله اليهود الذين يؤمنون أن يسوع الناصري هو الهامشيحاه The Voice Of Israel. Conducted By Jews Who Believe In Jesus Of Nathareth as The Messiah، الذي أشرف هيرشل على تحريره.

وهيرشل يهودي بولندي هاجر إلى انجلترا، وتحول إلى البروتستانتية مع اليهود المتحولين الذين غزوا انجلترا، وامتطوا ظهرها واستوطنوا رأسها، وساقوها في اتجاه مشروع العودة إلى فلسطين واستيطانها، كما يخبرك عنوان الكتاب الذي أشرف على تحريره.

يقول الكولونيل جَولر في ورقته، التي نشرها هيرشل في كتابه:

"لقد اختارت العناية الإلهية أمة بريطانيا العظمى لتكون أداة تقدم العالم وازدهاره، وتوجد بلاد خصبة، تسعة أعشارها خربة وخالية من السكان Desolate، وفي الوقت نفسه يوجد رجال متمدنون في أماكن أخرى يتطلعون لهذه البلاد ويؤمنون أنها وطنهم، وإذا وافق الباب العالي يمكن غرس مستعمرة من اليهود A Colony Of Jews في فلسطين ... وكل أمة على الأرض اشتركت في معاناة الشعب اليهودي مدينة لهذا الشعب، وكل أمة متمدنة، وكل

فرد فيها، أياً كانت عقيدته، مدين بلا جدال بدَين كبير لليهود، الذين تلقى عنهم مبادئ ديانته، ولذا يجب على كل أمة متمدنة أن تتقدم وتسهم، ولو بقدر صغير، في نفقات إنشاء مستعمرات يهودية في فلسطين"[١].

وفي شهر أكتوبر ١٨٥٣م، اندلعت حرب القِرم، بين روسيا والدولة العثمانية، وساندتها بريطانيا، فتوقفت تبرعات يهود روسيا وبولندا إلى الأرض المقدسة، وساءت أحوال اليهود فيها، فنشر مونتفيوري مناشدة Appeal للأمة البريطانية، يدعو فيها لإغاثة يهود الأرض المقدسة، وتأسيس صندوق لهذا الغرض، ويقول لوسيان وولف إنه:

"تمكن من جمع ٢٠,٠٠٠ جنيه إسترليني، وقام بتحويل ٨,٠٠٠ منها إلى اليهود في المدن الأربع المقدسة، أورشليم/القدس، والخليل، وصفد، وطبريا، ووضع خطة لاستثمار الباقي في أعمال دائمة النفع Of Permanent Usefulness"[٢].

فرمان بإنشاء مستشفى يهودية في القدس:

وفي يوم ٥ أغسطس ١٨٥٤م، حضر إلى مونتفيوري في لندن اليهودي جيرشون كورشيت Gershon Kursheedt، مدير أعمال التاجر اليهودي الأمريكي يهودا تورو Juda Touro، الذي توفي في نيو أورليانز، وأوصى لموشيه مونتفيوري بخمسين ألف دولار، لكي ينفقها في تحسين أوضاع اليهود في الأرض المقدسة بالطريقة التي يراها مناسبة، فقرر مونتفيوري توظيفها في إقامة المستشفى في القدس، التي وضع تصميماتها ولم يتمكن من توفير التمويل اللازم لها، وبعد موافقة كورشيت أرسل إلى البارونة روتشيلد في باريس، وإلى البارون أمشيل روتشيلد في فرانكفورت، يخبرهم بوصية تورو والغرض الذي قرر إنفاقها فيه.

وفي يوم ٢٢ أغسطس التقى مونتفيوري اللورد كلاريدون، وزير خارجية بريطانيا، وطلب مساعدته في الحصول على فرمان من السلطان العثماني يمنحه حق شراء الأراضي في فلسطين

---

1) George Gawler: Tranquilization Of Syria And The East, In: Ridley Haim Herschell, Editor: The Voice Of Israel. Conducted By Jews Who Believe In Jesus Of Nathareth As The Messiah, Vol. I, P168, Unwin, No. 31, Buklersbury, London, MDCCCXLV/1847.
2) Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, p169.

وزراعتها، وإنشاء مستشفى في القدس، فأخبره كلاريدون أن طلبه بخصوص تملك الأراضي في فلسطين ستواجهه صعوبات كبيرة، كما أنه علم أنه تم إنشاء مستشفى لليهود بالفعل منذ شهر باسم روتشيلد Rothschilds Hospital، ومع ذلك سيمنحه خطابات توصية إلى اللورد ستراتفورد ردكليف Stratford De Redcliffe، سفيره في الأستانة، وإلى القناصل، لمساعدته وفعل ما يمكنهم لتحقيق رغبته.

وفي يوم ٢٥ أبريل ١٨٥٥م، ذهب مونتفيوري إلى باريس، وأرسل مع سفير بريطانيا اللورد كاولي Cowley، التماساً إلى الإمبراطور نابليون الثالث، يتوسل فيه أن يمنحه خطاباً إلى قنصل فرنسا في دمشق، لكي يتوسط من أجل إزالة شاهد قبر الراهب توما الذي يتهم اليهود بقتله.

وشرع مونتفيوري في رحلته الرابعة إلى الأرض المقدسة، في ١٣ مايو ١٨٥٥م، وبعد جولة بين تجمعات اليهود في مدن ألمانيا والمجر، وصل مونتفيوري ورفاقه إلى الأستانة يوم ١٧ يونيو، وتم ترتيب مقابلة له مع السلطان عبد المجيد يوم ٢٨ يونيو، وفي يوم ٣ يوليو:

"**أخبرنا المستر بيزاني، أن السلطان أصدر فرماناً ببناء المستشفى، وسوف يتم إرساله إلى القنصل البريطاني في بيرا Pera**"[1].

وبعد أن تسلم مونتفيوري الفرمان في اليوم التالي، رحل إلى القدس، فوصلها يوم ١٨ يوليو، ووجد يهودها في انتظاره خارجها، وعلى رأسهم الحاخام وأعضاء مجلس اليهود، واستقبله في القدس قنصل بريطانيا جيمس فِن، وفي اليوم التالي حلت ذكرى تدمير الهيكل، طبقاً للتقويم العبري، فذهب مونتفيوري وزوجته ولويفه إلى الكنيس لأداء طقوس الذكرى، التي تشمل الامتناع عن الأكل والشراب لأربع وعشرين ساعة.

وفي يوم ٢٧ يوليو:

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P44.

"التقى السير موشيه ممثلين عن يهود صفد، فقدموا له تقارير عن نشاط جمعية الإقراض الخيرية، ومؤسسات إعانة النساء اليهوديات العاملات، التي تم إنشاؤها بأموال صندوق تخفيف المعاناة، وتم تكوين لجنة من رجال لهم خبرة بالزراعة لاختيار الأراضي المناسبة لزراعتها، وأفضل الأسر التي يمكنها العمل بالزراعة، فاختارت اللجنة منطقة بوكيا Bokea، المجاورة لصفد، كأفضل منطقة للزراعة، وبمساعدة اللجنة تم اختيار خمساً وثلاثين أسرة من صفد، لتدريبهم وتزويدهم بالوسائل اللازمة للزراعة، تحت رعاية اللجنة، كما تم اختيار بعض الفتيان اليتامى لتعليمهم الزراعة"(1).

وهنا نعرفك أن فرمان السلطان العثماني الذي منحه لمونتفيوري، كان بخصوص مستشفى في القدس، ولم يكن به أي مادة تعطيه حق شراء الأراضي وزراعتها، لا في القدس ولا في غيرها من بلدان فلسطين، ولكنه فعل ذلك بسلطة قناصل بريطانيا ونفوذ قواتها التي تمركزت في الشام، بعد إخراج أول الآتين من الخلف منها.

وبعد صفد، جاء يهود طبريا، وتم اختيار ثلاثين أسرة منهم، للعمل بالزراعة، وإمدادهم بالأدوات والوسائل اللازمة.

واختار مونتفيوري أحد أكبر البيوت في الحي اليهودي في القدس، وأسس فيه مدرسة لتعليم بنات إسرائيل الحياكة والتطريز وأعمال التدبير المنزلي، واختار أفضل سيدات المجتمع اليهودي في القدس لتعليم الفتيات وتدريبهن، وتفقد أعمال مصنع الكتان الذي أُنشأ في بيت آخر في الحي اليهودي.

ووقع اختيار مونتفيوري على قطعة أرض غرب القدس، على بعد دقائق من بوابة يافا، وتجاور الطريق منها إلى الخليل، لبناء المستشفى، وكانت الأرض ملك أحمد أغا الدِزدار، حاكم القدس إبان حكم أول الآتين من الخلف، والذي صار صديق مونتفيوري عند زيارته الثانية للقدس، وحين طلب مونتفيوري شراء الأرض، قال له الدزدار:

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P47-48.

"أنت صديقي وأخي وقرة عيني Apple Of My Eye، لقد ورثت هذه الأرض عن آبائي، ولن أبيعها لأي شخص، ولو بآلاف الجنيهات، ولكني أمنحها لك دون مال، وكلما سألناه عن ثمن الأرض رد بنفس العبارة، وبعد يوم كامل قال لي (لدكتور لويفه): أخبر السير موشيه أن يعطيني ألف جنيه إسترليني، وسوف أذهب الآن إلى القاضي لأبيع له الأرض، وعندما أخبرت السير موشيه قام على الفور بِعَدِّ ألف جنيه إنجليزية، وانطلق إلى القنصل البريطاني، وذهبا معاً إلى أغا الدِزدار، وتم البيع"[1].

وفي المحكمة قام القاضي بتسجيل حُجة بيع الأرض، وحدد مساحتها وحدودها، وأن الغرض منها بناء مستشفى، وكان نصها:

"بإذن من الباب العالي، حفظه الله وأدام عرشه، وبتصريح من الصدر الأعظم للسير موشيه مونتفيوري بن جوزيف إلياهو، اشترى السير موشيه قطعة أرض بغرض بناء مستشفى للإسرائيليين الفقراء Poor Of The Israelites، الذين يقيمون في القدس، وقد اشتراها من أحمد أغا الدِزدار بن السيد فضل الدين أغا"[2].

وفي يوم ١٥ أغسطس ١٨٥٥م، قام مونتفيوري وزوجته، بوضع حجر أساس المستشفى في الأرض التي صارت ملكه، في حضور قنصل بريطانيا جيمس فِن وزوجته، ودكتور لويفه، وجيرشون كورشيت، مدير أعمال يهودا تورو، وجمع غفير من يهود القدس.

وغادر مونتفيوري القدس إلى الخليل، ووقع اختياره على قطعة أرض لكي يقيم عليها مستوصفاً مثل الذي في القدس، ولكن رفض مالكها بيعها له، فغادرها إلى يافا، ثم إلى الإسكندرية، عائداً إلى انجلترا.

وفور عودته طلب مونتفيوري من لجنة إدارة صندوق إعانة اليهود في الأرض المقدسة التي يرأسها التعاقد مع شركة ميسرز وهولمان Messrs And Holman، لإنشاء طاحونة هوائية

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P51-52.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P52.

لليهود في القدس، ثم بدأ في التخطيط لإنشاء خط سكة حديد بين يافا والقدس، لتسهيل حركة اليهود، وتشجيعهم على الذهاب للأرض المقدسة، والتقى من أجله إيرل شافتسبري واللورد بالمرستون، وقد صار رئيس الحكومة البريطانية، الذي تحمس للمشروع، وأخبره أنه سيفاتح فيه الصدر الأعظم علي باشا، في زيارته الرسمية المرتقبة إلى لندن، من باب أن خط السكة الحديد سوف يؤدي إلى ازدهار التجارة في سوريا/الشام، ويوثق العلاقات التجارية بين انجلترا والباب العالي، ووعدهم علي باشا بعرض الأمر على السلطان.

من مستشفى إلى مساكن للإيواء:

ولم يكن قد مر على عودة مونتفيوري من الأرض المقدسة سنة، حتى بدأ في الترتيب لرحلته الخامسة، من أجل الحج إلى القدس ومتابعة المشروعات التي بدأها في الأرض المقدسة، وشرع فيها مع زوجته ولويفه وكورشيت، في ٢٥ فبراير ١٨٥٧م، ووصل الإسكندرية يوم ٥ مايو، ومنها إلى يافا، حيث استقبلهم قنصل بريطانيا وأحمد أغا الدِزدار، الذي رافقهم مع فرسانه إلى القدس، فوصلوها يوم ٢٠ مايو، وزاروا المستوصف اليهودي ومدرسة البنات ومصنع النسيج، وقدم أعضاء المجلس اليهودي تقارير لمونتفيوري عن سير العمل بها، ثم زاره أعضاء لجنة الزراعة من يهود صفد وطبريا وقدموا له تقارير عن تطور الأعمال الزراعية والصعوبات التي يواجهها المزارعون اليهود، ثم تفقد أعمال إنشاء الطاحونة الهوائية، وقام بتعويض جمعية الإقراض التي أقامها صندوق الإعانة عن الأموال التي اقترضها اليهود الفقراء ولم يستطيعوا ردها، وزار موقع المستشفى التي لم يكتمل بناؤها، وهناك أخبره الحاخامات أن اليهود من جميع الجنسيات يعالجون في مستشفى روتشيلد، وهي تكفيهم، وطلبوا منه أن يبني مساكن لليهود الفقراء مكان المستشفى، وفي يوم ٢ يونيو غادر مونتفيوري القدس عائداً إلى انجلترا[١].

وتوقف مشروع بناء مساكن لليهود في الأرض التي اشتراها مونتفيوري، بسبب اعتراض سوريا باشا Sureya Pasha، في فلسطين، على تغيير الغرض المنصوص عليه في فرمان السلطان، فطلب مونتفيوري وساطة موسوروس باشا Musurus، سفير الباب العالي في لندن، الذي أرسل

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P66-69.

طلب مونتفيوري إلى وزير الخارجية فؤاد باشا، وجاءه الرد في شهر فبراير ١٨٦٠م، بموافقة الباب العالي على:

"بناء مساكن إيواء Almshouses، لليهود الفقراء في القدس، وتم إرسال تعليمات بذلك إلى حاكم أورشليم/القدس، فأرسل سير موشيه إلى صندوق الإعانة في القدس من أجل إتمام الأبنية، وتم تسميتها مشكنوت شنعانيم/مساكن المسالمين משכנות שאננים، أو مساكن إيواء يهودا تورو، وطلب مونتفيوري اختيار من سيقيمون فيها بعناية، وأن يكونوا من ذوي الأخلاق العالية والمتفقهين في الشريعة اليهودية Well Learned In Our Law"(١).

فهاك صورة لمنازل إيواء اليهود، التي أنشأها مونتفيوري خارج بوابة يافا في القدس، كما رسمها دكتور لويفه، وتظهر فيها الطاحونة الهوائية.



صورة لمنازل إيواء اليهود، التي أنشأها مونتفيوري خارج بوابة يافا في القدس، وتظهر فيها الطاحونة الهوائية.

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P109, 111.

واتفق مونتفيوري مع كورشيت، في حضور حاخام لندن، على أن تكون المنازل مناصفة بين يهود السفارديم الشرقيين والأشكناز الغربيين، وأن يختار حاخام كل طائفة من يسكنون فيها، وأن يقام كنيس صغير لكل طائفة داخل الأسوار التي تحيط بالمنازل، وقرروا أن يسافر كورشيت إلى القدس لمتابعة البناء.

وفي ٢٥ سبتمبر ١٨٦٢م، توفيت جوديث زوجة مونتفيوري، ودفنت في رامسجيت، ونثر على تابوتها داخل القبر كميات كبيرة من تراب القدس المقدس Terra Santa، حسب وصيتها الثانية، بعد أن شرع مونتفيوري في تنفيذ وصيتها الأولى، بدفنها في وادي يهوشافاط في القدس، ولكن تعذر السفر بالسرعة اللازمة للحفاظ على الجثمان.

وبعد وفاة زوجته ببضعة أشهر، وبناءًا على وصيتها له بمتابعة ما فعلته معه في الأرض المقدسة وإتمامه، بدأ مونتفيوري في الترتيب لرحلة إلى القدس، فأرسل خطاباً إلى الأرمني موسورس باشا، السفير العثماني في لندن، يطلب منه إعطاءه خطابات توصية إلى الصدر الأعظم ووزير الخارجية، لكي يرتبوا له مقابلة مع السلطان عبد العزيز، الذي خلف السلطان عبد المجيد الأول، وبدأت سلطنته في ٢٥ يونيو ١٨٦١م، ولكي يمنحوه خطاب توصية إلى حاكم القدس.

وفي شهر مايو ١٨٦٣م، وصل مونتفيوري إلى الأستانة، وبخلاف مقابلاته السابقة مع السلطان عبد المجيد، التي أسهب دكتور لويفه في وصفها، نقلاً عن يوميات مونتفيوري، وأورد نصوص ما دار فيها كاملاً، لم يورد عن مقابلة مونتفيوري مع السلطان عبد العزيز سوى عبارة واحدة، ذكر فيها أن:

"السلطان صدق على الامتيازات للإسرائيليين من رعاياه To His Israelite Subjects، التي منحها لهم سابقه"[1].

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P142.

وقرر مونتفيوري مواصلة الرحلة إلى القدس، ولكن مع اعتلال صحته، نصحه أطباؤه بعدم المواصلة، لطول الطريق ومشقته، فعاد إلى انجلترا في بداية شهر يوليو.

وفي شهر سبتمبر ١٨٦٥م، تفشى وباء الكوليرا في بلدات فلسطين وقراها، فاجتمع مجلس نواب اليهود في بريطانيا، وصندوق تخفيف المعاناة عن اليهود في الأرض المقدسة، وأصدروا بياناً وإعلانات في الصحف لإنقاذ اليهود في الأرض المقدسة، وتم جمع مبلغ كبير من المال، وإرساله إلى تجمعات اليهود في المدن الأربع المقدسة، وقرر مونتفيوري السفر بنفسه إلى القدس، وقد تخطى الثمانين من عمره، وكانت هذه رحلته السادسة إليها.

وفي يوم ٢٦ فبراير ١٨٦٦م، غادر مونتفيوري انجلترا، إلى الإسكندرية، ومكث بضعة أيام في كنيس إلياهو Kenees Eleeyahoo، ومنها رحل إلى يافا، فوصلها يوم ١٩ مارس، ووجد قنصل بريطانيا نيفين مور في انتظاره، وطلب من قادة اليهود الذين حضروا لاستقباله، إعداد إحصائيات تفصيلية في الأرض المقدسة كلها، عن عدد الأسر اليهودية وعدد الأفراد وأعمارهم وتعليمهم ووظائفهم، وعدد المدارس اليهودية والكنيسات والمؤسسات الخيرية.

وفي يوم ٢٧ مارس، وصل مونتفيوري إلى القدس، فوجد في استقباله الحاخامات ومئات اليهود، والعشرات من أطفال المدارس اليهودية قد اصطفوا في نظام على الجانبين في زي واحد، وهم:

"يغنون الأغاني العبرية عن معاناة صهيون والأمل في مستقبل إسرائيل Sufferings Of Zion, And The Hope In Israel's Future"[1].

وسر مونتفيوري اهتمام المدارس اليهودية بتعليم العبرية، وقدرة التلاميذ اليهود على قراءة الكتب المقدسة والغناء بها، وأول عمل قام به في القدس، كان البدء في ترميم الكنيس اليهودي، ومع اقتراب عيد الفصح، وعدم قدرة بعض اليهود على توفير لوازمه، تبرع بمائة جنيه إسترليني لليهود السفارديم البرتغاليين والمغاربة، وبمثلها لليهود الأشكناز البولنديين والألمان، ثم زار مساكن

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P174.

الإيواء ومصنع النسيج والمستوصف، وزار حاكم القدس، عزت باشا، وناقشه في مسألة شح المياه في القدس، والتي كانت سبباً رئيسياً في انتشار الكوليرا، وتبرع بمائتي جنيه إسترليني لتأسيس صندوق لجلب الأدوات اللازمة لتوفير المياه النقية والنظافة، في مقابل أن يسمح عزت باشا بإقامة سقيفة عند الحائط الغربي للحرم القدسي/حائط البراق، لحماية اليهود الأتقياء Pious الذي يترددون على هذه البقعة من الشمس والمطر، وجاءه ممثلون عن ستين أسرة من صفد طالبين إمدادهم بالمال والأدوات اللازمة للعمل بالزراعة، مع توصية بهم من قنصل النمسا ميكلاسيفيتش Miklasiewicz[١].

وفي يوم ٨ أبريل ١٨٦٦م، توجه مونتفيوري إلى جبل الزيتون، وصعد إلى أعلى بقعة فيه، لكي يرى موضع الهيكل، ومسجد عمر/المسجد الأقصى، الذي أقيم في مكانه، وزار وادي يهوشافاط، وفي يوم ١٥ أبريل، غادر القدس عائداً إلى انجلترا.

وفي أغسطس ١٨٧٤م، تقدم مونتفيوري بطلب لمجلس نواب اليهود في بريطانيا، يعتذر فيه عن رئاسته، لتقدم عمره واعتلال صحته، وكان رئيسه منذ سنة ١٨٤١م، وآخر عمل قام به قبل أن يترك رئاسة المجلس، كان عرضه للمشروع الذي أرسله إليه الكولونيل جَولر:

"بإنشاء مستعمرات زراعية وصناعية يهودية في فلسطين، عن طريق اكتتاب لليهود في جميع أنحاء العالم، لجمع مليون جنيه إسترليني، وبناءًا على اقتراح السير موشيه، شكل المجلس لجنة خاصة Special Committee، لدراسة خطة الكولونيل جَولر، وفي تقريرها وجهت اللجنة شكرها العميق للكولونيل جَولر، ولكنها قالت إن مخططه أكبر من قدرة المجلس، ولن ينجح في ظل الأوضاع الحالية في الأرض المقدسة، وبدلاً من ذلك، اقترحت اللجنة اتخاذ إجراءات دائمة لتحسين أحوال اليهود في الأرض المقدسة، عن طريق إنشاء المساكن والمؤسسات الخيرية، وإنشاء المصانع وحثهم على العمل بالصناعة، وامتلاك الأراضي

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P177-179.

وزراعتها على نحو متدرج، مع التشديد على أن التمويل سوف يوجه إلى النشطاء والذين يرغبون حقاً في مساعدة أنفسهم، وليس إلى الذين يريدون العيش على الهبات والعطايا"(١).

وفي يوم ٢ يوليو ١٨٧٥م، شرع مونتفيوري في رحلته السابعة إلى الأرض المقدسة، واستقبله في الإسكندرية البارون منشه وأولاده وقطاوي بك، ووصل إلى القدس يوم ٢٥ يوليو، وسره مرأى نظام مساكن يهودا تورو ونظافتها، وقد صار يقطنها عشرات الأسر اليهودية، وتذكر كيف كان الحال قبل سنوات قليلة، إذ لم تكن توجد أسرة يهودية واحدة خارج أسوار القدس، وسره أكثر الاندماج والتزاوج بين أسر السفارديم والأشكناز، واستقبله داخل القدس قنصل بريطانيا نويل مور Noel Moore، ثم نزل مونتفيوري في بيت جهزه له، ويمكنه أن يرى منه القدس كلها، والتقى مونتفيوري قادة التجمعات اليهودية في القدس، وفوجئ وسعد بقدوم وفد يمثل يهود جورجيا، الذين لم يكن لهم وجود في القدس، وبدأوا في القدوم إليها والاستقرار فيها خلال السنوات الخمس السابقة، بمرسوم خاص من الإمبراطور الروسي نيكولاس Nicholas، ووصل عددهم في القدس إلى مائتي فرد، وزاره دكتور شوارتز Schwartz، ودكتور بوفلز Puffeles، مديرا مستشفى روتشيلد، وألحوا عليه لكي يشرِّف المستشفى بالزيارة، وكان مونتفيوري قد أمر قبل بضع سنوات بوضع المستوصف الذي أنشأه في القدس تحت إدارة المستشفى، وطلب من دكتور لويفه أن يعد له وسيل انتقال مريحة ويصحبه في جولة لمعاينة جميع الأراضي المعروضة للبيع خارج أسوار القدس، من أجل معرفة مساحاتها وأثمانها والترتيب لشرائها، ولكن رفض أطباؤه السماح له بذلك، وقام بالمهمة لويفه مع رفقائه من يهود القدس، وقدموا لمونتفيوري تقريراً مفصلاً، وسمح الأطباء لمونتفيوري بزيارة المدارس اليهودية والكنيس، وسُر من سعته وفخامته وارتفاعه بعد تجديده، واستقبله فيه حاخامات تجمعات اليهود المختلفة، وفي يوم ٨ أغسطس رحل عن القدس(٢).

ويوميات رحلة مونتفيوري السابعة التي كتبها بنفسه، ختمها بملاحظات ودعوة إلى أحباء صهيون، فهاك هي:

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P264-265.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P277-280.

"وأشعر في ختام هذه المشاهدات، أن من واجبي أن أخبر جميع أحباء صهيون أنني كنت دائماً مهتماً بإخوتنا في الأرض المقدسة، وإذا سألتموني: هل يستحقون هذه المساعدة، فالإجابة: بكل تأكيد، وهل عندهم إرادة وقادرون على العمل، فإجابتي: بلا شك، وهل قدراتهم العقلية عالية، فالإجابة: بالقطع، اليهود في القدس وفي عموم الأرض المقدسة أكثر جلداً ومثابرة من كثير من الرجال في أوروبا، وعندما لا يتوفر العمل، وعندما لا توجد أسواق لبيع ما ينتجونه، وعندما ينهكهم وباء الكوليرا، يجب علينا نحن الإسرائيليين الذين تجلى لهم الإله في سيناء **Unto Whom God Has Revealed Himself On Sinai**، أن نهب لمساعدتهم والتخفيف من معاناتهم، والآن أدعوكم إلى إنشاء صندوق، تكون مهمته الأولى إنشاء المساكن في أورشليم/القدس، فيقوم باختيار الأراضي خارج المدينة، وإنشاء منازل على الطراز الأوروبي، وترتيبها على شكل هلال أو ميدان واسع، وفي مركز الميدان كنيس وكلية وحمام عام، وأمام كل منزل قطعة أرض واسعة وتكفي لزراعة الخضروات وأشجار الزيتون، لإغراء سكانها بممارسة الزراعة، وتكون المنازل بإيجار معتدل، يتم جمعه واستخدامه في صيانة المنازل وتوظيف كاتب وملاحظ، ويجب إنشاء جمعية لإقراض الفقراء من العمال والمزارعين والتجار، في مقابل فائدة ٢%، للإنفاق منها على مقر الجمعية والمسؤول عنها، وإذا كان تمويلكم كافياً، يمكن أيضاً إنشاء منازل شبيهة وجمعية للإقراض في الخليل وصفد وطبريا، فإذا تكرمتم بتوفير ثلاثين ألف جنيه إسترليني، أو خمسين ألفاً، فسوف يمكنكم دون عناء كبير شراء ما ترغبون فيه من الأراضي، في القدس والخليل وصفد وطبريا ويافا وحيفا، وسوف تجدون عدداً كافياً من الأشخاص الراغبين في العمل بالزراعة، وإذا سألتموني: ما هو الوقت المناسب لبدء العمل، بفرض أننا جاهزون لاتباع إرشادات مجلسكم، فإجابتي هي: ابدأوا فوراً **Commence At Once**، واليوم قبل غداً، إن إخوتنا في أوروبا وفارس وتركيا، قد نهضوا استجابة لوعودكم، التي وصلتهم مصحوبة بالأمل، في الدوريات العبرية والألمانية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية، وقد تعلقوا بهذا الأمل، وأنكم لن تتوانوا عن بعث أبناء صهيون، وهم الآن يستصرخونكم قائلين: "نحن الآن هنا، أعطونا الأرض، وأعطونا العمل، الذي وعدتمونا، ومن أجل حبنا لأورشليم/القدس، نرغب في أن نؤدي أشق الأعمال ونُتمَّ

أصعب الأهداف"، وأكرر (مونتفيوري) أنكم في مهمة مقدسة، فاشرعوا فيها في الحال، وهو الذي يبتهج بصهيون سوف يبارك في عمل أيديكم"[1].

وبعد عودة مونتفيوري لانجلترا، وبناءًا على دعوته لمجلس اليهود في بريطانيا، ولأحباء صهيون:

"تم تأسيس صندوق وصية مونتفيوري Testimonial Fund، في بداية سنة ١٨٧٦م، وقامت اللجنة التنفيذية للصندوق بعمل إعلانات في الصحف الإنجليزية والألمانية والعبرية، تطلب فيها أشخاصاً مؤهلين، للعمل كوكلاء للصندوق في الأرض المقدسة، وقررت اللجنة تكريس الصندوق بالكامل لشراء الأراضي وبناء المنازل في الأرض المقدسة، وتشجيع اليهود فيها على العمل بالزراعة والصناعة"[2].

وتمكن الصندوق، الذي عُرف أيضاً بصندوق استعمار فلسطين Palestine Colonialism Fund، تمكن عبر وكلائه، من شراء قطعتي أرض خارج أسوار القدس، بألف جنيه إسترليني، ووقع عقدين مع جمعيتي بناء لإنشاء مساكن فيهما، وإحدى الجمعيتين يملكها يهود الأشكناز الألمان، واسمها جمعية مساكن إسرائيل Mishkcnoth Israel، والثانية يملكها يهود السفارديم البرتغال، واسمها جمعية خيمة موسى Ohel Moshe، واتفقت اللجنة التنفيذية للصندوق مع كل جمعية على:

"أن تقدم اللجنة للجمعية ٢٦٠٠ جنيه إسترليني، في مقابل بناء ثمانين منزلاً مفرداً، أو أربعين منزلاً مزدوجاً، وكنيس، وصهاريج مياه Cisterns، وحمامات، وغيرها من الأبنية العامة الضرورية لسكان المنازل، على أن تقوم الجمعية برد المبلغ الذي قدمته اللجنة خلال خمسة عشر عاماً، وحينئذ تصبح المنازل ملكاً خالصاً للجمعية، ولكن بشرط أن تظل الأبنية

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P281-282.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P283.

المخصصة للاستخدام العام دائماً ملكاً للجنة، وأن يُنقش اسم السير موشيه مونتفيوري على المجموعة الأمامية من المنازل، تحية له وتذكاراً دائماً بذكراه"[1].

وبخصوص مشروعات الصناعة والتحول الصناعي لليهود في الأرض المقدسة:

"قامت اللجنة التنفيذية لصندوق استعمار فلسطين، بدعم صناعة نحت الخشب ونقشه، وصناعة النسيج والحياكة، بين اليهود في أورشليم/القدس، واهتمت اللجنة اهتماماً كبيراً وأنفقت أموالاً كثيرة لتنمية صناعة البلاط والطوب في أورشليم/القدس، وفي شهر ديسمبر ١٨٨٤م جُلبت الآلات وأُنشئت مدرسة روتشيلد Rothschild School، في المدينة المقدسة، من أجل تدريب الأشخاص المؤهلين والراغبين في تعلم فنون صناعة الطوب والبلاط، ولم تقم اللجنة بدعم أي مشروعات زراعية، لأن المشروعات التي قدمت لها لم تكن مرضية"[2].

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P284.
2) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P284.



الدولة العثمانية والاستيطان والحركة الصهيونية

أخطاء عثمانية:

بالتوازي مع محاولات صندوق مونتفيوري ومشروعاته، حاولت مجموعة من يهود القدس شراء أرض زراعية في حيفا من أحد المسلمين، ولم توافق السلطات العثمانية على البيع وألغت العقد، بناءً على تعليمات من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، الذي صعد إلى سدة السلطنة والخلافة في ١٨ شعبان ١٢٩٣هـ/٣١ أغسطس ١٨٧٦م، بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود، وبعد البحث عثروا على قطعتي أرض متجاورتين قرب يافا، يملكهما تاجران مسيحيان، هما أنطوان بشارة طيان Antoine Bishara Tayan، وسليم قصار Selim Qassar، فقاموا في ٣٠ يوليو ١٨٧٨م، بشراء أرض سليم قصار، وكانت مساحتها ٣٥٠٠ دونم، وتقع قرب قرية ملبس Mulabes، في وادي نهر العوجا Yarkon Valley، وأقاموا فيها خلال السنة التالية عشرة مساكن، وأقام فيها ٦٦ يهودياً، وشرعوا في استصلاحها وزراعتها، وأسموها بتاح تكفاه פֶּתַח תִּקְוָה أو بوابة الأمل، وهي عند اليهود المستوطنة الأم، أو أم المستوطنات אם להתנחלויות.

وهاك أسماء اليهود الذين اشتروا أرض وادي العوجا، وأقاموا عليها مستوطنة بتاح تكفاه، كما ذكرتهم الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopedia Judaica:

"يوئيل موشيه سالومون Joel Moses Salomon، ويهوشوا ستامفر Yehoshua Stampfer، وموشيه شمويل راب Moshe Shmuel Raab، وديفيد جوتمان David Gutmann، والربي أريه فرومكن Aryeh Frumkin"[1].

---

1) **Shlomo Hasson And Shaked Gilboa: Petah Tikvah, Encyclopedia Judaica, Vol. XVI, P14, Macmillan Reference USA, In Association with Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.**

وبعد عامين اجتاحت الملاريا وادي نهر العوجا، فهجر اليهود المستوطنة، وظلت مهجورة إلى أن أعادت حركة بيلو(•) Bilu، استيطانها وزراعتها وتحسين أوضاعها الصحية، بتمويل من البارون إدموند روتشيلد Edmond De Rothschild.

وحركة بيلو أسسها مجموعة من اليهود الروس المهاجرين إلى فلسطين بعد الإجراءات العقابية ضد اليهود في روسيا، بسبب اشتراكهم في اغتيال القيصر ألكسندر الثاني Alexander II، سنة ١٨٨١م.

وقد وافقت السلطات العثمانية، على بيع الأرض التي تقع في وادي نهر العوجا لليهود لسببين، الأول لأنها كانت مستنقعات موبوءة بالملاريا، والثاني لأن من اشتروها تحايلوا على القوانين العثمانية، واشتروها باسم أحد اليهود الذين يحظون بحماية قنصلية النمسا، وتعطيه الامتيازات الممنوحة للقناصل حق شراء الأرض، وهو يوئيل موشيه سالومون.

وهاهنا موضع أن تعرف موقف الدولة العثمانية من بيع الأراضي في فلسطين لليهود ومشروعاتهم الاستيطانية فيها، فعلى خلاف أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، الذي فتح القدس وفلسطين لليهود، ونفَّر منها المسلمين، عامداً قاصداً من تلقاء نفسه، وهو يعي ما يفعله، ويفعله برضاه ودون ضغوط من أحد، واتفق مع مونتفيوري على أن ينزع له مائتي قرية في صفد من أهلها ويمنحها له، لكي يستوطنها ويزرعها اليهود، على خلاف ذلك كان موقف السلطات والسلطان العثماني.

فكما رأيت من قبل، في مشاريع شافتسبري وبالمرستون، وعند قصة القنصلية البريطانية والأسقفية البروتستانتية، وافق سلاطين الدولة العثمانية، تحت ضغط القوى الأوروبية، على إصدار فرمانات بحماية اليهود في فلسطين، باعتبارهم من رعايا الدولة، ولكنهم لم يوافقوا في أي وقت، حتى وهم في أشد لحظات الدولة حرجاً وهي مهزومة أمام قوات أول الآتين من الخلف،

(•) بيلو בילו: هي الأحرف الأولى من كلمات عبارة عبرية في الإصحاح الثاني من سفر إشعياء، نصها: "בית יעקב לכו ונלכה، وترجمتها العربية الرسمية: "هلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ" (إشعياء: ٢: ٥).

والأساطيل الأوروبية تحاصر الأستانة في غلاف الدفاع عنها، على منح فرمانات تفتح فلسطين أمام اليهود من خارجها، وتمنحهم حق شراء الأراضي فيها.

والفرمان الوحيد الذي أصدره السلطان عبد المجيد الأول بخصوص ذلك، هو الفرمان الذي منح فيه مونتفيوري حق شراء قطعة أرض في القدس لغرض محدد، هو إنشاء مستشفى، سنة ١٨٥٥م، والذي تم تعديله بفرمان آخر، سنة ١٨٦٠م، ليصبح الغرض إنشاء مساكن إيواء لليهود الفقراء.

والسلطان عبد العزيز، الذي خلف أخاه عبد المجيد، أصدر هو أيضاً فرماناً وحيداً، سنة ١٨٦٨م، منح فيه النائب في البرلمان الفرنسي، ورئيس الاتحاد الإسرائيلي العالمي Alliance Israélite Universelle، أدولف كريميو Adolph Cremieux، حق استئجار قطعة أرض مساحتها ٢٦٠٠ دونم، قرب يافا، لبناء مدرسة للزراعة، والتي تم إنشاؤها سنة ١٨٧٠م، وسميت مكفه إسرائيل/أمل إسرائيل Mikveh Israel، وكان الذي مول إنشاءها البارون إدموند روتشيلد واليهودي الفرنسي شارل نتر Charles Netter، مؤسس جمعية رعاية العمال اليهود في باريس Societe De Patronage Des Ouvriers Juifs، والذي مات سنة ١٨٨٢م في يافا أثناء زيارته للمدرسة[1].

والسلطان عبد المجيد الأول، أصدر فرمانه لمونتفيوري، تحت ضغط سفراء بريطانيا والقوى الأوروبية التي أخرجت أول الآتين من الخلف من الشام، ثم تمركزت قواتها فيها، وصارت هي صاحبة السلطة الفعلية فيها، وإن أعادتها للدولة العثمانية اسمياً وقانونياً، وتحت ضغط الأساطيل الأوروبية التي قدِمت إلى الأستانة لرد جيش أول الآتين من الخلف عنها، ثم صارت تحاصرها، ولكن ذلك لا يعفيه من الوزر والمسؤولية، كما أن عدم تبلور المشروع اليهودي وعدم ظهوره على سطح الأرض إذ ذاك، لا يعفيه هو وخلفه السلطان عبد العزيز، وهم في مثل هذا المقام والموضع، ولا يبرر غفلتهم وعدم إدراكهم لخطورة ما أصدروه من فرمانات ليهود أوروبيين ليسوا من أهل فلسطين ولا من رعايا الدولة، وعدم قدرتهم على رؤية توابعها وآثارها عبر الزمان، فأصبحت ثقوباً تسلل اليهود من خلالها إلى القدس وفلسطين.

---

1) The History Of Zionism, Vol. I, P183.

إجراءات حميدية:

وبخلاف هذين الفرمانين، وقطعة الأرض التي اشتراها مونتفيوري في القدس وأنشأ عليها مساكن يهودا تورو، والقطعة الأخرى التي اشتراها كريميو في يافا وأقام عليها مدرسة الزراعة، فكل ما اشتراه اليهود الأوروبيون أصحاب مشاريع استعمار فلسطين، من أراض فيها، وما أقاموه من مستوطنات، كان على غير إرادة سلاطين الدولة العثمانية وسلطاتها، وحازها اليهود بالحيل والالتفاف على القوانين العثمانية، عن طريق شراء الأراضي باسم يهود فلسطين الأصلاء المقيمين فيها هم وأسرهم لمئات السنين، أو باسم القناصل، خصوصاً قناصل بريطانيا، ومن يشملونهم بالحماية، طبقاً لقوانين الامتيازات، أو بالرشا للسلطات المحلية والمسؤولين عن البلدات والقرى في فلسطين.

وفي يوميات مونتفيوري، يقول محررها دكتور لويفه، إنه في يوم ٢١ ديسمبر ١٨٧٥م، وقبل تأسيس صندوق مونتفيوري، ذهبت لجنة على رأسها جاكوب مونتفيوري Jacob Montefiore، ابن أخي السير موشيه، إلى السفير العثماني في لندن، موسورس باشا، وقدموا له طلباً:

"برغبتهم في تشجيع استعمار سوريا وفلسطين، وأن ثَمة أشخاص جادين وخيرين، خصوصاً من اليهود، يرغبون في أن يهبوا أنفسهم لتنمية الزراعة والصناعة في فلسطين، وأشاروا إلى المنافع التي ستجنيها الحكومة التركية، والتحسن المالي العظيم الذي سيحدث، إذا قبلت عرض المستوطنين الاجانب Foreign Settlers"[1].

وكان رد السفير العثماني:

"الأجانب أحرار في شراء الأراضي، في أي مكان من تركيا، بمعرفة قناصلهم وحسب الامتيازات الممنوحة لهم، ولكي يحصلوا على مزايا أخرى وتوافق الحكومة التركية على منحهم

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P285.

الأراضـي، لابـد أولاً أن يلتزمـوا بقوانينهـا ويصـبحوا مـن رعاياهـا Being Turkish Subjects"[١].

وأما الرجل الذي أدرك خطورة ما يحدث، وما يترتب على تسلل اليهود إلى فلسطين، ورأى عبر حجب الغيب توابعه وآثاره، فهو السلطان عبد الحميد الثاني، فما أن صعد إلى سدة السلطنة، حتى أصدر تعليمات للحكومة العثمانية بمنع بيع الأراضي في فلسطين لليهود، ويقول المؤرخ اللبناني وأستاذ التاريخ في جامعة بيروت العربية، دكتور حسان حلاق، في كتابه: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، إن السلطان عبد الحميد الثاني، أرسل مع توليه الحكم، محمد رؤوف باشا، متصرفاً على القدس، وظل على متصرفية القدس، من سنة ١٨٧٦م إلى سنة ١٨٨٨م، وكان:

"رجلاً مستقيماً نظيف اليد، فأخذ يرسل بين الحين والآخر القوات العثمانية للبحث عن اليهود المقيمين بطريقة غير قانونية، وكان رؤوف باشا في صراع مع اليهود منذ عام ١٨٧٨م، ومن المعارضين للهجرة اليهودية، وكثيراً ما تنازع مع القنصلين الروسي والألماني لاحتجاجاتهما المتكررة ضده، بسبب ملاحقاته للمهاجرين اليهود، وكان لردود الفعل العربية أثر واضح في سياسة رؤوف باشا، حين اجتمع أكثر من مرة مع المتنورين من العرب، الذين أبدوا معارضتهم للهجرة اليهودية، سواء بتقديم العرائض، أو بالهجمات على المستوطنات اليهودية"[٢].

وكانت الأستانة قد تنبهت أواخر عهد السلطان عبد العزيز، إلى خطورة الأوضاع في القدس، وأطماع اليهود فيها، فأصدرت الحكومة العثمانية، سنة ١٨٧٤م، قراراً إدرايـاً، بتحويل القدس والمناطق التابعة لها من سنجق/لواء يتبع والي الشام، إلى متصرفية مستقلة تتبع الباب العالي مباشرة، وهو الذي يقوم بتعيين متصرفها ويتلقى منه المعلومات ويصدر له التعليمات، وكانت

---

1) Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Vol. II, P286.

٢) دكتور حسان حلاق: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧م-١٩٠٨م، ص٩١، جامعة بيروت العربية، طبع في دار الأحد إخوان، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

متصرفية القدس تشمل خمسة أقضية، هي قضاء القدس، وقضاء الخليل، وقضاء يافا، وقضاء غزة، وقضاء بئر السبع.

وفي دراسته: السياسة العثمانية والقيود على الاستيطان اليهودي في فلسطين Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine,1881-1908، التي نشرها سنة ١٩٧٤م، في المجلة الأكاديمية لدراسات الشرق الأوسط Middle Eastern Studies، التي تصدر في لندن، وكانت مصادره الأساسية فيها أرشيف وزارة الخارجية البريطانية، وتقارير سفيري بريطانيا والولايات المتحدة في الأستانة إلى حكومتيهما، وأرشيف الاتحاد الإسرائيلي العالمي في باريس، والأرشيف المركزي للمنظمة الصهيونية في القدس، مع المصادر والصحف اليهودية المعاصرة للأحداث، وهي الدراسة التي جعلها الباب الأول من كتابه: العرب والصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى The Arabs And Zionism Before World War I، في دراسته وكتابه يقول المؤرخ الأمريكي وأستاذ التاريخ في جامعة هارفارد، نيفل ماندل Neville Mandel، إنه في شهر نوفمبر ١٨٨١م، أصدرت الحكومة العثمانية قانوناً لتنظيم هجرة اليهود، نصه:

"يُسمح للمهاجرين اليهود بالاستيطان، كمجموعات متفرقة As Scattered Groups، في أي مكان من المناطق التابعة للباب العالي، ما عدا فلسطين Excluding Palestine، على أن يخضعوا لقوانين الدولة، ويصبحوا مواطنين عثمانيين"(١)، (٢).

وبعد إصدار القانون وإعلانه، وبتحريض من جمعية أحباء صهيون Lovers Of Zion، في روسيا، توافد اليهود الروس على القنصلية العثمانية في أوديسا Odessa، التي تطل على البحر الأسود، طالبين الحصول على تأشيرات لدخول فلسطين، فأرسلت الحكومة العثمانية، في أبريل

---

1) Neville Mandel: Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, p313.
2) Neville Mandel: The Arabs And Zionism Before World War I, P2, University Of California Press, Berkeley And Los Angeles, California, University Of California Press, Ltd., London, England, 1976.

١٨٨٢م، إلى قنصلها في أوديسا، رداً مكتوباً، وتم تعليقه باللغتين التركية والروسية خارج مقر القنصلية، وكان نصه:

"الحكومة العثمانية تُعلم اليهود الراغبين في الهجرة إلى تركيا، أنه ليس مسموحاً لهم الإقامة في فلسطين Not Permitted To Settle In Palestine، وأنه يمكنهم الهجرة والاستقرار في أي منطقة أخرى من الإمبراطورية يرغبون فيها، بشرط أن يصبحوا رعايا عثمانيين، ويلتزموا بقوانين الإمبراطورية، وأرسل الباب العالي في ٢٩ يونيو ١٨٨٢م تعليمات إلى متصرف القدس بمنع يهود روسيا وبولندا ورومانيا وبلغاريا من دخول القدس"[١]، [٢].

ودفعت حركة أحباء صهيون يهود روسيا إلى الهجرة إلى فلسطين، عن طريق تجاوز القوانين العثمانية، بالحصول على تأشيرات لدخول الأستانة، ثم الإبحار منها إلى مواني فلسطين، باعتبار أن التأشيرة إلى الأستانة تمنح صاحبها حرية التنقل في أي مكان من الدولة العثمانية، وفي يوم ٢٩ يونيو ١٨٨٢م:

"أبحرت مجموعة صغيرة من أحباء صهيون، عددها أربعة عشر شخصاً، من القسطنطينية/الأستانة، إلى يافا، وفي اليوم نفسه، أرسل الباب العالي برقية إلى متصرف القدس، يأمره ألا يسمح لأي يهودي قادم من روسيا أو رومانيا أو بلغاريا بأن يهبط في يافا أو حيفا، وأنه ليس مسموحاً لهؤلاء اليهود أن تطأ أقدامهم مدن القدس والخليل وصفد وطبريا، ويجب أن يُرسَلوا فوراً إلى أي ميناء عثماني آخر على متن السفينة التي قدموا عليها، وعندما طلب المتصرف توضيحاً بخصوص اليهود الموجودين فعلاً، جاءته الأوامر من الأستانة بطرد جميع اليهود الذين استوطنوا فلسطين خلال الأشهر الأربع السابقة، ما عدا اليهود الذين قدموا للحج أو التجارة، وعلى أن يكون بقاؤهم لفترة قصيرة، وفي ٢١ يناير

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, p313.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P2.

١٨٨٣م أرسل الباب العالي إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية في القسطنطينية/الأستانة مذكرة بقرار الحكومة العثمانية منع استيطان يهود روسيا في فلسطين"[١]، [٢].

وحركة أحباء صهيون חובבי ציון، حركة أسسها الطلاب والشباب اليهود في روسيا، ثم صارت تضم خليطاً من الشباب والحاخامات واليهود الأثرياء، وأبرز قادتها عند تكوينها ليون بنسكر Leon Pinsker، وأشر زئيفي جنزبرج Asher Zvi Ginsberg، الذي اتخذ لقب أحد هاعام/واحد من الشعب אחד העם، وكانت بداية الحركة في أوديسا، سنة ١٨٨٢م، ثم انتشرت وصار لها فروع في أغلب مدن روسيا، ثم تمددت وصار لها أتباع وفروع في دول شرق أوروبا، خصوصاً رومانيا وبلغاريا، ثم في دول غرب أوروبا، خصوصاً انجلترا وفرنسا، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وكان البرنامج الرئيسي للحركة يقوم على بعث الهوية اليهودية وإحياء اللغة العبرية، وتحريض اليهود على الهجرة إلى الأرض المقدسة وإقامة مستوطنات زراعية بها، وفي شهر نوفمبر ١٨٨٤م، كما يقول المؤرخ الصهيوني إسرائيل كوهين Israel Cohen، في كتابه: تاريخ موجز للصهيونية A Short History Of Zionism:

"اجتمع أربعة وثلاثون من قادة الحركة، في مدينة كاتوفيتز Kattowitz، في ألمانيا (تقع الآن في بولندا)، وعقدوا مؤتمراً برئاسة الربي اليهودي البولندي صمويل موهيليفر Samuel Mohilever، وتقرر أن يبدأ المؤتمر أعماله في يوم ميلاد السير موشيه مونتفيوري، بمناسبة بلوغه مائة عام، وانتخب ليون بنسكر رئيساً للمنظمة، وقرروا توحيد عمل الجمعيات التي تم تأسيسها لتهجير اليهود إلى فلسطين وإقامة مستوطنات زراعية بها، واتفقوا على تسمية هذه الجمعيات: رابطة مونتفيوري لتنمية الزراعة بين اليهود ودعم المستوطنات اليهودية في فلسطين Montefiori Association For Promotion Of Agriculture Among Jews And Especially For the Support Of The Jewish

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, p321-322.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P5-6.

Colonies In Palestine، وبعدها زار بنسكر البارون إدموند روتشيلد في باريس، ووافق روتشيلد على رعاية المنظمة وتمويلها"[1].

وحركة أحباء صهيون هي التي ينسب لها اليهود شرف إقامة أول مستوطنة في فلسطين، وهي مستوطنة ريشون لتسيون[•]، רִאשׁוֹן לְצִיּוֹן، Rishon LeZion، ومعناها: الأول إلى صهيون، وهو كما رأيت في الكتاب الذي بين يديك ليس صحيحاً، فأول مستوطنة هي بتاح تكفاه، التي أقامتها حركة بيلو، في وادي نهر العوجا سنة ١٨٧٦م، ثم هجرتها، وأعيد استيطانها مرة أخرى سنة ١٨٨١م، بتمويل من إدموند روتشيلد، وعندنا أن شرف المستوطنة الأولى ليس لحركة بيلو، ولا أحباء صهيون، بل هو حق خالص لليهودي موشيه مونتفيوري مناصفة مع أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية، محمد علي باشا، فهما رواد الفكرة ومن حازوا شرف المحاولة الأولى.

أما مستوطنة ريشون لتسيون/الأول إلى صهيون، ففي شهر مايو ١٨٨٢م، قبل أن تغلق السلطات العثمانية فلسطين أمام اليهود المهاجرين من روسيا، قدِم من مدينة خاركيف Kharkiv، في أوكرانيا، وكانت إذ ذاك جزءًا من روسيا، إلى يافا، عشرة من أعضاء حركة أحباء صهيون، يقودهم ريوفين يوداليفيتش Reuven Yudalevich، الذي عُرف لاحقاً باسم زالمان ليفونتين Zalman Levontin، وفي يوم ٣١ يوليو ١٨٨٢م، اشترى لهم حاييم أمزلاج Chaim Amzaleg أرضاً مساحتها ٣٣٨ فداناً، وتقع في زمام قرية عين قارة، قرب يافا، من مالكها مصطفى عبد الله الدجاني، ثم وهب أمزلاج الأرض لهم.

وحاييم أمزلاج، أو أمزلاك، الذي اشترى الأرض، كان يجمع بين كونه من أسرة من يهود فلسطين، وأنه في الوقت نفسه نائب القنصل البريطاني في يافا، وكان على رأس المستقبلين

---

1) Israel Cohen: A Short History Of Zionism, P32-33, Frederick Muller Ltd., London, 1951.

•) اسم المستوطنة: الأول إلى صهيون، مأخوذ من عبارة في سفر إشعياء، نصها: "ראשון לציון הנה הינם ולירושלים מבשר אתן"، وترجمتها الرسمية: "أَنَا أَوَّلًا قُلْتُ لِصِهْيَوْنَ: هَا! هَا هُمْ. وَلأُورُشَلِيمَ جَعَلْتُ مُبَشِّرًا" (إشعياء: ٤١ :٢٧).

لمونتفيوري في يافا في رحلاته الأخيرة إلى فلسطين، وأثنى عليه مونتفيوري في مواضع عدة من يومياته.

واستوطنت ست أسر يهودية الأرض، وكانت رملية، فحفروا فيها بضعة آبار دون أن يصلوا إلى الماء، وبعد أسبوعين قرروا إرسال أحدهم إلى البارون إدموند روتشيلد في باريس، ويقول المؤرخ اليهودي وأستاذ التاريخ في الجامعة العبرية، ران أرونسون Ran Aaronsohn، في كتابه الوثائقي: روتشيلد والاستيطان اليهودي المبكر في فلسطين Rothschild And Early Jewish Colonization In Palestine، إنه:

"في يوم ١٨ أكتوبر ١٨٨٢م، رتب الربي زادوك كاهَن Zadoc Kahn، كبير الحاخامات في باريس، لقاءًا لجوزيف فينبرج Joseph Feinberg، أحد رواد ريشون لتسيون، مع البارون إدموند روتشيلد، وفي اليوم نفسه أرسل فينبرج برقية إلى ريشون لتسيون، يخبرهم فيها أن البارون روتشيلد وافق على التمويل، ولكنه اشترط شرطين، أن يكون صموئيل هيرش Samuel Hirsch، أحد وكلائه في يافا، أميناً على خزانة المستوطنة، وأن يظل البارون مجهولاً Anonymous، وبعد يومين أرسل البارون روتشيلد رسالة إلى هيرش بمنحة لريشون لتسيون، قدرها ٢٥,٠٠٠ فرنك، على أن يقوم هيرش بتحديد وجوه إنفاقها، وفي الرسالة التالية، وضع البارون شروطاً أخرى، وهي أن تقبل المستوطنة أعضاء حركة بيلو، وتفتح أبوابها لعشرة أسر جديدة أو خمس عشرة، والتأكيد على أن يظل اسم البارون سراً، وأن يُشار إليه على أنه فاعل خير معروف Well Known Benefactor، وزاد المنحة إلى ٣٠,٠٠٠ فرنك، ومع تعثر المستوطنين وعدم قدرتهم على الوصول إلى الماء، أرسل البارون روتشيلد خبراء من فرنسا، مع معدات وآلات لحفر الآبار، وفي يوم ٢٣ فبراير ١٨٨٣م، تمكن الخبراء من اكتشاف الماء واستخراجه من الآبار، وكان على عمق اثنين وأربعين متراً"[١].

---

1) Ran Aaronsohn: Rothschild And Early Jewish Colonization In Palestine, P59-62, Rowman & Littlefield Publishers, Maryland, United States, October 4, 2000.

وهاك الصورة التي وضعها أرونسون في كتابه، لمستوطنة ريشون لتسيون، وقال إنها صورتها في بداية سنة ١٨٨٣م.



مستوطنة ريشون لتسيون، في أيامها الأولى.

ونعود بك إلى الإجراءات العثمانية، لغلق ثقوب القناصل والامتيازات، التي يتسرب منها اليهود إلى فلسطين ويستولون على الأراضي لزراعتها والاستيطان بها، فبعد أن تمكن أعضاء حركة أحباء صهيون من الوصول فعلاً إلى فلسطين:

"قرر الباب العالي، في مارس ١٨٨٤م، وبعد مشاورة المستشارين القانونيين، إغلاق فلسطين أمام جميع التجار وأصحاب المشاريع اليهود To Close Palestine To All Jewish Business Men، على أساس أن قوانين الامتيازات التي تمنح الأوروبيين حرية التجارة في الإمبراطورية العثمانية، تسري حصرياً على المناطق الصالحة للتجارة، والحكومة العثمانية ترى أن فلسطين ليست من بين هذه المناطق، وبذلك لم يعد دخول فلسطين مسموحاً به، سوى للحجاج اليهود"(١)، (٢).

ومع تفاقم أوضاع اليهود في روسيا، والإجراءات العقابية المشددة التي اتخذتها الحكومة القيصرية ضدهم، وطردهم من موسكو والمدن الكبرى:

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, p322.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P6-7.

"قدمت القوى الأوروبية، في ٢٨ يونيو ١٨٩١م، مذكرة إلى وزير الخارجية، سعيد باشا، للسماح بدخول اليهود المهاجرين من روسيا، واستيطانهم في مناطق الإمبراطورية، وعند عرضها على عبد الحميد، كتب عليها: "لن نشرع في مسار يبدأ بقبول الإمبراطورية للمطرودين من كل مكان، لينتهي في المستقبل بتكوين حكومة يهودية في القدس، وإذا كان ضرورياً يمكن أن يُرسَل هؤلاء إلى أمريكا، وإذا قدِم هؤلاء وأمثالهم فلن نقبلهم، وسوف يُرحَلون فوراً على متن سفنهم إلى أمريكا"، وفي ١٩ أكتوبر ١٨٩١م، أصدرت الحكومة العثمانية، بناءً على توجيهات عبد الحميد، قراراً بغلق الإمبراطورية كلها أمام اليهود الأجانب من جميع الجنسيات Closed The Empire To Foreign Jews Of All Nationalities، بدعوى أنهم يهددون الصحة العامة، وأرسلت تعليمات مشددة إلى المسؤولين العثمانيين في جميع أنحاء الإمبراطورية بعدم منح اليهود تأشيرات دخول، وعدم السماح لشركات الملاحة العاملة في الدولة بنقل اليهود على سفنها، ولمنع اليهود الأجانب من شراء الأراضي باسم يهود الدولة، أرسلت القسطنطينية/الأستانة، في نوفمبر ١٨٩٢م، أوامر إلى متصرف القدس بمنع بيع أراضي الميري Miri Land لجميع اليهود، حتى لو كانوا من رعايا الدولة، وأراضي الميري هي الأراضي التي لابد أن توافق الدولة على بيعها، ومعظم الأراضي في فلسطين كانت ميري، وفي سنة ١٩٠١م تم تخفيف هذا الإجراء، بالسماح ليهود فلسطين من رعايا الدولة بشراء أراضي الميري في بعض المناطق، على أن يكونوا فرادى، وليسوا مجموعات، وبشرط ألا يسمحوا لليهود القادمين من الخارج بالإقامة في أراضيهم بصورة غير شرعية"(١)، (٢).

وردُ السلطان عبد الحميد على مذكرة السفراء الأوروبيين، التي رأى فيها المسار الذي سوف يبدأه السماح بدخول المهاجرين اليهود الروس إلى الدولة العثمانية، وأدرك أن هذه خطوة أولى، سوف تتلوها خطوات، تنتهي بإقامة دولة يهودية حول القدس، رغم أن المهاجرين فقراء وفارون من الاضطهاد في روسيا، ولم يطلبوا الاستيطان في فلسطين تحديداً، ردُ السلطان عبد الحميد والإجراءات التي اتخذها، تعرفك بالفرق بين السلطان القرآني التكوين والذهن، الذي يرى المسار

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, P323-324.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P8-9.

كله من أول خطوة فيه، وبين الأميين البقر من حكام بلاليص ستان وساستها ونخبها وحفظة الأكلشيهات من مشايخ بلاطها وأتباعهم من العميان، الذين لا يرون فيما يحدث وتراه أمامك سوى أنه من صغار الشرر، لأنهم بأدمغتهم الأمية المظلمة لا يرون إلا اللحظة التي يعيشون فيها، ولا يدركون المسار الذي سوف يترتب على هذه الصغائر، والحرائق التي سوف تندلع مع تقدم هذا المسار وتلتهم كل شيء، وسوف يكونون هم ودولهم من ضحاياها، لكي تتمدد دولة اليهود على حسابهم، وتقيم هيكلها.

وفي الوقت نفسه، ولكي لا يصبح الحج ذريعة يقيم بها اليهود في فلسطين:

"نصت القرارات التي أصدرتها الحكومة العثمانية، سنة ١٨٨٤م، على أن يقوم القناصل العثمانيين في الخارج، بختم جوازات سفر اليهود الراغبين في الحج، ومنحهم تأشيرات، على أن يضع كل يهودي وديعة مالية Deposit، تضمن عودته، ويغادر فلسطين خلال ثلاثين يوماً من دخولها ... وفي ١٩ سبتمبر ١٨٩٩م أصدرت الحكومة العثمانية قانوناً بتعديل هذه الإجراءات، فتم إلغاء الضمان المالي، وتمديد مدة الزيارة إلى ثلاثة أشهر، وصار على اليهود الراغبين في دخول فلسطين للحج، حتى لو كانوا من رعايا الدولة العثمانية، أن يسلموا جوازات سفرهم عند دخول فلسطين، ويأخذوا بدلاً منها تصريح إقامة لمدة ثلاثة أشهر، في مقابل قرش واحد، وكان هذا التصريح يختلف في شكله عن جميع الأوراق والوثائق التي يحملها الزائرون غير اليهود، وبسبب لونه سرعان ما اشتهر باسم: التصريح الأحمر Red Slip، وكان على الحجاج اليهود أن يسلموه عند مغادرتهم فلسطين، وأصدرت الحكومة العثمانية تعليمات بعمل إحصائيات دقيقة في نهاية كل شهر عن عدد الحجاج اليهود الداخلين إلى فلسطين والخارجين منها، مع تحذيرات بإنزال عقوبات مشددة بالمسؤولين في فلسطين عند حدوث تراخٍ في تنفيذ هذه التعليمات"(١)، (٢).

وهذا التصريح أو الجواز الأحمر، الذي قيد اليهود، ومنعهم من التسلل والإقامة في فلسطين، هو ما من أجله شنت الصحف التي يسيطر عليها اليهود والماسون في أوروبا، وفي بلدان الدولة

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, P322, 328.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P7,15.

العثمانية، وفي الأستانة نفسها، حملات لا تنتهي على السلطان عبد الحميد ووصمته بالسلطان الأحمر، وهو اللقب الذي ورثه عنهم في وصم السلطان عبد الحميد به، الليبراليون واليساريون من بقر بلاليص ستان، وما زالوا يصمونه به في صحفها والكتب التي تصدرها مؤسساتها الرسمية، ولو لم يكونوا بقراً لعلموا أن هذا اللقب من مفاخر السلطان عبد الحميد رضي الله عنه ومناقبه، لا وصمة يصمونه بها، وأحد القرارات التي اتخذتها حكومة حركة الاتحاد والترقي الماسونية، بعد خلع السلطان عبد الحميد، كان إلغاء الجواز الأحمر، وفتح فلسطين أمام اليهود.

مستوطنة في جزيرة العرب:

في سنة ١٨٩١م، نشر باول فريدمان Paul Freidman، وهو يهودي نمساوي تحول للمسيحية، كتيباً في برلين على نفقته الخاصة، عنوانه: أرض مديان Das Land Madian، يدعو فيه إلى استعمار منطقة مدين، التي تقع أقصى شمال غرب الجزيرة العربية، بموازاة خليج العقبة والجزء الشمالي من البحر الأحمر.

وبرر فريدمان، الذي من المفترض أنه صار مسيحياً، دعوته بخصوبة هذه المنطقة وما تحويه أراضيها من ثروات معدنية، وأنها تقع على تخوم فلسطين، ومن ثم يمكن أن تكون نواة لدولة يهودية.

وفي دراسته عن باول فريدمان، في الموسوعة اليهودية المطبوعة في إسرائيل Encyclopedia Judaica، يقول أوسكار رابينوفيتش Oskar Rabinowicz، إن:

"فريدمان زار مصر والتقى السير إيفلين بيرنج/اللورد كرومر Evelyn Baring، وكانت منطقة مديان تابعة للإدارة المصرية، فوافق قنصل بريطانيا العام والمندوب السامي في مصر، اللورد كرومر، على مشروعه، ووعده بموافقة الحكومة المصرية، ونصحه بكتابة مذكرة بالمشروع وتقديمها للحكومة البريطانية"[1].

1) **Oskar Rabinowicz: Paul Freidman, Encyclopedia Judaica, Vol. 7, P287.**

ويقول دكتور أمين عبد الله محمود، في كتابه: مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، إن:

"فريدمان قام بجمع المتطوعين والمجندين من علماء ومهندسين وكيميائيين وجغرافيين، وقد تلقى هؤلاء المتطوعون تدريبات عسكرية في معسكرات خاصة في هنجاريا والنمسا، وقام بالإشراف على تدريبهم ضابط ألماني، يدعى لوثر فون سيباخ Von Seebach"[١]

وفي نوفمبر ١٨٩٣م:

"استطاع فريدمان إقناع سبعة عشر رجلاً، وست نساء، وأربعة أطفال، من جالشيا النمساوية Austrian Galicia، بمرافقته على متن يخته: إسرائيل، للاستيطان في مديان، ووصلوا إلى السويس في يوم ١ ديسمبر ١٨٩٣م، وكان إجمالي عددهم ستة وأربعين شخصاً"[٢] ... وفي مصر انضم إلى الحملة عدد من اليهود المصريين الذين يتكلمون العربية"[٣].

واشترى فريدمان بعض الأراضي في منطقة مدين قرب خليج العقبة، وقرب قلعة المويلح على شاطئ البحر الأحمر، ولكن العرب من أهل المنطقة:

"لم يصدقوا ما كان يخدعهم به، من أنه يريد الإقامة في جوارهم دون أن يلحق بهم أذى أو ضرر، خصوصاً عندما شاهدوا عنايته بتعليم من معه من المهاجرين الفنون الحربية بالبنادق والمدافع والأسلحة البيضاء، وقد اتجه وفد من السكان العرب إلى الحكومة المصرية طالبين

---

١) دكتور أمين عبد الله محمود،: مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص١٩٣، عالم المعرفة ٧٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الثاني-جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/فبراير ١٩٨٤م.

2) Oskar Rabinowicz: Paul Freidman, Encyclopedia Judaica, Vol. 7, P287.

٣) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص١٩٣.

مساعدتها في القضاء على هذه المحاولة الاستيطانية دون جدوى، فاضطر هؤلاء السكان للجوء للدولة العثمانية يطلبون منها التدخل لحمايتهم"[١].

وهنا:

" أرسل الأتراك حملة استولت على مدينة دهب Dhaba في مدين، وأعلنت أنه طبقاً للقوانين التركية ليس مسموحاً لغير المسلمين أن يستوطنوا في هذه المنطقة، لأنها جزء من الحجاز"[٢] ... "وأوعزت الدولة العثمانية إلى واليها على الحجاز، بإرسال جنوده لاحتلال قلعة المويلح وما جاورها ، وتطهير شبه الجزيرة العربية من المستوطنين اليهود، ولكن فريدمان رفض الاستجابة لطلب الجند العثمانيين بالانسحاب من مواقعه، وأبلغ قائد الحملة العثمانية الذي تقابل معه في ضبة بأن أرض مدين خاضعة للإدارة المصرية، وأنه قد حصل على موافقة الحكومة المصرية للاستيطان فيها، ووصل عدد من الجنود المصريين إلى ضبة، وقام اللورد كرومر وعدد من موظفي الخارجية البريطانية بمساع كبيرة لإقناع العثمانيين بسحب قواتهم، غير أنهم إزاء إصرار الدولة العثمانية على موقفها، واحتمال تفجر خلاف في منطقة الحدود الفاصلة بين مصر والممتلكات العثمانية، ونتيجة لازدياد معارضة السكان الوطنيين، وتفسخ قوة المشاركين في حملة الاستيطان، بالإضافة إلى تخلي ذوي النفوذ من الرأسماليين اليهود عن تأييدهم للحملة، إزاء ذلك كله، تخلت الحكومة البريطانية عن تأييدها لفريدمان، وطلبت منه إنهاء مغامرته والانسحاب من مدين"[٣].

ثم جاء هرتزل:

في فبراير ١٨٩٦م، نشر تيودور هرتزل كتابه: الدولة اليهودية Der Judenstaat، الذي ظهر فيه لأول مرة مشروع الدولة اليهودية في فلسطين صريحاً، فلم تعد المسألة، كما كانت قبله، دعوة إلى هجرة اليهود إلى فلسطين للاستيطان والعمل بالزراعة، بل قال إن الحل الوحيد لإنهاء

---

١) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص١٩٤.
2) Oskar Rabinowicz: Paul Freidman, Encyclopedia Judaica, Vol. 7, P288.
٣) مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص١٩٥.

مشكلة اليهود ومعاناتهم، هو إقامة دولتهم في وطنهم القومي، فلسطين، وأثار كتابه حماسة عارمة بين اليهود في كل بلدان العالم.

وفي السنة نفسها، سعى هرتزل إلى لقاء السلطان عبد الحميد، وطلب من صديقه فيليب ميخائيل نيفلنسكي Philipp Michael De Newlinski، أن يتوسط له عند السلطان لكي يوافق على استقباله، ونيفلنسكي نبيل بولندي، وكان دبلوماسياً في السفارة المجرية النمساوية في الأستانة، ثم تركها سنة ١٨٨٠م، وأسس في فيينا صحيفة: الصحافة الحرة الجديدة(•) Neue Freie Presse، وصحيفة في باريس اسمها: رسائل الشرق Correspondance De L'Est، وإبان عمله في الأستانة توثقت صلة نيفلنسكي بالسلطان عبد الحميد، وبعد أن عاد إلى فيينا، كان السلطان يكلفه بمهام دبلوماسية خاصة في أوروبا، وصار وسيطه مع قادة الأرمن.

وتم ترتيب لقاء مع السلطان عبد الحميد، عن طريق السفير العثماني في بلجراد، توفيق باشا، وفي يوم ١٧ يونيو ١٨٩٦م، وصل هرتزل ونيفلنسكي إلى الأستانة، وفي يوم ١٨ يونيو استقبل السلطان عبد الحميد نيفلنسكي وحده، في قصر يلدز، وهذا هو وصف هرتزل نفسه في يومياته، لنيفلنسكي عند عودته من اللقاء، وماذا كان رد السلطان عبد الحميد عليه:

"في المساء، عاد نيفلنسكي من يلدز بوجه شاحب وأخبار سيئة، وطلب زجاجة من الشمبانيا، فشرب نصفها، ثم قال: لم أفعل شيئاً، السيد العظيم لا يريد أن يسمع عن طليك شيئاً، وبعد أن تلقيت الضربة قال: السلطان قال لي: "إذا كان هرتزل صديقك، كما أنت صديقي، فانصحه ألا يخطو خطوة أخرى في هذه المسألة، فلا يمكنني أن أبيع ولو قدماً واحداً من الأرض، فهي ليست ملكي، بل ملك شعبي، وشعبي بنى هذه الإمبراطورية بالقتال وبدمائهم، ورَوَوها بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا مرة أخرى، قبل أن نسمح بانتزاعها منا،

(•) هرتزل، كان المحرر الأدبي Literary Editor، لجريدة الصحافة الحرة الجديدة من سنة ١٨٩٥م، إلى وفاته، سنة ١٩٠٤م، إلى جانب تأسيسه لصحيفة دي فيلت/العالم Die Welt، في يونيو ١٨٩٧م لتكون صوت الحركة الصهيونية. A Short History Of Zionism, P43.

لقد قُتل رجال كتيبتين من جيشنا في سوريا وفلسطين، في بليفنا[*] Plevna، دون أن يستسلم منهم رجل واحد، وفضلوا جميعاً الموت في ساحة القتال، إن الإمبراطورية التركية

---

*) معركة بليفنا Plevna: انتقاماً من هزيمتها في حرب القِرم، سنة ١٨٥٦م، شنت روسيا ورومانيا حرباً على الدولة العثمانية، ووجهت روسيا في يوليو ١٨٧٧م، جيشاً بقيادة الدوق نيكولاي نيكولايفيتش Nicholai Nikolaevich، وهو ابن القيصر نيكولاي الأول وأخو القيصر ألكساندر الثاني، فعبر نهر الدانوب، واستولى على مدينة نيكوبول Nikopol العثمانية في بلغاريا، قبل أن يصل إليها الجيش العثماني الذي وجهه السلطان عبد الحميد، بقيادة المشير عثمان باشا، فتحصن عثمان باشا عشرين كيلومتراً جنوب نيكوبول، في مدينة بليفنا الاستراتيجية التي تسيطر على طرق البلقان، فوجهت روسيا جيشاً للاستيلاء على بلفينا، بقيادة الجنرال يوري شيلدر شولدنر Yuri Schilder Schuldner، فأنزل به عثمان باشا هزيمة ساحقة ورده عن المدينة، في يوم ١٩ يوليو، فوجهت روسيا جيشاً ثانياً بقيادة الجنرال نيكولاي كرودنر Nikolai Krüdener، وانضم إليه جيش رومانيا يقوده أميرها كارول Carol بنفسه، وحاصر الجيشان بليفنا، ثم شنوا عليها هجوماً مشتركاً من ثلاث جهات، يوم ٣١ يوليو، وبعد أن لاحت لهم علامات النصر، واستعدوا لاقتحام بليفنا، شن عثمان باشا وجيش الخلافة الذي كان جله من كتائب الشام، هجوماً كاسحاً، وأوقع بالجيشين الروسي والروماني خسائر جسيمة، فقتل منهم نحو ثمانية آلاف ضابط وجندي، بينما بلغت خسائر الجيش العثماني ألفي شهيد، وبعد شهر آخر من المناوشات بين الجانبين، وجهت روسيا جيشاً من مائة ألف مقاتل، يقوده الدوق نيكولاي إلى بليفنا، وانضم إليه جيش روماني من خمسين ألف جندي، يقوده الأمير كارول والجنرال ألكساندرو سرنات Alexandru Cernat، فأوقع عثمان باشا وقواته العثمانية العربية بالجيشين هزيمة نكراء للمرة الثالثة، في يوم ١١ سبتمبر، وبلغت خسائر الروس وحدهم عشرين ألف قتيل، واستشهد من قوات عثمان باشا نحو ثمانية آلاف، وفي أعقاب المعركة أصدر السلطان عبد الحميد فرماناً خاصاً بالثناء على عثمان باشا وقواته، ثم وصل إلى بليفنا الجنرال إدوارد إيفانوفيتش توتليبن Eduard Ivanovich Totleben، بطل حصار سفاستوبول Sevastopol، إبان حرب القِرم، فقرر ضرب حصار شامل حول بليفنا، وقطع طرق الإمدادات إليها، وبلغ عدد القوات الروسية الرومانية المحاصرة لبليفنا نحو مائتي ألف جندي، ورتبهم الجنرال توتليبن في ثلاثة خطوط تحيط بالمدينة من جميع الجهات، وإبان ضرب الحصار وبناء الاستحكامات، ومع كثافة القوات الروسية، وكانت قوات عثمان باشا نحو أربعين ألفاً، أرسل عثمان باشا إلى السلطان عبد الحميد يطلب منه الإذن في تسليم بليفنا، فلم يوافق السلطان عبد الحميد، وفي ليلة ٩ ديسمبر قرر عثمان باشا اقتحام الحصار المفروض حول بليفنا وفكه، فخرج على رأس قواته وكتائبه، وتمكن من اختراق خط الحصار الأول، وخط الحصار الثاني، وأوقع بهما خسائر فادحة، ثم وهو يتأهب لاختراق الخط الثالث، أصابته قذيفة فقتلت فرسه وجرحت ساقه، فاضطر للاستسلام وتسليم بليفنا، وبلغ إجمالي خسائر الروس في حصار بليفنا حوالي ستين ألف قتيل، بينما استشهد من جيش الخلافة حوالي خمسة وثلاثين ألفاً، وفي ميدان المعركة صافح الدوق نيكولاي نيكولايفيتش، وكارول أمير رومانيا، عثمان باشا، وكان تعليق الجنرال ميخائيل سكوبيليف Mikhail Skobelev، قائد الجيش الروسي، على معارك بليفنا أن: "عثمان سيبقى هو المنتصر رغم استسلامه Osman The Victorious He Will Remain, In Spite Of His Surrender"، وكان القيصر ألكساندر الثاني قد حضر بنفسه بعد ضرب الحصار على بليفنا، ويقيم في قصر بين نيكوبول وبلفينا ويشرف منه على الحصار، فطلب أن يرى

ليست ملكاً لي، بل للشعب التركي، ولا أستطيع أن أتنازل عن أي جزء منها لأحد، فدع اليهود يحتفظون ببلايينهم، وإذا قُسمت إمبراطوريتي، فربما يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، ولن نسمح بتقسيمها إلا على جثتنا، فلا يمكن أن أوافق على تشريح أجسادنا ونحن أحياء But Only Our Corpse Will Be Divided,I Will Not Agree To Vivisection"[1].

وألح هرتزل على نيفلنسكي، أن يفعل ما بوسعه، ويتوسط له عند السلطان عبد الحميد، لكي يقبل أن يمثل أمامه ويحدثه بنفسه، فوافق السلطان عبد الحميد، على أن يحضر هرتزل كصديق، لا كصحفي، وبشرط أن يقوم هرتزل بتقديم خدمة للسلطان أولاً، وهي، كما يقول هرتزل:

"أن أستخدم صِلاتي وصفتي كصحفي في التأثير على صحف لندن وباريس وبرلين وفيينا، لكي تتعامل مع المسألة الأرمنية بروح أكثر تعاطفاً مع الأتراك، وأن أقنع قادة الأرمن بطاعته To Submit To Him في مقابل أن يمنحهم بعض الامتيازات"[2].

ووافق هرتزل، وقال إنه سوف يرسل على الفور برقيات إلى صحف لندن وباريس، وطلب من نيفلنسكي أن يتم تعريفه بأوضاع الأرمن وقادتهم وصحفهم، لكي يبدأ مهمته، وأن يستقبله السلطان، لأن ذلك سوف يمنحه قوة ويسهل مهمته، فأخبره نيفلنسكي أن السلطان سوف يستقبله ويمنحه وساماً، ولكنه اشترط أن يكون ذلك بعد انتهاء المهمة وليس قبلها.

عثمان باشا، واستقبله في القصر وصافحه بحفاوة وهنأه على خطته في الدفاع عن بليفنا واستبسال قواته، ورد له سيفه، وقال له إنه يبيح له أن يحمله في بلاده، وأمر أن يعامل عثمان باشا كضيف لا كأسير، وأن يتولى أطباؤه علاجه، وبعد أسبوعين عاد عثمان باشا إلى الأستانة، فاستقبله أهلها استقبال الأبطال، واستقبله السلطان عبد الحميد ومنحه لقب الغازي، وهو أرفع لقب عسكري في الدولة العثمانية، ثم صار وزير الحربية العثماني، إلى أن توفى رحمه الله في ٥ أبريل سنة ١٩٠٠م، ودفن حسب وصيته في المقبرة السلطانية الملحقة بجامع السلطان محمد الفاتح. Wiliam Herbert: The Defence Of Plevna, Longmans, Green And Co., London, 1895.

1) Theodor Herzl: The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. I, P378, Edited by: Raphael Patai, Translated by: Harry Zohn, Herzl Press And Thomas Yoseloff, New York, London, Printed In The United States, 1960.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. I, P387.

وبعد أن يأس هرتزل من لقاء السلطان عبد الحميد، طلب من نيفلنسكي، أن يمنحه السلطان على الأقل نيشاناً عالياً High Decoration، لكي يكون دليلاً لشعبه على منزلته عند السلطان، وفي النهاية رحل هرتزل عن الأستانة، يوم ٢٨ يونيو، دون أن يقابل السلطان، ودون أن يحصل على النيشان، وعلى متن القطار الذي يغادر الأستانة إلى صوفيا، قال نيفلنسكي لهرتزل إن:

"السلطان أخبرني أنه سيمنحك نيشاناً ... ويتوقع منك المساعدة في مسألة الأرمن، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يأمل منك أن تتوسط في الحصول على قرض في مقابل امتياز باستغلال عائد المنارات Light Houses، ويقترح أن تكون قيمة التمويل مليوني جنيه"[١].

وفي يوم ١٤ أكتوبر ١٨٩٦م، استقبل السفير العثماني في باريس، محمد نديم باشا، هرتزل، وأخبره أن السلطان عبد الحميد قد منحه نيشان المجيدية Mejidiye، من الطبقة الثالثة، مكافأة على خدمته، وفي يوم ٢٢ أكتوبر، سلم هرتزل إلى محمد نديم باشا رسالة شكر للسلطان، نصها:

"صاحب المعالي، محمد نديم باشا، كان عطوفاً، وتفضل بتسليمي النيشان الذي شرفتني جلالتكم ومنحتني إياه، وأعبر لكم عن عميق تقديري لما تفضلتم به عليَّ، وأتوسل إلى جلالتكم أن تستمر في إسباغ عطفكم على اليهود، وفي اليوم الذي توافق فيه جلالتكم أن تتقبل خدمات اليهود، فسوف يضعون بسعادة جميع قواهم تحت تصرف مملكتكم المجيدة Will Joyfully Place Their Forces At The Disposal Of Such A Magnanimous Monarch، وأكرر لكم عميق توقيري لجلالتكم، أنا خادمكم المطيع تيودور هرتزل"[٢].

وفي شهر أغسطس ١٨٩٧م، انعقد المؤتمر الصهيوني الأول، وكان مقرراً أن يُعقد المؤتمر في ميونيخ، ولكن في فبراير سنة ١٨٩٧م، وصلت أنباء التحضير لعقد المؤتمر إلى فلسطين

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. I, P400,401.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P485.

فسرت الحماسة بين اليهود فيها، وأرسل دكتور أربيلا Arbela، مدير مستشفى روتشيلد في القدس رسالة، إلى هرتزل، يخبره فيها أنه:

"لا حديث لليهود في فلسطين إلا عن مشروعنا القومي Our National Plan"، ثم زارت مجموعة من الصهاينة البريطان لفلسطين، وعلى رأسهم إسرائيل زنجويلIsrael Zangwill، وانتشرت أنباء المؤتمر في الصحف، ودعم بريطانيا والولايات المتحدة له، فخاطب متصرف القدس إبراهيم حقي باشا قنصل ألمانيا في القدس، وفي الوقت نفسه أرسل إلى الباب العالي، وتلا ذلك نقل المؤتمر من ميونيخ إلى بازل/بال Basel في سويسرا"(١)، (٢).

وانعقد المؤتمر في بازل/بال لمدة ثلاثة أيام، من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس، وحضره مائتان من قادة اليهود وممثلوهم في جميع بلدان العالم، برئاسة هرتزل، وتمخض المؤتمر عن إقرار برنامج بال للحركة الصهيونية، وإنشاء المنظمة الصهيونية، لتقوم على تنفيذ هذا البرنامج، وأن يكون المؤتمر الصهيوني هو السلطة العليا في المنظمة، وانتخاب هرتزل رئيساً للمنظمة والمؤتمر، وماكس نوردو نائباً له، واتخاذ شعار للمؤتمر والمنظمة، وهو الذي صار بعد ذلك علم الدولة العبرية، وأول من صمم هذا العلم واستخدمه، سابقين هرتزل والحركة الصهيونية، مجموعة زالمان لافونتين، إذ جعلته راية لمستوطنة ريشون لتسيون التي أقاموها بتمويل من إدموند روتشيلد.

وهدف الصهيونية، كما نص عليها المؤتمر، هو:

"تكوين وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين To Create For The Jewish People A Home In Palestine، تضمنه القوانين الدولية"(٣).

وأما برنامج بال، الذي وضعته الحركة الصهيونية، لتحقيق هذا الهدف، فهو:

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, P318.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P11.
3) The History Of Zionism, Vol. I, P268.

"١- تشجيع عمال الزراعة والصناعة والتجار اليهود على الاستيطان في فلسطين، مع توفير الظروف المناسبة لذلك، ٢- تنظيم جميع اليهود وربطهم معاً، بواسطة منظمات محلية ودولية مناسبة، بالتوافق مع قوانين كل بلد، ٣- بعث الهوية القومية اليهودية، وتقوية الشعور القومي اليهودي Strengthening And Fostering Of Jewish National Sentiment And Consciousness، ٤-اتخاذ خطوات تمهيدية نحو الحصول على موافقة الحكومات، إذا كان ذلك ضرورياً لتحقيق هدف الصهيونية"[١].

وهذا هو تعليق هرتزل في يومياته على المؤتمر الصهيوني الأول وما أسفر عنه:

"إذا كنت سألخص مؤتمر بازل في كلمة، والتي لا يمكنني أن أصرح بها للعلن، فهي أنني في بازل قد أنشأت الدولة اليهودية At Basel I Founded The Jewish State، ولو قلت ذلك الآن بصوت عالٍ، لأجابني جميع من في الأرض بالضحك، وربما بعد خمس سنوات، ويقيناً بعد خمسين سنة، سوف يصبح ذلك واقعاً يراه كل أحد، إن إنشاء الدولة يكمن في إرادة الشعب للدولة، نعم، بل وفي إرادة مجموعة من الأفراد يملكون قوة كافية، أما الأراضي فليست سوى الأساس المادي Only The Material Bases، وإذا وُجدت هذه الأراضي دون فكرة الدولة فلا قيمة لها"[٢].

وعبارات هرتزل، تعرفك بأمرين، الأول أن الدولة، أي دولة، مشروع عقائدي وذهني ونفسي، فإذا لم توجد أذهان ونفوس تؤمن بأفكار وعقائد وتريد أن تترجمها في هذه الدولة وتصنعها بها، فلن توجد، وأن الحكم على الدولة، أي دولة، ليس فقط بالأبنية والمؤسسات والسياسات والجيوش، بل بالعقيدة والأفكار التي تكونت بها وقامت عليها الأبنية والمؤسسات، وتسري في السياسات، والرسالة التي تحملها الجيوش وتحدد الولاءات والعداوات.

والأمر الثاني الذي يعرفك به كلام هرتزل، هو الفرق بين اليهود وساسة بلاليص ستان ونخبها، فاليهود يعتقدون أن فلسطين أرضهم المقدسة، وأنه كانت لهم دولة فيها، ودليلهم الوحيد

---

1) The History Of Zionism, Vol. I, P268-269.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P381.

على ذلك كتابهم المقدس، وأنهم أُخرجوا منها، ثم تفرقوا في البلدان وتبعثروا بين الأمم، لمئات السنين وآلافها، ورغم ذلك لم تخرج عقيدة أن فلسطين أرضهم ودولتهم من أذهانهم ونفوسهم، وظلوا يكافحون في كل المجتمعات التي نزلوا فيها، وبكل الوسائل، من أجل الحفاظ على هذه العقيدة وتوريثها جيلاً بعد جيل، والعمل من أجل ترسيخها في أذهان غيرهم من الأمم، وترجمتها في الأحداث، ودفع التاريخ نحوها خطوة خطوة، آملين أن يأتي اليوم الذي يعودون فيه إلى أرضهم ويستعيدوا دولتهم.

فقارن رسوخ عقيدة اليهود وعدم يأسهم ومثابرتهم عبر القرون، ببلاليص بلاليص ستان الذين محوا رابطة الإسلام بين شعوب الشرق، وفككوا دولته، ومزقوها إلى مِزق لا وزن لها، وجعلوها تابعة للإمبراطوريات الماسونية، فحولتها وحولتهم إلى أدوات لإتمام المشروع اليهودي، ثم بعد أن كانوا مطايا لهذه الإمبراطوريات سراً، صاروا في أيامك يتفاخرون بذلك علناً، ولم يمض على إضاعتهم لفلسطين نصف قرن، حتى خرجوا يبشرون في شعوبهم بأن فلسطين لم تعد قضية، والقدس مسألة هامشية.

والصورتان وجهان لعملة واحدة أخبرك بها الإله في وحيه وبيانه، فالوجه الأول هو علو بني إسرائيل في الأرض الكبير واستيطانهم لأذهان جميع الأمم، الذي يواكبه وصول دورة الإفساد اليهودي الثانية إلى بلاليص ستان وصناعتها وصناعة ساستها ونخبها بها وبآثارها، وهو الوجه الثاني.

وبعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول:

"**أخذ عبد الحميد ما تفعله الحركة الصهيونية بجدية تامة، فأصدرت الحكومة العثمانية قرارات بتجديد إجراءاتها لمنع هجرة اليهود إلى فلسطين، والتشديد في تنفيذها، وأرسل عبد الحميد أحد أمناء قصر يلدز One Of His Palace Secretaries، متصرفاً على القدس، بدلاً من متصرفها الذي كان من رجال الإدارة، وأرسل إلى البعثات العثمانية في واشنطن ولندن وباريس وفيينا وبرلين، لمتابعة نشاط الحركة الصهيونية وتقديم تقارير عنها، ووضع مخصصات مالية مستقلة لذلك، وكان يقرأ التقارير بنفسه، وجعل السلطان المسألة اليهودية**

مسألة شخصية Personal Question، وأصبح كل ما يتعلق بالمسألة اليهودية، وبفلسطين خصوصاً، في يد السلطان ومن اختصاصات القصر السلطاني"[1]، [2].

ومنع قائمقام يافا بالفعل بعض الأسر من اليهود البريطان من النزول في يافا وإكمال رحلتهم إلى القدس، وأعادهم عل متن السفينة التي قدموا عليها، لأنهم رفضوا التعهد بمغادرتها بعد ثلاثين يوماً، وأخرج متصرف القدس بعض الأسر اليهودية التي قدمت بالفعل وانتهت المدة المسموح لهم فيها بالإقامة، وبلغ من صرامة الأوامر العثمانية، أن قائمقام يافا منع نائب قنصل بريطانيا في أنطاكية والسويدية، من النزول ودخول فلسطين، وفي رسالة بتاريخ ٢٥ أغسطس ١٨٩٨م، عن الواقعة، مرسلة من قنصل بريطانيا في القدس جون ديكسون John Dickson، إلى القائم بأعمال السفير البريطاني في الأستانة، السير موريس دي بونزن Maurice De Bunsen، وهو حفيد البارون بونزن، بطل إنشاء الأسقفية البروتستانتية في القدس، يخبره أنه:

"بخصوص البرقية التي أرسلتها إليكم بالأمس، أتشرف أن أخبركم أن متصرف القدس أرسل لي رسالة مع سكرتيره، يقول فيها إن الصدر الأعظم أرسل إليه تعليمات بتشديد الإجراءات الخاصة بدخول اليهود إلى القدس، وأنها تسري على جميع اليهود الأجانب دون تمييز بين جنسياتهم، ومن ثَم فإنها سوف تطبق على اليهود البريطان، ولن يُسمح لأي يهودي أجنبي بدخول أرض فلسطين إلا بعد دفع ضمان مالي، وتعهده بمغادرة فلسطين خلال ثلاثين يوماً، وقد تلقيت مكاتبة في يوم ١٨ الجاري، من وكيل القنصلية في يافا، المستر أمزلاك، وفيها أن السلطات في يافا منعت المستر جوزيف دويك Joseph Douek، نائب القنصل البريطاني في أنطاكية والسويداء، الذي جاء لزيارة أورشليم/القدس، من النزول، لأنه يهودي"[3].

ورسالة القنصل البريطاني ديكسون، لا تخبرك فقط بالإجراءات العثمانية لمنع دخول اليهود إلى فلسطين، بل وتعرفك أيضاً أن اليهود كانوا يكمنون في قنصليات بريطانيا في فلسطين

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, P319.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P12.
3) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914,Vol. II, P519.

والشام، ويديرون شؤونها مختبئين خلف القناصل البريطان، فنائب قنصل بريطانيا في يافا هو اليهودي أمزالاك، ونائب قنصلها في أنطاكية اليهودي دويك، وهلم جرا.

وإليك هذه الرسالة التي أرسلها السفير بونزن، إلى القنصل ديكسون، في اليوم نفسه، ٢٥ أغسطس، تعرفك بالطريقة التي ابتكرتها بريطانيا للالتفاف حول القوانين العثمانية، وشراء أراضي فلسطين لصالح اليهود، ولن تحتاج إلى أن ننبهك أن مشروع الدولة اليهودية، لم يكن سوى مشروع يهودي بريطاني مشترك.

"بخصوص استفساركم عن تسجيل الأراضي والممتلكات لصالح الرابطة الإنجليزية اليهودية Anglo Jewish Association، أخبركم أنني اقترحت على معالي وزير الخارجية في حكومة صاحبة الجلالة، الأخذ بنصيحة الرابطة الإنجليزية اليهودية، بوضع أسماء بعض الأشخاص من غير اليهود Some Persons Not Jews، الذين لا يمكن للحكومة العثمانية أن تعترض على شرائهم للأراضي والممتلكات"[١].

أما ما ينبغي أن ننبهك إليه، فهو أن ذاك الزمان الذي صارت فيه بريطانيا الحليف الرئيسي للحركة الصهيونية، وتواطأت مع اليهود، لكي تسهل لهم دخول فلسطين والاستيلاء على أراضيها، وإقامة مستوطنات فيها، وكان قناصلها مجرد غلاف لليهود، هو نفسه الزمان الذي احتلت فيه بريطانيا مصر، وهو نفسه الزمان الذي توغل فيه أسطول شركة الهند الشرقية البريطانية في الخليج، وحوَّل مشيخاته وجزره إلى محميات بريطانية، وهو نفسه الزمان الذي كان فيه بعض بلاليص بلاليص ستان، في غرب جزيرة العرب وفي شرقها يرفعون راية أن الدولة العثمانية احتلال تركي للعرب، وتحالفوا مع بريطانيا من أجل إخراجها من الشرق.

وهذه الأحداث التي يراها الأميون في بلاليص ستان مختلفة ولا علاقة بينها، ويفهمون كل حدث منها بمعزل عن الآخر، ومن عَبَطهم يُمجدون بعضها ويحتفلون به، هذه الأحداث كلها لم تكن سوى خيوط في شبكة واحدة، وعناصر متزامنة في المشروع اليهودي، وما كان له أن يسير

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914,P518.

ولا أن يكتمل إلا بها جميعاً معاً، فبريطانيا وهي تتواطأ مع اليهود وتمهد فلسطين لهم، احتلت مصر سنة ١٨٨٢م، ووضعت أصول دولتها وكونت مؤسساتها بالعقيدة الوطنية القومية، عقيدة الأرض والدم التوراتية البني إسرائيلية، وكونت فيها نخباً ضالة في كل المجالات، وهم الذين يسمونهم رواد النهضة، وحولتها إلى جناح للمشروع اليهودي في فلسطين، بل وتمركزت فيها الحركة الصهيونية، ومنذ احتلال بريطانيا لمصر وحتى إقامة الدولة اليهودية، وهي قاعدة النشاط الصهيوني في الشرق، كما ستعلم تفصيلاً، إذا أراد الله واكتملت هذه السلسلة من الكتب عن بلاليص ستان.

وفي الوقت نفسه احتلت أساطيل بريطانيا الخليج، وتحالفت مع البلاليص هنا وهناك في جزيرة العرب، لكي يكون شعار الاحتلال التركي لبلاد العرب، أداة للإطاحة بشرعية الدولة العثمانية في هذه البلاد، وهي كلها في الحقيقة بلاد الإسلام، والأَوْلى بحكمها هو الأقدر على ذلك، وعلى رد أعدائها عنها، ثم امتطت بريطانيا هؤلاء البلاليص لكي يقاتلوا الدولة العثمانية نيابة عنها وعن اليهود، ويكفوها عبء مواجهة قواتها في صحاري بلاد العرب الشاسعة، حتى إذا أخرج هؤلاء الأشاوس البلاليص قوات الدولة العثمانية من الخليج، ومن جزيرة العرب، ومن الشام، ووقعت فلسطين بين أنياب بريطانيا، سلمتها للعصابات الصهيونية، وتركت للبلاليص المِزَق التي أقامتها لهم وأقامتهم عليها وتحرسها وتحرسهم معها، لكي يحتفلوا ويؤلفوا الأغاني في مجدها واستقلالها.

وبين الثامن والعشرين والحادي والثلاثين من أغسطس ١٨٩٨م، انعقد المؤتمر الصهيوني الثاني، في بازل في سويسرا، بعد أن ازدهرت الحركة الصهيونية، في أعقاب المؤتمر الأول، وزاد عدد أعضائها والجمعيات التابعة لها، وفي بريطانيا وحدها صار عدد الجمعيات والروابط التابعة للمنظمة الصهيونية، ستاً وعشرين جمعية ورابطة، وزاد عدد ممثلي اليهود الحاضرين في المؤتمر الثاني إلى أربعمائة، وكان الإنجليز أكثرهم نفوذاً، ومن ثَم، كما يقول المؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف:

"كان في المؤتمر علامة مميزة، وهي التأثير الإنجليزي الذي لا شك فيه على المؤتمر، وفي الواقع النتيجة النهائية للمؤتمر الثاني في بازل، هي أن الصهيونية خطت خطوة فارقة نحو

انجلترا Distinct Move Towards England، فالبنك في انجلترا، وكذلك لجنة الاستعمار Colonization Commission، وهذه النتيجة سببها موقع انجلترا السامي بين أمم أوروبا، ليس فقط لاستقرارها السياسي الذي لا شك فيه، بل وأيضاً بسبب موقعها الفريد من اليهود Its Unique Position Towards Jews"(١).

وهذه هي قرارات المؤتمر الثاني، التي أشار إليها سوكولوف:

"تأسيس بنك ليكون أداة تمويل المنظمة الصهيونية، وقد تم تأسيسه كشركة مساهمة في لندن، باسم: صندوق الاستعمار اليهودي Jewish Colonial Trust، برأس مال قدره مليونا جنيه إسترليني، وكان الفضل في تأسيسه لدافيد وولفنسون David Wolffsohn، تاجر من كولون، وياكوبس كان Jacobus Kann، صاحب بنك في لاهاي، وكان هرتزل يعارض بشدة فكرة التسلل التدريجي إلى فلسطين، واعتمد بدلاً منها السعي للحصول على مرسوم من السلطان عبد الحميد بإنشاء مستوطنة ذات حكم ذاتي Autonomous Settlement"(٢).

وفي أعقاب المؤتمر الثاني، علم هرتزل من صديقه فردريك دوق بادن Frederick Duke Of Baden، أن القيصر الألماني فيلهلم الثاني Welhelm II، سوف يذهب إلى الأستانة، للتفاوض مع السلطان عبد الحميد حول إنشاء خط سكة حديد برلين بغداد، وأنه سوف يزور القدس، فقرر هرتزل انتهاز هذه الفرصة، وطلب وساطة القيصر عند السلطان عبد الحميد، وبوساطة السفير الألماني في فيينا، الكونت فيليب أولينبرج Philip Eulenburg، وافق القيصر على أن يستقبل هرتزل إبان رحلته إلى فلسطين.

وكونت المنظمة الصهيونية وفداً للقاء القيصر يرأسه هرتزل، ومعه دافيد وولفنسون، مؤسس البنك الصهيوني ورئيسه، وأستاذ القانون ماكس بودنهايمر Max Bodenheimer، والمهندس

---

1) The History Of Zionism, Vol. II, Pxliii.
2) Short History Of Zionism, P49.

جوزيف شايدنر Joseph Seidener، رئيس المنظمة الصهيونية في ألمانيا، والدكتور موشيه شنَيْرر Moses Shnirer.

ووصل الوفد الصهيوني إلى الأستانة، يوم ١٨ أكتوبر ١٨٩٨م، بعد وصول القيصر بيوم واحد، وبترتيب من وزير خارجية ألمانيا، فون بولوف Von Bülow، وبالتعاون مع السفير الأمريكي في الأستانة، اليهودي أوسكار سولومون ستراوس Oscar Solomon Straus، استقبل القيصر فيلهلم الثاني هرتزل، في الساعة الخامسة والنصف مساء يوم ١٩ أكتوبر، في القصر الذي أنزله فيه السلطان عبد الحميد، فدار بينهما حوار طويل، في حضور بولوف، حول أوضاع اليهود ومعاناتهم، وعرَّف هرتزل القيصر بعمل الحركة الصهيونية على جذب اليهود وإبعادهم عن الحركات الثورية والاشتراكية، فأبدى القيصر إعجابه بالحركة ونشاطها، وفي نهاية الحوار:

"قال القيصر: أنا الآن الوحيد القريب من السلطان، اكتب خطاباً عن مطالبك وأعطه لبولوف، وسوف أقدمها للسلطان بعناية، ولكن أخبرني الآن في كلمة واحدة ما الذي تريدني أن أطلبه من السلطان، فأجبت: شركة قانونية تحت الحماية الألمانية Chartered Company Under German Protection"[١].

وكان هرتزل قد كتب فعلاً مسودة خطاب وعرضه على بولوف في اليوم السابق، وقد ضمنه مشروعه مفصلاً، على أن يلقيه أمام القيصر في القدس، ونصه:

"مفوضاً من بني إسرائيل أتقدم للقيصر الألماني بأعمق آيات التبجيل، في البلاد التي كانت لآبائنا ولم تعد لنا، أجيال عديدة أتت وذهبت منذ أن كانت هذه الأرض يهودية، ولو تكلمنا عنها اليوم، فسوف تبدو وكأنها حلم بالأيام شديدة القدم، ولكن هذا الحلم ما زال حياً في قلوب مئات الآلاف من القلوب، وأفكار الصهيونية تنبعث من قلوبنا المضطهدة، وثمة شيء خالد في هذه الأفكار، والحركة الصهيونية هدفها حل المشكلة اليهودية بالوسائل المتاحة في هذا الزمان، وقبل كل شيء، فقد تمكنت من بعث هويتنا القومية بين إخوتنا المتناثرين في

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P734.

الأرض، وفي مؤتمر بازل وضعت الحركة برنامجاً وقدمته للعالم كله، وهو إنشاء وطن للشعب اليهودي تحت حماية القانون الدولي، وهذه أرض آبائنا وهي صالحة للاستعمار والزراعة، ونريد أن نجلب الازدهار لهذه البلاد بتوفير العمالة، ونطلب مساعدة جلالتكم في هذا المشروع، وصداقة جلالتكم بجلالة السلطان معروفة، ونأمل من جلالتكم أن تنقل رغبتنا لجلالته، ونحن نعتقد بأمانة أن المشروع الصهيوني سوف يجلب الرفاهية والازدهار لتركيا أيضاً، ومشروعنا هو إنشاء شركة يهودية للأراضيJewish Land Company، في فلسطين وسوريا، ونطلب منكم أن تكون هذه الشركة تحت حماية القيصر الألماني"[١].

وقد التقى القيصر فيلهلم بالسلطان عبد الحميد، إبان زيارته للأستانة التي استمرت أسبوعاً، ثلاث مرات، إحداها كانت قبل لقائه بهرتزل، وفي اللقاء الثاني فاتح القيصر فيلهلم السلطان عبد الحميد في مشروع هرتزل لتنمية فلسطين، عن طريق تأسيس شركة يهودية لاستيطان الأراضي وزراعتها، بموافقة رسمية من الدولة العثمانية، وبضمان الإمبراطورية الألمانية، ولم يعلم هرتزل برد السلطان على القيصر في حينه، ونقلاً عن المصادر الألمانية، يقول المؤرخ اليهودي إشعيا فريدمان Isaiah Friedman، في كتابه: ألمانيا وتركيا والصهيونية Germany, Turkey And Zionism، إن

"السلطان استقبل مقترحات القيصر عن مشروع شركة الأراضي بفتور شديد So Brusquely، وكان القيصر حريصاً على الاحتفاظ بعلاقته الودية مع السلطان، فلم يلح عليه، وغيَّر الموضوع"[٢].

ورحل القيصر وحاشيته من الأستانة إلى فلسطين، يصاحبه وزير الخارجية العثماني توفيق باشا، ووصل إلى يافا يوم ٢٩ أكتوبر ١٨٩٨م، وكان الوفد الصهيوني قد سبقه إليها، بعد أن أخبر فون بولوف هرتزل أن القيصر سيستقبل الوفد في القدس، ودخل أعضاء الوفد الصهيوني من يافا متسللين، وهرتزل نفسه، كما يقول في يومياته، سافر من الأستانة إلى الإسكندرية، ومنها إلى يافا، ودخلها متسللاً بمساعدة حرس القنصلية الألمانية، فنزل من السفينة قبل الوصول إلى

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P719-720.
2) Isaiah Friedman: Germany, Turkey, And Zionism, 1897-1918, P77, Clarendon Press, 1977.

الشاطئ، وركب قارباً مع امرأة يهودية رومانية، وعند الرصيف البحري كان حرس القنصلية الألمانية في انتظاره، وأدخلوه بينهم إلى يافا[1].

وفي اليوم نفسه، استقبل هرتزل القيصر فيلهلم أمام بوابة مدرسة الزراعة اليهودية، مكفه إسرائيل، ومعه الحاخامات وتلاميذ المدرسة، وقد اصطفوا على الجانبين، وعند ظهور القيصر وموكبه:

"أعطى هرتزل إشارة للتلاميذ، فبدأوا في إنشاد نشيد بالألمانية، مطلعه: مرحباً بك يا حامل تاج النصر[•] Heil Dir In Siegenkrone"[2].

ولمح القيصر هرتزل، فتوجه نحوه بفرسه، ثم نزل أمامه ومد يده له مصافحاً، ودار بينهما الحوار التالي:

"القيصر: كيف حالك؟، هرتزل: شكراً لجلالتك، كنت ألقي نظرة على البلد، وهل جلالتك راض عن رحلتك إليها؟، القيصر: الجو حار جداً، لكن البلد لها مستقبل، هرتزل: إنها الآن مريضة، القيصر: ما تحتاجه هو الماء، كثير من الماء، هرتزل: نعم جلالتك، الري على نطاق واسع، فكرر القيصر: إنها أرض المستقبل Land Of The Future، يقول هرتزل: وربما قال أشياء أخرى، لكني لا أذكرها، لأنه لم يتوقف معي سوى بضع دقائق، ثم مد يده لي مرة أخرى، وركب فرسه"[3].

وفي يوم ٢ نوفمبر ١٨٩٨م، استقبل القيصر فيلهلم الثاني الوفد الصهيوني كاملاً، في الخيمة الإمبراطورية التي أقيمت له في القدس، وألقى هرتزل أمامه الخطاب الذي يحوي مشروعه، والذي كان قد سلم نسخة منه لوزير الخارجية فون بولوف، وكان رد القيصر على خطاب هرتزل، كما يقول في يومياته:

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P739.

•) يا حامل تاج النصرHeil Dir In Siegenkrone: أغنية وضعها اثنان من الألمان، شوماخر Schumacher، وهاريس Harris، سنة ١٨٩٠م، ثم صارت نشيد الترحيب الإمبراطوري بالقيصر فيلهلم في ألمانيا.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P743.

3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P743.

"أشكرك على تواصلك معي، الذي أثار اهتمامي كثيراً، وعلى كل حال المسألة ما زالت تحتاج إلى دراسة دقيقة ونقاشات أخرى، ثم مضى في ملاحظات حول الاستيطان والزراعة وصعوباتها وأشياء أخرى لا أتذكرها، لخمس أو ست دقائق، ثم أخذ بيدي وجرني للدخول في حوار مع بولوف قائلاً: بولوف، أنت تعرف هرتزل، أليس كذلك؟ ... وبعد أن خرجنا ومضينا بعيداً قلت لشنَيْرر: "لم يقل نعم، ولم يقل لا، ويبدو أن أشياء كثيرة تحدث خلف الستار Behind The Scenes"[١].

وإليك ما تعرف منه، ما هو خلف الستار، ولماذا ترك القيصر فيلهلم الثاني هرتزل ومشروعه الصهيوني، وفضل أن يحافظ على صلاته الودية مع الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني.

بعد أن انتهى القيصر فيلهلم من زيارة القدس، اتجه إلى بيروت، ومنها إلى دمشق، فزار معالمها، ومنها المسجد الأموي، وضريح صلاح الدين الأيوبي، وأمر بوضع إكليل من الزهور عليه، وكان شديد الإعجاب بصلاح الدين، وبعد المأدبة الفاخرة التي أقيمت له في دار البلدية، ألقى القيصر خطبة بالألمانية، وترجمها بعد إلقائه لها صادق بك، أحد أعضاء لجنة الضيافة المخصصة للقيصر، ونشرها الصحفي والمؤرخ اللبناني إبراهيم بن نجم بن إلياس بن حنا الأسود، وكان معاصراً للزيارة ومتابعاً لها، في كتابه: الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، الذي نشره في نفس سنة الزيارة، فهاك نصها:

"من الواجبات إبداء الشكر باسمي واسم حضرة الإمبراطورة، فكما إنني متلذذ بهذا الشعور العميق من الامتنان لهذه المراسم الاحتفالية الشائقة الفائقة، كذلك أراني مبتهجاً من صميم فؤادي عندما أفتكر بأنني في مدينة عاش بها مَن كان أعظم أبطال الملوك الغابرة بأسرها، الشهم الذي تعالى صدره بتعليمه أعداءه كيف تكون، ألا وهو المجاهد الباسل السلطان صلاح الدين الأيوبي، منتهزاً هذه الفرصة لأن أُبين قبل كل شيء بسرور لا مزيد عليه تشكراتي لحضرة ذي الشوكة السلطان عبد الحميد خان، الذي أفتخر بخالص محبته وجميل معاملته، وليوقن صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان الثاني، والثلاثمائة مليون من المسلمين

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. II, P755-757.

المرتبطين بمقام خلافته العظمى ارتباطا قوياً، والمنتشرين في جميع أنحاء الكرة الأرضية، أن إمبراطور ألمانيا سيبقى محباً لهم إلى الأبد"[١].

وكما ترى، السر في موقف القيصر فيلهلم الثاني، وانصرافه عن الحركة الصهيونية ومشروعها، أنه لا يريد أن يخسر المسلمين، وهم مئات الملايين، ومن المحيط إلى المحيط، ومن أواسط أوروبا إلى أواسط آسيا وإفريقيا، أمة واحدة، وبلادهم التي تمتد متواصلة في ثلاث قارات دولة واحدة، مرجعيتها واحدة، وقضاياها وسياستها واحدة، والذي يتعدى على جزء منها فهو يعتدي عليها كلها، ويجد نفسه في مواجهتها جميعاً معاً، والسلطان بهذه الأمة الواحدة والدولة الموحدة صاحب شوكة، لا يمكن لدولة في العالم، ولا للعالم كله، أن يعقد أمراً أو يتخذ موقفاً دون حساب حسابه، والسلطان في الوقت نفسه قوَّام على هذه الأمة والدولة، ويدافع عنها بمواقفه وسياساته، ومن أجلها يوالي ويعادي، دون أن يعنيه أن يقف مرتدياً لباس البطولة أمام الكاميرات، ودون أن يثبط من همته أو يجعله يتراجع عن مواقفه، ما يشيعه عنه أعداؤه وأعداء الأمة والدولة، وما يصمونه به في الصحف ووسائل الإعلام التي يسيطرون عليها، حتى لو أفضى ذلك إلى أن يضحي بعرشه ويتنازل عن إمبراطوريته.

فقارن موقف السلطان عبد الحميد، وكل ما أتيناك به من سياساته ومواقفه من اليهود والحركة الصهيونية، كان مجهولاً في زمنه عند عموم المسلمين، ولا يعلمون عنه شيئاً، قارنه بالبلاليص في المِزَق التي صنعتها لهم الإمبراطوريات الماسونية، وأقامتهم عليها وتحرسها لهم، يبيعون دولهم وشعوبهم وأراضيها ومقدساتها في ما يتفقون عليه ويوقعونه مع الإمبراطوريات الماسونية في الغرف المغلقة التي لا يراهم فيها ولا يعرف ما الذي فعلوه فيها أحد، وكل ما يعنيهم ويحرصون عليه، أن يخرجوا على شعوبهم أمام كاميرات الصحف والشاشات، وقد رفعوا رؤوسهم ونفخوا صدورهم، وإعلامهم يتغنى ببطولتهم وأمجادهم، وما يتغنون به ليس سوى رضا الغرب عنهم، وموافقته أن يقبلهم عملاء له في الشرق، وأن يعاونوه بالمِزق التي أقامهم عليها في إتمام

---

١) المؤرخ اللبناني إبراهيم بن نجم بن إلياس بن حنا الأسود: الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، وهو يحتوي على ما نظمه بعض الشعراء الأدباء في مديح الإمبراطور غليوم الثاني، ص١٨٠-١٨١، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ١٨٩٨م.

المشروع اليهودي، فيضع السياسات لهم ولدولهم، دون حساب حسابهم، بل ودون علمهم، ثم يبلغهم بها السفراء والقناصل، وكل بطولتهم ومجدهم في تنفيذها والأمانة في تطبيقها.

وفي ١٥ أغسطس ١٨٩٩م، انعقد المؤتمر الصهيوني الثالث في بازل في سويسرا، وإبان التحضير للمؤتمر، وقبل أن يبدأ أعماله بيومين، في ١٣ أغسطس، أرسل هرتزل من بازل، برقية إلى السلطان عبد الحميد، ووجهها إلى معالي منير باشا، رئيس التشريفات والمراسم في قصر يلدز، لكي يسلمها للسلطان، ونصها:

"الصهاينة المجتمعون في مؤتمر في بازل، يرون أن واجبهم الأول، أن يضعوا عند أعتاب عرش جلالة السلطان تعهدهم بتفانيهم وتوقيرهم لجلالته، وإقرارهم بعطف جلالته الذي يبديه دائماً تجاه رعاياه اليهود، ويرغب الصهاينة في إغاثة إخوتهم التعساء في مختلف بلاد أوروبا، وأن يسهموا في مجد الإمبراطورية العثمانية وازدهارها، وهم يأملون بإخلاص، أن تحظى هذه الرغبات بترحيب الخليفة ذي الحكمة السامية Exalted Caliph Wisdome"[1].

ولم يرسل السلطان، ولا أحد من طرفه، رداً على برقية هرتزل.

وأما المؤتمر الصهيوني الثالث، فكان نشاطه الرئيسي:

"عرض هرتزل على المؤتمر البرقية التي أرسلها إلى السلطان عبد الحميد، وتم الاتفاق على تركيز الجهود للحصول على مرسوم رسمي من السلطان، واستعرض المؤتمر نتائج الجهود السابقة، وكانت: زيادة عدد الجمعيات الصهيونية في روسيا بنسبة ٣٠%، وفي غيرها من البلدان بنسبة ٢٥%، وزيادة عدد أعضاء المنظمة من المنتظمين في دفع الشيكل، رسم الاشتراك، إلى مائة ألف عضو، وهو ما يعني أن عدد المنخرطين في النشاط الصهيوني يقارب ربع مليون يهودي، وتم الاتفاق على وضع مخطط جديد للمنظمة، من أجل تنظيم البناء الداخلي لها، وعرض وولفنسون إجراءات إنشاء البنك وطرح أسهمه، واشترط أن يظل تحت

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P860.

سيطرة المنظمة الصهيونية، حتى لو كان أغلب المساهمين من غيرهم، واقترح ديفيز تريتش Davis Trietsch استعمار قبرص، ورفضت الغالبية العظمى من أعضاء المؤتمر حتى طرح الموضوع للنقاش"[١].

وبين السادس عشر والتاسع عشر من شهر أغسطس ١٩٠٠م، انعقد المؤتمر الصهيوني الرابع في قاعة الملكة Queen's Hall، في قصر لانجهام Langham، في وسط لندن، وكانت المرة الأولى التي يخرج فيها المؤتمر الصهيوني من بازل في سويسرا، وكان اختيار لندن، كما يقول ناحوم سوكولوف:

"من أجل زيادة التأثير على الرأي العام البريطاني، حيث لم يستقبل الرأي العام في أي بلد الدعاية الصهيونية بمثل التفهم والتعاطف الذين وجدتهم في بريطانيا، خصوصاً بعد إنشاء الاتحاد الصهيوني الإنجليزي English Zionist Federation"[٢].

وهو ما أكده هرتزل في خطابه في المؤتمر:

"أشعر أنه ليس من الضروري أن أشير إلى أسباب عقد المؤتمر في لندن، فانجلترا هي إحدى الأماكن الأخيرة في الأرض الخالية من كراهية اليهود، وهي البقعة الوحيدة في العالم الواسع التي لا يتعرض فيها شعب الإله العتيق للاضطهاد، وفي هذه الأرض المجيدة يحظى اليهود بالحرية وحقوق الإنسان كاملة Full Freedom And Complete Human Rights، ولكن سيكون صديقاً سيئاً لليهود في انجلترا، وكذلك لليهود في البلدان الأخرى، مَن ينصح اليهود المضطهدين بالفرار إلى هنا، فهذه الهجرة سوف تكون كارثة لليهود في انجلترا، كما هي كارثة لليهود القادمين إليها"[٣].

وبين المؤتمر الصهيوني الثالث والمؤتمر الرابع، كان الباب العالي قد شدد الإجراءات التي تمنع دخول اليهود إلى فلسطين إلا للحج، وصدر الجواز الأحمر الذي قيد حركتهم داخلها، وفي

---

1) Richard Gottheil: Zionism, The Jewish Encyclopedia, Vol. XII, P676.
2) History Of Zionism, Vol. II, P xHv.
3) History Of Zionism, Vol. II, P xHv.

٢٧ يناير ١٩٠١م، أرسل السفير البريطاني في الأستانة، السير نيكولاس أوكونور Nicholas O"Conor، رسالة إلى وزير الخارجية الماركيز لانسداون Lansdowne، عن تشديد الإجراءات العثمانية بخصوص دخول اليهود إلى فلسطين، وأرفق مع رسالته، صورة من التعليمات العثمانية المفصلة الصادرة لوالي بيروت ومتصرف القدس، وقد أرسلها إليه قناصل بريطانيا في بيروت والقدس، ونشرها المؤرخ اليهودي البريطاني ألبرت ونتفيوري هيامسون، في كتابه: القنصلية البريطانية في أورشليم/القدس وعلاقتها باليهود في فلسطين، فهاك هي:

"١- جميع اليهود الذين يزورون فلسطين، سواء قدموا إليها من الخارج، أو من مناطق عثمانية أخرى، يجب أن يحملوا تذكرة Tezkere، أو جواز سفر Passport، موضحاً به جنسيتهم ومهنتهم والغرض من الزيارة، ٢- عند وصول هؤلاء اليهود إلى أي ميناء في ولاية بيروت أو متصرفية القدس، عليهم أن يقدموا التذكرة أو الجواز إلى المسؤولين الرسميين في الميناء، ويدفعوا قرشاً واحداً، ليحصلوا على تذكرة إقامة مؤقتة، تسمح لهم بالإقامة والتنقل في فلسطين لمدة ثلاثة أشهر، ولكي يمكن تمييز هذه التذكرة، فسوف يكون لها لون وشكل يختلفان عن التذاكر الأخرى المعتادة، وعلى حاملها أن يبرزها للسلطات عند طلب رؤيتها، وكل من يتجاوز فترة الأشهر الثلاثة، فسوف يتم طرده من فلسطين، عن طريق البوليس، أو عن طريق القنصلية التابع لها، ٣-التواريخ وجميع التفاصيل الخاصة بهذه التذاكر المؤقتة سوف يتم تسجيلها شهرياً، وإرسالها إلى السلطات المحلية، وإلى البوليس، لكي يقوم بإخراج اليهود الذين انتهت مدة إقامتهم في فلسطين، وأي إهمال من المسؤولين المذكورين في تنفيذ هذه الإجراءات، سوف تقابله عقوبة شديدة Will Be Severly Punished"[١].

ورغم الإجراءات العثمانية المشددة، وخلافاً لاستراتيجية هرتزل القائمة على دخول فلسطين وشراء أراضيها بصورة رسمية، استمر اليهود والجمعيات اليهودية، خصوصاً من روسيا، في التسلل إلى فلسطين، عبر السفر إلى دول أوروبا الغربية، خصوصاً بريطانيا ومستعمراتها، والحصول على جوازات سفر منها، وقد غيروا فيها أسماءهم، وجوازات السفر البريطانية لم يكن بها خانة للديانة، وبعد ذلك السفر إلى فلسطين، وشراء الأراضي، بتمويل من أثرياء اليهود،

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Vol. II, P562.

وعلى رأسهم البارون إدموند روتشيلد، وبمعاونة القناصل، وعن طريق وضع غير اليهود من أهل فلسطين بين المشترين، وتسجيل الأرض باسمهم.

وإخراج اليهود الذين دخلوا فلسطين منها، لم يكن ممكناً بصورة كاملة من غير تعاون القناصل، وفي تقرير من قنصل بريطانيا في بيروت إلى السفير البريطاني في الأستانة، السير أوكونور، في ١٣ يناير١٩٠١م، والذي أرفقه إلى وزير الخارجية، الماركيز لانسداون: أن:

"عدد اليهود الذين يدخلون البلاد قليل جداً، وفي السنوات الأخيرة لم يدخل رسمياً أي يهودي من بيروت، وكذلك الحال في حيفا، حيث لا يستطيع اليهود الدخول إلا بتواطؤ صغار المسؤولين Connivane Of Minor Officials، وأنا أعرف أن خمسة جنيهات كافية لأن تُؤمن دخول يهودي واحد من بيروت أو حيفا، أياً كانت جنسيته، ومعظم اليهود الذين يصلون إلى هنا من النمسا وروسيا وأمريكا، وقناصل هذه البلاد لا يوافقون على منع رعاياهم من دخول فلسطين، وفي حالة قنصل النمسا فإنه لا يساعد السلطات المحلية في إخراج اليهود بعد انتهاء مدة إقامتهم المسموح بها، وكذلك قنصل روسيا، رغم أنهما يميزان اليهود من غيرهم، لأن جوازات سفر النمسا وروسيا تحوي خانة للديانة، كما أن قنصل روسيا يعرف اليهود من الشكل اليهودي لأسمائهم، وقنصل الولايات المتحدة احتج في مرات عديدة على منع المواطنين الأمريكيين من الدخول، وأرسل رسائل بذلك إلى الباب العالي، واليهود من جميع الجنسيات يتجنبون تصعيد المشكلة، وفي أغلب الأحوال يقومون بحلها عن طريق دفع مبلغ من المال لصغار المسؤولين، لكي يتواطؤوا معهم، ويسمحوا لهم بالدخول، وبخصوص اليهود البريطان، فأرجو من معاليكم أن تضعوا في اعتباركم، أن جوازات السفر البريطانية، بخلاف جوازات السفر الأخرى، ليس فيها ما يشير إلى ديانة حاملها، وبعد تشديد الإجراءات العثمانية، سوف يواجه القناصل البريطان صعوبات كبيرة ومشاكل عديدة، لأنهم لا يعرفون بصورة رسمية إن كان حامل جواز السفر يهودياً أو غير يهودي، وفي الوقت نفسه لن يسمحوا للسلطات العثمانية بطرد رعايا بريطانيا"(١).

---

1) The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, Vol. II, P563.

المستوطنات الأولى:

وهذه هي قائمة المستوطنات التي تمكن اليهود من إقامتها في فلسطين، عند نهاية القرن التاسع عشر، وقد أحصاها ووصفها تفصيلياً الأب هنري لامنس اليسوعي، في دراسة له عنوانها: اليهود في فلسطين ومستعمراتهم، نشرها في العدد الثالث والعشرين من مجلة المشرق، الصادر في ديسمبر ١٨٩٩م، وقال في بدايتها إنه استند فيها إلى التقارير التي نشرتها المجلات اليهودية، ونقلتها عنها مجلة الجمعية الفلسطينية (اليهودية) التي تصدر بالإنجليزية، وإلى رحلاته هو إلى فلسطين، وأنه كتبها ليستلفت أنظار ذوي الأمر، إلى استدراك ما يخالف الأوامر الشريفة المتكررة التي أصدرتها الحضرة السلطانية:

"المستعمرات اليهودية في فلسطين خمسٌ، تشتمل على عدة محال، وهي: مستعمرة يافا وضواحيها، ثم مستعمرة القدس الشريف، ثم صفد وبلاد بشارة، ثم حيفا وتوابعها، وأخيراً مستعمرة حوران وعبر الأردن.

أولاً- يافا وضواحيها: أنشات الجمعية الروسية المدعوة "مساعدة الفلاحين والصُناع اليهود في فلسطين والشام" لجنة في يافا سنة ١٨٩١م، ولَّت تدبيرها المهندس زيب تيومكين، وغاية هذه اللجنة أن تنظر في أمور المهاجرين الإسرائيليين وتساعدهم أدبياً ومادياً في ابتياع أراض واسعة، يقوم بتثميرها الأفراد أو الجماعات منهم، والجمعية الروسية المذكورة، ليست سوى فرع من جمعية أخرى يهودية ممتدة في بلاد كثيرة، تدعى "أحباء صهيون"، وأعضاء هذه الجمعية ينقدون في أوقات معلومة شيئاً من الدراهم، ثم يقترعون على السفر إلى فلسطين، فمن خرج اسمه دفعت له الجمعية حق السفر، وعينت له أرضاً يفلحها في الأراضي المقدسة، وعدد اليهود اليوم في يافا ينيف على ٦٠٠٠، لهم محلة واسعة يدعونها المنشية، وفي شمال شرقي يافا على طريق نابلس، ترى مقاماً يدعى نره صادق، فيه نيف وعشرون بيتاً، قد ابتنته جمعية أخرى لليهود، وهذه المنازل يدفع السكان حقها بأقساط سنوية متهاودة، وهناك بستان واسع يخص ورثة صاحب المصرف الشهير في لندن، السير موسى مونتفيوري، استأجره بعض يهود القدس، وفي ضواحي يافا مستعمرات أخرى، هذه أسماؤها: ١- منزل إسرائيل (مكفه إسرائيل)، موقعه على مقربة من يافا، بقرب طريق العربات المؤدي إلى القدس، وهو

عبارة عن حديقة واسعة الأرجاء، كثيرة الأشجار، وافرة الغلات، تبلغ سعتها نحو ٢٤٠ هكتاراً، وقد جعلها منشئها شارل نِتر سنة ١٨٧٠م كمكتب زراعي، يتخرج فيه زهاء ستين شاباً من اليهود على الفنون الزراعية، ٢- عيون قارة، وفي العبرية رؤوس صهيون (ريشون لتسيون)، على مسافة سبع كيلومترات من قرية يازور، على طريق غزة، وهي مستعمرة يهودية باشر بها سنة ١٨٨٢م ستة إسرائيليين من الروس، ثم دخلت في حِمى البارون إدموند دي روتشيلد، وهناك مزروعات واسعة تمتد في مسافة ٥٩٤ هكتاراً، ومما غرس فيها أشجار اللوز والتوت والخروع، وفي كرومها ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ جفنة، اجتنى منها أصحابها في سنة ١٨٩٠م نحو ١٥٥,٠٠٠ كيلو عنباً، وبيوت هذه المستعمرة خمسون بيتاً، ولها كنيس للصلاة ومستوصف ومدرسة وكلارات واسعة، وعدد سكانها نحو ٢٧٠، وكان أصحاب هذه المستعمرة مصممين النية على فتح معامل جديدة للحرير والزجاج واستقطار الورد، لكننا لا نعلم أخَرج ذلك إلى عالم الكيان أو بقي في حيز الآمال، وأكثر غلات هذه المستعمرة يبتاعها عَمَلَة روتشيلد، وهو قد جعل لكثير من المستعمرين راتباً شهرياً، ٣- ملك راوبين، وهو وادي حنين، في جنوبي المستعمرة السابقة، على مسافة نصف ساعة منها، مساحتها ١٣٥ هكتاراً، والفضل في إنشاء هذه المزرعة لرباني اسمه راوبين، كان حاخاماً في خرشنة (خيرسون) Cherson، وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسية، وأهلها اثنتا عشرة عائلة، يعنون بغرس الكروم والأشجار المثمرة وتعسيل النحل، وتحت إدارتهم كثيرون من الفلاحين الوطنيين، يكلفونهم بأتعاب الحراثة والأشغال الشاقة ويكتفون بنظارة الأعمال، ٤- خربة ديران، وفي العبرية السهول، بقرب بلدة رملة، وهي مستعمرة أحدثتها جمعية أعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠م، وهي عبارة عن أرض فسيحة لا تقل عن ٩٥٠ هكتاراً مقسمة إلى ٦٥ قسماً كافية لمعيشة ٦٥ عائلة، وقد غرس في هذا المكان ١٧,٠٠٠ جفنة، و١٠٠٠ فسيلة من التوت، لكن اليهود لا يحبون سُكنى هذا المكان وحراثته، والعيال الساكن فيه إلى الآن تبلغ العشرين، ٥- محطة عاقر، ويقال عكرون، وهم يدعونها تذكار بيت الله، جنوبي غرب الرملة، بقرب يمنية، وهي أيضاً من مشروعات البارون روتشيلد في سنة ١٨٨٣م، مساحتها ٧٠٠ هكتار، يستثمرها ١٥٠ يهودياً، ولهذه المستعمرة كنيس ومدرسة كعيون قارة، وقد مررنا في هذا المكان منذ سنتين، فوجدناه عامراً زاهياً بضروب الأشجار المثمرة، وكانت رباه متشحة بثوب أخضر من المزروعات، تمتد فيها سروغ الكروم النضرة، لكننا لم نشاهد

شيئاً من الحبوب كالقمح والذرة، مع احتياج الفلاحين إلى هذ الغلات، والسبب أن اليهود لا يجدون في الحبوب الأرباح التي يقصدونها، فيهملون زراعتها، وما أذهلنا في رحلتنا هذه أننا لم نر في الكروم والحقول غير فلاحين بلديين، أجَّرهم أصحاب الملك بأثمان بخسة، وبيوت هذه المستعمرة إذا شاهدها المسافر من بعيد حسنة المنظر، مسقفة بالآجر الأحمر، وجدرانها مبيضة بالملاط، ولما اقترينا منها وجدناها قذرة متداعية البنيان، مع أنها حديثة البناء، ٦- قطرا، من منشئات جمعية أحباء صهيون، بدأت سنة ١٨٨١م، وقْعها على بعد ساعة من عكرون المذكورة، وكانت الغاية من إنشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيا، حُتِّم عليهم أن يجردوا أنفسهم للفلاحة، وليس فيها الآن إلا عشرة بيوت، يسكنها نحو تسعين نفساً من الطلبة المذكورين، وهم اليوم يأملون تملك هذه الأراضي واستثمارها على حسابهم الخاص، ومساحة هذه المزرعة ٢٨٠ هكتاراً، وهي تصلح للحبوب، ٧- قسطينة، وتُعرف ببئر طوبيا، تعد أيضاً من مستعمرات اليهود، تبعد ساعة ونصف الساعة عن قطرا، أنشاها روتشيلد سنة ١٨٨٨م، وخصصها بيهود بسارابيا، واليوم يشتغل فيها عشرون فاعلاً كعَمَلَة لهذا الصراف الكبير الثروة، وسعة هذه الأرض ٦٣٠ هتكاراً، ٨- أم لبيش (ملبس)، وفي اصطلاح اليهود "فتح تقوه"/بتاح تكفاه(*)، على طريق يافا إلى نابلس، شمال شرقي يافا، نزلها يهود القدس سنة ١٨٧٨م فلم يستحسنوا هواءها، ثم عاد المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢م فاستوطنوها تحت نظارة جمعية أحباء صهيون، وهي أرض مساحتها ١٣٠٠ هكتار، لروتشيلد منها ٥٠٠ هكتار يستثمرها ٩٤ عائلة، أي نحو ٤٠٠ نفس، وهي مقسمة إلى ١٣٣ قسماً، وقد غرس فيها مئتا ألف غرسة كروم، وكان قسم من يهود ملبس سكنوا ضيعة تدعى يهودية، تبعد عنها ثمانية كيلومترات، إلا أنها لم تنجح.

ثانياً: القدس الشريف وضواحيه: كان اليهود قبل بضع وثلاثين سنة يسكنون داخل أسوار المدينة المقدسة، فلم يزل يتوارد عليهم المهاجرون ويزدادون سنة فسنة، حتى اضطرهم الأمر أن يبتنوا لهم منازل خارج البلدة، فسكنوا في أحياء تولت بناءها جمعيات مختلفة، وجعلتها في شمالي البلدة وغربيها، وصارت هذه المحال متلاصقة فتراها أشبه بمدينة كبرى تمتد في

(*) الباء פ: في بداية كلمة بتاح العبرية، هي الباء الشفوية الثقيلة، وتقلب عند النطق فاءًا، ولذا فاسم المستوطنة ينطق: فتاح تكفاه.

ظهراني القدس بين باب العمود وباب الخليل، ثم بنى المثري الشهير مونتفيوري عند باب صهيون وبركة السلطان مستعمرة كبرى، قسمها بين اليهود المهاجرين من شمالي أوروبا المعروفين بالأشكنازيم، ويهود جنوبي أوروبا من الإسبان والبرتغاليين المسمين سفارديم، فأسكن الأولين في شمالي المستعمرة الجديدة، ودعاهم بيت ناثان، وأنزل الآخرين في الجنوبية، ودعاهم يمين موسى، وبيوت هذه المستعمرة يستأجرها أولاً أصحابها، ولا يزالون سنوياً يدفعون مبلغاً معلوماً، حتى تصير بعد بضعة أعوام ملكهم الخاص، ولمستعمرات القدس أحياء عديدة، يبلغ الحي من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ بيت، ولكلها أسماء عبرانية تميزها، وأقدم هذه الأحياء يدعى نحلة شبع، أي ملك السبعة، أنشيء سنة ١٨٦٩م، ثم إبن يعقوب، أي صخرة يعقوب، سنة ١٨٧٠م، ثم مساكن إسرائيل، قرب ميتم الألمانيات غربي المدينة، سنة ١٨٧٦م، ثم مزكرة موشيه، أي ذكر موسى، سنة ١٨٨٠م، ثم أوهل موسى، أي خيمة موسى، سنة ١٨٨٣م، وسكوت شالوم، أي مساكن السلام، سنة ١٨٨٧م، ثم بيت يهوذا، سنة ١٨٨٨م، ثم شعر قنا، أي حجر الزاوية، ثم بيوت تيمن، سنة ١٨٩٠م، لليهود المهاجرين من اليمن، كانوا تقاطروا إلى القدس ظناً منهم أن مسيحهم ظهر ليشيد ملك إسرائيل، ثم شمعون الصديق، سنة ١٨٩١م، وليهود بخارى محطتان، تدعى إحداهما بيوت بخارى، والأخرى أوهل شلومو، أي خيام سليمان، هذا إلى منازل أخرى تحيط بالقدس كالسوار بالزند، أما عدد اليهود الساكنين في القدس وضواحيها فبين أربعين ألفاً وخمسين ألفاً، وأكثرهم يرتزقون بالصنائع والمتاجرة بالأشغال التقوية، كالمسابح والصور، لكنهم يفضلون الصرافة على سواها، وإذا رأيت الدرهم في يد يهودي، فقل: أُعطيت القوس باريها.

ثالثاً: صفد وبلاد بشارة: صفد إحدى المدن الأربع المقدسة عند اليهود، وهي أورشليم والخليل وصفد وطبريا، وعددهم في صفد يربي على ثلاثة عشر ألفاً، لا يتجاوزها في ذلك غير القدس الشريف، وقد أنشئت فيها سنة ١٨٩١م جمعية تدعى هجليليم، أي الجليليين، تسعى في اقتناء الأرزاق ليمتلكها اليهود، وإن سِرت نحو ميلين غربي صفد وجدت ضيعة تدعى ميرون، يحج إليها العالم اليهودي، لأن فيها على زعمهم قبور بعض مشاهير الحاخامين الأقدمين، كيوحنان سندلار، وشمعون بن يوحاي، والربانيين الأعظمين هِلِل وشماي، وليهود طبريا هناك أرض سعتها مائة هكتار، ولهم ١٣٥٠ هكتاراً في كفر سبت بين الناصرة وطبريا،

و ٤٥٠ هكتاراً عند فرعيم قرب صفد، ولبعض اليهود في حطين ٩٠ هكتاراً أرضاً، أما مستعمرات اليهود في صفد فست، ١- روش قنا، أي رأس الزاوية، ومركزها في قرية جاعونة، بين صفد والأردن، لبعض يهود رومانيا، في سنة ١٨٨٢م، وهي اليوم ملك روتشيلد، بلغت مساحتها ٧٢٠ هكتاراً، يفلحها ٢٠٠ عامل، وفيها تزرع الحبوب، ٢- عين الزيتون، شمالي صفد، ابتاعها اليهود سنة ١٨٩٠م، ليستثمروا غلاتها، ومساحتها ٤٣٠ هكتاراً، ٣- مستعمرة محنايم، مع ملحقاتها عرب الأكراد وعَلما وملوطية، وهي أخصب قرى بلاد بشارة، بين صفد وبحيرة الحولة، وكل هذه الأملاك تخص روتشيلد، وهي واسعة جداً، فإن محنايم وحدها مساحتها ٤٧ هكتاراً، ٤- مستعمرة جسر الأردن، المعروف بجسر بنات يعقوب، اشترى هناك بعض ذوي الثروة من اليهود، سنة ١٨٨٤م، أراضي سعتها ٢٠ هكتاراً، وأحل فيها قوماً من أمته ليتملكوها شيئاً فشيئاً باجور شغلهم، ٥- مشر هيردن، أي حراسة الأردن، وهي قرب مستعمرة جسر الأردن، تبلغ ١٨٠ هكتاراً، امتلكها رباني من صفد، وغرس فيها ٧٠,٠٠٠ دالية لعصر الخمرة، ٦- خربة زبيد، على شاطئ بحيرة الحولة، اقتناها يهود روسيون سنة ١٨٨٣م، ثم تملكها روتشيلد سنة ١٨٨٨م، مساحتها ٢١٦ هكتاراً، يسكنها قوم من اليهود، يرتزقون بتقطير الماورد وصيد سمك البحيرة، وقد سمعنا أن اللجنة الفلسطينية الباريسية (اليهودية) حصلت منذ زمن قريب على ألف هكتار من الأراضي الواقعة غربي عيون الأردن، حيث تملكوا قرية المُطلة، واليوم ترى السماسرة اليهود يطوفون معاملة مرج عيون، لتحصيل أملاك جديدة فيها.

رابعاً: حيفا وملحقاتها: كانت لجنة احباء صهيون في عام ١٨٦١م، تملكت ضيعة كفرعتا، ثم بادرت أن تشتري بقاعاً واسعة على سيف البحر، بين حيفا وعكا، ولما كان الأمر على وشك النجاز، علمت الحكومة السنية بهذا الأمر، وأفسخ عقد البيع بإرادة سنية، لئلا تقع كل سهول عكا المخصبة في أيدي اليهود، ولبني إسرائيل مستعمرات زاهرة في زمَّار وخضيرة، فالأولى عبارة عن ١٣٠٠ هكتار بين القيسارية والكرمل، يدعونها بالعبرانية ذِكر يعقوب، ولهذه المستعمرة ضيع تلحق بها، كنطنطورة وأم الجمال وأم التوت وكفارة وعتليت، وأهل هذه المحطات نحو ألفي نفس، تحت حماية روتشيلد، الذي لا يزال يُعنى بتحسينها وتوسيعها، أما خضيرة فقد امتلكتها شركات روسية سنة ١٨٩٠م، وغرست فيها ١٥٠,٠٠٠ نصبة كرم،

ولهم أيضاً أملاك واسعة عند جبل الطور في مكان يعرف بالشجرة، وفي سهول مرج ابن عامر، قيل إنهم استملكوا هناك نيفاً وألفي هكتار، وفي البطائح المذكورة مكان يدعى أبا شوشة، مساحته أربعة آلاف هكتار تخص اليهود القدسيين، برغيم، أصحاب مصرف في أورشليم، ويقوم بشؤون هذه الأراضي فلاحون بلديون يؤدون ربع غلاتها لأصحاب الملك.

خامساً: حوران وعبر الأردن: أملاك اليهود في حوران أوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات الشام، ولجنتهم الفلسطينية في باريس قد تمكنت في عام ١٨٩٢م من ابتياع ١٢,٠٠٠ هكتار، في جوار قرية شيخ سعد، تشتمل على ضياع سحم جولان وجلين وتل عميدون وبيت أكار، خلا ٩,٠٠٠ هكتار غيرها جعلها اليهود ملكاً لهم في محلات أخرى، كبيتيما وخان الشيخ، قريباً من دمشق، عند سفح جبل حرمون.

لكن اليهود يعرفون من الأسفار القديمة ما لبلاد جلعاد ومؤاب في عبر الأردن من الخصب والدسم، وحاولوا امتلاك تلك الأقطار، ولما كان اللورد غوشن الإسرائيلي سفيراً في الأستانة عرض على الحكومة السنية ان يجعل تلك النواحي التي مساحتها نحو ٦٠٠,٠٠٠ هكتار مستعمرة لليهود تحت نظارة الباب العالي، يسوسونها كما يشاؤون، بشرط أن يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً عظيماً من الدراهم لا يقل عن بضعة ملايين من الفرنكات، غير أن الدولة السنية لم تلب دعاء اللورد غوشن وأغنياء اليهود، فذهبت آمالهم أدراج الرياح، وكانت غايتهم بذلك أن يمهدوا الطريق لأبناء جلدتهم لإنشاء مملكة مستقلة في الأراضي المقدسة، كما كانت قبل المسيح، فمما تقدم يظهر أن لليهود في فلسطين نحو خمسين ألف هكتار، أما عددهم فقريب من ٨٠,٠٠٠ نفس، وهم في ازدياد متداوم، لأن مهاجرة اليهود إلى الأراضي المقدسة متواصلة، يتقاطرون إليها من كل انحاء العالم"[1].

---

١) الأب هنري لامنس اليسوعي: اليهود في فلسطين ومستعمراتهم، مجلة المشرق، العدد ٢٣، ديسمبر ١٨٩٩م، ص١٠٨٨-١٠٩٤.

وبعد المؤتمر الصهيوني الرابع، سنة ١٩٠٠م:

"تقل البارون إدموند روتشيلد إدارة جميع المستوطنات التي أنشاها إلى اللجنة اليهودية للاستعمار Jewish Colonisation Association، في الحركة الصهيونية، وإن استمر في رعاية المستوطنات"[١].

وفي كتابه: تاريخ الصهيونية، أورد الزعيم والمؤرخ الصهيوني ناحوم سوكولوف، جدولاً بالمستوطنات التي أقامها اليهود، حتى سنة ١٩١٠م، ووضع أمام كل مستوطنة سنة إنشائها، ومساحتها بالهكتارات[•]، وعدد مستوطنيها من اليهود، وقد نقل الجدول عن تقرير للجنة اليهودية للاستعمار Jewish Colonisation Association، وهي إحدى مؤسسات الحركة الصهيونية، وأرقام سوكولوف تقل كثيراً عن الأرقام التي أوردها الأب هنري لامنس اليسوعي، رغم أن سوكولوف يكتب بعد لامنس بعشرين سنة، فهاك جدول سوكولوف للمستوطنات[٢]:

المنطقة	اسم المستوطنة	السنة	المساحة	العدد
١- اليهودية	مكفه إسرائيل Mikveh Israel	١٨٧٠م	٢٢٥	١٥٠
	موزاه Mozah	١٨٧٣م	٥٩	٢٨
	بتاح تكفاه Petah Tekvah	١٨٧٨م	٢٢٧٥	١٥٠٠
	قطرا Katra	١٨٨٢م	٥٠٠	١٥٠
	ريشون لتسيون Rishon Le Zion	١٨٨٢م	١١٨٠	١١٩٠
	وادي الحنين Wady El Chanin	١٨٨٢م	٢٨٥	٢٠٠
	يهودا Jehudie	١٨٨٣م	١٢	١٥

---

1) Short History Of Zionizm, P63.

•) الهكتار Hectare : وحدة لقياس مساحة الأراضي، والهكتار يساوي عشرة آلاف متر مربع، و١٠ دونم، و٢,٤٧١ فدان.

2) History Of Zionizm, Vol. II, P326-327.

	عكرون(مزكرة ماتيا) Mezkeret Mythya	١٨٨٤م	١٢٧٥	٣٠٠
	كاستينيه Kasteneih	١٨٨٨م	٥٥٠	١٥٠
	رحبوت Rehobot	١٨٩٠م	١٣٠٠	٦٠٠
	أرتوف Artuf	١٨٩٦م	٤٦٠	٥٠
	بن شيمين/يمن Ben Shemen	١٩٠٦م	٢١٠	١٠٠
	بير يعقوب Bir Jacob	١٩٠٧م	٢٠٠	٧٠
	عين غانم Ain Ganem	١٩٠٨م	٦٥	١٠٠
	هولداه/خلدة Huldah	١٩٠٩م	١٨٢	٤٠
٢- السامرة	زخرون يعقوب Zichron Jacob	١٨٨٢	١٨٥٠	١٠٠٠
	أم الجمال Um El Dschemal	١٨٨٩م	٢٥٣	٨٠
	شويجا Schweja	١٨٩١م	٨٥١	٥٠
	خضيرة Hudera	١٨٩١م	١٧٥٠	٢٠٠
	كِفار سابا Kefar Saba	١٨٩٤م	٦٣٥	٣٠
	عتليت Atlit	١٨٩٧م	٤٦٠	٥٠
	حفظي باه Hefzi Bah	١٩٠٥م	٢٠٠	٨
	طنطورة Tantura	ــــــ	٤٠	١٦
٣- الجليل	روش بيناه Rosh Pinah	١٨٨٢م	٣٨٠٠	٨٠٠
	يسود هامالِح Yessod Haamaleh	١٨٨٣م	٩١٠	٣٠٠
	مشمار هاياردن Mishmar Hayarden	١٨٨٩م	٢٣٠	١٠٠
	عين الزيتون Ain Seiton	١٨٩١م	٥٠٩	٢٠

	ميتولا Metula	١٨٩٦م	١٣٥٠	٣١٠
	شجيرة Sedjera	١٨٩٩م	١٨٥٠	٢٠٠
	محناييم Mahanayem	١٨٩٩م	١٠٠	١٠٠
	ملهامي Milhamie	١٩٠٢م	١٣٥٠	١٠٠
	ميشع Mescha	١٩٠٢م	٩٠٠	٢٠٠
	يِمَّا Yemma	١٩٠٢م	٢٧٥٠	٤٠٠
	كينريت Kinnereth	١٩٠٨م	٥٥٠	٨٠
	دليكا Delaika	ـــــ	ـــــ	ـــــ
	مزباح Mizpah	١٩٠٨م	٣٦٠	٤٠
	داجانيا dagania	١٩٠٩م	٣٢٠	٣٠
	مجدال Migdal	١٩١٠م	٤٥٠	١٠٠
٤-عبر الأردن	بن يهودا Ben Yehuda	١٨٨٨م	٣١٥	٨٣

وإذا جمعت الأرقام التي في الجدول الذي أورده سوكولوف، فسوف تجد أن مساحة المستوطنات التي أقامها اليهود في فلسطين حتى سنة ١٩١٠م، هي ثلاثون ألفاً وخمسمائة وواحد وستون هكتاراً (٣٠,٥٦١).

السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل:

ونعود بك إلى هرتزل واستراتيجيته للاستيلاء على فلسطين بصورة قانونية ورسمية، عبر لقاء السلطان عبد الحميد وإغرائه بحل مشاكل الدولة العثمانية المالية وتسديد ديونها، فبعد المؤتمر الصهيوني الرابع الذي عُقد في لندن، قرر هرتزل الاستعانة بالساسة البريطان، وأخبره الاتحاد الصهيوني الإنجليزي، أنه حصل على موافقة ستين مرشحاً لعضوية البرلمان على المشروع

الصهيوني، وأن نصف هؤلاء تم انتخابهم فعلاً وصاروا أعضاء في البرلمان، ولكن هرتزل غير رأيه، بسبب كراهية السلطان عبد الحميد الشديدة للإنجليز، وقرر السير في اتجاهات أخرى.

ويقول المؤرخ اليهودي الصهيوني إسرائيل كوهين، في كتابه: تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية السياسية Theodor Herzl, Founder Of Political Zionism، إن:

"هرتزل اجتمع في شهر أكتوبر ١٩٠٠م مرتين، في فيينا، برئيس الحكومة النمساوية، إرنست فون كوربر Ernest Von Koerber، وعرض عليه دعم الحكومة عبر حملة صحفية، في مقابل مساعدته في مشروعه، وأخبره كوربر أن الحكومة تواجه مشاكل مالية، وتحتاج إلى تمويل، وطلب مساعدته في ذلك، وفكر هرتزل أنه يسعى للاستقلال فغير رأيه"[•]،[١].

والعامل الحاسم في تغيير هرتزل لرأيه، أنه إبان مفاوضاته مع فون كروبر، تلقى في يوم ١٥ أكتوبر ١٩٠٠م، برقية من كرسبي Crespi، رجل نوري بك Nuri Bey، ونوري بك أرمني، وكان أحد الوكلاء في نظارة الخارجية العثمانية، ويعمل في القصر السلطاني، وصار صديقاً لهرتزل منذ زيارته الأولى للأستانة سنة ١٨٩٦م، وفي الرسالة أن:

"الحكومة في حاجة ملحة إلى سبعمائة ألف أو ثمانمائة ألف جنيه، وسوف تعطي عوائد الجمارك Customs Revenues كضمان، مع فائدة ٦%، وإذا نجحت هذه المهمة فسوف يستقبلك جلالة السلطان"[٢].

وكانت برقية هرتزل التي رد بها على برقية نوري بك:

"يمكنك أن تقول أننا سنقدم العرض المطلوب بسبعمائة ألف جنيه، في مقابل الضمان المذكور، بشرط أن أتمكن من التفاوض مباشرة مع جلالة السلطان، وحينئذ سيتم العمل في

•) كان كوربر رئيس حكومة الجزء النمساوي من الإمبراطورية الهنجارية النمساوية، وهرتزل فكر أنه يريد منه أن يوفر له التمويل، ويساعده في الاستقلال بالنمسا عن الإمبراطورية.

1) Israel Cohen: Theodor Herzl, Founder Of Political Zionism, P231.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P985.

وقت قصير، ولكن أرجو أن تتلطف وتلاحظ أنني لن أفعل شيئاً إلا إذا دُعيت من قِبَل جلالته لتقديم عرضي إليه شخصياً Present My Offers To Him In Person"[١].

وفي يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٠٠م أرسل كرسبي، برقية نصفها مشفر Half In Code، إلى هرتزل، يخبره فيها أنه يريد أن يأتي إلى فيينا لمقابلته، لكي يعرض عليه مقترحات مهمة، ويريد من هرتزل ان يتحمل نفقات سفره وإقامته، فرد عليه هرتزل بأنه سيعطيه ألف فرنك إذا كانت المقترحات مهمة فعلاً، وفي ٣٠ أكتوبر أرسل إليه كرسبي برقية أخرى، يقول له فيها إنه إذا وضع في الحساب مائتي ألف جنيه عثماني/ليرة، كمقدمة لقرض بسبعمائة ألف جنيه، بفائدة ٦%، فإنه سيضع قبل رمضان مقترحاً عند أعتاب العرش السلطاني بدعوته إلى القصر، فرد عليه هرتزل بأنه سيضع المائتي ألف جنيه في الحساب خلال أسبوع من استقباله في قصر يلدز.

وأرسل هرتزل إلى وولفنسون، مدير البنك الصهيوني في لندن، لكي يأتيه في فيينا، وأخبره أنه يستعد للسفر إلى الأستانة، وطلب منه أن يذهب برسالة منه إلى اليهودي الهولندي ياكوبس كان Jacobus Kann، أحد الشركاء في بنك ليزا وكان Lissa And Kann، في لاهاي، لكي يقوم بالاشتراك مع بنوك اليهود الأخرى في هولندا، بتدبير قرض قيمته سبعمائة ألف جنيه للحكومة العثمانية بفائدة ٦%، على أن يتم إيداع مائتي ألف جنيه في حسابها فور أن يعطيهم هرتزل الإشارة بذلك[٢].

وهنا، ولعدم ثقة هرتزل بكرسبي، وشكه في قدرة نوري بك على وضع مقترحاته أمام السلطان عبد الحميد، قرر هرتزل الاستعانة بأرمينيوس فامبيري Arminius Vámbéry، وهو يهودي مجري، يعمل أستاذاً للدراسات الشرقية والتركية في جامعة بست Pest، وقام برحلات عديدة في أنحاء الدولة العثمانية، وكان يتردد على السلطان عبد الحميد، والسلطان كان يقربه ويستقبله في أي وقت، ويتخذه مصدراً للمعلومات، ويوظفه للدعاية في أوروبا، ولنقل أخبار بريطانيا وساستها،

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P985-986.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P987-988.

رغم علمه أنه يتجسس أيضاً لحساب بريطانيا، وهذا هو وصف هرتزل في يومياته لفامبيري، عند لقائه به لأول مرة، في ١٧ يونيو ١٩٠٠م:

"قابلت في فيينا أحد أكثر الأشخاص إثارة، وهو رجل أعرج، ويهودي عجوز من هنجاريا/المجر، في السبعين من عمره، ويؤلف كتباً بالألمانية، ويتكلم اثنتي عشرة لغة بنفس المقدرة، واعتنق خمس ديانات Professed Five Religions، وعمل في اثنتين منها كرجل دين Priest، ورغم معرفته الواسعة بديانات عديدة فهو ملحد Atheist، وقد أخبرني بحكايات عديدة عن الشرق، وعن صِلاته بالسلطان، وأخبرني بسر بعد أن جعلني أقسم ألا أفشيه، وهو أنه عميل سري Secret Agent للأتراك والإنجليز في وقت واحد، وقال لي: "أنا رجل ثري، ويمكنني أن آكل ذهباً، وثروتي ربع مليون، لا أستطيع إنفاق ربع فوائدها، وإذا كنت سأساعدك، فمن أجل القضية For The Sake Of The Cause، وليس من أجل المال"، وعلمت منه أن السلطان أرسله من أجل صناعة مناخ ودي له وللدولة في الصحف الأوروبية"[١].

وتنبه من وصف هرتزل لفامبيري، أن هوياته المتعددة والمتناقضة ليست سوى أغلفة، وأن هويته الحقيقية التي يخبئها خلف هذه الأغلفة، أنه يهودي، يؤمن بغاية اليهود، وهي قضيته التي يعمل في سبيلها، ويوظف هوياته الأخرى من أجلها.

وأرسل هرتزل إلى فامبيري في بست، أوائل شهر نوفمبر، فأخبره بالموضوع، وطلب منه أن يأتي معه إلى الأستانة، فرد عليه فامبيري، يوم ١٧ نوفمبر ١٩٠٠م، بأنه سوف يرسل إلى السلطان، يستفسر منه عن موضوع القرض، وهل هو حقيقي، وفي يوم ٣ ديسمبر وصل كرسبي إلى فيينا، وأخبر هرتزل أن فامبيري فاتح السلطان في دعوته للأستانة، ونصحه ألا يتكلم عن الصهيونية مطلقاً إذا مثل أمام السلطان، فأرسل هرتزل برقية إلى فامبيري، في ٦ ديسمبر، يخبره فيها بتفاصيل القرض، وأنه ليس مسألة عمل Business، بل هو معروف Favour، يريد أن يقدمه لجلالة السلطان، لكي يعرف أصدقاءه الحقيقيين، ويتفهم مطالبه، ومن غير ذلك، فليس من المحتمل أن يسعى في توفير القرض، وفي ٤ يناير ١٩٠١م أرسل فامبيري إلى هرتزل، أنه

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P961-962.

التقى السلطان، وعرض عليه رغبته في المثول أمامه، ولكنه لا يريد أن يسمع شيئاً بخصوص فلسطين، وفي ١٧ يناير رد هرتزل على فامبيري بأن المهلة الممنوحة للتفاوض حول مشروع القرض انتهت، وبنك ليزا وكان سحب العرض الذي قدمه، ولكن إذا وافق السلطان على استقباله فسوف يدبر القرض من مؤسسات مالية أخرى أكبر وأقوى من بنك ليزا وكان.

وفي يوم ٨ مايو ١٩٠١م، يقول هرتزل:

"زرت فامبيري في شقته في فيينا، فأخبرني أنه أخيراً، وبعد ست لقاءات له مع السلطان، وافق السلطان على أن يستقبلني، ليس كصهيوني، بل كأحد رؤساء اليهود وصحفي مؤثر As Chief Of The Jews And An Influecial Journalist، ثم قال فامبيري: لا يجب أن تتكلم عن الصهيونية أمام السلطان، إنها أوهام Phamasmagoria، فأورشليم/القدس مقدسة عند هؤلاء الناس مثل مكة، وأنا أرغب في استمرار الصهيونية، ولذا سعيت في ترتيب هذه المقابلة، لأنه من غير ذلك لن يمكنك أن تواجه مؤتمرك، وإبراهيك بك، المسؤول الرسمي عن مراسم استقبال السفراء، سيكون المترجم بينك وبين السلطان، وأشعرني كلام فامبيري بقدر كبير من الرضا، فسوف أتمكن أخيراً من مقابلة السلطان والكلام معه لساعة على الأقل، ويمكنني حينئذ أن أحوز ثقته وأزيل شكوكه"[1].

وفي يوم ١٠ مايو، استقل هرتزل قطار الشرق السريع من فيينا، ووصل إلى الأستانة يوم ١٣ مايو، وفي يوم الجمعة ١٨ مايو ١٩٠١م، توجه هرتزل إلى قصر يلدز، فاستقبله ناظر الخارجية فؤاد باشا، وأمين القصر وسكرتير السلطان تحسين بك، وأثناء انتظاره في غرفة انتظار السفراء، جاءه إبراهيم بك وأخبره أن السلطان أنعم عليه بوسام المجيدية الأعظم Grand Cordon Of The Mejidiye، ثم أُدخل هرتزل إلى حضرة السلطان عبد الحميد الثاني، وكان هذا وصفه للقاء:

"كان السيد واقفاً أمامي، ومد لي يده ثم جلسنا، وظل إبراهيم بك واقفاً بيننا، وبدأ السلطان بالسلام، ثم أخبرني أنه يداوم على قراءة جريدة الصحافة الحرة الجديدة Neue Freie

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1092-1093.

Presse (التي يحرر هرتزل قسمها الأدبي)، وأنه يعلم منها أخبار الترنسفال والصين وغيرها من البلدان، وشكرته على الوسام الرفيع، ثم حدثني عن العلاقات الودية بين بلدينا، قاصداً بذلك تركيا والنمسا، ولم أرد أن يطول الكلام في هذا الموضوع، فقلت له إنني جئت لأشكره على معاملته الطيبة لليهود، وأن اليهود في العالم كله ممتنون لذلك، وأنني تحديداً مستعد لتقديم أي خدمة يرغب فيها، وأكدت له أني لا أنوي نشر أي شيء مما يدور بيننا في هذه المقابلة، ولذا يمكن لجلالته أن يثق بي ويتكلم معي مطمئناً، فقال السلطان: "لقد كنت دائماً صديقاً لليهود، وفي الحقيقة أنا أعتمد على المسلمين واليهود، ولا أملك هذا القدر من الثقة بغيرهما من الرعايا"، وحينئذ أبديت له أسفي على المعاناة التي يتعرض لها اليهود في كل مكان من العالم، فقال إن إمبراطوريته كانت دائماً مفتوحة للاجئين اليهود وملاذاً لهم، وهنا قلت: "عندما أخبرني البروفسور فامبيري أن جلالته سيستقبلني تذكرت القصة الجميلة القديمة عن أندروكليس والأسد(•) Androcles And The Lion، وجلالته الأسد، وربما أكون أنا أندروكليس، وربما تكون ثمة شوكة Thorn تحتاج إلى من يزيلها"، وابتسم السلطان، فقلت له: هل يمكن أن أواصل الكلام بصراحة ووضوح؟ فقال: هذا ما أريده، فقلت: الشوكة كما أراها هي دَيْن الدولة العام Public Debt، وإذا أزيلت فسوف تستعيد الدولة ثقتها وعافيتها، فابتسم السلطان وقال إن هذه الشوكة انغرست في عهد المغفور لهم أسلافه، وأنه منذ بداية عهده وهو يكافح من أجل إزالتها، وإذا أمكنني أن أساعد في ذلك، فسوف يكون لطفاً كبيراً، فقلت: أعتقد أنه يمكنني ذلك، ولكن الشرط الأول والأساسي هو السرية المطلقة Absolute Secrecy، فرفع السيد حاجبيه ووضع يده على صدره وهو يهمس: "سر، سر"، فقلت له سبب إصراري: "القوى الكبرى تريد تركيا ضعيفة، وألا تتعافى، ولذا سوف تفعل كل ما في وسعها لإفشال الموضوع"، فتفهَّم ذلك، فأكملت: "يمكنني أن أفعل ذلك من خلال أصدقائي في البنوك والبورصات في أوروبا كلها، إذا حظيت بدعم جلالته، وطلبي حين يأتي أوان هذا

(•) أندروكليس والأسد: قصة للأديب الإغريقي إيسوب Aesop، الذي بدأ حياته كرقيق، عن عبد هرب من سيده، وكان أحد قادة الجيش، ولجأ إلى غابة، فوجد فيها أسداً يتألم من شوكة كبيرة انغرست في كتفه، فاستجمع أندروكليس شجاعته واقترب من الأسد، ونزع الشوكة، فخف الألم عن الأسد وتمسح فيه، وبعد فترة ألقي القبض على أندروكليس، وعوقب بأن وضع في حلبة وأطلق عليه أسد، فكان هو الأسد الذي نزع منه الشوكة، وعرفه الأسد، وبدلاً من أن يهجم عليه، اقترب منه في هدوء وتمسح فيه.

الدعم، أن يكون في صورة إجراءات ودية تتعلق باليهود، وأن يتم إعلانها بطريقة مناسبة، وسوف تعمل قوى اليهود النشطة لصالح الإمبراطورية العثمانية"، فهز السلطان رأسه موافقاً على ما قلته، فأكملت: "كل ما تحتاجه هذه البلاد الجميلة، هو مهارات شعبنا في الصناعة، والأوروبيون عندما يأتون إلى هنا، يجنون الأرباح ويكونون الثروات، ثم يندفعون بأنانية عائدين إلى أوروبا، وأصحاب المشروعات يجب قطعاً أن يربحوا، ولكن بعد ذلك ينبغي أن يظلوا في البلد التي كونوا فيها ثرواتهم"، فهز السلطان رأسه موافقاً مرة أخرى، وقال: "ما زال في البلاد ثروات لم تُستغل"، ثم حدثت مفاجأة، طلب مني السيد، عبر إبراهيم، ان أرشح له أحد رجال المال المقتدرين، لكي يقوم بخلق موارد مالية جديدة للدولة، فقلت إن ثقة جلالته بي تضع عليَّ مسؤولية كبيرة، وسوف أهتم بالمسألة، وفور أن أصل إلى الرجل المناسب، فسوف أخبر جلالته به، فقال إن هذا الرجل سوف يعين في منصب رسمي في وزارة المالية، وبعد ذلك وجه السيد حديثه نحو مشروع توحيد الدَين العام، فسألته ما الذي يعنيه ذلك، ففسره وهو يبتسم ابتسامة حزينة، بأن يتم توقيع عقد بقرض جديد موحد، وطويل الأجل، بدلاً من عقود الديون القديمة، وهو ما يوفر مليون ونصف مليون جنيه، لسد العجز في الميزانية، فطلبت أن أعرف خطة جلالته كاملة، وتفاصيل مشروع توحيد الديون، لكي أقرر هل يمكنني الإسهام في ذلك أم لا، وعرضت على جلالته مشروعات أخرى، مثل عقد لاحتكار توليد الطاقة الكهربية، وبناء جسر جديد في اسطنبول، لكنه لم يُعرها اهتماماً، وقال إن الشيء الوحيد الذي يشغله هو إزالة الدَين العام، وشعرت بالإرهاق، إذ استغرق هذا الحوار أكثر من ساعتين، وكنت أفكر في طريقة لتوجيه الحوار في الاتجاه الذي أريده، لكي أحصل على تصريح لصالح اليهود يكون عن طريقي، وكان المؤتمر الصهيوني في ذهني، ولكن في النهاية لم أطلب من السيد سوى أن يتم إعداد ورقة مفصلة عن الأوضاع المالية ومشروع توحيد الديون، ثم نهض السيد وخطا بضع خطوات نحو الباب، وانسحبت أنا وإبراهيم، ونسيت أن أقول إنه في أثناء الحوار نهضت واقفاً من مقعدي وانحنيت أمام السيد، حين وصف نفسه بأنه صديق لليهود ووعد بحمايتهم إذا جاءوا لاجئين إلى الإمبراطورية"[1].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1112-1117.

وفي اليوم التالي، ١٩ مايو ١٩٠١م، ذهب هرتزل إلى قصر يلدز، وهو يأمل في مقابلة ثانية مع السلطان، لكي يفاتحه في موضوع السماح باستيطان اللاجئين اليهود في فلسطين، فاستقبله إبراهيم بك في مكتبه، ومعه عزت بك، من سكرتارية السلطان، فعرض عليه عزت بك خطة توحيد الديون المقترحة من جانبهم، وبعد انتظار طويل، أخبره إبراهيم بك أن السلطان مشغول، ولن يمكنه مقابلته، وفي يوم ٢٠ مايو، عاد هرتزل إلى القصر مرة أخرى، ومعه وولفنسون، ليقابل السلطان، فأخبره إبراهيم بك أن السلطان لن يقابله، وأنه فوضه في التباحث معه، ومعرفة مقترحاته حول مشروع توحيد الديون، فأملى هرتزل خطته شفوياً، وإبراهيم بك يدون ما يقوله، وكانت خطة هرتزل من ثلاث أجزاء:

"١- جزء سلبي Negative Part: أ- خطة عزت بك غير عملية، بل ربما تكون ضارة، ب- جميع القروض غير مستحبة في الوقت الحاضر، لأنه مع وضع تركيا الحالي، لن يمكنها الحصول على قروض إلا بشروط مجحفة وفوائد ربوية عالية.

٢-جزء إيجابي Positive Part: أ-شراء الدَين في البورصات بسرية تامة، بواسطة مؤسسة موثوق بها، وفي أفضل الأحوال يحتاج إتمام ذلك إلى ثلاث سنوات، ب- إبان ذلك يجب اتخاذ إجراءات وخطوات حاسمة لتوفير مليون ونصف مليون جنيه، لسد العجز، بحلول أول شهر أكتوبر من هذه السنة، ج- في الوقت نفسه يجب البحث عن موارد جديدة.

٣- جزء منطقي General Rationale: نحن اليهود نحتاج إلى حماية في العالم، ونحب أن يكون هذا الحامي في كامل قوته"[1].

وجاء عزت بك من عند السلطان، ودار بينه وبين هرتزل حوار طويل، أخبره عزت بك في نهايته، أنهم يحتاجون بصورة ملحة إلى أربعة ملايين جنيه، وسأله إن كان في استطاعته توفيرها، فرد عليه هرتزل بأنه يعتقد أن هذا ممكن، ولكن لابد أن يستشير أصدقاءه أولاً، وأن:

"كل شيء يتوقف على موقف جلالته تجاهنا، نحن اليهود Toward Us, Jews"[1].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1130.

فقال له عزت بك بالفرنسية، باسم السلطان:

"يمكن للإسرائيليين أن يأتوا إلى هنا، لكن يجب أن يوافقوا على أن يكونوا رعايا عثمانيين، وعلى سيل المثال، الذين سيشتركون في شراء الدين العام، لابد أن يصبحوا رعايا لجلالته، وكذلك الذين سيأتون كمستعمرين، يجب ليس فقط أن يصبحوا رعايا عثمانيين، بل وأن يتنازلوا عن ولاءاتهم السابقة **Renounce Their Previous Allegiance**، وأن يكون هذا التنازل موثقاً بواسطة حكوماتهم، وأضاف إبراهيم بك: وأن يقوموا بأداء الخدمة العسكرية، عندما يطلب منهم جلالته ذلك، وأكمل عزت: فإذا قبل الإسرائيليون هذه الشروط يمكن أن نسمح لهم بالدخول إلى أي منطقة، وشيء آخر، الاستعمار يجب أن لا يكون بجماعات كبيرة، ويمكننا أن نقول خمس أسر هنا وخمس أسر هناك، وأن يكونوا متناثرين دون اتصال بينهم **Scattered Without Connection**، فقلت في نفسي (هرتزل) وأنا أحاول أن أرسم على وجهي علامات الرضا والموافقة: "لكي تنهبوهم وتذبحوهم بسهولة"(٢).

وكان رد هرتزل:

"قلت لعزت وإبراهيم: "في العام الماضي، كما تعلمون، تكرم جلالته، وسمح للاجئين اليهود المطرودين من رومانيا أن ينزلوا في الأناضول، ومع امتناننا الشديد لهذا الكرم، فأنا ما زلت لا أحبذ المستوطنات المتناثرة، ولا أشجع هذه الهجرة العشوائية، وما ينبغي فعله هو إنشاء شركة كبيرة للأراضي، تقوم بزراعة الأرض في المناطق غير المستصلحة، وتجعلها قابلة للاستيطان، وبالتأكيد توجد في فلسطين أراضٍ كافية لهذا الغرض، فإذا مُنحت شركة الأراضي، التي ستكون عثمانية بلا شك، الصلاحيات اللازمة، فإنها ستجعل الأرض صالحة للزراعة، وتوطن الناس، وتدفع الضرائب، ومع الدخل المتوقع لهذه الشركة يمكن أن توفر أموالاً للقروض، وبذلك تفتح موارد جديدة للدولة"، يقول هرتزل: وبهذه الطريقة غير المباشرة قدمت إلى ممثلي السلطان عرض الحصول على مرسوم شركة الأراضي لأول مرة، وسوف يكون الوقت كافياً لمتابعة المسألة في المفاوضات القادمة، وسوف يتكفل الذهب باكتساح جميع

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1133.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1134-1135.

المعارضين، واختفى عزت ليخبر جلالة السلطان بما قلته، ثم عاد وقال: جلالته يريدك أن تكتب مقترحاتك وتقدمها خلال شهر"[١].

وبين السادس والعشرين والثلاثين من ديسمبر ١٩٠١م، انعقد المؤتمر الصهيوني الخامس في بازل، في سويسرا، وفي افتتاح المؤتمر ألقى هرتزل خطاباً قال فيه:

"لقد التقيت السلطان عبد الحميد في شهر مايو الماضي، ومن موقف جلالته وكلماته، اقتنعت أن الشعب اليهودي له صديق يرعاه، هو حامل لقب الخليفة Reigning Caliph، وقد صرح لي السلطان أن أعلن ذلك"[٢].

وفي اليوم الثاني من المؤتمر:

"وصلت برقية ودية من السلطان، يُعرب فيها عن شكره Acknowledgment على الكلمات التي قالها هرتزل في افتتاح المؤتمر، وتنفس هرتزل براحة كبيرة، وصار قادراً على إكمال جلسات المؤتمر بروح عالية وآمال عريضة"[٣].

وأهم قرارات المؤتمر الصهيوني الخامس كانت:

"إعادة انتخاب هرتزل رئيساً للمؤتمر، وعقد المؤتمر كل عامين، بدلاً من عقده سنوياً، وظهر لأول مرة الفرع الصهيوني الديمقراطي Democratic Zionist Fraction، وهو حزب كونه في روسيا شباب الصهاينة من تلاميذ أحد هاعام، ومن أبرز قادته حاييم وايزمان Chaim Weizmann (رئيس المنظمة الصهيونية لاحقاً وأول رئيس لإسرائيل)، واقترح وايزمان إنشاء مدرسة يهودية عليا/كلية Jewish Hoch Schule في فلسطين، وأهم نتائج المؤتمر قرار تأسيس صندوق قومي يهودي Jewish National Fund، للحصول على الأراضي في فلسطين بصورة جماعية، وجعلها ملكاً عاماً للشعب اليهودي"[٤].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1135-1136.
2) Theodor Herzl, Founder Of Political Zionism, P253.
3) Theodor Herzl, Founder Of Political Zionism, P253.
4) Theodor Herzl, Founder Of Political Zionism, P254-255.

وفي يوم ١١ فبراير ١٩٠٢م، كما يقول هرتزل في يومياته:

"جاءتني أخبار سارة، فقد كتب لي فامبيري يخبرني أن خط سكك حديد الحجاز سوف يدخل في التفاوض حول القرض، وأن إبراهيم بك أخبره أن جلالة السلطان يدعوني لإتمام المسائل التي بينناSummons Has Been Issued In The Interest Of Our Affairs، وبالأمس أيضاً أرسل إبراهيم إليَّ برقية ألا أتأخر"[١].

وقدِم هرتزل إلى الأستانة، وكتب في يوم ١٦ فبراير رسالة بمقترحاته، وفيها رجاء للسلطان أن يسبغ حمايته على اليهود في العالم كله، كما يسبغها على اليهود من رعاياه، وأن يسمح لهم بالاستيطان في الإمبراطورية، عن طريق إنشاء شركة عثمانية يهودية Ottoman Jewish Company، للاستعمار وللتعدين واستثمار مناجم المعادن المختلفة في الإمبراطورية، في مقابل تقديم قرض طويل الأجل، لتوحيد الديون القديمة وسد العجز في الميزانية، مع رجاء الحفاظ على السرية، لأن لقاءه السابق مع السلطان وصل نبأه وتفاصيل ما فيه للصحف الأوروبية[٢].

وذهب هرتزل بمقترحاته إلى قصر يلدز وطلب مقابلة السلطان، فلم يقابله، فسلم الرسالة لعزت بك، وانتظر رد السلطان عليه، فجاءه عزت بك بالرد، وكان:

"السلطان يرغب في فتح الإمبراطورية لجميع اليهود، الذين يَقدمون كرعايا عثمانيين، لكن المناطق التي يستوطنونها سوف تحددها الحكومة، وتُصدر بها قراراً كل فترة من الزمن، ويستثنى من ذلك فلسطين Palestine Is To Be Excluded، فيُسمح للمهاجرين اليهود باستعمار ما بين النهرين وسوريا والأناضول، وأي مكان آخر، والاستثناء الوحيد هو فلسطين، فقلت: مرسوم بدون فلسطين، ورفضت على الفور"[٣].

وفي يوم ١٩ فبراير، قرر هرتزل أن يغادر الأستانة، لكنه كتب رسالة للسلطان عبد الحميد، وذهب بها إلى قصر يلدز، وهو يرجوا أن يوافق السلطان على مقابلته، وفيها:

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1211.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1220-1221.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1222.

"أنا شديد الأسف، لأنني لم أتمكن من خدمة جلالتك، وفي الظروف الحالية أنا أجهز نفسي للرحيل، ولم اجد إلا شيئاً واحداً ربما يزيل الصعوبات التي أواجهها، وهو حكمتكم السامية، وأنا أخضع لكم وأقبل حكمكم، إذا وافق جلالتكم على منحنا الاستعمار بلا قيود Colonization Without Restriction، فيمكنني أن أُقنع أصدقائي بتأسيس بنك تركي كبير، مقره الرئيسي في القسطنطينية/الأستانة، وله فروع في جميع المدن الكبرى في الإمبراطورية، وهذا البنك الذي سيتكون مجلس إدارته من المسلمين واليهود فقط سوف يقوم بتنظيم مالية البلدان العثمانية، ولذا سيكون قدوم اليهود ميزة ونصيب من الحظ A Piece Of Luck للدولة كلها، وإذا لم توافق جلالتك على هذا المقترح، فأرجو أن تسمح لي بالرحيل غداً صباحاً، وسوف أكون في غاية السعادة إذا وافقتم على منحي شرف المثول أمامكم اليوم للتعبير عن ودي وامتناني للحفاوة التي حظيت بها، وإذا لم يكن لدى جلالتكم وقت، فأريد أن أقول إنني إذا لم أستطع حل المسألة اليوم، فربما أجد لها حلاً لاحقاً، وأرجو أن تتذكروا دائماً خادمكم المطيع"[1].

وجاء عزت بك برد شفوي من السلطان عبد الحميد على مقترحات هرتزل بإنشاء بنك عثماني وتنظيم مالية الدولة، في مقابل السماح باستيطان اليهود دون قيود، وكان رد السلطان:

"جلالته لا يمكن أن يسمح بهجرة غير محددة Unlimited Immigration، حتى لو أراد ذلك، لأنه سوف يخسر بذلك شعبه، ليس فقط الأغلبية، بل وأيضاً الأقليات، ومن الخطأ الاعتقاد أن السلطان يمكنه أن يفعل كل ما يحلو له"[2].

والسلطان الذي يحكم بلاد الإسلام في ثلاث قارات، وهو خليفة النبي على أمته من المحيط إلى المحيط، مقيد بالإسلام وثوابته وتاريخه ومقدساته وأمته، ولا يستطيع، كما أخبرك السلطان عبد الحميد، أن يفعل كل ما يحلو له، لكن البلاليص في المِزَق التي صنعتها لهم الإمبراطوريات الماسونية وأقامتهم عليها، والذين يتغنى إعلامهم بالديمقراطية ودولة الدستور والقانون، كما ترى في زمانك، يستطيعون، والموظفون وحفظة الأكلشيهات ومشايخ البلاط يخبرونك أنه من حقهم.

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1223-1224.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1225.

وحاول هرتزل إغراء السلطان عبد الحميد بطريقة أخرى، فأرسل من فيينا، في يوم ٣ مايو ١٩٠٢م، رسالة إلى إبراهيم بك ليسلمها للسلطان، ونصها:

"لي الشرف أن أقدم لحكمة جلالتك السامية المقترح التالي: أرى أن الحكومة تواجه صعوبات، بسبب مشكلة الشباب الأتراك الذين يسافرون إلى الخارج من أجل إتمام تعليمهم العالي، فيتأثرون بالنماذج السيئة، وتغريهم الأفكار الثورية Revolutionary Ideas، والمعضلة أنه يجب الاختيار بين عدم إكمال تدريبهم العلمي، ومخاطر الاضطرابات السياسية، ولكن توجد طريقة لحل هذه المعضلة، فنحن اليهود نلعب دوراً بارزاً في الحياة الجامعية في العالم كله، ويوجد عدد كبير من اليهود في الجامعات في كل البلدان، ومن هؤلاء أساتذة وخبراء عظام في مجالات التعليم المختلفة، ويمكن أن ننشئ جامعة يهودية Jewish University، في إمبراطورية جلالتك، على سبيل المثال في أورشليم/القدس، ومن ثَم لا توجد حاجة لإرسال الطلاب العثمانيين إلى الخارج، ويتمون تعليمهم وتدريبهم العلمي داخل البلاد، وسوف تجذب الجامعة اليهودية الأساتذة والخبراء من أفضل الجامعات ومعاهد التقنية ومعاهد الزراعة، ولن اتكلم في تفاصيل هذا المشروع إلا إذا وافق جلالتكم عليه، التوقيع: من خادم جلالتكم الخاضع المطيع تيودور هرتزل"[1].

وفي يوم ١٢ مايو وصل إلى هرتزل في فيينا الرد على مشروع الجامعة اليهودية من الأستانة:

"رسالتك التي تطلب فيها إنشاء جامعة إسرائيلية في القدس، وُضعت عند أعتاب العرش السلطاني، وولاء اليهود الإسرائيليين لجلالة السلطان، وتعاطفهم مع إمبراطوريته، حقيقة لا جدال فيها Incontestable Truth، ولكن الحكومة العثمانية مشغولة في الوقت الحالي بمشروعات عديدة، من أجل تحسين الوضع المالي للخزانة، وتوفير موارد جديدة"[2].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1274-1275.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1278.

وقد أفرد هرتزل خمس صفحات كاملة في يومياته للسلطان عبد الحميد، كتبها يوم ٢١ مايو ١٩٠١م، وهو يغادر الأستانة على متن السفينة برنسبيسا ماريا Principessa Maria، بعد المرة الوحيدة التي قابل فيها السلطان عبد الحميد، وملأها بسبِ السلطان والسخرية من شكله وملامحه ولحيته وهيئة جسمه وصوته وملابسه وطريقة حكمه، ووصفه بأوصاف متناقضة، منها أنه طاغية ومستبد، وأنه في الوقت نفسه ضعيف وجبان، وأنه داهية وفي الوقت نفسه نصف مجنون Half Demented، وقال إنه يفكر في تأليف مسرحية عن السلطان عنوانها: السيد The Master.

وكان قد طلب من وولفنسون، رئيس البنك الصهيوني، أن يوفر له خمسين ألف فرنك، أخذها وهو ذاهب إلى قصر يلدز، ليوزعها على الموظفين وأعضاء سكرتارية السلطان، باسم أنها هدية وعنوان للصداقة، فالذين قبلوا هديته، مثل عزت بك، وصفهم بأنهم فاسدون ومرتشون، والذين لم يقبلوها، مثل تحسين بك، وصفهم بأنهم متعصبون ومتزمتون، وقد حاول هرتزل جاهداً استمالة تحسين بك السكرتير الأول للسلطان عبد الحميد، وأقرب رجال القصر إليه، وعرض عليه هدية عشرة آلاف فرنك، فرفض تحسين بك قبولها تحت أي مسمى، ورد عليه بغلظة، ورفض بعدها مقابلته، ولذا كان تحسين بك أكثر شخص يكرهه هرتزل في القصر بعد السلطان عبد الحميد.

وأكثر ما أثار حفيظة هرتزل على السلطان عبد الحميد، كما يقول هو:

"جازفت بوضعي The Situation Was Made Hazardous، لأنني أُجبرت على تقديم نفسي، ليس بشخصيتي الحقيقية التي يعرفها العالم كله، كقائد للصهاينة ورئيس للمؤتمر الصهيوني، بل كمحرر في صحيفة الصحافة الحرة الجديدة"(١).

وأما استقبال السلطان عبد الحميد لهرتزل ومفاوضاته معه وموقفه منه، فإليك المؤرخ الأمريكي وأستاذ التاريخ في جامعة هارفارد، نيفيل ماندل، يخبرك بتفسيره:

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1126.

"لقد تصنع عبد الحميد الاهتمام بكلام هرتزل، وخُدِع هرتزل بدماثة عبد الحميد وتصنعه Had Been Deceived By Abdiilhamid's Affability And Histrionics، وبعد عدة أشهر أخرى من المذكرات والمراسلات، تجاهل ممثلو السلطان موضوع توحيد الديون، ودُعي هرتزل إلى القسطنطينية/الأستانة مرتين، في فبراير ويوليو ١٩٠٢م، دون أن يقابل عبد الحميد، ودون أن يكون ثمة شيء جديد في كلام ممثلي السلطان معه، وفي السنة نفسها وافق عبد الحميد على مشروع لتوحيد الديون قدمته مجموعة فرنسية، فأدرك هرتزل بأسف أن عبد الحميد هو الذي هَنْدَس زياراته إلى القصر Abduilhamid Had Engineered His Visits To The Palace، وتعمد إشاعة تفاصيلها، رغم أنه طلب منه إبقاءها سراً، لكي يُغري المجموعة الفرنسية بمشروع توحيد الديون ويحصل منها على أفضل شروط ممكنة، ودَوَّن هرتزل في يومياته بعد لقائه بعبد الحميد وهو مسرور أنه حصل على كل شيء، ثم اكتشف بعد عدة أشهر أن عبد الحميد هو في الحقيقة الذي أكله Herzl Who Had, In Fact, Been Taken In"!!(١)، (٢).

وهذا هو وصف هرتزل نفسه لما فعله السلطان عبد الحميد به، وما انتابه من مشاعر:

"فيينا، في ١٤ مارس ١٩٠٢م، قرأت في عدد الأمس من جريدة الصحافة الحرة الجديدة خبرين جديدين، وكانا يعنيان لي الكثير، ١- أول أمس عقد السلطان مأدبة عشاء على شرف كونستانز Constans، ثم استقبله في مقابلة خاصة، وهو نفسه كونستانز الذي عمِل لحسابه في مسألة قرض لوراندو تيوبيني Lorando Tubini، ٢- وافق السلطان على مشروع روفييه Rouvier project، لتوحيد الديون، ويبدو لي أنه توجد صلة بين الخبرين، وأخيراً استفاد السلطان من وجودي، فقد كنتُ أنا اليهودي الذي أرسل إليه لكي يحرك المنافسين الآخرين ويجعلهم أكثر مرونة، وقد فعلها، وتحطم كل شيء Everything Has Gone To Smash، وعزائي الوحيد أن الأتراك وقعوا بين أيدي الفرنسيين المحتالين"(٣).

---

1) Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, October 1974, P319-320.
2) The Arabs And Zionism Before World War I, P12-13.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. III, P1256.

وحاول هرتزل تدارك الأمر، فأرسل رسالة إلى الأستانة، يقول فيها إنه قادر على توفير المال اللازم للقرض وتوحيد الديون، وأنه سوف يتنازل عن بعض شروطه، فأرسل إليه الصدر الأعظم سعيد باشا رسالة عن طريق السفير العثماني في لندن، يوم ١١ يوليو ١٩٠٢م، يدعوه للحضور للأستانة، فوصلها، يوم ٢٥ يوليو، وفي صحبته وولفنسون، وجاءه تحسين بك مرحباً به، على غير العادة، وأخبره أنه ضيف السلطان، وطلب منه كتابة مذكرة بمقترحاته لتقديمها لجلالته، فأعد هرتزل المذكرة، وفيها:

"أول شرط لأصدقائي في الترتيبات الجديدة، الرفض الواضح والقاطع لخطة روفييه، وحينئذ سوف يقدمون عرضاً لا يمكن منافسته من الآخرين، ويتعهد أصدقائي بتقديم ٣٠ مليون جنيه ويمكن أن تصل إلى ٣٢ مليون جنيه، للحكومة العثمانية، عبر شراء سندات تصدرها، في مقابل أن تصدر الحكومة العثمانية مرسوماً أو امتيازاً بإقامة مستعمرات يهودية فيما بين النهرين Mesopotamia، كما تلطف جلالته في شهر فبراير الماضي، بالإضافة إلى بعض المناطق في حيفا وأطراف فلسطين"[١].

وفي يوم ٢٧ يوليو ١٩٠٢م، دعا الصدر الأعظم سعيد باشا هرتزل إلى مأدبة غداء في قصر يلدز، للتباحث بشأن مذكرته ومقترحاته، وحضرها إبراهيم بك، وبعد المأدبة، اكتشف هرتزل أن الفرنسي روفييه موجود في الوقت نفسه مع السلطان!

يقول هرتزل:

"اكتشفت أنه في أثناء انتظاري، تم استخدام وجودي ومقترحاتي للضغط على روفييه، والحصول منه على شروط أفضل To Exact More Favorable Conditions"![٢].

وقد فهم بعض المؤرخين، ممن يلتقطون الأحداث والقرارات والأقوال، فيقطعونها من سياقها، ويفهمونها معزولة عن ظروفها وملابساتها، عرض السلطان عبد الحميد على هرتزل، في شهر فبراير ١٩٠٢م، أن يستوطن اليهود سوريا أو العراق أو الأناضول، على أنه تفريط منه لليهود

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1315.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1319.

في سوريا والعراق، وبعضهم حاول تبرير عرض السلطان بأنه يريد إبعاد اليهود عن فلسطين، لأنه يعلم أنها المكان الوحيد الذي يرغبون فيه، والذي إذا اجتمعوا فيه فسيتحول وجودهم إلى مشروع سياسي ودولة.

واستقبال السلطان لهرتزل، ثم دعوته للأستانة أكثر من مرة، وحثه على كتابة مذكرات ومقترحات، ومفاوضات رجال السلطان معه بشأنها، وإغراء السلطان له بموافقته على استيطان اليهود في بعض مناطق الإمبراطورية، وتعمد السلطان تسريب أخبار زيارات هرتزل ومشاريعه لتوحيد ديون الدولة العثمانية، والرسالة التي أرسلها إلى المؤتمر الصهيوني الخامس، وهو يعلم أن صحف أوروبا كلها تتابعه وسوف تذيع نبأ رسالته، كل ذلك، كما ترى، وكما أخبرك نيفل ماندل وهرتزل نفسه، لم يكن مفاوضات ولا إجراءات حقيقية، بل مجرد استدراج لهرتزل ممثل البنوك اليهودية، من اجل اتخاذه طُعماً لاجتذاب أطراف أخرى لتوقيع عقد توحيد ديون الدولة، والضغط به عليهم للحصول على أفضل شروط للعقد، من أجل إزالة الشوكة المغروزة في جسم الدولة، وأكبر هَمٍّ كان السلطان يعاني منه.

والفترة التي استدعى فيها السلطان، عبر رجاله، هرتزل لزيارة الأستانة أكثر من مرة، وجعله يجيء ويذهب، وترك عزت بك وإبراهيم بك يتفاوضون معه ظاهرياً حول مشروع توحيد الديون، وما سوف يمنحونه إياه في مقابله، ويسربون أخبار ذلك إلى الصحف، تقع بين شهر أكتوبر ١٩٠٠م وشهر يوليو ١٩٠١م، وهي نفسها الفترة التي كان السلطان يتفاوض فيها تفاوضاً حقيقياً مع المجموعة الفرنسية حول المشروع نفسه، ويحاول أن يحصل منهم على أفضل شروط، سراً ودون أن يعلم أحد شيئاً، ولم يصبح خبراً في الصحف إلا بعد الاتفاق وموافقة السلطان.

وما يزيدك يقيناً بذلك، أن السلطان عبد الحميد كان قد أصدر فرماناً في ١٩ أكتوبر ١٨٩١م، بغلق الإمبراطورية كلها، وليس فلسطين فقط، أمام اليهود الأجانب من جميع الجنسيات بدعوى أنهم يهددون الصحة العامة، ولم يستثن من ذلك إلا القدوم للحج، ولفترة محددة، ولم يصدر عن السلطان ولا عن الحكومة العثمانية، إبان زيارات هرتزل للأستانة ومفاوضاته حول الديون، ولا بعدها، أي فرمان أو قرار بتعديل هذا الفرمان وفتح الإمبراطورية أمام اليهود، سوى استثناءات خاصة ومحدودة، وبإذن من السلطان نفسه، مثل سماحه لأسر من يهود رومانيا

بدخول الأناضول، بل وتم تأكيد القرارات الخاصة بدخول اليهود إلى فلسطين تحديداً ومنع شرائهم للأراضي فيها عدة مرات، آخرها كان في سنة ١٩٠٤م.

وفي رسالة من قنصل بريطانيا في القدس، جون ديكسون، إلى السفير البريطاني في الأستانة، أوكونور، في ١٢ يوليو ١٩٠٤م، أن:

"الحكومة العثمانية تصر على تنفيذ القوانين الخاصة بدخول اليهود ومنع بيع الأراضي، ويضع المسؤولون في فلسطين سلسلة من العراقيل Obstacles أمام الشركات اليهودية، ورفضت السلطات في يافا تسجيل شركة تجارية، لأن أصحابها يهود"[١].

وبعد إتمام عقد توحيد الديون مع مجموعة روفييه الفرنسية، لم يعد هرتزل له قيمة عند السلطان عبد الحميد، فخبت الاتصالات بين هرتزل والأستانة، ثم انقطعت.

وهرتزل نفسه، بعد زيارته الأخيرة للأستانة، في يوليو ١٩٠٢م، واكتشافه أن السلطان كان يستغفله طوال الوقت ويستخدمه طعماً لجذب البنوك والمؤسسات المالية غير اليهودية، أدرك أن المسألة انتهت، ولم يفكر في العودة إلى الأستانة، ولا في إرسال أي مقترحات جديدة، وأيقن بما قاله السلطان عبد الحميد لصديقه نيفلنسكي، إبان زيارته الأولى للأستانة، سنة ١٨٩٦م، وهو أنه لن يحصل على فلسطين إلا إذا مُزقت الدولة العثمانية أولاً.

وقد صرح هرتزل بذلك لملك إيطاليا فيتوريو إيمانويل الثالث Vittorio Emanuele III، إبان زيارته لروما في يناير ١٩٠٣م، بعد أن أخبره إهرنبريس Ehrenpreis، حاخام صوفيا عاصمة بلغاريا، أن بولاكو Polacco، الملحق الإيطالي في صوفيا، وهو يهودي، أخبره أن الملك مهتم بالحركة الصهيونية وأرسل يسأل عنها، فسافر هرتزل إلى روما، والتقى ملك إيطاليا في يوم ٢٣ يناير، ودار بينهما حوار طويل، حول مشروع هرتزل لاستيطان فلسطين، والسلطان عبد الحميد وكيف يمكن التأثير عليه، وأبدى الملك إعجابه بتعلق اليهود بالقدس وحبهم لها، ولكنه أخبر هرتزل أن مشروعه ليس ممكناً ولن يوافق عيه السلطان أبداً، فرد عليه هرتزل:

---

1) The Arabs And Zionism before World War I, P23.

"سيكون ممكناً عندما تُقسم تركيا/الدولة العثمانية، وسوف تقسم تركيا/الدولة العثمانية Partition Of Turkey Is Bound To Come"[١].

وما قاله هرتزل هو الذي كان، فهرتزل كتب كتابه: الدولة اليهودية، والحركة الصهيونية تكونت وانتشرت بين اليهود في أوروبا، خلال عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وفي ظلال القوانين والإجراءات العثمانية التي تمنع دخول اليهود إلى فلسطين وتملكهم لأراضيها، وتقيد حركة من يدخلونها للحج بالجواز الأحمر.

وهرتزل نفسه، خطته واستراتيجيته، التي وضعها في المؤتمر الصهيوني الأول، والتزم بها هو والجيل الأول من الصهاينة، كانت برنامجاً سياسياً، هدفه ليس هجرة اليهود العشوائية إلى فلسطين وإقامة مستوطنات متفرقة فيها، بل الحصول عليها كاملة، وبصورة قانونية، وإقامة مستوطنات ومجتمعات يهودية منظمة، عبر التفاوض مع الدولة العثمانية، وإغرائها بتسديد ديونها وحل مشاكلها الاقتصادية، والتحالف مع القوى الأوروبية ودفعها للضغط على الدولة العثمانية، فهرتزل هو مؤسس الصهيونية السياسية Political Zionizm.

ولذا، كما يقول الصهيوني إسرائيل كوهين:

"كان هرتزل يعارض أي محاولة لإقامة مستعمرات في فلسطين قبل ضمان الحصول على مرسوم رسمي Before The Coveted Charter Was Secured ... وخلال الاثنتي عشرة سنة التي مرت بين كتاب الدولة اليهودية وبداية الاستعمار الصهيوني، لم تحرز مجموعات المستوطنين اليهود في فلسطين سوى تقدم ضئيل Little Progress"[٢].

وكتاب: الدولة اليهودية Der Judenstaa، نشره هرتزل سنة ١٨٩٦م، وعلى ذلك فبداية الاستيطان الصهيوني المنظم لفلسطين كانت في سنة ١٩٠٨م، وكان خلف تحول الحركة الصهيونية نحو الاستيطان سببان تواكبا معاً.

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1600.
2) Short History Of Zionizm,P57, 63.

فأما السبب الأول، أن هرتزل مات في يوم ٣ يوليو ١٩٠٤م، واختارت لجنة العمل الداخلية في المنظمة الصهيونية، دافيد وولفنسون، رئيس البنك الصهيوني، رئيساً للمنظمة خلفاً لهرتزل، وبعد موت هرتزل صعد في الحركة الصهيونية تيار الصهيونية العملية Practical Zionism، الذي يرى أنه يجب الهجرة إلى فلسطين واستيطانها دون انتظار نتائج المفاوضات السياسية.

وفي المؤتمر الصهيوني الثامن، الذي انعقد في لاهاي، في أغسطس ١٩٠٧م، ثار خلاف بين أنصار الصهيونية السياسية ودعاة الصهيونية العملية، وانتهى بالاتفاق على تضييق الفجوة بينهما، عبر السير في المسارين معاً، وأصدر المؤتمر القرارات التالية:

"تأسيس مكتب فلسطيني للحركة في يافا، تحت إدارة دكتور آرثر روبين Arthur Ruppin، المتخصص في الاقتصاد والاجتماع اليهودي، واتخاذ العبرية لغة رسمية للمنظمة الصهيونية، واستخدامها بالتدريج في جميع أجهزتها، وأن رئيس المؤتمرات القادمة يجب ألا يكون رئيس المنظمة ولا أحد أعضاء لجنتها التنفيذية"[1].

الهند والهة ومصر حزينة .. تبكي عليك بمدمع سحاحِ:

وأما السبب الثاني خلف بداية الاستيطان الصهيوني المنظم لفلسطين، فهو:

"في سنة ١٩٠٨م، شهدت تركيا حدثاً أعاد الأمل للقضية الصهيونية، وكان هذا الحدث هو ثورة الشبان الأتراك Young Turks، الذين خلعوا السلطان، وأسسوا حكومة دستورية Constitutional Government، ومن أجل مواجهة الحملات المناهضة للصهيونية، قررت اللجنة التنفيذية تعيين ممثل سياسي لها في القسطنطينية/الأستانة، فأرسلت دكتور فكتور جاكوبسون Victor Jacobson، مديراً لفرع المؤسسة اليهودية للاستعمار Jewish Colonial Trust، الذي تم افتتاحه في العاصمة العثمانية، تحت اسم شركة البنك الأنجلومتوسطيAnglo Levantine Banking Company، وأَوْلى دكتور جاكوبسون عناية كبيرة للصحافة، وبالتمويل الذي وفرته له اللجنة التنفيذية في المنظمة الصهيونية

1) Short History Of Zionizm,P57, 62.

أسس صحيفتين بالفرنسية، إحداهما يومية وموجهة لعموم الناس، والأخرى الأسبوع الصهيوني Zionist Weekly، وبذلوا جهوداً كبيرة لاستمالة المجتمع اليهودي إلى القضية الصهيونية، في مواجهة معارضة شديدة من حاخام باشي/كبير الربانيين في الأستانة Haham Bashi، ولكنهم نجحوا في ضم يهود سالونيكا بقيادة كبير الربانيين جاكوب مائير Jacob Meir، وأصدر وولفنسون تصريحاً قال فيه إن أهداف الحركة الصهيونية سوف تكون في انسجام تام Complete Harmony مع روح الدستور التركي"[١].

فمع خلع السلطان عبد الحميد، رحمه الله، ووصول حركة الاتحاد والترقي الماسونية اليهودية إلى السلطة في تركيا، وتشكيلها لحكومة من ثلاثة عشر وزيراً، أربعة منهم من اليهود الصرحاء والأخفياء، ومع تحول الأستانة نفسها إلى مركز للنشاط الصهيوني، انفتحت أبواب فلسطين لليهود، وبدأ الاستيطان الصهيوني المنظم والمكثف لها، إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى، ووقعت فلسطين، بمعاونة البلاليص، بين أنياب القوات البريطانية، التي كان يقودها الجنرال الماسوني أللنبي Allenby، وكان من ضمنها فيلق صهيوني من ثلاث كتائب تم إنشاؤها وتدريبها، صدق أو لا تصدق، في مصر، ووقَّعت الحكومة المصرية التي يرأسها حسين رشدي باشا اتفاقية للاشتراك مع القوات البريطانية في الحرب، وأرسلت كتائب من الجيش المصري لكي تقاتل كتفاً بكتف إلى جوار أختها الكتائب الصهيونية!!

وهاهنا تكون قد انتهت مرحلة البذور غير المرئية في المشروع اليهودي، وانتقل المشروع الساري عبر التاريخ إلى خطواته التالية، وهي خطوات سياسية عسكرية صريحة، والحقيقة أن مرحلة البذور في المشروع اليهودي في الشام، اكتملت بظهور كتاب الدولة اليهودية لهرتزل وإنشاء الحركة الصهيونية، التي هي ثمرة هذه البذور، ولولاها ما كانت.

وما نريد منك الآن أن تفعله وتدركه، هو أن تعيد قراءة الكتاب الذي بين يديك من الخلف إلى الأمام، أو أن تقرأه معكوساً فتبدأ بنهايته عائداً نحو بدايته، لكي تدرك أن الأحداث ليست كما يفهمها الأميون في بلاليص ستان، تحدث فجأة وبسبب ما لابسها من ظروف الزمان والمكان فقط، بل هي خطوات في مسار يولد كل حدث فيه من سابقه ويمهد بما ينتجه من آثار للاحقه،

---

1) Short History Of Zionizm,P60-61.

وهذه الخطوات محكومة بالمسار الذي أنتجها وتسير داخل جدرانه، وقد تتأخر خطوة أو يعرقل حدث يتقاطع معها حدوثها، أو حتى يعيدها إلى الخطوة التي كانت قبلها، لكنها لابد ستأتي طالما ظل المسار كما هو ولم يتغير.

وقد تصل قوة حدث إلى أن يغير مساراً أو يزيله، وحينئذ سوف ينشأ مسار جديد، وكل ما سوف يأتي فيه بعد ذلك من أحداث، فهو من توابع الحدث الأول وآثاره، وسوف يكون محكوماً به وداخل جدران المسار الذي بدأه، وكل من تَصدَّر حدثاً او صنعه أو أسهم فيه، داخل مسار، فيعود عليه ثوابه أو يبوء بإثمه، أما الذي صنع الحدث الأول وغيَّر المسار فيبوء بإثم المسار كله، وكل ما أفرزه وترتب عليه من آثار ونتائج.

وأي إصلاح داخل المسار الفاسد هو بالضرورة إصلاح جزئي ومنقوص، لأن الإصلاح الكامل والشامل لا يكون إلا بنسف المسار الفاسد كله، والخروج منه إلى مسار الصلاح.

فإذا فهمت ذلك، فسوف تدرك أن إنشاء الدولة اليهودية ثم تمددها، هو الخطوة الأخيرة والنهائية في مشروع ومسار، وكانت الخطوة السابقة لها ظهور هرتزل وكتابه الدولة اليهودية وتكوين الحركة الصهيونية، والحركة الصهيونية ما كانت لتوجد وأفكار هرتزل عن دولة يهودية في فلسطين ما كانت لتولد في رأسه، لولا أنه ظهر في زمان وجد فيه مصر مفصولة عن بلاد الإسلام وتحت سيطرة بريطانيا، والشام معزولة عن الدولة العثمانية وسلطتها فيها ضعيفة، وقناصل الإمبراطوريات الماسونية يسرحون فيها ويمرحون وسلطتهم نافذة فيها بالقوة والأمر الواقع، وبريطانيا قد سيطرت على الشام ووضعت أقدامها في القدس، واليهود تسللوا بالفعل إلى فلسطين والقدس وأقاموا المستوطنات، وذلك كله ما كان ليكون من غير الضربات التي وجهها أول الآتين من الخلف وخريج حارة اليهود اليونانية للدولة الجامعة لبلاد الإسلام، وفكك بها الشرق، وموالاته للإمبراطوريات الماسونية التي أنشأت له دولته وجيشه، وفتحه أبواب مصر والشام وفلسطين والقدس لهم ولليهود وتمكينهم فيها، وإزاحته للإسلام من تركيب السلطة في مصر والشام، وإطاحته بالعلماء وأهل الحل والعقد، وإزرائه بالمسلمين وتصعيده للأقليات، كل ذلك عامداً متعمداً عالماً بما سوف يترتب على ما يفعله، كما رأيت.

فأول الآتين من الخلف هو الذي انحرف بالشرق، وقطع مساره الإسلامي وشق مساره اليهودي، وهو صانع الأحداث الأولى التي بدأ بها هذا المسار اليهودي، وتحول بها الشرق إلى محضن للمشروع اليهودي، ولذا فهو، وليس هرتزل، البطل الحقيقي للمشروع اليهودي.



مستوطنة في سيناء

منذ علم هرتزل بنبأ اتفاقية السلطان عبد الحميد مع مجموعة روفييه الفرنسية، في شهر مارس ١٩٠٢م، وأدرك أن السلطان عبد الحميد كان يتلاعب به، وأن كل ما أجراه معه ومع رجاله من مقابلات ومفاوضات، لم يكن سوى تمثيلية، لتوظيفه في إتمام مشروع توحيد ديون الدولة، وبعد أن أيقن أنه لن يصل إلى فلسطين عن طريق الدولة العثمانية، قرر أن يولي وجهه شطر صدر اليهود الحنون وحضنهم الدافئ، بريطانيا، فكتب في يومياته:

"٥ أغسطس ١٩٠٢م: "سأعمل الآن على الخطة الإنجليزية مباشرة، من خلال تشمبرلين Chamberlain، والأمل في مساعدة الحكومة الإنجليزية لنا ضئيل إذا لم يكن روتشيلد معنا" ... ٢٣ أغسطس: "سوف أحاول الحصول على المناطق الضرورية للاستعمار في إحدى الممتلكات الإنجليزية"[1].

وكان هرتزل قد توجه إلى لندن، يوم ٥ يوليو ١٩٠٢م، قبل أن يدعوه السلطان عبد الحميد للأستانة، لإتمام مشروع توحيد الديون مع روفييه، والتقى هرتزل اللورد البريطاني جيمس روتشيلد، ابن البارون الفرنسي إدموند روتشيلد، وكان إذ ذاك عضو البرلمان البريطاني ورئيس لجنة الأعمال البرلمانية Committee Of Actions، وبعد العشاء دار بينهما الحوار التالي:

"هرتزل: هل تحب أن تسمع خطتي الآن؟، روتشيلد: نعم، هرتزل: فحركت مقعدي لأكون قريباً من أذنه، وقلت له: أريد أن أطلب من الحكومة البريطانية امتيازاً بالاستعمار، روتشيلد: لا تقل امتيازاً Charter، فهذه الكلمة لها وقع سئ الآن، هرتزل: يمكنك أن تسميها كما تحب، أريد إنشاء مستعمرة يهودية في الممتلكات البريطانية، روتشيلد: خذ أوغندا، هرتزل: لا، أنا أريد هذه، ولأنه كان يوجد أشخاص آخرون في الغرفة، كتبت على ورقة: شبه جزيرة سيناء، فلسطين المصرية[•]، قبرص، ثم أضفت: هل توافق على هذا؟ فنظر روتشيلد إليها

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1344, 1352.

•) العريش.

بابتسامة متكلفة Smirk، ثم قال: أوافق جداً Very Much So، هرتزل: وكان هذا نصراً، ثم كتبتُ على قصاصة من الورق: عرقِلْ حصول السلطان على المال (روفييه)"[1].

وفي اليوم التالي، ١٠ يوليو، التقى هرتزل باللورد روتشيلد مرة أخرى، وشرح له مشروع إنشاء شركة يهودية لاستعمار سيناء وقبرص، وطلب منه أن يرتب له لقاءًا مع وزير المستعمرات البريطانية، جوزيف تشمبرلين Joseph Chamberlain، فطلب منه روتشيلد أن يقدم له مذكرة مكتوبة بخطته، ووعده بمفاتحة تشمبرلين في الموضوع.

وفي يوم ١٢ يوليو، أرسل هرتزل مذكرة بخطته لروتشيلد، وترك لندن إلى الأستانة، بعد أن وصلته الدعوة للتفاوض حول عرضه لتوحيد الديون، وكانت خطته:

"مشروع بإنشاء الشركة الشرقية اليهودية The Jewish Eastern Company، يدعو اللورد روتشيلد خمسة أو ستة من أصحاب الأموال الذين يخطط لإدخالهم في مجلس الإدارة إلى مؤتمر، والأراضي التي ستمنحها لنا الحكومة الإنجليزية، مع تيار العمال الذي سيتدفق عليها، سيضمن تحقيق أرباح جيدة، ورأس المال الجاهز في الوقت الحالي عشرة ملايين جنيه إسترليني، ومن ١٠% إلى ٢٠% منها جاهزة للإيداع، وسوف يتم إدارة الهجرة بطريقة منظمة وطبقاً لخطة محكمة"[2].

ومع الخطة ترك هرتزل رسالة خاصة لروتشيلد بالهدف السياسي والحقيقي منها:

"أنت أكبر قوة مؤثرة يملكها شعبنا منذ تشتته، وأرى من واجبي أن أضع أمامك نصيحتي المتواضعة، بشرط أن تكون راغباً في فعل شيء مؤثر لإزالة معاناتنا، ولست متمسكاً بالمبادئ إلى الدرجة التي تجعلني أرفض المساعدة العاجلة لأفقر فقرائنا، ولكن بالإضافة إلى الجوانب الإنسانية لهذا المشروع، فإن لي دوافع سياسية Political Motive، فإن وجود مستوطنة يهودية كبيرة في شرق المتوسط، يقوي أملنا في فلسطين، واليهود في المستعمرة

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1344, 1293-1294.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1344, 1300-1301.

الإنجليزية للشركة اليهودية الشرقية سوف يكونون صهيونيين مخلصين Loyal Zionists"[1].

وفي يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٠٢م، التقى هرتزل بتشمبرلين، وزير المستعمرات البريطاني، وعرض عليه مشروع الشركة اليهودية، وأنه يريد من الحكومة البريطانية أن تمنحه الأراضي في المناطق التي تحت سلطتها، في سيناء والعريش وقبرص، وكان رد تشمبرلين:

"يمكننا التحدث عن قبرص فقط، أما المناطق الأخرى فهي من اختصاص وزارة الخارجية، وبالنسبة لقبرص فيوجد فيها يونانيون ومسلمون، وهي مزدحمة بهم، ولا تحتمل قدوم مهاجرين آخرين، وأنا شخصياً لست ضد اليهود، بل على العكس، وكنت سأكون فخوراً لو كانت تجري في عروقي نقطة دم يهودية، ولكن للأسف لا توجد هذه النقطة، وكل شيء في هذا البلد يناقَش علناً، ولو طُرح موضوع قبرص لهبت عاصفة هوجاء، وبخصوص سيناء والعريش، فإن الحكومة لابد أن تعرف أولاً رأي اللورد كرومر، وعليك أن تقابل اللورد لانسداون، فاخذتُ (هرتزل) ورقة من على مكتبه ورسمت عليها خريطة العريش، ولم يكن عنده أدنى فكرة عن أين تكون، فأخذ أطلساً ونظر فيه، ثم أشار إلى مصر، وقال: ولكن مصر بسكانها الحاليين يوجد فيها نفس الصعوبات، فقلت: لا، لن نذهب إلى مصر، فقد كنا هناك من قبل، فضحك وقد فهم أخيراً ما أريده، وأنني أرغب في نقطة ارتكاز وتجميع للشعب اليهودي Rallying Point، تكون قريبة من فلسطين، ثم أضفت: في العريش وسيناء أراضٍ خالية، وإذا منحتها انجلترا لنا، فسوف تعظم قوتها وتفوز بولاء عشرة ملايين يهودي، فهل توافق على إنشاء مستعمرة يهودية في سيناء؟، فاجاب تشمبرلين: نعم إذا وافق اللورد كرومر"[2].

ورتب تشمبرلين لهرتزل موعداً للقاء الماركيز لانسداون، وزير الخارجية، في مساء اليوم التالي، ٢٣ أكتوبر، فقابله، وعرض عليه خطته، دون ذكر قبرص، فطلب منه لانسداون مذكرة

1)) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1344, 1302.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1361-1363.

مكتوبة بها، لعرضها على مجلس الوزراء، وأخبره أنه سيطلب رأي اللورد كرومر فيها، فكتب هرتزل المذكرة في يوم ٢٤ أكتوبر، وفيها:

"تمنحنا الحكومة البريطانية المناطق الضرورية، ولن نتكلم عن تفاصيلها الآن، وعند منحنا الأرض سوف يتم تحديد الضرائب التي يجب أن تدفعها المستعمرة اليهودية للإمبراطورية، وسوف يتم تأسيس شركة للاستيطان، الشركة الشرقية اليهودية، لنقُل برأس مال قدره خمسة ملايين جنيه، وسوف تقوم الشركة بتنظيم الاستيطان حسب خطة، وسوف يرسل إلى هناك خبراء في الزراعة والتقنية، من أجل بناء الطرق، وإنشاء خطوط السكك الحديدية، والمواني، وسوف تبدأ الهجرة فوراً ويشرف على تنظيمها آلاف الجمعيات الصهيونية المنتشرة في العالم كله ... يوجد حوالي عشرة ملايين يهودي في العالم، ولا يمكنهم جميعاً أن يرفعوا أعلام انجلترا علناً، لكنهم يحملون انجلترا في قلوبهم كقوة حامية للشعب اليهودي، وإذا تعرضت انجلترا لأي ضربة Stroke، فسوف تجد عشرة ملايين يهودي مخلصين لها ويعملون من أجلها، حتى لو كان ذلك سراً، سيكون لانجلترا عشرة ملايين عميل Ten Million Agents، يضعون أنفسهم في خدمتها عند أي إشارة منها"[1].

وأرسل هرتزل صديقه ووكيل الحركة الصهيونية في انجلترا، وعضو البرلمان البريطاني، اليهودي ليوبولد جرينبرج Leopold Greenberg، إلى مصر، فوصل القاهرة يوم ٥ نوفمبر ١٩٠٢م، ومكث فيها ثلاثة أيام، وكانت هذه نتيجة زيارته لمصر:

"عاد جرينبرج من القاهرة بنجاح تام With Complete Success، وإلى درجة كنت أراها مستحيلة، فقد فاز لقضيتنا باللورد كرومر، وأيضاً بطرس غالي باشا Boutros Ghali Pasha، رئيس الحكومة المصرية، وأهم المسؤولين الإنجليز، المستر بويل Boyle، والكابتن هنتر Hunter"[2].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1365-1367.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1372.

وفي يوم ٢١ ديسمبر ١٩٠٢م، تلقى هرتزل في فيينا رسالة من الماركيز لانسداون، برد اللورد كرومر الرسمي على مشروع المستوطنة اليهودية في سيناء والعريش، وكان نصها:

""اللورد كرومر قرر أن مشروع شبه جزيرة سيناء عملي ويمكن تحقيقه Feasible، إذا وجدت اللجنة(•) أن الظروف الحالية تسمح به، والحكومة المصرية سوف تطلب فقط المواطنة العثمانية، ومساهمة سنوية لحفظ النظام داخلياً وخارجياً""[١].

وبعد أن تأكد هرتزل من أن مشروع الاستيطان في سيناء والعريش مقبول من بريطانيا، وصار قريب المنال، بدأ يفكر في طريقة لحل مشكلة المياه، وكيفية توفيرها للمستوطنة في الصحراء، وفي ليلة ٣٠ ديسمبر ١٩٠٢م خطرت له فكرة:

"يمكننا ري الصحراء بواسطة النيل By Means Of The Nile، ولكن استخدام خط أنابيب بسيط مستحيل، بسبب قناة السويس، ويجب ضخ الماء في أنابيب في مستوى أعلى من السفن، أو على عمق كبير تحت القناة، وهذا الحل سيكون أسهل لي، وقد يتكلف خط المياه ملايين، لكنها ليست كثيرة على مثل هذا المشروع، أو أن يُحمل الطمي على سفن ويُرسل إلى العريش، ولابد أن ثَمة طرقاً عديدة لتنفيذ ذلك، وسوف أعهد بهذه المسألة ومسألة الفوسفات إلى مارمورِك Marrmorek وواربورج Warburg، كمهمة سرية خلال رحلتهما إلى مصر"[٢].

وكما ترى، ما تراه في زمانك، وترى الساسة ومن يشتغلون بالسياسة في بلاليص ستان يفاجأون به، ويقعون في حيص بيص ولا يعرفون ماذا يفعلون تجاهه، وما يقدمه لك الخبراء من النوع الاستراتيجي وبقر الصحف والشاشات على أنه معلومات سرية انفردوا بكشفها وتحليلات عميقة وصلوا إليها بعبقريتهم الفذة، ليس سوى خطط قديمة ومكتوبة منذ أكثر من مائة عام، والجديد فيها هو فقط معرفتهم ومفاجأتهم بها.

•) اللجنة الملكية للهجرة Royal Commission On Alien Immigration.

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1381.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1384.

وفي يوم ١٢ يناير ١٩٠٣م، اجتمع هرتزل مع اللورد جيمس روتشيلد، بعد أن اتفقا وصارا يعملان معه، للترتيب لتنفيذ مشروع شركة الاستيطان وتوفير التمويل اللازم، وطلب منه ثلاثة ملايين جنيه، على ان يتم تدبير المليونين الباقيين بالاكتتاب.

حملة صهيونية لاستكشاف سيناء:

وكان هرتزل، بعد موافقة الحكومة البريطانية واللورد كرومر والحكومة المصرية على مشروع المستوطنة اليهودية في سيناء، قد قرر إرسال لجنة فنية من الصهاينة إلى مصر، وكانت تتكون من مارمورك، وهو معماري ومهندس إنشاءات، وكسلر Kessler، وهو جيولوجي، والبروفسور واربورج، وهو خبير في الزراعة، وجيننجز براملي Jennings Bramly، وهو خبير بريطاني ضمن القوة البريطانية في السودان، واللورد كرومر هو الذي رشحه، والكولونيل جولدسمد Goldsmid، وهو ضابط يهودي في الجيش البريطاني، تحول للمسيحية، وفي الوقت نفسه يعمل للصهيونية، وستيفنز Stephens، وهو خبير في المواني والقنوات المائية، على أن يكون كسلر قائد البعثة الفنية، ورئيسها جرينبرج الذي سبقها إلى مصر، وكانت مهمة اللجنة في خطاب التكليف الذي وجهه هرتزل لقائدها كسلر:

"بصفتي رئيساً للجنة التنفيذية في الحركة الصهيونية، ونيابة عن لجنة العمل الداخلية في فيينا، أُنصبك رئيساً للحملة التي تم تكوينها لدراسة إمكانية الاستيطان في النصف الشمالي من شبه جزيرة سيناء، ومهمتك أن تبحث وتقرر بمساعدة أعضاء الحملة المحترمين، الفرص والإمكانات المتاحة لاستعمار المناطق الحضرية والريفية Rural And Urban الواقعة على البحر المتوسط، بين قناة السويس والحدود التركية، وكذلك المناطق التي في داخلها، وعلى أعضاء الحملة كتابة تقارير يومية عن أعمالهم وإرسالها إليَّ بالبريد، ويجب على أعضاء الحملة أن يوقعوا قبل رحيلهم على التعهد التالي: "نحن الموقعين أدناه أعضاء الحملة التي تم تنظيمها وإمدادها بالمعدات من قِبل قيادة الحركة الصهيونية، لاستكشاف إمكانية الاستيطان

في شبه جزيرة سيناء، نتعهد بشرفنا ألا ننشر أي شيء بخصوص الحملة، سواء بالكتابة أو في أحاديثنا ومقابلاتنا، إلا بعد موافقة رئيس لجنة العمل الداخلية"[1].

وكان توزيع المهام على أعضاء البعثة الفنية الصهيونية كالتالي:

"عمل ستيفنز سيكون استكشاف الميناء، ومد القنوات من النيل، والآبار، وكل ما يخص المياه، ومهمة لورنت Laurent مشاكل الزراعة، ووظيفة الكولونيل جولدسمد رمزية، لكنه سيكون مفيداً في التعامل مع السلطات الإنجليزية، ولتوفير الحماية العسكرية إذا دعت الحاجة لذلك، ومهمته الأولى الحصول على خرائط لمصر من وزارة الحربية البريطانية، أوسكار مارمورك هو السكرتير العام، وهو المسؤول عن المسائل الخاصة بالاستيطان وبناء المنازل وشق الطرق وتخطيط المدن، دكتور يوفي Dr. Joffe، إذا ذهب فستكون مهمته دراسة مشاكل المناخ والصحة العامة، براملي سيكون مسؤولاً عن الاستكشاف العام للبلاد، كسلر هو رئيس البعثة، والأمين على خزانتها، والخبير الجيولوجي، وقد تم إعداد ثلاث خرائط، إحداها ستكون مع الحملة، والثانية مع جرينبرج في القاهرة، والثالثة معي، وكنت سأقترح تقسيم الخريطة إلى مربعات Square، بحيث يشير كل تقرير للحملة إلى المربع الذي توجد فيه وتتكلم عنه، ولكن جولدسمد فعل ذلك للجيش الإنجليزي بشكل أفضل، فرسم مربعات على ورق شفاف، وميز كل مربع بحرف، ووضع الورقة على الخريطة، ويمكننا استخدامها"[2].

ووصلت اللجنة الصهيونية إلى مصر، في يوم ٣ فبراير ١٩٠٣م، وقابل جرينبرج اللورد كرومر يوم ٥ فبراير، وقابل رئيس الحكومة المصرية، بطرس غالي، يوم ١١ فبراير، من أجل الحصول على موافقتهم على الامتياز بمنح الأراضي وإقامة المستوطنة، وفي الوقت نفسه اتجهت البعثة الفنية شرقاً، فوصلت الإسماعيلية يوم ٩ فبراير، والقنطرة يوم ١١ فبراير، وخيمت في رأس القرون Mount Casius، على شاطئ البحر المتوسط، وسط سيناء، في مواجهة بحيرة البردويل، مساء يوم ١٩ فبراير، ووصلت إلى العريش صباح يوم ٢٥ فبراير[3].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1402-1403.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1401-1402.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P14011, 14013, 1421, 1424.

وفي يوم ٢٣ فبراير، أرسل جرينبرج من القاهرة إلى هرتزل في فيينا برقية، نصها:

"تهانينا، لقد حصلت على الوثيقة وتوقيع الحكومة المصرية عليها Document Is Received The Signature Of Egyptian Government Is In Order"[١].

ولم يستطع هرتزل فهم ما يقصده جرينبرج في رسالته بالوثيقة Document، ورجح أنه حصل على وعد أو تصريح Concession، وليس على مرسوم رسمي Charter، وانتظر رسالة أخرى، وفي ٢٦ فبراير جاءته برقية جرينبرج التي ينتظرها، وفيها:

"الوثيقة توافق على التنازل عن مناطق للشركة الشرقية اليهودية، وتكوين بلدية Municipality، من هذه المناطق، على أن يتم إصدار مرسوم لاحقاً"[٢].

ومرة أخرى أصابت هرتزل الحيرة من عبارات جرينبرج الغامضة، ولمن بالضبط مُنحت هذه الوثيقة، فالشركة الشرقية اليهودية لم تتأسس بعدُ، ولا وجود لها، ولم يستطع النوم حتى أرسل برقية إلى جرينبرج يطلب منه العودة من القاهرة ومعه الوثيقة لكي يراها، ولكي يفسر له العبارات الغامضة التي لا يستطيع أن يفهمها، واخبره أن ماكس نوردو سيكون في انتظاره ويستقبله.

وفي يوم ٢٧ فبراير ١٩٠٣م، أرسل هرتزل برقية إلى كسلر في العريش، يسأله هل انتهوا من إعداد التقرير النهائي أم لا، وفي ٢٨ فبراير تلقى برقية من ماكس نوردو، نصها:

"انطباعي أن جرينبرج حصل على كل شيء Obtained Everything، يمكن الحصول عليه في اتفاقية رسمية"[٣].

وفي يوم ٢ مارس وصلت الوثيقة ومعها تقرير جرينبرج إلى هرتزل في فيينا، وكان هذا تعليقه عليها:

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1422.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1425.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1427.

"جاءتني اليوم الوثيقة وتقرير جرينبرج، والتقرير عمل رائع لعميل غير أمين، وقد عرفت من عدم رغبة جرينبرج الحضور إلى فيينا أنه يتجنب مواجهتي، والوثيقة ليست سوى رسالة غير حاسمة Inconclusive Letter، موجهة من رئيس الوزراء المصري، بطرس غالي، إلى جرينبرج، عن تأسيس شركة للاستيطان اليهودي، وليس فيها ذكر لصندوق الاستعمار اليهودي، ولا للجنة العمل الداخلية في الحركة الصهيونية، ولا لي، كأصحاب الامتياز، وفي مشروع مرسوم الامتياز الذي كتبه جرينبرج وأرسل لي صورته تعمَّد عدم الإشارة إلى طالب الامتياز، ويبدو أن جرينبرج كان ينتظر أن يوضع اسمه مع طالبي الامتياز في اللحظة الأخيرة، ووثيقة بطرس غالي ليست سوى وعود افتراضية Hypothetical Promises وتمتلئ بالتحفظات، ويبدو منها أن مرسوم الامتياز مرفوض، والشيء الوحيد الذي له قيمة فيها، هو العبارة التي يقول فيها إن المستوطنين غير العثمانيين يجب أن يخضعوا لقوانين البلاد، وهو ما يعني أنه ليس شرطاً أن يكون المستوطنون من الرعايا العثمانيين، وقد استطعت النفاذ من بين سطور الوثيقة إلى ما حاول جرينبرج أن يخفيه، وهو أنه لم يقدم نفسه في القاهرة كوكيل من قِبل سلطة، بل كرئيس وصاحب سلطة مطلقة"[١].

وبعد أن ظن هرتزل أن مشروعه فشل، وصلته في اليوم نفسه، ٢ مارس، رسالة من رئيس بعثته الفنية في مصر، كسلر، وقد أرسلها من العريش، ونصها:

"الحملة ترى أن مرسوم الامتياز مفيد وترغب فيه Desirable، إذا كانت الظروف مناسبة، وأمامنا شهر لكي يمكننا أن نقرر إذا كانت الظروف مناسبة للمستعمرات عملياً أم لا"[٢].

وفي ١٠ مارس ١٩٠٣م، أرسل هرتزل رسالة إلى كسلر، نصها:

"عندما تصلك رسالتي هذه في القاهرة، ستكون حملتك بمعونة الإله قد انتهت بأمان، ولا أعلم النتيجة النهائية، ولكن طبقاً للسجلات اليومية Log Book، التي تصلني من عزيزنا الكولونيل جولدسمد، أرى أن الحملة حققت غرضها، فتقبل مبكراً تهانئي القلبية وشكر الحركة

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1428.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1431.

الصهيونية، والآن سأكلفك، باسم لجنة العمل الداخلية، بمهمة أخرى تتصل بالمهمة التي قمت بها، فأريد منك أنت والكولونيل جولدسمد أن تشتركا في إتمام المفاوضات التي بدأها جرينبرج، مرفق مع هذه الرسالة: ١- رسالة معالي بطرس باشا إلى جرينبرج، وفيها الترتيبات الأساسية للحكومة المصرية، ٢- مسودة بمقترحاتنا، ٣- تعليماتنا بخصوص ذلك، ٤- مشروع الامتياز الذي قدمه جرينبرج للورد كرومر، والذي تسلم رد كرومر عليه بالموافقة، بينما صرحت الحكومة المصرية أنها لا تستطيع منح مثل هذا المرسوم احتراماً لجلالة السلطان(•)، ٥- تفويض بالسلطة المشتركة لك وللكولونيل جولدسمد، والنتيجة النهائية التي سوف تحققونها تقع في مكان وسط بين رسالة بطرس باشا ومشروع جرينبرج الذي وافق عليه اللورد كرومر، فحاولوا تحقيق ما هو ممكن، وإنهاء المسألة في أقرب وقت، لأنني سألتقي في عيد الفصح في باريس باللورد روتشيلد ورجال آخرين محترمين، لتأسيس شركة الأراضي"[١].

وفي يوم ١٦ مارس، كتب هرتزل في يومياته، وهو يستعرض ما فعله جرينبرج وموقفه منه:

"بسبب هذه الظروف قررت أن أذهب إلى القاهرة بنفسي Go To Cairo Myself"[٢].

وفي يوم ١٨ مارس، أرسل هرتزل رسالة إلى جيمس روتشيلد عن البعثة الاستكشافية، وفيها:

"وصلتني تقارير مُرضية من حملة الخبراء التي أرسلتها لاستكشاف شبه جزيرة سيناء، وقد عاد ثلاثة من أعضاء اللجنة بالفعل، وما زال خمسة هناك، لاستكشاف المناطق الجبلية الجنوبية، لكي يتمكنوا من إعداد تقرير كامل، والنتائج التي بين يدي من التقارير والمذكرات، تبين أن المناطق التي فكرنا فيها صالحة للاستيطان على نطاق واسع، وبالإضافة إلى ذلك فقد تلقينا موافقة مبدئية مكتوبة Written Preliminary Assurance من الحكومة

•) بريطانيا كانت تحتل مصر، ولكنها رسمياً وقانونياً كانت تابعة للدولة العثمانية، ولذا كانت مسألة إقامة مستوطنة يهودية في سيناء تتوزع بين ثلاث جهات أو حكومات، الحكومة المصرية التي تملك سيناء وتتبعها إدارياً، والحكومة البريطانية التي تحتل مصر، وصاحبة السلطة الفعلية فيها بالقوة، والدولة العثمانية التي هي صاحبة الحق القانوني والرسمي، وهرتزل نفسه كان يدرك هذه المشكلة، وسجلها في يومياته.(The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1432).

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1433-1434.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1436.

المصرية، على منح الحركة الصهيونية امتياز المستوطنة المطلوبة، وقد حصلنا على هذه الموافقة بالتعاون مع السلطات الإنجليزية بالطبع، وننتظر أن يصلنا تقرير اللجنة النهائي بأن الأرض صالحة للاستيطان، وسوف تعود اللجنة في شهر أبريل القادم، وأطلب منك ان تدعو لجنة العمل الداخلية للاجتماع في باريس، حيث ستكون أنت أيضاً موجوداً في عيد الفصح"[1].

هرتزل في القاهرة:

وفي مساء يوم ١٨ مارس ١٩٠٣م، غادر هرتزل فيينا في طريقه إلى القاهرة، ووصلها يوم ٢٣ مارس، فوجد في انتظاره خبراً أن اللورد كرومر يرغب في لقائه، وحدد له موعداً الساعة الحادية عشرة يوم ٢٥ مارس، وفي مكتب اللورد كرومر كان هذا الحوار:

"هرتزل: أعطيته موجزاً عن خطتنا، وعندما ذكرت أننا نريد بناء خطوط سكك حديدية، قاطعني قائلاً: سنتكلم عن ذلك فيما بعد، فأكملت: بالطبع سنتوافق مع ما تريده الحكومة البريطانية، وذكرت التقرير، وأننا سنحتاج الماء، ومن النيل We Would Need Water, And From The Nile، كرومر: لا أستطيع أن أعطيك رداً قاطعاً حتى يعود الخبير الذي كلفته بدراسة الموضوع، وذكر أن اسمه جارستن Garstin، وسيعود خلال شهر، هرتزل: نحن نطلب مياه النيل الفائضة التي تأتي في الشتاء، وتصب في البحر دون الاستفادة منها، وسوف نبني لها خزانات، ثم ذكرت له أننا سنقيم مشروعات أعمال عامة، وسوف نوظف فيها عشرين ألف عامل، ومن هذه النقطة انتقلت إلى مسألة التمويل، وأريته برقية روتشيلد التي تلقيتها بالأمس، فنظر إليها بتعالٍ، وقال: حريص جداً، سيناقش فقط، هرتزل: وبعد ذلك أريته خطاب روتشيلد الذي أرسله لي في ١٣ فبراير، وأنا أعتقد الآن أن بينهما نفوراً، ولابد أنه ظن أن روتشيلد مرتبط بنا ارتباطاً وثيقاً، فقد تغيرت نبرة صوته وصارت باردة، وناقشنا أيضاً مسألة الحقوق، وأنه يجب أن لا تكون ثمة تفرقة بين حقوق المهاجرين والمصريين، وقلت إنني أفضل أن يكونوا تحت الحماية البريطانية، فقال إنهم سيحصلون على الحقوق نفسها، ثم أشار إلى رسالة بطرس لجرينبرج، وقال: لم نستطع أن نفعل أكثر من ذلك، وضمن هذا الإطار

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1437.

على كل حال لن يكون للحكومة التركية اعتراضات، وسألته إن كان يجب عليَّ أن أزور بطرس، فقال: نعم، وقد أخبرته صباح اليوم أنك هنا، هرتزل: والمفوض التركي؟، فرد: لا، فليس له كلمة هنا، وأنا لا أعترف به، فلا تتصل به مطلقاً، سأنتظر عودة بعثتك، وعندها سأرى همفريز Humphreys أيضاً، ثم أنهى المقابلة بطريقة متغطرسة، مع لمسة من الجنون الاستوائي Tropical Madness، وأعتقد أنه لم يحبني، وفجأة ذكر أنه ينوي دعم المشروع، ولكن ليس بعجلة، بل بطريقة عملية In A Business like Way "[1].

وخرج هرتزل من مكتب اللورد كرومر، متوجهاً إلى مقر الحكومة المصرية، للقاء رئيسها بطرس غالي باشا، وهذا هو وصفه للقاء:

"وزارة مصرية لا يملك فيها المصريون أن يصدروا أي قرار Egyptians Can't Give Any Orders، موظفون كثيرون جداً يتسكعون Idling في غرف انتظار واسعة، أرسلت بطاقتي، فاستقبلني بطرس في الحال، وهو رجل قبطي عجوز وبدين، وفي البداية تحدثنا عن السائحين، ثم انتقلنا إلى موضوعنا، فسألني هو أيضاً: من أين ستحصلون على الماء؟، فأطلعته باختصار على خطتنا للري، والذهب أيضاً سيكون رياً، وظل يوافقني بينما نشرب القهوة التركية، إلى أن أخبروه بمجيء قنصل النمسا، فتركته عند هذه النقطة"[2].

وعاد هرتزل إلى مكتب اللورد كرومر، للقاء سكرتيره بويل Boyle، لكي يعرفه على شخصية اللورد كرومر والأشياء التي تؤثر فيه، ولكن رفض بويل مقابلته، فعاد هرتزل إلى مقره في القاهرة، في فندق شبرد Shepheard، ووجد برقية أرسلها كسلر وجولدسمد من السويس، يخبرانه أنهما سيصلان إلى القاهرة في اليوم التالي، فأرفق هرتزل البرقية مع رسالة إلى اللورد كرومر، يخبره أن اللجنة الفنية ستصل في الساعة الخامسة يوم ٢٦ مارس، وأنه سيبقى في القاهرة[3].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1446-1447.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1447.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1448.

وفي الساعة الحادية عشرة ليلاً، يوم ٢٧ مارس ١٩٠٣م، وصلت الجنة الفنية، فاستقبلها هرتزل، في فندق شبرد، وقرأ عليه جولسميد تقرير اللجنة، واستغرق ساعة ونصف، وكان هذا تعليق هرتزل عليه:

"كنت أتمنى لو أُسقط الجزء الأول من هذه العبارة: "في حالتها الحالية غير قابلة للاستيطان، لكن إذا أمكن توفير الماء فيمكن استيطانها"، أيضاً كان ينبغي عدم ذكر السبب الذي من أجله نريد أن نصل بحدود المستوطنة إلى خط العرض٢٩ 29th Paralel"[1].

وخط العرض ٢٩ شمال خط الاستواء، الذي أراد هرتزل أن يكون الحد الجنوبي لمستوطنته في سيناء، في مشروعه الذي قدمه للحكومة المصرية، ووافق عليه رئيسها بطرس غالي، هو الخط الذي يمتد في سيناء من جنوب أبي زنيمة على خليج السويس غرباً، إلى جنوب نويبع على خليج العقبة شرقاً.

فهاك أولاً خريطتين إحداهما لسيناء كاملة، والأخرى يظهر فيها خط العرض ٢٩ شمال خط الاستواء والمناطق التي يمر بها، بين جنوب أبي زنيمة وجنوب نويبع[•].

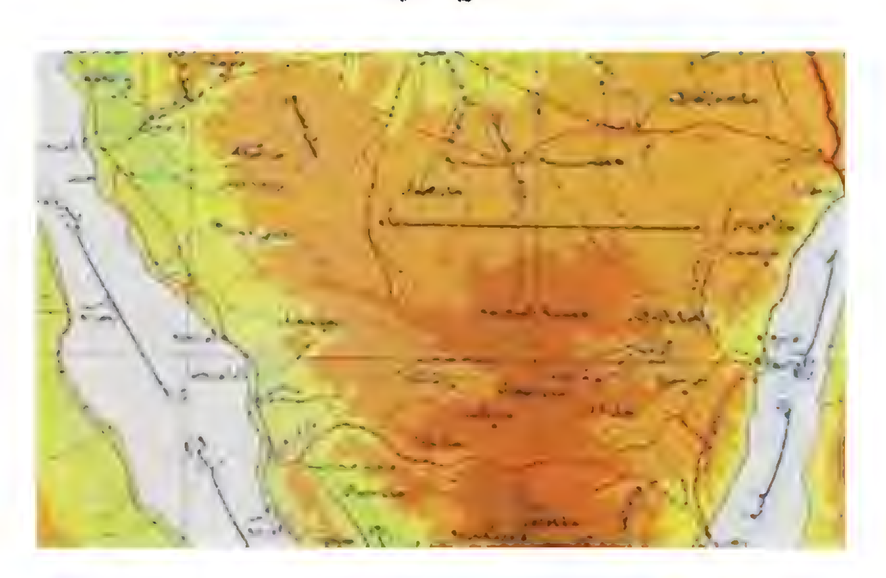
---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1450.

•) توجد خرائط لسيناء على الإنترنت، بعضها خرائط رسمية، ويظهر فيها خط العرض ٢٩ شمال خط الاستواء، يمر شمال أبي زنيمة ونويبع، والخرائط التي أتيناك بها، ويظهر فيها خط العرض ٢٩ جنوبهما، هي من الأطلس الرسمي للدولة المصرية الذي كان مقرراً على طلبة المدارس والجامعات، قبل التزوير. (وزارة التربية والتعليم: الأطلس العربي، ص١٨، ١٩، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، جمهورية مصر العربية، الإصدار الثاني، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م).



خريطة سيناء



خط العرض ٢٩ شمال خط الاستواء، ماراً جنوب أبي زنيمة غرباً ونويبع شرقاً

ولا يوجد في المادة الأولى من مشروع الامتياز الذي قدمه هرتزل، التي تنص على حدود المستوطنة التي يريدها، أي إشارة لسبب اختيار خط العرض ٢٩ شمالاً كحد للمستوطنة، وتفسير ذلك في المادة السابعة من مشروع الامتياز، التي تنص على أن: "**الشركة لها سلطة إنشاء الموانى في المناطق الممنوحة، وأن تفتح كل الخطوط وتستخدم جميع وسائل الاتصال**"، وفي المادة الثامنة، التي تنص على: "**يُسمح للشركة بتحصيل الجمارك وعوائد استخدام الموانى والمنارات**"، فالخط ٢٩ شمال خط الاستواء حداً جنوبياً للمستوطنة، يُدخِل فيها الأجزاء الشمالية من خليج السويس وخليج العقبة، ويجعل الموانى الصالحة للاستخدام في الخليجين، خصوصاً خليج العقبة، تابعة للمستوطنة ومنافذ لها إلى خارج حدود مصر، ويفتح طريقها في اتجاه المحيط الهندي والهند والصين، كما أن البحر المتوسط حداً شمالياً لها يجعلها على اتصال بأوروبا، ويفتح طريقها إلى المحيط الأطلنطي والقارة الأمريكية.

ومشروع هرتزل لإنشاء شركة للاستيطان الزراعي في سيناء، كما ترى، لم يكن سوى غلاف لمشروع آخر، هو تأسيس دولة مستقلة عن مصر ولها منافذ بحرية لا سلطة لحكومة مصر عليها، وسوف نأتيك بنص مشروع امتياز الاستيطان الذي قدمه هرتزل للحكومة المصرية في نهاية هذا الباب.

وإذا كنت فطناً فعلاً، فقد تسأل: خط العرض ٢٩ شمالاً يجعل المستوطنة التي أرادها هرتزل تستغرق أكثر من نصف مساحة شبه جزيرة سيناء، فلماذا وقف هرتزل بحدود المستوطنة عند خط العرض ٢٩ شمالاً، ولم يتوغل جنوباً في سيناء، وقد كان ذلك سيمنحه مساحة أكبر من الأرض، وسواحل أطول على خليج السويس وخليج العقبة؟

والإجابة بعد أن نهنئك على فطنتك، هي لكي يتجنب توَهان اليهود في سيناء، لأن خط العرض ٢٩ شمالاً هو الذي تبدأ من بعده منطقة التيه الذي تاهه بنو إسرائيل في سفر الخروج في التوارة!

يقول خبير جغرافيا مصر وأستاذها، دكتور جمال حمدان في كتابه: سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا:

"هضبة التيه: تنحصر بالتقريب بين كنتوري ٥٠٠-١٠٠٠ متر، ومن ثَم فهي كذلك بين خطي ٢٩-٢٩,٥، أو أكثر نوعاً، مع تقوس نحو الجنوب في الوسط دائماً، وبهذا التحديد فإنها ترسم مستطيلاً يستعرض بكامل اتساع شبه الجزيرة من الخليج، كما يكاد يتوسطها بالضبط ما بين الشمال والجنوب، فهي قلب سيناء جغرافيا، ولكن القلب الميت، لأنها أشدها جفافاً وفقراً، إنها بيداء التيه الكلاسيكية Wilderness Of Tih"[١]!

وقبل أن نترك خط العرض ٢٩ شمالاً وما يمر به، ننبهك أن لا تغفل عن أن مشروع اليهود لاستيطان سيناء، ككل مشاريعهم، يسير مع الزمان، وينتظر فقط الفرص والظروف المواتية للعودة إليه وإتمامه، فإذا تنبهت إلى ذلك، ستنكشف لك خبيئة ما تراه أمامك، وتفهم كثيراً مما يحدث في زمانك، زمان ثالث الآتين من الخلف.

ونعود بك إلى هرتزل، فقد قرر هرتزل أن يترك الإنجليز، جولدسمد وكسلر، يتفاوضان مع اللورد كرومر، فكتب تقرير جولدسمد على الآلة الكاتبة، وأرفق معه رسالة، وبعث بهما مع جولدسمد إلى اللورد كرومر، يوم ٢٨ مارس، وكانت الرسالة:

"سيدي My Lord، لي الشرف أن أضع أمامكم تقرير اللجنة التي عادت للتو من شبه جزيرة سيناء، وأرغب بشدة من معاليكم أن توافقوا على لقاء أعضاء اللجنة، وسوف يسعدون بانتظار لقائكم في أي وقت تقومون بتحديده، وسوف أغادر إلى لندن خلال أسبوع، وأقدم نسخة من التقرير للورد لانسداون، إذا لم يكن لديكم اعتراض على ذلك"[٢].

وفي اليوم نفسه، ذهب هرتزل ومعه ستيفنز لمقابلة وكيل وزارة الأشغال العمومية المصرية، السير هانبري براون Hanbury Browne، وكان على وشك التقاعد، ويقضي أغلب وقته في يخت في النيل، ودار نقاش بين ستيفنز وبروان، وكان هرتزل يتابعه دون أن يتمكن من فهم المصطلحات الفنية، يقول هرتزل:

---

١) دكتور جمال حمدان: سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا، ص ١٥٤، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.

2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1451.

"وكان اللورد كرومر قد استشار بالفعل السير هانبري، لأن كبير الخبراء، السير وليم جارستن William Garstin كان في مُمباسا، ولكن كرومر تكلم مع هانبري عن مساحة شاسعة من الأراضي، ٥٠,٠٠٠ كيلومتر مربع، بينما المساحة المطلوبة ٢٥٠ فقط، ولذا قال السير هانبري إنهم لا يمكنهم توفير المياه لهذه المساحة، وبعد أن شرح له ستيفنز الموضوع، عاد هانبري فقال إننا سنحتاج من مليونين إلى ثلاثة ملايين متر مكعب من الماء يومياً، وهذه الكمية يمكن إمدادنا بها دون مشاكل"[١].

وفي الساعة التاسعة والنصف ليلاً، من اليوم نفسه، ٢٨ مارس، وصلت إلى هرتزل رسالة عبر التليفون، تخبره أن اللورد كرومر يدعوه لمقابلته، فذهب إلى مكتبه وفي صحبته ستيفنز، وكان كرومر قد أرسل رسالة مماثلة إلى الكولونيل جولدسمد ، فاجتمع الثلاثة عنده، وكان هذا الحوار:

"استقبلنا كرومر بجدية، ولكن بلطف، وقال يجب الآن أن تطلبوا امتيازاً من الحكومة المصرية، وأنه أخبر جرينبرج أن يستأجر محامياً، ولكنه أهمل تعليماته، فسألته (هرتزل): هل يمكن أن نستعين بمكلريث McIlwraithe، المستشار القانوني للخديو من أجل هذا الغرض؟ كرومر: لا، وظفوا محامياً، هرتزل: سيدي اللورد هل يمكن أن ترشح لنا واحداً؟، كرومر: أرشح لكم كارتون دي فيارت Carton De Wiart، ثم قال كرومر: الحصول على الامتياز سوف يستغرق عدة أشهر، ولكن المسألة ستُحسم هنا وليس في لندن، وأنه يمكنني أن أرسل التقرير إلى لندن إن أردت، ووجد جولدسمد أن عبارات كرومر مُرضية جداً"[٢].

وكما ترى، هرتزل وكرومر يهوديان التقيا من أجل مشروع واحد، والفرق بينهما أن أحدهما صريح، وهو هرتزل، والآخر خفي، وهو كرومر، وكل منهما يسعى إلى إتمام المشروع بطريقته وبما يناسب موقعه ووظيفته وهويته، فالصريح يسعى إلى المشروع علناً، والخفي يسعى إليه مغلفاً بالإمبراطورية التي يمثلها والحفاظ على مصالحها، ولا يفعل ما يزيل الغلاف عنه.

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1452.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1453.

وقد عرفت في الجزء الأول من هذا الكتاب: **أول الآتين من الخلف**، أن اللورد كرومر، قنصل بريطانيا العام في مصر، وأشهر مندوب سام بريطاني فيها، هو إيفلين بيرنج Evelyn Baring، وأنه من أسرة يهودية ألمانية، من بريمن Bremen، وتحولت إلى البروتستانتية مع هجرة رأسها وجد اللورد كرومر، يوهان بيرنج Johann Baring، إلى انجلترا، سنة ١٧١٧م، وتغييره لاسمه من يوهان إلى جون، وتأسيسه بالاشتراك مع أخيه فرانز/فرانسيس شركة تجارية باسمهما John And Francis Baring Company، وهي التي تحولت سنة ١٧٦٢م إلى بنك بيرنج، ثم صار البنك شريكاً لبنك روتشيلد في انجلترا، خصوصاً في مشاريع مد خطوط السكك الحديدية بين المدن البريطانية، وأخبرناك أن مصدرنا لهذه المعلومة التحقيق الذي نشرته صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية The New York Times، لهارولد فردريك Harold Frederic، عن اللورد كرومر، يوم ٣ مايو سنة ١٨٩٦م، وكان عنوانه: المعاطف الحمراء على ضفاف النيل، اللورد كرومر يعارض انسحاب بريطانيا Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation[1].

وإليك هنا مصدر آخر، على أن اللورد كرومر يهودي، يقول المؤرخ والمستكشف البريطاني ألان مكري مورهيد Alan McCrae Moorehead، في كتابه: النيل الأبيض، وهو يعرض الخلاف الذي كان بين اللورد كرومر واللورد جوردون قائد الحملة البريطانية التي احتلت السودان، ويفسر أسباب تراجع جوردون أمام كرومر، رغم أن جوردون جنرال في الجيش البريطاني، وكرومر أصغر منه وأقل منصباً وشهرة:

"بيرنج/اللورد كرومر كان أصغر من جوردون بسبع سنوات، ولم يكن اسمه كبيراً ومشهوراً مثل جوردون، ولكنه كان يمثل قوة عرفها جوردون، وتراجع أمامها على الفور، فقد كان بيرنج جزءًا من المؤسسة Establishment، ويدافع عنها وعن مصالحها، بينما جوردون لم يكن كذلك، وويلفريد سكاون بلَنت Wilfrid Scawen Blunt، لأنه شاعر ويتعاطف مع العرب، كان يكره هذا الرجل الصارم أكثر من كره جوردون له، وقد أخبرنا أن السير إيفلين كان أحد أفراد أسرة بنكية، الإخوة بيرنج Baring Brothers، ومن المعروف أنه من أصول يهودية

---

1) Harold Frederic: Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

Of Jewish Origin، ومن ثَم فهو ينتمي من بداية حياته العملية إلى الدائرة الداخلية من الطبقة المالية العليا في أوروبا"(١).

وفي يوم ٢٩ مارس ١٩٠٣م، التقى هرتزل المحامي كارتون دي فيارت في فندق شبرد، وقال له:

"سنتخلى عن كلمة مرسوم Charter، ولكن ليس عن المضمون، وأعتقد أنه فهم، وأخبرته بما قاله تاليران Talleyrand، حين كان يتشاور مع نابليون Napoleon وسييز Sieyes حول الدستور، فحين قال سييز: يجب أن يكون الدستور موجزاً، أضاف تاليران: وغامضاً Et Obscure"(٢).

وفي اليوم نفسه، ٢٩ مارس، التقى هرتزل وزير العدل المصري والمستشار القانوني للخديو، مالكولم مكلريث Malcolm Mcllwraithe، فأخبره هرتزل عن مشروعه، وأنه سيكون مفيداً لانجلترا، ولاقتصاد مصر، لأنهم سوف يأتون إليها ومعهم المال، وسيبقى فيها، فقال مكلريث ساخراً: نعم فالمال لن يغوص في الأرض، واتفقا على لقاء في اليوم التالي في حضور المحامي كارتون دي فيارت، وإبان ذلك كان دي فيارت قد ذهب للقاء اللورد كرومر، ومكث معه ساعة ونصف، ثم عاد وأخبر هرتزل أن:

"معاليه يعطي مسألتنا اهتماماً ويعالجها بنشاط أكبر More Expeditious Treatment، ولن يعطلها"(٣).

وفي يوم ٣٠ مارس:

"التقى دي فيارت ومحامي الحكومة المصرية، المسيو روكاسيرا Roccassera، ونصحه محامي الحكومة المصرية أن يكون طلب الامتياز موجزاً، وأن يكون طلب استئجار Lease،

---

1) Alan Moorehead:The White Nile, P198, The Reprint Society, Printed In Great Britain By: Richard Clay And Company, Ltd. Bungay, Suffolk, London, 1962.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1454.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1456.

وليس تملك Freehold، فقررت (هرتزل) أن أطلب امتيازاً بإيجار لمدة ٩٩ سنة، في مقابل قيمة سنوية ثابتة، يتم تقديرها طبقاً للمتوسط في آخر ٢٠ سنة"(١).

وفي صباح يوم ٣١ مارس توجه هرتزل إلى منزل المحامي دي فيارت، فوجده يضع كمادات من الثلج على رأسه، وأخبره أنه لم ينم طوال الليل من أجل إنهاء صياغة مسودة الامتياز، وكان هذا تعليق هرتزل على المسودة:

"وكان في المسودة عبارة تساوي وزنها ذهباً، وهي: "الشركة ستكون قادرة على التمتع بـ ... وكأنه شئ يخصها وتملكه"، وأضفت أننا يجب أن نأخذ باهتمام كبير كلمات بطرس باشا في خطابه لجرينبرج، ونضعها في المسودة، لأنها بالفعل أرضية قوية Ground Won، وسوف تجنبنا كثيراً من المشاكل، وفي الفقرة الرابعة عشرة تم تأجيل مسألة مياه النيل إلى اتفاقية لاحقة، ومن أجلها سأترك جولدسمد في القاهرة"(٢).

وفي الساعة الحادية عشرة والنصف، كان هرتزل والمحامي دي فيارت ومعهم جولدسمد في مكتب وزير العدل المصري مكلريث، ومعهما مسودة الاتفاقية مع الحكومة المصرية التي صاغها دي فيارت، فوجدا عنده عملاقاً إنجليزياً يرتدي طربوشاً، اسمه بوريانت Buriant، وقدمه مكلريث على أنه شخص مهم، وأمام مكلريث:

"قرأ دي فيارت مسودة الاتفاقية المقترحة، وابتسم مكلريث ابتسامة عريضة، حين سمع كلمة: امتياز Charter، لكن العملاق ذو الطربوش قاطعنا قائلاً: إنه امتياز وبه حقوق السيادة The Sovereign Rights، فأنكرت ذلك (هرتزل)، وأشرت إلى الفقرات ٤، ٥، ١٠، التي أُخذت حرفياً من رسالة بطرس، ومرة أخرى اعترض العملاق المطربش على كلمة: إقليم Territoire، في المادة السادسة، وقال إنها تعني امتيازاً، فقلت إن كلمة تريتوار في الفرنسية لا تعني فقط الإقليم بمفهوم القانون الدولي، ولكنها تعني مجموعة متصلة من الأراضي Suite De Terrans، فنحن لا نطلب أرضاً فقط، فالتربة سيئة جداً، ولا يمكن أن

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1456.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1458.

ننجز شيئاً إلا إذا حصلنا على منطقة متصلة، وأراد العملاق أن ينتقد تقرير الحملة، ولكن حين علم أن الكولونيل الإنجليزي اشترك فيها اعتدل في كلامه، وفي مثل هذه المواقف تظهر قيمة جولدسمد الحقيقية، وطلبت من مكلريث أن يسرِّع الأمور لأن عليَّ جمع فريق كامل من المهندسين، ومن غيرهم في التخصصات الأخرى، ووعدنا مكلريث بلطف أن يفعل ما بوسعه، ولكن لابد من استيفاء بعض الإجراءات الشكلية، وأولها أن تقدم الحكومة لنا اقتراحاً من جهتها، وقال إنه يعتقد أن الترتيبات ستنتهي قبل أن أصل إلى برنديزي Brindisi، وسألني: هل يملك جولدسمد السلطة الكاملة لاتمام الاتفاقية؟، فأجبته: نعم"[1].

وفي مساء اليوم نفسه، ٣١ مارس، التقى هرتزل المحامي دي فيارت، وكان عائداً من عند اللورد كرومر، فقال له دي فيارت:

"لا أتذكر أنني رأيت كرومر منذ عشرين سنة يُظهر هذا القدر من الاهتمام بقضية كما يهتم بقضيتنا As He Was Showing In Ours، فطلبتُ (هرتزل) من كارتون أن يخبر اللورد كرومر، وكان سيعود لمقابلته مرة أخرى، أننا حذفنا مسألة مياه النيل، حسب رغبته، ومن ثَم يمكننا أن نحصل على الامتياز في الحال"[2].

وبعد الغروب يوم ٢ أبريل ١٩٠٣م، ذهب هرتزل مع جولدسمد لمقابلة وزير العدل في الحكومة المصرية، مكلريث، وهذا وصف هرتزل للقاء:

"عندما طلبنا منه الامتياز. نظر إلينا بوجه يملؤه الشك، ويبدو أن العملاق ذا الطربوش أثر عليه، وقال إن تقديم مشروع بديل حالاً مسألة غير ممكنة، لأنه يجب أولاً عرض الموضوع على الحكومة ومجلس الوزراء Cabinet، وإيجاد أشخاص مختصين بالمسائل القانونية ستواجهه صعوبات جمة، لأن التفاوض سيكون باللغة العربية، فأشرت إلى النمسا كمثال، حيث تستخدم فيها جميع اللغات، وسوف يتكفل المترجمون بالمسألة، وبالتأكيد لن يكون ذلك سهلاً، ولكن مسألة اللغة مرض يمكن لدولة أن تعيش به مئات السنين، فوافقني على ذلك

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1459.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1459.

مبتسماً، ثم سألني: ماذا عن الضرائب؟، فقلت: لن نجمع ضرائب، والأرباح الصافية ستأتي من عوائد الاقتصاد، ولكن لن نتقدم في المشروع إذا لم تفرض ضرائب على الأرض والناس، والشركة وسجلاتها ستكون أمام الدولة، وإذا حدث أي شك، يمكن تعيين لجنة من ثلاثة، وحجم الأراضي التي طلبناها كان السبب الرئيسي للشك، فقد كانوا يريدون إعطاءنا قطعاً صغيرة Plots، وليس أرضاً Land، فقلتُ: ولكن بالنسبة لنا نريد أرضاً نستخدمها كمناطق متلاصقة ومتصلة Contiguous Territory، فلسنا مضاربين في الأراضي، مثل هؤلاء الذين يوجدون في مصر، والمضاربة في الأراضي لن تكون جيدة في مشروع كالذي نفكر فيه، لأن الأرض نفسها لا قيمة لها Worthless، ويجب أولاً أن نصنع منها شيئاً، قال مكلريث: وماذا عن مدة العقد؟، في ٩٩ سنة ستسحب السيادة على الأرض من حكومتنا، فماذا إذا لم تبذلوا جهوداً كافية لتجعلوا الأمور جيدة، فقلت: سيسقط الامتياز إذا لم نصنع استثمارات منتجة، قيمتها مليونا جنيه خلال عشرين سنة، فقال: عشرون سنة!، فقلت: حسناً، لنقل عشر سنوات، وفي الحقيقة سوف نتم استثمارات بمليوني جنيه سريعاً جداً، ولكن ببساطة أردت أن أُفسح مساحة أوسع من الوقت، ثم عدت إلى مسألة الأمن القانوني Legal Security، فلو كنا متأكدين من بقاء الاحتلال الإنجليزي، لما كنا بحاجة إلى تدابير أمنية كثيرة، ولكن لا يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نترك المستوطنين معرضين للنزوات الشرقية Oriental Caprice، بعد فترة من الزمن، فتفَهَّم ذلك"[1].

وبعد اللقاء، وما شهده من تساؤلات مكلريث، كتب هرتزل أنه سيرسل جولدسمد في اليوم التالي، ٣ أبريل، لكي يستعيد مسودة جرينبرج للامتياز من مكلريث، لأن صياغتها وما فيها من تفاصيل تحدث اضطراباً، وفي اليون نفسه أرسل برقية إلى اللورد جيمس روتشيلد، يخبره أنه:

"شكراً على برقيتك الودية، لقد ناقشت جميع المسائل الضرورية Everything Necessary مع اللورد كرومر والحكومة المصرية، سوف أغادر القاهرة إلى أوروبا غداً،

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1463-1464.

أرجو أن ترسل لي برقية في فيينا على العنوان التالي ... وسألتقي بك في باريس يوم الاثنين"[1].

وفي يوم ٤ أبريل ١٩٠٣م، غادر هرتزل القاهرة، بعد أن نصب جولدسمد ممثلاً له فيها، وترك له التعليمات الآتية:

"حاول الحصول من كرومر، إذا كان ذلك ممكناً، على امتياز من غير مياه النيل، في الوقت الحالي، واترك مسألة الماء، لأن كرومر لن يفعل أي شيء بخصوص هذه المسألة حتى يعود السير وليم جارستن في شهر مايو، وفور أن تحصل على الامتياز اذهب إلى شركة ليسبس Lesseps Company، في الإسماعيلية، للاتفاق على رصيف الميناء Wharf Wall، ومحطة السكك الحديدية في بور سعيد، ومضخة للمياه العذبة من بورسعيد، ويجب ألا تذكر مضخة الإسماعيلية في الوقت الحالي أمام مجموعة السويس"[2].

وفي يوم ٧ أبريل ١٩٠٣م كتب هرتزل:

"تلقيت برقية هذا الصباح في برنديزي من جولدسمد، وقد قابل كرومر، ولا توجد أخبار جديدة، ولم يوافق كرومر على استقبالي قبل أن أرحل (كان هرتزل قد أرسل إليه يطلب لقاءه قبل أن يغادر القاهرة)، وكتب خطاباً بارداً Cool Letter، يقول فيه إنه يجب إدخال تعديلات عديدة على مسودتنا حتى يمكن قبولها، وسوف أضع آمالي الآن في تشمبرلين، الذي سوف أقابله الأسبوع القادم، فهو بعيد عن المسألة، ومن ثَم فنظرته لها عامة، ولا يعرف قيمة المساحة الكبيرة من الأرض التي أطلبها"[3]!!

وفي مساء يوم ١٦ أبريل ١٩٠٣م، التقى هرتزل وجيمس روتشيلد في باريس، وتباحثا بشأن المستوطنة، والعقبات التي تعرقل الحصول على الامتياز، ومسألة التمويل، وهل ستكون خمسة ملايين جنيه كافية، وكيف سيتم توفيرها، ووعده روتشيلد أنه فور الحصول على الامتياز سوف

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1463-1465.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1456-1466.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1466.

يرسل إلى جاكوب شيف Jacob Schiff في نيويورك، ليشترك في المشروع ويسهم في تمويله[1].

فهل لاحظت أن جيمس روتشيلد البريطاني، ابن إدموند روتشيلد الفرنسي، وعد تيودور هرتزل النمساوي، أن يكلم يعقوب شيف الأمريكي، لكي يشترك معهم في مشروع المستوطنة في سيناء المصرية ويسهم في تمويلها، فإذا أزلت رابطة الديانة والعقائد، وأسقطت أنهم جميعاً يهود، ويسعون في تحقيق غاية بني إسرائيل التوراتية، فلن تفهم ما الذي جمعهم ويريدونه، بل ولن تفهم شيئاً على الإطلاق، وبعد ذلك تجد البقر من ساسة بلاليص ستان ومؤرخيها يريدون أن يُدخِلوا في رؤوس شعوبهم المنكوبة بهم أن الموضوع لا علاقة له بالدين والعقائد، ولو لم يكن له علاقة بالدين والعقائد لما كان هناك موضوع أصلاً.

وفي ٢٠ أبريل أرسل هرتزل إلى جولدسمد في القاهرة رسالة يملؤها الأمل، ويطلب منه فيها:

"أن تعطي الحكومة المصرية الامتياز إلى: دكتور تيودور هرتزل رئيس المؤسسة اليهودية للاستعمار في لندن Jewish Colonial Trust Ld. London، وكنت أفضل أن يكون الامتياز باسم: تيودور هرتزل رئيس لجنة العمل في الحركة الصهيونية، ولكن ذلك سيثير مسائل سياسية، بخصوص خط الحدود، ولذا يكفي الآن أن يكون الامتياز باسمي فقط"[2].

وفي يوم ٢٣ أبريل، جاء رد جولدسمد من القاهرة، وفيه أن وزير العدل مكلريث أخبره أنه لن يتم حسم الموضوع حتى يعود خبير الري والمياه السير جارستن إلى القاهرة الأسبوع القادم، وأرسل هرتزل إلى اللورد جيمس روتشيلد في لندن رسالة، وأرفق بها جميع التقارير الفنية والهندسية الخاصة بأراضي سيناء المطلوبة لمشروع المستوطنة.

وفي ظهيرة اليوم نفسه، ٢٣ أبريل ١٩٠٣م، ذهب هرتزل إلى وزير المستعمرات البريطاني، تشمبرلين، وكان هذا اللقاء:

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1467-1468.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1470.

"استقبلني بلطف ... وقال: لقد تكلمت مع اللورد كرومر بخصوص مشروعك حين كنت في مصر، ماذا فعلت؟، فأشرت له إلى تقرير اللجنة الذي أرسلته إليه بالأمس، وكان أمامه، فقال: هذا ليس تقريراً مشجعاً، فقلت: حسناً، البلاد فقيرة، ولكن يمكن أن نصنع منها شيئاً، قال تشمبرلين العظيم: لقد رأيت أرضاً تصلح لك أثناء رحلتي، وهي أوغندا، وهي حارة على السواحل، ولكن في المناطق الداخلية يصبح الطقس رائعاً، حتى للأوروبيين، ويمكنك أن تزرع فيها السكر والقطن، وفكرت في نفسي أن هذه الأرض لدكتور هرتزل، ولكنك بالطبع تريد فقط الذهاب إلى فلسطين أو إلى منطقة تجاورها؟، فأجبت: نعم، فقاعدتنا يجب ان تكون في فلسطين أو قريباً منها، ولاحقاً يمكن أن نستوطن في أوغندا أيضاً، فلدينا جماعات كبيرة جاهزة للهجرة، ولكن يجب أن نقيم أسساً قومية **National Foundation**، وهذا هو مصدر الجاذبية السياسية لمشروع العريش، ولكنهم في مصر لا يفهمون ذلك، ولم أستطع أن أكون هناك بهذا الوضوح كما أنا هنا، فهناك كنت مضطراً لأن أطلب امتيازاً ناقصاً، بسبب الوضع السياسي، وأن أجعله يبدو كمشروع مالي فقط، ومشروع المضاربة في الأراضي سيكون صفقة سيئة، ولا أحد سيعطيني مالاً من أجل مثل هذا البلد، لا أحد إلا نحن، لأن لدينا دوافع سياسية، وينبغي أن يكون مفهوماً بوضوح أننا لن نضع أنفسنا تحت الحكم المصري، بل تحت الحكم البريطاني **Under British Rule**، هو (تشمبرلين): أشعر أن الأوضاع ستظل كما هي، وأننا لن نترك مصر، وهذه كانت نيتنا من البداية، فقد كنت عضواً في الحكومة، وخططنا للانسحاب من مصر في الثمانينات، ولكننا استثمرنا فيها كثيراً من الأموال، وأصبح لنا فيها الآن مصالح عديدة، ولا نستطيع أن نخرج منها، ولذا فسوف تستفيد أنت ومستوطنتك من الممتلكات البريطانية، وإذا سارت الأمور في اتجاه آخر، وكانت مستعمرتكم قوية بما فيه الكفاية، فأنا واثق أنكم تستطيعون التمكين لأنفسكم، وأضاف تشمبرلين: مصالحنا في آسيا الصغرى قليلة، وفي يوم ما سينشب صدام في هذه المنطقة بين فرنسا وألمانيا وروسيا، بينما سننسحب نحن إلى مناطق أبعد، وأنا أتساءل: في هذه الحالة ماذا سيكون مصير مستعمرتكم اليهودية في فلسطين، بفرض أنكم نجحتم في إقامتها، فقلت (هرتزل): أعتقد أن ذلك سيجعل موقفنا أفضل، فسوف نمثل للقوى الكبرى دولة حاجزة صغيرة **Small Buffer State**، وبمجرد أن نستوطن العريش تحت العلم البريطاني، سوف تدخل فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني ... وقال تشمبرلين: يجب أن يكون روتشيلد معكم في أي خطوة، لأن الحكومة

البريطانية تعتمد عليه، فقلت: إنه معنا طبعاً، وفي النهاية وعدني أنه سيكلم لانسداون، لكي يضغط على كرومر من أجل تسريع الأمور"[١].

ومما قاله هرتزل لتشمبرلين، عن أن الدولة اليهودية في فلسطين ستكون حارسة لمصالح بريطانيا في الشرق، ودولة حاجزة بين القوى الكبرى وتمنع اصطدامها، تنبه إلى ما أشرنا لك إليه من قبل، وهو مَن الذي كان يدبر لمَن ويوظفه، وأيهما الذي وضع الخطة ورسم السيناريو ثم ضخه في رأس الآخر لينفذه: بريطانيا أم اليهود؟!

وفي مساء يوم ٢٤ أبريل، ذهب هرتزل للقاء وزير الخارجية لانسداون، فاستقبله بترحاب، وحدثه هرتزل بصراحة عن مشروعه، وترك له نسخة من تقرير الحملة الفنية عن سيناء ومسودة الامتياز لكي يدرسها، وهنا كما يقول هرتزل:

"حدث شيء رائع، فقد طلب مني إعداد مذكرة عن مشروع اللجنة اليهودية للاستعمار Jewish Colonization Association، وقال إنه سيقدمها إلى صديقه اللورد مورلي Morley، الذي يعتمد المشروع على موافقته، وعندما عدت بهذا الخبر رقص كوين وجرينبرج وزنجويل فرحاً"[٢].

منقذ سيناء السير وليم جارستن:

وفي اليوم الأول من مايو ١٩٠٣م، أرسل جولدسمد برقية من القاهرة إلى هرتزل في فيينا، نصها:

"قابلت السير وليم جارستن والسير إلدون جورست Eldon Gorst، وبالنسبة لمسألتنا لا يوجد جديد لكتابة تقرير عنه"[٣].

وفي يوم ٥ مايو، رد هرتزل على جولدسمد ببرقية نصها:

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1473-1475.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1473-1475.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1479.

"واصل جهودك، ويمكنك الاعتماد على تشمبرلين (وزير المستعمرات)، ولانسداون (وزير الخارجية)، من فضلك أسرع، فقد كسبنا الحكومة البريطانية We Have The British Government"[1].

وفي صباح يوم ٦ مايو ١٩٠٣م، وصلت برقية سيئة لهرتزل من جولدسمد، نصها:

"السير وليم جارستن يعارض مشروعنا، وقدر كمية المياه التي سنحتاجها بخمسة أضعاف تقدير ستيفنز Fivefold"[2].

وفي مساء اليوم نفسه، ٦ مايو، أرسل هرتزل إلى جولدسمد برقية:

"من المحتمل ألا يُقبل الامتياز بسبب معارضة جارستن، وسوف أكلم تشمبرلين، فهو معنا ويدعمنا Assist Us"[3].

وفي ليل يوم ٧ مايو، وصلت من جولدسمد برقية أسوأ لهرتزل:

"اللورد كرومر يقترح أن نتخلى عن المشروع Abandonment، وقد اعترضت على ذلك"[4].

وفي يوم ٨ مايو، أرسل هرتزل إلى ستيفنز يخبره بمعارضة وكيل وزارة الأشغال العمومية في الحكومة المصرية وخبير المياه، السير جارستن، للمشروع، بسبب تقديره لكمية الماء الذي تحتاجه المستوطنة، فرد عليه ستيفنز برسالة يقترح فيها تخفيض مساحة الأراضي المطلوبة للاستيطان إلى الثلث، فأرسل هرتزل في يوم ١٠ مايو إلى جولدسمد يخبره بالمقترحات الجديدة، لعرضها في القاهرة، على أن تمتد المستوطنة من سهل الفرما Pelusium plain[5].

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1480.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1480.
3) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1481.
4) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1481.
5) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1482, 1485.

وفي مساء يوم ١١ مايو ١٩٠٣م، كتب هرتزل:

"نهاية مخططنا The End Of A Scheme، وصلتني برقية من جولدسمد، يقول فيها إن اللورد كرومر أخبره أن الحكومة المصرية ترفض، بناءًا على تقرير السير جارستن"[١].

وفي يوم ١٣ مايو، وصل إلى هرتزل في فيينا بالبريد الخطاب المطول الذي كان جولدسمد قد كتبه في القاهرة وأرسله يوم ٦ مايو، بخصوص الموضوع، وفيه:

"السير جارستن أعلن أننا سنحتاج كمية من المياه تساوي خمسة أضعاف ما قدره ستيفنز، وأيضاً أن إنشاء سحارات Siphons سوف يؤدي إلى إيقاف حركة السفن وتعطيل الملاحة في قناة السويس لأسابيع عديدة"[٢].

وهكذا، وبعد موافقة الحكومة البريطانية، وموافقة رئيس الحكومة المصرية بطرس غالي باشا، وموافقة اللورد كرومر، توقف مشروع المستوطنة اليهودية الصهيونية في سيناء، بمعارضة وكيل وزارة الأشغال العمومية وخبير الري والمياه، السير وليم جارستن، لأسباب فنية وتكنولوجية.

وقبل أن نتركك مع نص مشروع امتياز استيطان سيناء الذي وافق عليه بطرس غالي، والتقرير الفني الذي وضعه السير جارستن، نريد أن نسألك سؤالاً، وننبهك تنبيهاً، وهما في الحقيقة وجهان لشيء واحد.

فأما السؤال: إذا خرج في زمان ثالث الآتين من الخلف دور السير جارستن في إيقاف مشروع المستوطنة اليهودية في سيناء، والذي لولاه لكانت سيناء قد صارت دولة يهودية منذ مائة عام، فهل سيضعون اسمه في كتب التاريخ في بلاليص ستان بين الأبطال ويكرمونه أم سيضعونه بين الخونة ويلعنونه؟!

وأما التنبيه: فهو تذكرة بما نبهناك إليه من قبل، وهو ألا تغفل عن أن مشاريع اليهود عبر التاريخ كله لا تموت، بل كما رأيت طوال الكتاب الذي بين يديك، تسير متخفية مع الزمان، إلى

---

1) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1486.
2) The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Vol. IV, P1487.

أن تواتيها الفرص والظروف المناسبة فتظهر للعلن، فإذا فطنت إلى ذلك، ستدرك أنه ما أشبه الليلة بالبارحة، وستفهم كثيراً مما تراه في زمانك، وتتكشف لك حقيقة ما يدبر له اليهود وما يفعله ثالث الآتين من الخلف في بلاليص ستان، بعد أن تطورت التكنولوجيا، وتوفرت الوسائل التي يمكن من خلالها حل المشاكل والعقبات الفنية والهندسية التي أوقفت مشروع هرتزل.

مشروع امتياز إنشاء مستوطنة في سيناء، قدمه دكتور تيودور هرتزل إلى الحكومة المصرية، في ٣ أبريل ١٩٠٣م.

"بين الحكومة المصرية من جانب، ودكتور تيودور هرتزل من جانب آخر، ممثلاً لشركة تحت التأسيس، تم الاتفاق على الآتي: "١- تمنح الحكومة المصرية دكتور تيودور هرتزل، أو شركته التي تحت التأسيس، حق احتلال الأراضي الواقعة شرق قناة السويس البحرية واستعمارها The Right To Occupy And To Colonize، وحدودها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق الحدود العثمانية التي لا نزاع عليها Uncontested، ومن الجنوب الخط الموازي لدائرة العرض ٢٩ شمالاً، ٢- يُمنح الامتياز لمدة ٩٩ سنة، ومع ذلك فالحكومة لها حق إلغائه، بعد ستة أشهر من الإشعار بذلك، في حالة عدم الالتزام بالشروط المذكورة في الاتفاقية، ٣- الشركة لها حق استغلال الأراضي الممنوحة، كأنها تملكها، باستثناء احترام حقوق أطراف معينة، مثل امتيازات التعدين وما يشبهها التي تم الحصول عليها من الحكوة المصرية قبل هذا التاريخ، ٤- المستعمرون الذين ستجلبهم الشركة إلى الأراضي الممنوحة، يجب أن يكونوا رعايا محليين Local Subjects، وكل مستعمر ليس من رعايا الدولة العثمانية يجب أن يُقر كتابة وبوضوح أنه يقبل الخضوع للسلطات المحلية الإدارية والقضائية، وأن يرفق مع إقراره شهادة صادرة من السلطات في بلده الأصلية، تصدق فيها على أن اكتسابه للجنسية العثمانية تصرف قانوني، وأنها لن تدعي في أي حال أنه من رعاياها أو تحت حمايتها، ٥- سوف تبقى الأراضي، وكذلك المستعمرون، خاضعين للقوانين واللوائح التي تحكم الإقليم، وخاضعين للسلطات المحلية، ويستثني من ذلك مسائل الأحوال الشخصية Questions Of Personal Status، التي ستكون من اختصاص السلطات الدينية التي سينشئها المستعمرون، بنفس الشروط التي تطبق على غيرهم من الطوائف غير المسلمة الموجودة في مصر، ويجب أن تحصل هذه السلطات الدينية على اعتراف الحكومة بها، ٦- الأراضي الممنوحة لكونها غير مستصلحة على الإطلاق، معفاة من أي رسوم لمدة خمس سنوات، وبعدها سوف تدفع المستعمرة إيجاراً سنوياً يحل محل جميع الرسوم والضرائب على الأراضي والمستعمرين، وهذا الإيجار يساوي ٢٠% من صافي دخل المستعمرة، ٧- الشركة لها سلطة إنشاء المواني في المناطق الممنوحة، وأن تفتح كل الخطوط

وتستخدم جميع وسائل الاتصال، مثل الطرق وخطوط السكك الحديدية وخطوط التلغراف والهاتف وغيرها، وأن تقيم المشروعات بكافة أنواعها، ٨- يُسمح للشركة بتحصيل الجمارك وعوائد استخدام المواني والمنارات، ولكن سفن الحكومة المصرية ستكون معفاة من رسوم الدخول إلى أي ميناء تنشئه الشركة، ٩- من أجل ضبط العوائد المذكورة في المادة ٦، والتي سيتم حساب دخل الحكومة المصرية على أساسها، سوف تحتفظ الشركة بدفاتر وسجلات دورية Regular Books، وسوف تكون تحت رقابة الحكومة المصرية، وأي اختلاف في تقدير الإيرادات سوف يتم عرضه على لجنة من ثلاثة أعضاء، على أن تختار الحكومة المصرية أحدهم، وتختار الشركة الثاني، وتختار الحكومة البريطانية رئيسها، ١٠- سوف تراعي الحكومة في اختيارها وتعيينها للقضاة والموظفين، رغبات المستعمرين ومصالحهم، قدر المستطاع، وفي حالة تطور الاستعمار بالقدر الكافي، تضع الحكومة في اعتبارها جميع المطالب الضرورية لإنشاء بلديات Muncipalities، مادامت لا تتعارض مع المواد السابقة، ١١- طوال مدة هذا الامتياز، تلتزم الحكومة بعدم منح أي امتياز آخر في المناطق الممنوحة، ١٢- عند انتهاء مدة الامتياز الحالي، سيكون للشركة حق تجديده لفترة مماثلة، في مقابل دفع رسوم سنوية ثابتة، يتم تقديرها طبقاً للمتوسط في آخر خمس عشرة سنة، ١٣- لن توافق الحكومة لمدة خمس سنوات من الآن على أي امتياز بخصوص أجزاء شبه جزيرة سيناء التي لا يشملها العقد الحالي، ويمكن للشركة خلال هذه المدة أن تحصل من الحكومة على امتياز بخصوص بقية شبه الجزيرة، على أساس الاتفاقية الحالية، ١٤- مسألة إمداد الأراضي الممنوحة بمياه النيل، سوف تكون موضوعاً لاتفاقية لاحقة".

سير وليم جارستن: ملاحظات حول ري سهل الفرما، ٥ مايو ١٩٠٣م

"قمت ببحث هذه المسألة مع المفتش العام للري في مصر السفلى، واتفقنا على أنه لا ينبغي الموافقة على المشروع كما تم تقديمه، ويرى المستر ستيفنز Stevens (عضو بعثة هرتزل) أن ضخ اثني عشر متراً مربعاً في الثانية عند الإسماعيلية، خلال الشهور الخمسة الأولى من السنة، سيكون كافياً، ويقترح ري محاصيل الفيضان بهذه الكمية، ولكن نضوج محاصيل الشتاء وري محاصيل الصيف سوف يحتاج إلى مياه مخزنة في خزانات صناعية Artificial Reservoirs، تقام في سهل الفرما، ويقول مستر فيرشويل Veschoyle، المفتش العام للري في مصر السفلى، إن ضخ اثني عشر متراً مربعاً لن يكون كافياً على الإطلاق لتحقيق الغرض المطلوب، والمنطقة المقترح ريها مساحتها ستين ألف فدان، والكمية المطلوبة لري هذه المساحة أثناء الفيضان، سوف تكون ثلاثين متراً مربعاً للفدان، ومن ثم فالكمية الكلية: ٦٠,٠٠٠ X ٣٠ =١,٨٠٠,٠٠٠ متر مكعب من الماء، وهذه الكمية تعتمد على الماء الذي يمكن تخزينه ليستخدم في الشتاء والصيف، فإذا أضفنا إلى ذلك الماء المطلوب لري الفيضان، كما ذكرنا، يكون لدينا: ٢,٥٤٠,٠٠٠ + ١,٨٠٠,٠٠٠=٤,٣٤٠,٠٠٠ متر مكعب في السنة، أي: ٥١ متراً مكعباً في الثانية، وجعل قناة الإسماعيلية قادرة على تمرير هذه الكمية الإضافية سوف يحتاج إلى تفقات باهظة، وفي المعادلة السابقة لم يُوضع في الحسبان ما سوف يتسرب خلال الضفاف Percolation، وأياً كان معدل التسرب، فبعد عدة سنوات سوف تكون هذه كمية معتبرة جداً، ومن أجل الحصول على الكمية الضرورية من المياه يجب إضافة كمية أخرى إلى المخزون، ومرة أخرى مع مساحة السطح الكبيرة هذه، ستكون حركة الأمواج على الضفاف عنيفة، وتحتاج إلى حواجز من الحجارة، ثم تأتي مسألة مهمة جداً، وهي هل سيبقى الماء المخزون نقياً أم سيفسد، أو حتى سيصبح مالحاً بسبب ملوحة التربة التي ستقام فيها الخزانات، وأرى أن خطر حدوث ذلك واقعي جداً، وأشير هنا إلى أن شركة ري البحيرة Behera Irrigation Co.، قامت بتجربة في البراري منذ بضع سنوات، وأوقفت التجربة بعد سنوات قليلة بسبب ضحالة الخزانات، ومما سبق لا أرى أن المشروع المقترح جيد، وأنا مقتنع أنه من غير الري الصيفي لن يكون له عائد، وبافتراض أن الخزانات لم تنجح، ما الذي سيحدث؟ بلا شك سوف تبذل شركة الاستصلاح كل جهد من أجل الضغط على الحكومة المصرية، لكي تساعدها وتمدها بماء

الصيف من القنوات، ولا يمكن الإصرار بقوة على أن ذلك سيكون مستحيلاً، حتى لو تضاعفت سعة التخزين في خزان أسوان، وما أعتقده أن الشركة، في حالة فشل خزاناتها، ستطلب مساعدة الحكومة، والحكومة ستكون في موقف تختار فيه بين أن تشهد خراب مشروع هام وكبير، أو أن توفر له الماء على حساب الأراضي الأصلية في مصر Egypt Proper، وانطباعي الذي كونته من خبرتي الطويلة مع مثل هذه القضايا، أن الضغوط على الحكومة ستكون هائلة، وستجد أيديها مغلولة، وتضطر في النهاية إلى توفير المطلوب، ولهذا السبب لا أحبذ المشروع الحالي، ورغم أن التجربة في مصر تظهر أن حوالي٥٠% من المساحة الإجمالية تزرع سنوياً بالمحاصيل الصيفية، فسوف أفترض من أجل الحساب أنها٤٠%، أو بصورة أخرى، سوف يزرع في الصيف ٢٤,٠٠٠ فدان، وكمية الماء المطلوبة لري هذه المساحة ستكون كالتالي: ١٢٢ يوماً X ٢٤,٠٠٠ فدان X ٣٠ متراً مكعباً =٣٧,٨٠٠,٠٠٠ متر مكعب من الماء، وتوفير مياه الري الشتوية، أي من شهر يناير إلى شهر مارس، بعد توقف مياه القناة، سيكون كالتالي: بطرح المياه الصيفية من الكمية الإجمالية سيكون لدينا: ٦٠,٠٠٠ – ٢٤,٠٠٠=٣٦,٠٠٠ فدان للري الشتوي، وبحساب ٢٥ متراً مكعباً للفدان، ستكون كمية الماء المطلوبة حينئذ: ٣٦,٠٠٠ X ٩٠ يوماً X ٢٥ متراً مكعباً = ٨١,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب من الماء، وبذلك يكون إجمالي كمية المياه التي يجب تخزينها: للري الصيفي: ٨٧,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب، وللري الشتوي، ٨١,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب، أي: ١٦٨,٠٠٠,٠٠٠، أو فلنقل: ١٦٩,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب، ونأتي الآن إلى مسألة التبخر Evaporation في هذه الخزانات السطحية، إذا قبلنا المعدل اليومي الذي قدره مستر ستيفنز، وهو ٠,٠٠٨ متر، سوف نجد (لمدة سبعة أشهر في السنة = ٢١٠ يوماً): ٢١٠ X ٠,٠٠٨ متر = عمقاً قدره ١,٦٨ متراً، وبحساب أن عمق الماء في الخزانات سيكون ٣ أمتار، ومن الصعب تجاوز ذلك، يكون لدينا: ٣,٠ – ١,٦٨ = ١,٣٢ متراً من العمق متاحاً للري، وعلى ذلك مساحة الخزان المطلوبة تكون: ١٦٩,٠٠٠,٠٠٠ ÷ ١,٣٢ = ١٢٧,٠٠٠,٠٠٠ متر مربع، وهنا أشير إلى أن المساحة التي ستغطى بالخزانات، تبلغ ٣٠,٠٠٠ فدان، أو نصف المساحة التي ستخصص للزراعة، وكمية الماء المتبخرة ستكون: ١٢٧,٠٠٠,٠٠٠ X ١,٦٨ = ٢١٣,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب، ومن ثَم تكون الكمية الإجمالية للمياه التي يجب تخزينها: ١٦٩,٠٠٠,٠٠٠ + ٢١٣,٠٠٠,٠٠٠ = ٣٨٢,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعب، وعلى ذلك تكون كمية المياه المطلوب ضخها في القناة، لمدة خمسة أشهر/١٥٠ يوماً،

كالتالي: ٣٨٢,٠٠٠,٠٠٠ ÷ ١٥٠ = ٢,٥٤٠,٠٠٠ متر مكعب يومياً، وأنتقل الآن إلى جزء آخر من المشروع، ألا وهو السحارات Siphons المقترحة تحت قناة السويس، وهي وإن كانت لن تؤثر مباشرة على نظام الري، إلا أنه يبدو لي أن تنفيذها ستواجهه صعوبات بالغة، ويشير مستر فيرشويل إلى أن تمرير ٥١ متراً مكعباً في الثانية عبر هذه السحارات، سيحتاج على الأقل إلى ثماني أنابيب Pipes، قطر كل منها متران، حتى ولو بحساب أن السرعة خلالها ستكون مترين في الثانية، ومثل هذه الأنابيب، كما يقترح مستر ستفينز، ستُطرح بالطبع في مواضعها، ثم يتم إنزالها في أنفاق Trenches تُحفر من أجلها في قاع القناة، فكم من الوقت سيستغرق مثل هذا العمل، وكيف ستستمر حركة المرور في القناة إبان ذلك؟، حتى لو سارت الأمور بطريقة حسنة، فإن ذلك سيحتاج على الأقل ثمانية أيام من العمل الشاق والدقيق، ولدينا تجربة معتبرة في مثل هذه الأعمال في مصر، وأنشأنا سحارات عديدة مماثلة تحت قنواتنا الكبيرة، حيث لا توجد حركة مرور، أو حركة ضئيلة يمكن إيقافها بسهولة، وفي كل مشروع من هذه كان العمل شاقاً واستغرق وقتاً طويلاً، ولا أكاد أصدق أن شركة قناة السويس ستسمح بإجراء مثل هذه العملية التي ستغلق القناة، وإذا رفضت فالبديل الوحيد هو تحويل مجرى القناة، أو حفر أنفاق تحت قاع القناة ووضع الأنابيب فيها، وأي من هذه البدائل سيحتاج إلى أعمال ضخمة، وستواجهه صعوبات جمة، ويتكلف قدراً عظيماً من المال، وأعتقد أنه في هذه الظروف، سيتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ دولار، وبفرض أن المال ليس عائقاً، فستبقى مشكلة توفير المياه الصيفية، وأنا مقتنع جداً أن هذه المشكلة حقيقية، ولذا بالرغم من أهداف المشروع الجديرة بالثناء، أجد نفسي مضطراً لمعارضته من أجل مصلحة الري المصري، وأرى أنه في حالة فشل الخزانات والتخزين، وهو أمر على الأقل محتمل، وفي رأيي أنه محتمل جداً، ستجد الحكومة المصرية نفسها مضطرة إلى مساعدة الشركة، على حساب مُلاك الأراضي المصرية، أياً كانت الاتفاقية الجارية الآن، ومهما بلغت صرامة الشروط التي ستوضع لمنع هذا المسار".

المراجع

أولاً: العربية:

١) إبراهيم ربايعة، الباحث: طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قُبيل قيام الحركة الصهيونية، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، المجّلد ٢، العدد ٢، ص١٠٠-١٢٧ ، ٢٠٠٨م.

٢) إبراهيم بن نجم بن إلياس بن حنا الأسود، المؤرخ: الرحلة الإمبراطورية في الممالك العثمانية، وهو يحتوي على ما نظمه بعض الشعراء والأدباء في مديح الإمبراطور غليوم الثاني، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ١٨٩٨م.

٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، الإمام: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الثالث، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٤) إدوارد دريو، المؤرخ: محمد علي ونابليون، مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ١٨٠٧م-١٨١٤م، ، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٥) أسد رستم، دكتور: إدارة الشام، روحها وهيكلها وأثرها، ضمن كتاب: ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.

٦) أسد رستم، دكتور: الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا، مجلد ١، مجلد٢، مجلد ٣، مجلد ٥، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٣١م-١٩٣٤م.

٧) أسد رستم، دكتور: المحفوظات الملكية المصرية، بيانات بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، مجلد١، مجلد٢، مجلد ٣، مجلد ٤، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٩٤٠م-١٩٤٣م.

٨) ألكساندر شولش، المؤرخ: تحولات جذرية في فلسطين، ١٨٥٦م-١٨٨٢م، دراسات حول التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ترجمة: دكتور كامل جميل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الثانية، عمَّان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٩) أمين عبد الله محمود، دكتور: مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة ٧٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ربيع الثاني–جمادى الأولى ١٤٠٤هـ/فبراير ١٩٨٤م.

١٠) جمال حمدان، دكتور: سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافيا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٣م.

١١) جورج أنطونيوس، المؤرخ: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة: دكتور ناصر الدين الأسد، ودكتور إحسان عباس، دار العلم للملايين، الطبعة الثامنة، بيروت، ١٩٨٧م.

١٢) حبيب جاماتي، الأستاذ: إبراهيم في الميدان، إدارة الهلال بمصر، القاهرة، ١٩٣٤م.

١٣) حسان حلاق، دكتور: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧م–١٩٠٨م، جامعة بيروت العربية، طبع في دار الأحد إخوان، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٤) خالد فهمي، دكتور: كل رجال الباشا، محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، ترجمة: شريف يونس، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٥) الخوري بولس قرالي، المؤرخ: فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كاتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، مطبعة القديس بولس في حريصا، لبنان، ١٩٣٧م.

١٦) دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط: الكتاب المقدس، أسفار التوراة وكتب الأنبياء، والأناجيل وأعمال الرسل، ١٩٩٥.

١٧) سليمان أبو عز الدين، المؤرخ: إبراهيم باشا في سوريا، حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف، بيروت، بدون تاريخ.

١٨) سمير جريس، الأستاذ: القدس، المخططات الصهيونية، الاحتلال، التهويد، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨١م

١٩) الصفصافي أحمد القطوري، دكتور: العثمانيون والأماكن المقدسة في القدس الشريف، مجلة حراء، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر، ص٣٠–٣٣، Kaynak Publishing Group، إسطنبول، ٢٠٠٥م.

٢٠) طوبيا الحلبي اللبناني، القس: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، عُني بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه: الشيخ يوسف توما البستاني، صاحب مكتبة العرب، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٣٢م.

٢١) عارف العارف، المؤرخ: المسيحية في القدس، مطبعة دير الروم الأرثوذكس، القدس، ١٩٥١م.

٢٢) عارف العارف، المؤرخ: المُفصَّل في تاريخ القدس، الناشر: فوزي يوسف، صاحب مكتبة الأندلس في القدس، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م.

٢٣) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، المؤرخ: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عن طبعة بولاق، تحقيق: دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والوثائق القومية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٤) عبد الرحمن الرافعي، المؤرخ: عصر محمد علي، دار المعارف، الطبعة الخامسة، القاهرة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢٥) عبد الرحمن زكي، القائمقام: التاريخ الحربي لعصر محمد علي، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

٢٦) عبد الرؤوف سنو، دكتور: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، طبع بدعم من مؤسسة ألكسندر فون همبولدت، بون، الفرات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.

٢٧) عبد العزيز محمد عوض، دكتور: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤م-١٩١٤م، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢٨) فيليب رينيه، المؤرخ: السان سيمونيين في مصر ١٨٣٣م-١٨٥١م، ترجمة: أمل الصبان وأنور مغيث وداليا الطوخي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.

٢٩) قاسم محمد أحمد النواصرة، دكتور: الموقف البريطاني والفرنسي من الحكم المصري لبلاد الشام، ١٢٤٧هـ-١٢٥٦هـ/١٨٣١م-١٨٤١م، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٦م.

٣٠) قسطنطين بازيلي، المؤرخ الروسي وقنصل روسيا في يافا: سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩.

٣١) كارين أرمسترونج، أستاذة الأديان: القدس مدينة واحدة وديانات ثلاث، ترجمة: دكتورة فاطمة نصر ودكتور محمد عناني، سطور، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٢) لطيفة محمد سالم، دكتورة: الحكم المصري في الشام ١٨٣١م–١٨٤١م، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٣٣) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق وتقديم: المحامي أحمد غسان سبانو، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٠م.

٣٤) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام: الحكم المصري في الشام، مجلد٢، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٥) ميخائيل مشاقة، دكتور: مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، منشئاه: ملحم خليل عبدو، وأندراوس حنا شخاشيري، طبع بمصر، سنة ١٩٠٨م.

٣٦) هاملتون جب وهارولد بوين، المستشرقان: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة دكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

٣٧) هنري لامنس اليسوعي، الأب: اليهود في فلسطين ومستعمراتهم، مجلة المشرق، العدد ٢٣، ديسمبر ١٨٩٩م، ص١٠٨٨–١٠٩٤.

٣٨) هنري لورنس، المؤرخ: نابليون والاسلام، ترجمة: بشير السباعي، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣٩) هنري لورنس وآخرون، المؤرخ: الحملة الفرنسية في مصر، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٠) وزارة الإرشاد القومى، الهيئة العامة للاستعلامات: ملفات وثائق فلسطين، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٦٩م.

٤١) وزارة التربية والتعليم: الأطلس العربي، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، جمهورية مصر العربية، الإصدار الثاني، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٩م.

٤٢) وليم الصوري، المؤرخ الصليبي: الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق: دكتور حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

ثانياً: الأجنبية:

1) Alan Moorehead:The White Nile, The Reprint Society, Printed In Great Britain By: Richard Clay And Company, Ltd. Bungay, Suffolk, London, 1962.

2) Albert Mackey: Encyclopedia Of Freemasonry And Kindred Sciences, A New And Revised Edition, Puplished By The Masonic History Company, New York And London, 1914.

3) Albert MacKey: Encyclopaedia Of Freemasonry, Revised And Enlarged Edition, The Masonic History Company; 1929.

4) Albert Montefiore Hyamson: The British Consulate In Jerusalem In Relation To The Jews of Palestine, 1838–1914, The Jewish Historical Society Of England, Published For The Society By: Edward Goldston Ltd., London, 1939.

5) Albert Montefiore Hyamson: British Projects For The Restoration Of Jews, The British Palestine committee, Printed By Petty & Sons, Leeds, 1917.

6) Albert Pike: Morals and Dogma Of The Ancient And Accepted Scottish Rite Of Freemasonry, Published By The Authority Of The Supreme Council Of The Thirty Third Degree, Charleston, 1871.

7) Alexander Scholch: Palestine In Transformation, 1856-1882, Studies In Social, Economic And Political Development, Institute For Palestine Studies, 1993.

8) Alexander Scholch: The Demographic Development Of Palestine, 1850-1882, International Journal Of Middle East Studies, Vol. 17, No.4, P485-505, Cambridge University Press, November, 1985.

9) Archibald Ramsay: The Nameless War, Britons Publishing Company, London, 1952.

10) Arthur Edward Waite: Devil Worship In France, Or The Question Of Lucifer, George Redway, London, 1896.

11) Arthur Nelson Field: Facts about The Bank Of England, Nelson Publisher, New Zeland, 1938.

12) Charles Spencer: Killers of the King: The Men Who Dared To Execute Charles I, Bloomsbury Press, January 20, 2015.

13) Charlotte Van Der Leest: Conversion And Conflict In Palestine, The Missions Of The Church Missionary Society And The Protestant

Bishop Samuel Gobat, Doctoral Thesis, History of World Christianity, Faculty of Religious Studies, Leiden University, 18 – 06 -2008.

14) Claude Conder And Captain Horatio Kitchener: Map Of Western Palestine In 26 Sheets, From Surveys Coducted For The Committee Of The Palestine Exploration Fund During The Years 1872-1877, London, 1880.

15) Claude Conder: The Future Of Palestine, Lecture In:Palestine Exploration Fund: The City And The Land, A Course Of Seven Lectures On The Work Of The Society, Published By The Committee Of Palestine Exploration Fund, Printed By: A. P. Watt & Son, Norfalk Street, London, Third Edition, 1894.

16) Edith Miller, Lady Queen Borough: Occult Theocracy, Published Posthumously For Private Circulation Only, Reprinted By The Christiam Book Club Of America, 1976.

17) Edward Robinson, Biblical Researches In Palestine, Mount Sinai And Arabia Petraea: A journal Of Travels In The year 1838, Published By Crocker And Brewester, Boston, 1841.

18) Edwin Hodder The Life And Work Of The Seventh Earl Of Shaftesbury, Cassell & Co. Limited, London, Paris, New York, 1886.

19) Ernst Gustav Schultz: Jerusalem, Eine Vorlesung, Bel Simon Schropp & Co., Berlin, 1845.

20) Frances Bunsen: A Memoir Of Baron Bunsen, Drawn Chiefly From Family Papers By His Widow, Longmans, Green & Co., Lodon, 1868.

21) Franz Kobler: The Vision Was There, A History Of the British Movement For The Restoration Of The Jews To Palestine, World Jewish Congress, British Section,1956

22) George Gawler: Tranquilization Of Syria And The East, In: Ridley Haim Herschell, Editor: The Voice Of Israel. Conducted By Jews Who Believe In Jesus Of Nathareth As The Messiah, Vol. I, Unwin, No. 31, Buklersbury, London, MDCCCXLV/1847.

23) Harold Frederic: Red Coats On The Nile, Lord Cromer Converted Against British Evacuation, The New York Times, May, 3, 1896.

24) Heinrich Graetz: History Of The Jews, Jewish Publication Society Of America, Philadelphia, 1895.

25) Henry Dodwell: The Founder Of Modern Egypt, Cambridge University Press, London, 1931.

26) Isaiah Friedman: Germany, Turkey, and Zionism, 1897-1918, Clarendon Press, 1977.

27) Israel Zangwill: The Return To Palestine, New Liberal Review, London, December,1901,

28) Israel Zangwill: Zion Whence Cometh My Help, In: Maurice Simon, Editor: Speeches, Articles and Letters of Israel Zangwill, Soncino Press, London, 1937.

29) James Anderson: The History And Constitutions Of The Most Ancient And Honorable Fraternity Of Free And Accepted Masons, Printed And Sold By J. Robison, At The Golden Lion In Ludgate Street, London, In The Year Of Masonry 5746.

30) John Garnier: Israel In Britain, A Brief Statement Of The Evidences In Proof Of The Israelitish Origin Of The British Race, Robert Banks & Son, Fleet Street, London, 1890.

31) John Giuseppi: Early Jewish Holderrs Of Bank Of England Stock, 1694-1725, Miscellanies, Jewish Historical Society of England, Vol. 6, 1962, P 143-174.

32) John Giuseppi: Sephardi Jews And The Early Years Of The Bank Of England, Transactions Of Jewish Historical Society Of England, Vol. 19, (1955-59), P53-63.

33) John James Moscrop: The Palestine Exploration Fund 1865-1914, Thesis Submitted For The Degree Of Doctor Of Philosophy At The University of Leicester, 1996.

34) John Parsons: British Military Masonry, Nebraska College M.S.R.I.C.F, April 30, 2003.

35) John Reeves: The Rothschilds,The Financial Rulers Of Nations, A. C. McClueg & Co., Chicago, 1887.

36) Joseph Jacobs: Maranos In England, The Jewish Encyclopedia, Vol. V, Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1904.

37) Joseph Jacobs, Meyer Kayserling: Antonio (Isaac) Lopez Suasso, The Jewish Encyclopedia, Vol. XI , Funk And Wagnalls Company, New York And London, Printed in USA, 1906.

38) Kemal Karpat: Ottoman Population, Demographic And Social Characteristics:1830-1914, University of Wisconsin Press, 1985.

39) Louis Loewe, Editor: Diaries Of Sir And Lady Montefiori, Comprising Their Life And Work, Belford Clarke Co., Chicago, 1890.

40) Lucien Wolf: Menasseh Ben Israel's Mission To Oliver Cromwell, Being Reprint Of The Pamphlets Published By Menasseh Ben Israel To Promote The Readmission Of The Jews To England, Published For The Jewish Historical Society Of England, By Macmillan & Co., Limited, London, 1901.

41) Lucien Wolf: Notes On The Diplomatic History Of The Jewish Question With Texts Of Protocols, Treaty Stipulations And Other Public Acts and Official Documents, Published By: Jewish Historical Society of England, Mocatta Library And Museum, Gower Street,1919.

42) Lucien Wolf: Sir Moses Montefiore, Biography, With Extracts From Letters And Journals, John Murray, Albemarle Street, London, 1884.

43) Lucien Wolf: The First English Jew. Notes On Antonio Fernandez Carvajal, with Some Biographical Documents, The Jewish Historical Society of England, Transactions, Session: 1894-1895, Wertheimer, Lea And Co., London.

44) Lytton Strachey: Queen Victoria, Harcourt, Brace, And Company, New York, Copyright, 1921.

45) Marie Joseph de Géramb: Pilgrimage To Jerusalem And Mount Sinai, Carey And Hart, Philadelphia,1840.

46) Menasseh Ben Israel : The Hope of Israel, Didecated By The Auther To The High Court, The Parliament Of England, And To The Council Of State, Printed By: R I, For Livewell Chapman At The Crown In Popes Head Alley, London, 1652.

47) Moses Hess: Rome and Jerusalem, A Study In Jewish Nationalism Translated From The German By: Meyer Waxman, Bloch Publishing Company, New York, 1918.

48) Nahum Sokolow: History Of Zionism 1600-1918 , Longmans, Green & Co., New York, Calutta And Madras, 1919.

49) Neville Mandel: Ottoman Policy And Restrictions On Jewish Settlement In Palestine: 1881-1908, Middle Eastern Studies, Vol. 10, No. 3, P312-332, October 1974.

50) Neville Mandel: The Arabs And Zionism Before World War I, University Of California Press, Berkeley And Los Angeles, California, University of California Press, Ltd., London, England, 1976.

51) Palestine Exploration Fund: Annual General Meeting Held In 10 June 1875, Quarterly Statemen, July 1875, P109-124, Office Of The

Palestine Exploration Fund, 9Pall Mall East, Bentley & Son, 8 New Burlington Street, London, 1875

52) Palestine Exploration Fund: Topography Of Jeruslem, Quarterly Statemen, No. I, January To March 1869, P3-10, Office Of The Palestine Exploration Fund, 9Pall Mall East, S.W. London, 1869.

53) Paul Windolf: The German Jewish Economic Elite 1900 – 1933, Journal Of Business History, Vol. 56, No. 2, P135-162, 2011.

54) Ran Aaronsohn: Rothschild And Early Jewish Colonization In Palestine, Rowman & Littlefield Publishers, Maryland, United States, October 4, 2000.

55) Robert Freke Gould: Military lodges, The Apron and The Sword or Freemasonry Under Arms, Aldershot, Gale & Polden Ltd,London, 1899.

56) Ruth Kark, Michal Oren-Nordheim: Jerusalem And Its Environs, Quarters, Neighborhoods, Villages, 1800-1948, The Hebrew University Magnes Press, Jerusalem, Wayne State University Press, Detroit, August 1, 2001.

57) Shlomo Hasson And Shaked Gilboa: Petah Tikvah, Encyclopedia Judaica, Vol. XVI, Macmillan Reference USA, In Association With Keter Publishing House, Jerusalem, Second Edition, Thomson Gale, Printed In USA, 2007.

58) Theodor Herzl: The Complete Diaries Of Theodor Herzl, Edited By: Raphael Patai, Translated by: Harry Zohn, Herzl Press And Thomas Yoseloff, New York, London, Printed in The United States, 1960.

59) The Rothschild Archive: Nathan Mayer Rothschild And Waterloo, https://www.rothschildarchive.org/contact/faqs/nathan_mayer_rothschild_and_waterloo.

60) Thomas Macaulay: The History Of England From The Accession Of James The Second, Vol. II, Donohue, Henneberry & Co., Chicago, 1890.

61) Walter Beasant: The General Work Of The Society, Lecture In: Palestine Exploration Fund: The City And The Land, A Course Of Seven Lectures On The Work Of The Society, Published By The Committee Of Palestine Exploration Fund By: A. P. Watt & Son, Norfalk Street, London, Third Edition, 1894.

62) William Denslow: 10,000 Famous Freemasons, Published By Macoy Publishing & Masonic Supply Co., Inc., Richmond, Virginia, 1957.

63) Wlliam Hechler: The Jerusalem Bishobric Documents, With Translation, Pubished By Command Of His Majesty Frederick William IV, Prince Of Prussia, Trubner & Co., 57 & 59 Lodgate Hill, London,1883.
64) Wiliam Herbert: The Defence Of Plevna, Longmans, Green And Co., London, 1895.
65) William Thomas Gidney: The History Of The London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews: From 1809 to 1908, London Society For Promoting Christianity Amongst The Jews, Printed By The Operative Jewish Converts Institute, London, 1908.
66) Wouter Troost: William III The Stadholder-king, A Political Biography, Translated By: J. C. Grayson, Ashgate Publishing, Farnham, United Kingdom , 2005.

فهرس الصور

الفهرس

دكتور بهاء الأمير

- **المؤلفات المطبوعة:**

١	كوسوفا، المذابح والسياسة، دار النشر للجامعات.
٢	النور المبين، رسالة في بيان إعجاز القرءان الكريم ، مكتبة وهبة.
٣	المسجد الأقصى القرءاني، دار الحرم للتراث.
٤	الوحي ونقيضه، بروتوكولات حكماء صهيون في القرءان، مكتبة مدبولي.
٥	اليهود والحركات السرية في الحروب الصليبية، مكتبة مدبولي.
٦	اليهود والماسون في الثورات والدساتير، مكتبة مدبولي.
٧	اليهود والماسون في ثورات العرب، مكتبة مدبولي.
٨	شفرة سورة الإسراء، بنو إسرائيل والحركات السرية في القرءان، مكتبة مدبولي.
٩	بروتوكولات حكماء صهيون، تقديم ودراسة، مكتبة مدبولي.
١٠	الانفجار الكبير، ماذا غير القرءان في العالم وماذا أحضر للإنسانية، مكتبة وهبة.
١١	تفسير القرآن بالسريانية دسائس وأكاذيب والأصول القبالية لتفسير الحروف المقطعة بالسريانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٢	النازية واليهود والحركات السرية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٣	التفسير القبالي للقرآن وفقه البلابيص، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٤	ولي الأمر المتغلب وهندسة المعيار والميزان، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٥	اليهود والحركات السرية في الكشوف الجغرافية، وشركة الهند الشرقية البريطانية، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٦	بلاليص ستان ١، أول الآتين من الخلف، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٧	بلاليص ستان ٢، بذور المشروع اليهودي في الشام، مطبوع على نفقة المؤلف.
١٨	الرقيق في الإسلام وتجارة العبيد في الغرب، مطبوع على نفقة المؤلف.

- **دراسات ومقالات منشورة على الإنترنت(•):**

١	يهود الدونمة.
٢	اليهود والماسون في قضية الأرمن.
٣	حركة الجزويت اليسوعية.
٤	عن الإخوان والماسونية.
٥	معركة المادة الثانية من الدستور.
٦	قواعد في إدارة الصراعات والتعامل مع الأزمات.
٧	عن الفتنة والديمقراطية والحركات الإسلامية.
٨	نقد كتاب اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد.
٩	نقد استخدام حساب الجُمَّل والأعداد في الاستنباط من القرءان.
١٠	حقيقة ما يحدث في مصر.
١١	فرعون بين التوراة والقرءان.
١٢	المسألة الإخناتونية.
١٣	معركتنا مع اليهود نموذج قديم وأحداث جديدة.
١٤	الفريضة الغائبة عما يحدث في مصر، العلماء والميزان.
١٥	الشميطاه واليوبيل.
١٦	القبالاه والموسيقى.
١٧	نقد نظرية الأكوان المتوازية.
١٨	البِتكوين، العملة المشفرة.
١٩	حوار مع قادياني.
٢٠	قضية تحرير المرأة.
٢١	أصول دراسة إسلام بحيري عن سِن السيدة عائشة عند زواج النبي بها.

- **) روابط الكتب والدراسات في مدونة صناعة الوعي، ومدونة عالم الوحي على الإنترنت.**

- **قصص قصيرة:**

١	جيفارا.
٢	مجاهد بن عبد الله الأزهري.
٣	علميها رمي الحجر.
٤	أبو خربان.

- **المرئيات(•):**

أولاً: مع الكاتب والمفكر الإسلامي جمال سلطان في برنامج حوارات بقناة المجد:

١	بروتوكولات حكماء صهيون، في مواجهة دكتور عبد الوهاب المسيري ودكتور أحمد ثابت.
٢	اليهود في الغرب، في مواجهة دكتور عمرو حمزاوي.

ثانياً: مع الشاعر المبدع والإعلامي اللامع أحمد هواس في برنامج قناديل وبرنامج كتاب الأسبوع بقناة الرافدين:

١	الوحي ونقيضه.
٢	المسجد الأقصى القرءاني.
٣	خفايا شفرة دافنشي.
٤	ملائكة وشياطين.
٥	دور الحركات السرية في إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية والرموز اليهودية والماسونية في الدولار الأمريكي.
٦	القبالاه، التراث السري اليهودي ، وآثارها في العالم.
٧	التنجيم والأبراج، أصلها وحقيقتها.
٨	البلدربرج حكومة العالم الخفية.
٩	الرمز المفقود.
١٠	لماذا العراق؟ خفايا الغزو الأمريكي للعراق.

(•) مرئيات دكتور بهاء الأمير موجودة على شبكة المعلومات الدولية ، الإنترنت، في موقع يوتيوب وفي العديد من المواقع الأخرى.

١١	نبوءة نهاية العالم، الأساطير والحقائق.
١٢	البابية والبهائية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.
١٣	القاديانية والنصيرية، صِلاتها باليهود والغرب والحركات السرية.

ثالثاً: مع الإعلامي والداعية الإسلامي خالد عبد الله في برنامج مصر الجديدة بقناة الناس:

١	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الأول.
٢	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثاني.
٣	خفايا الماسونية ومنظمات المجتمع المدني، الجزء الثالث.
٤	الاحتفال الماسوني عند الهرم الأكبر، حقيقته والهدف منه.
٥	دكتور محمد البرادعي، مواقفه وأفكاره.

رابعاً : مع الإعلامي والشاعر والداعية الإسلامي دكتور محمود خليل في برنامج الدين والنهضة بقناة مصر ٢٥:

١	الفوضى في مصر، أسبابها ومن المستفيد منها.
٢	مصر بعد الثورة، الأخطار الداخلية والخارجية.
٣	رمضان شهر القرءان.
٤	الثورة والدولة.

خامساً : مع الإعلامي ياسر عبد الستار في قناة الخليجية:

١	الماسونية والثورات.

سادساً : في قناة الحدث :

١	من خلف الثورات.
٢	المشروع اليهودي وحروب الجيل الرابع.
٣	من هي إسرائيل؟
٤	يهودية إسرائيل.
٥	حقيقة الماسونية

<u>سابعاً</u>: في معرض القاهرة الدولي للكتاب ٢٠١٣م:

١	نقد كتاب: سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي.

<u>ثامناً</u>: في عالم السر والخفاء، برنامج من إعداد وتقديم دكتور بهاء الأمير:

١	عالم السر والخفاء.
٢	جولة في عالم السر والخفاء.
٣	بيان الإله.
٤	الوحي.
٥	الطلاسم.
٦	في الملأ الأعلى.
٧	خريطة الوجود.
٨	الأمم المتحدة.
٩	حقوق الإنسان.
١٠	تحرير المرأة.
١١	اتفاقيات المرأة في الأمم المتحدة.
١٢	الهندوسية.
١٣	جمعية الحكمة الإلهية.
١٤	الحكيمة فوزية دريع.
١٥	حركة العهد الجديد والأمم المتحدة القبالية.
١٦	الماسونية وبناتها.
١٧	الوحي ونقيضه.
١٨	أخوية فيثاغورس
١٩	المخطوط العبري.
٢٠	قلب الماسونية.
٢١	وسائل الانفصال الاجتماعي.

تاسعاً: مقاطع وحوارات مصورة في المنزل:

١	بلاليص ستان: سبعة عشر مقطعاً.
٢	رد على نقد: أربعة مقاطع.
٣	الشورى والديمقراطية: أربعة مقاطع.
٤	أخطاء الإسلاميين: مقطعان.
٥	نبوءات: أربعة مقاطع.
٦	المادة الثانية من الدستور: خمسة مقاطع.
٧	التاريخ السري للغرب: ستة مقاطع.
٨	الوحي ونقيضه.
٩	العقائد والسياسة.
١٠	الناس من غير الدين بهائم.
١١	نفي الألوهية والخلق والوحي أصل الليبرالية والماركسية.
١٢	الأناركية.
١٣	حوار مع معالج بالطاقة.
١٤	علميها رمي الحجر.
١٥	اليهود في الماسونية ج١ الطقوس والرموز.
١٦	اليهود في الماسونية ج٢ درجات الماسونية ومراتبها وكلمات السر ومعانيها.
١٧	أبو خربان.

- **السمعيات :**

١	برنامج في مكتبة عالم بإذاعة القرءان الكريم، ثلاث حلقات.
٢	برنامج مقاصد الشريعة بإذاعة القرءان الكريم، أربع عشرة حلقة.

بذور المشروع اليهودي في الشام

- المشروع اليهوديِ ليس مجرد مشروع سياسي، كما يتوهم الأميون في بلاليص ستان، ولا ظهر مع هرتزل والحركة الصهيونية، كما يتعمدون إيهامك، بل المشروع اليهوديِ مشروع عقائديِ شديد القدم، ويسير مع الزمان، ويتلبس بأحداث التاريخ في كل العصور وجميع الأمم، وما يظهر منه في كل عصر هو ما تسمح ظروفه وأوضاعه بظهوره.
- أول بذرة في المشروع اليهوديِ، هي دخول جيش أول الآثين من الخلف إلى الشام واستيلاؤه عليها وقطعها عن بلاد الإسلام، وتغيير هويتها، عبر التنكيل بالمسلمين من أهلها وتصعيد الأقليات، وفتحها أمام قناصل الإمبراطوريات الماسونية، وإسباغ حمايته على اليهود، وسعيه هو وابنه نحو تهويد القدس.
- البذرة الثانية في المشروع اليهوديِ، هي إنشاء قنصلية بريطانية في القدس، لتكون مهمتها الأولى رعاية اليهود وتوطنة الشام لهم، ثم إنشاء أسقفية بروتستانتية في القدس، واليهود والمتهودون في بريطانيا هم من كانوا خلف إنشائها، وأول أسقف بروتستانتي في القدس وفي الشرق كله كان حاخاماً يهودياً!
- تلا ذلك تأسيس صندوق استكشاف فلسطين البريطاني، وهو الصندوق الذي قام بتهويد فلسطين جغرافياً وطبوغرافياً، ومهد لتهويدها سياسياً، عبر استكشافه لفلسطين وإجراء حفريات لاكتشاف آثارها في العصور القديمة في ضوء ما ورد عنها في التوراة وأسفار الأنبياء، وإعادة رسم خريطة فلسطين بعد منح البلدات والقرى والمواقع أسماءها العبرية الكتابية بديلاً عن أسمائها العربية.
- **اقرأ في هذا الكتاب:**
- إزاحة الإسلام وتغيير هوية الشام، تهويد القدس.
- بريطانيا واليهود، بريطانيا في القدس، أسقفية مسيحية والأسقف حاخام يهوديِ.
- المستوطنات الأولى في فلسطين.
- الدولة العثمانية والاستيطان والحركة الصهيونية، السلطان عبد الحميد وتيودور هرتزل.
- مستوطنة في سيناء.

دكتور بهاء الأمير